قالوا عن الإسلام

إعداد

الدكتور عماد الدين خليل

الندوة العالمية للشباب الإسلامي

الرياض

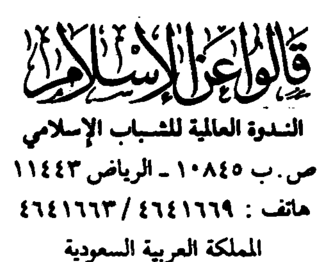

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م

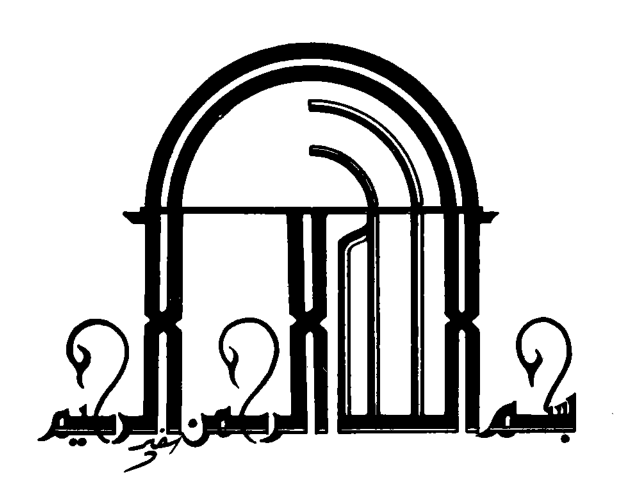
بسم الله الرحمن الرحیم

للنـدوة العالمية للشباب الاسلامي
ص.ب ١٠٨٤٥ ـ الريـاض ١١٤٤٣
هاتف : ٤٦٤١٦٦٩/٤٦٤١٦٦٣
المملكة العربية السعودية

فسح وزارة الاعلام رقم ١٤٣٧/م وتاريخ ٢/٣/١٤١١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين، وعلى من دعا بدعوته إلى يوم الدين. وبعد:

يطيب للندوة العالمية للشباب الإسلامي أن تضع بين يدي القارىء الكريم هذا العمل العلمي الجديد (**قالوا عن الاسلام**) الذي ألفه لها الدكتور عماد الدين خليل.

وقد بدأت فكرة هذا الكتاب عندما أعدت الندوة عدداً من النشرات باللغة الإنجليزية للتعريف بالإسلام لغير المسلمين كان من بينها ثلاث مطويات هي:

١ ـ ماذا قالوا عن الإسلام.
٢ ـ ماذا قالوا عن القرآن.
٣ ـ ماذا قالوا عن الرسول ﷺ.

وقد لاقت تلك النشرات استحساناً كبيراً، وأصبحت مادة الدعوة للإسلام داخل المملكة وخارجها وترجمت إلى عدد كبير من اللغات الحية، ومن هنا نشأت فكرة تأليف كتاب جامع لهذه الشهادات، ولقد فكرت الندوة طويلاً في الفكرة ثم أعدت ورقة العمل التي توضح أمرها واستشارت فيها عدداً من العلماء في الداخل والخارج فجاءت الردود مشجعة جداً، مما يدل على أن هذا الكتاب المقترح سوف يسد ـ إن شاء الله ـ ثغرة يحتاج المسلمون إلى سدها. فطلبت الندوة من الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل أن يقوم بتحمل هذا العبء الكبير، فنهض بالكتاب نهوضاً مشكوراً نرجو أن يجده في ميزان حسناته، فقد دقق وتابع واستقصى ومهد بمقدمة مركزة أثرت الكتاب الذي جاء ثمرة لجهده ومعاناته ودل على أكاديمية مخلصة ودقيقة.

وهذا الكتاب يقدم مجموعة من الشهادات المنصفة في حق الإسلام، وقرآنه الكريم ونبيه العظيم، وتاريخه وحضارته ورجاله، وهذه الشهادات صدرت عن أعلام معظمهم من غير المسلمين، فيهم السياسي والأديب والشاعر والعالم، والعسكري، والرجل والمرأة.

وهذه الشهادات تؤكد أن الدنيا لا تخلوا من أحرار الفكر الذين يمكن أن يصلوا إلى الحق أو إلى جوانب منه، ويؤدوا حق الشهادة في ذلك. وإذا كان هذا يشكل بالنسبة لنا مادة للفخر والسرور، فإنه يزيد اعتزازنا بهذا الدين ويلقى علينا مسئولية كبيرة، وهي أن ننهض بواجب البلاغ، متوقعين أن نحقق مساحة من النجاح تتوازى مع اخلاصنا وجهدنا.

وربما يؤخذ على الكتاب أنه اقتصر على الاستشهاد بأقوال الغربيين الذين سبقوا عشر السنوات الماضية، كما اقتصر على الرجوع للترجمات العربية بينما ينبغي الرجوع إلى مختلف اللغات ليكون البحث أكثر شمولا، وأصدق تمثيلاً ولكن استحالة الاستيعاب والرغبة في الاقتصار على نماذج مختارة وحتى لا يطول الكتاب طولاً مملاً اقتصرنا على هذا الاختصار الذي نرجو أن لا يكون مخلاً.

كما نحب أن ننبه إلى أننا قد لا نتفق بالضرورة مع كل جزئية وردت في هذه الشهادة أو تلك، ذلك لأن لهؤلاء الشهود ظروفهم النفسية والاجتماعية التي قد تحجب عنهم جوانب من الحق، وكان من جملة أهدافنا أن نسوق شهادات غير المسلمين لأن (الحق ما شهدت به الأعداء)، كما تشكل تأكيداً لقناعة المؤمنين وحافزاً لبعض المتشككين الذين يحسنون الظن فيمن ننقل عنهم من أساطين الحضارة الغربية.

وقد جمع المؤلف ـ جزاه الله خيراً ـ مادة ضخمة من الشهادات والنقول التي رأت جمال الإسلام وكماله، ولكن الندوة تريد أن يحقق الكتاب هدفه بأيسر الطرق فاقترحت على المؤلف أن يختصره اختصاراً لا يخل بالمنهج وذلك بالابقاء على عدد محدود من الشهادات لكل صاحب شهادة يفي بالهدف الذي اختيرت الشهادات من أجله وهذا الذي كان.

ولـذلـك فإن الكتاب الذي بين يدي القارىء الكريم هو الطبعة المختصرة من المشروع الأصلي للكتاب.

هذا واننا نرحب بأي ملاحظة لدراستها والاستفادة منها في الطبعة الثانية، فالكمال لله عزّ وجلّ وحده، وكل عمل بشري بحاجة دائمة إلى المراجعة والتقويم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأمين العام
للندوة العالمية للشباب الإسلامي
د. مانع بن حماد الجهني

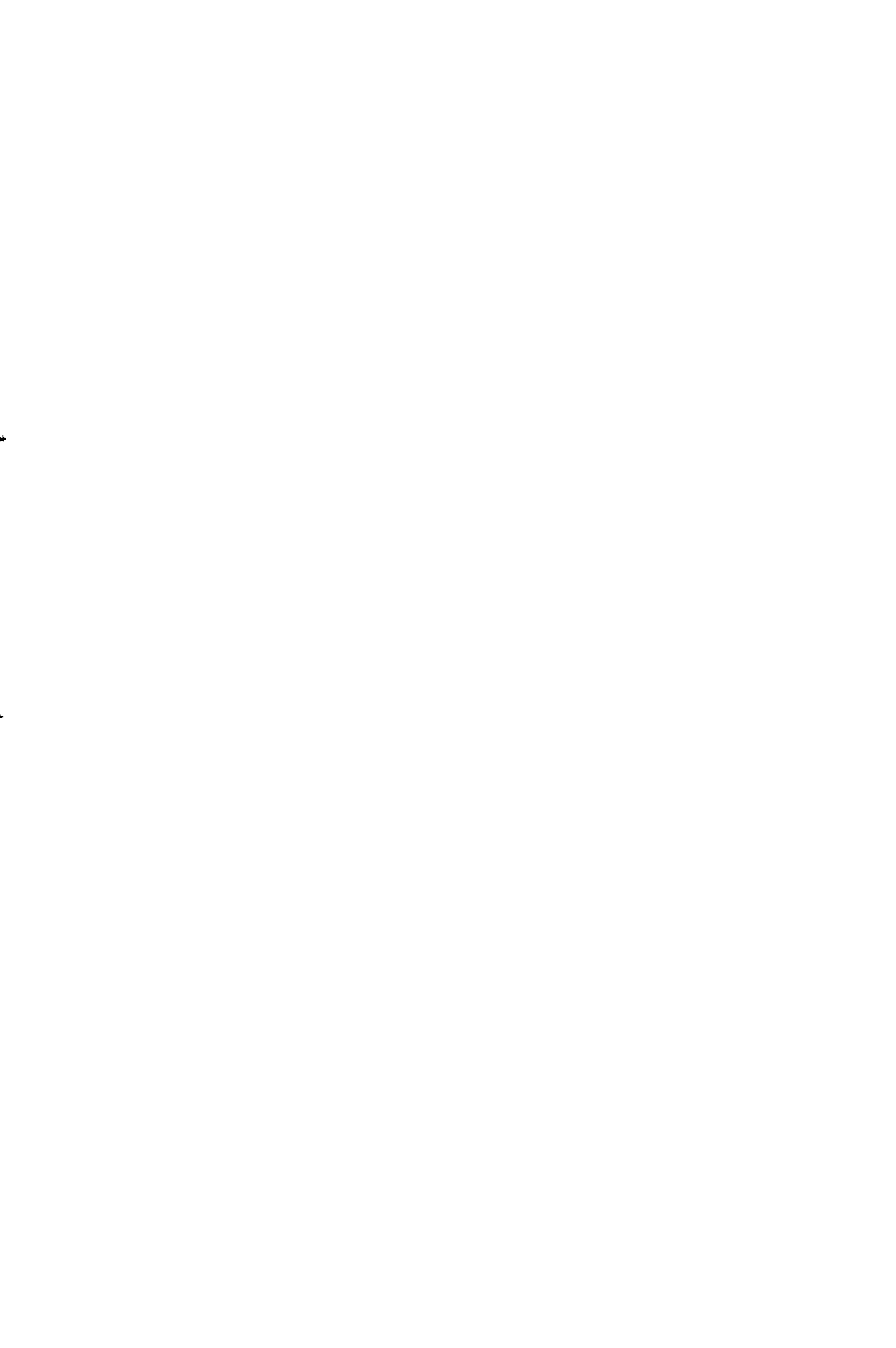

الدكتور عماد الدين خليل

قالوا عن الاسلام

ملاحظات في المنهج

(١)

يبدو أن العقل الغربي ـ عموماً ـ يقف ـ إزاء الإسلام ـ في نقطة التوازن بين الشد والجذب باتجاهين متناقضين: النزعة العلمية الموضوعية والنزعة التحزّبية وكل ما يرتبط بها أو يوازيها من احساس استعلائي تجاه كل ما هو شرقي، ورغبة منفعية في تدمير ثقة الشرقيين بأنفسم . . إلى آخره.

بعض الغربيين يقدر على تخليص نفسه من أسر هذه النقطة فيميل إلى معالجة ما يتعلق بالإسلام معالجة موضوعية ويقترب من الحقيقة، بينما يندفع بعضهم الآخر باتجاه القطب المعاكس، فيقف موقفاً مضاداً يتأرجح بين السباب والشتيمة، وبين الحكم المنحاز المغطى من الخارج برداء العلمية وما هو منها بشيء .

وتبقى سائر المواقف الأخرى، كالموجب والسالب، متحركة على طَرفَيْ (النقطة) قرباً أو بعداً.

إن ما قدّمه الغربيون عامة، والمستشرقون على وجه الخصوص، يتضمن الابيض والأسود، ان على مستوى المنهج أو الموضوع، وليس كله سواء. بل ان الرجل منهم قد يتضمن كلامه، في نفس الوقت، الأبيض والأسود معاً، لأسباب عديدة منها قوة الجذب التي أشرنا إليها، ومنها الجهل ببعض المسائل، ومنها التأثيرات الذاتية والثقافية. . . إلى أخره.

«ان العقل الغربي الحديث ـ كما يقول سير هاملتون جب ـ يعسر عليه بوجه خاص، ان يقوم بمحاولة استكناه طبيعة المواقف الدينية لدى أناس تختلف نظرتهم إلى الكون اختلافاً بعيدا عن نظرة (الغربي)، لأن الدين، سواء أكان في صورة قوة محسوسة، أو قوة ذات أثر روحي، يتطلب تدريب ملكة الإدراك الحدسي، أي يتطلب

طفرة العقل التي تعبر خضم كل تلك المعلومات والمناهج المتبعة في التحليل العقلي. . وتتخطى حدوده لتستكنه بالتجربة المحسوسة وعلى نحو مباشر عنصراً من العناصر القائمة في طبيعة الاشياء مما لا يستطيع التعقل ان يصفه أو يحدد هويته. «الإيمان هو الثقـة بما يرجى والإيقان بامور لا ترى». أما الرجل الغربي النموذجي الذي ورث الفكر الانكليزي العقلاني وقيم القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، واصبح موجها عقليا بقوة ذلك الفكر، أو بقوة الفكر الالماني وقيم السنوات المائة والخمسين الماضية، فقد هزلت وأهملت لديه ملكة الحدس حتى أنه ليأبى أن يسلم بمحض وجودها. ولذلك أصبحت احكامنا الدينية ـ نحن الغربيين ـ شديدة الاختلال»[1].

وهنا يجب أن نقف قليلاً عند مسألة (حدود النص) أو (الشاهد) وضرورة عدم ممارسة الاقتطاع القسري إزاءه، كيف يتم ذلك؟.

ان علينا أن نلاحظ كيف أن عدداً من الشهادات الايجابية بحق الإسلام أو جانب من جوانبه، من قبل هذا المؤلف أو ذاك يقابلها في الوقت نفسه ركام من شهادات أخرى سلبية تقف موقفاً مضاداً من الإسلام لكن هذا لا يمنع من اعتبار الشهادات الأولى بمثابة اعتراف (حرّ) بهذه القيمة أو تلك من قيم الإسلام، والتي تدفع الغربيين إلى اعلان رأيهم ذاك دونما أي نوع من أنواع الاضطرار أو القسر.

فكشهادات، وليس كموقف نهائي، يمكن أن تعتمد للدلالة على ما نحن بصدده فأما (الشهـادة السلبية) فقـد فرضت نفسها على نطاق واسع لأنها الأكثر حضورا وانتشارا في الفكر الغربي، ويستطيع المرء أن يجدها بسهولة في معظم الأعمال الغربية التي تمس الإسلام. وأما (الشهادة الايجابية) فهي التي تحتاج إلى مزيد من التأكيد والتنسيق واعادة العرض في اطار ملائم.

وهنالك فرق بيّن ـ بطبيعة الحال ـ بين خطيئة الاقتطاع القسري للشاهد لتأكيد فكـرة ما في سياق معـين قد يصل إلى أهداف ومواقع لم يفكر فيها صاحب النص أسـاساً، وبين استقصاء الشهادات الايجابية التي صدرت عن حشد من المفكرين الغربيين، من بين سيل من المعطيات تتميز بموقفها السلبي من الإسلام كما قلنا. فهاهنا تبدو الشهادة صدوراً حرّاً، وتقييماً ايجابياً لجانب من الإسلام ينبثق عن قناعة

(١) دراسات في حضارة الإسلام، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

تامة للمفكر، الذي يجد نفسه بعد لحظات، أو قبل لحظات يسدّد هجمة لجانب آخر، وربما للجانب نفسه من الإسلام، قد لا تبرّرها الموضوعية، ولكنها ـ على أية حال ـ تمثّل بدورها حلقة من قناعات ذلك المفكر.

وبما أن مهمة هذا الكتاب هي محاولة حصر قدر طيب من الشهادات الايجابية، كما يتضح من هدفه ومنهجه، فان الأمر يتجاوز كونه اقتطاعا قسريا للشاهد، إلى السعي العلمي المتبصّر لاستقصاء المعطيات الايجابية للمفكر غير المسلم، تلك التي إذا ما عرضت عليه أكد صدقها ثانية وثالثة ورابعة لأنه لم يقلها إلا بدافع قدرة الإسلام، في جانب ما من جوانبه، على تأكيد تميزه، وتفوقه وفاعليته.

وفي المقابل فان بمقدور أي قارىء أن يتابع الشهادات ذات الطابع السلبي في معظم المصادر التي اعتمدت هاهنا، وغيرها كثير، وهي مسألة ليست من مهمة هذا البحث، وقد تصدى لها بالعرض والنقد والدراسة، ولا يزال، عدد من المختصين والباحثين الاسلاميين ضمن توجهات منهجية اخرى.

ان عنوان الكتاب يحمل بوضوح بنية المنهجية القائمة ـ أساساً ـ على الانتقاء، البحث عن الشهادات الايجابية البنّاءة فقط، واؤكد على الكلمة، تلك التي صدرت عن أناس لم يكونوا يؤمنون بالاسلام، ثم جذب بعضهم إليه، وظل آخرون بعيدين عنه.

ومرة أخرى، فان ما قيل في الإسلام من مواقع التحزّب والخصومه والمصالح والظنون والاهواء كثير جدا، وليس ثمة من لم يغترف من سيله الطامي، ولو غرفة بيده، لكي يطلع على ما تتضمنه.

أما مهمة هذا الكتاب فشيء معاكس تماما: البحث عن المعطيات التي صدرت من مواقع الرؤية الاكثر نقاء وموضوعية والتي قد يحوطها، بالتأكيد، الكدر من بين يديها ومن خلفها، ومن ثم، وما دام أن الهدف واضح منذ اللحظة الأولى، فسنضطر إلى المنهج الانتقائي لوضع اليد على طرف الايجاب وحده، فالمسألة ليست مسألة بحث في واقعة ما، أو ظاهرة من الظواهر، أو حتى دين أو مذهب، لكي نتابع ما يتطلبه المنهج العلمي: تسليط الضوء على الابيض والاسود معا، وإنما هو محاولة لرصد جانب من الشهادات الايجابية التي صدرت بحق هذا الدين، من بيئات طالما اساءت إليه،

ومن ثم تحمل ـ أي المحاولة التي يمثلها هذا الكتاب ـ تبريرها العلمي الصريح في اطراح كل ما من شأنه أن يتناقض مع هذا الهدف الواضح المحدّد سلفاً.

وإذا كان الكتاب عملاً انتقائيا في هذا الاتجاه، فهو انتقائي ايضاً في الاتجاه المعاكس، أي باتجاه اسقاط الكثير من الشهادات الايجابية بحق الإسلام، تجاوزا للتكرار والتضخم. ويكفي أن تأتي الشهادة في هذا الجانب أو ذاك من جوانب الإسلام متمثلة بعدد مناسب من النصوص التي تمثل سياقاً نمطياً لا تعدو سائر الشهادات الاخرى ـ في اطاره ـ ان تكون بمثابة تأكيد يكرر نفسه بصيغ قد تكون متباينة شكلاً ولكنها تلتقي في المضمون.

ولا بدّ من الاشارة هنا إلى أن الكتاب، من أجل الهدف آنف الذكر، حاول، قدر الامكان، تجاوز شهادات التقييم الغربية التي انصرفت إلى ردّ مزاعم بعض الغربيين انفسهم، أو غير المسلمين عموماً، لأن هذه الشهادات لا تعدو أن تكون صيغاً ذات طابع (دفاعي) موجهة ضد معطيات سلبية، بينما تتجه مهمة الكتاب، كما رأينا، إلى الاكتفاء بالشهادات الايجابية (البنائية) التي تتحدث عن هذا الجانب أو ذاك بصيغة التقييم والاعجاب.

ان العديد من الاسماء التي سيجدها القارىء هنا تدلي بشهاداتها عن الإسلام، لا يحمل اعتمادها اي معنى من معاني التبرئة والتنزيه عن الميول والظنون والاهواء، وهي بالتالي ليست دعوة للقارىء إلى التوجه لمعطيات هذه الأسماء، والتسليم بها في تفاصيلها وجزئياتها كافة، أو في منهجها الذي اعتمدته، والذي قد يرتطم ابتداء بالمنهج الموضوعي الصحيح في التعامل مع هذا الدين.

ولو حدث أن توهمّ القارىء ـ لحظة ـ ان ايراد هذه الاسماء، أو بعضها على الاقل، يتضمن دعوة لتقبّل استنتاجاتها ومناهجها كافة، فإن الغرض من هذا البحث المتواضع سينقلب رأساً على عقب، وسيقود إلى ضلالة أخرى. والمهم، كما أكدنا أكثر من مرة، هو أن ما يتضمنه الاسلام، وتاريخه وحضارته، من عناصر الجذب، والاشعاع، والقوة والاقناع، والاثارة، والانسجام مع التوجهات الانسانية الاصيلة، ساق هؤلاء، وأرغمهم، حيناً آخر، على الادلاء بشهاداتهم الايجابية جنبا إلى جنب، بالنسبة لبعضهم على الاقل، مع حشود من الاستنتاجات الخاطئة المضادة، بل إن

بعض تلك الشهادات الايجابية تتضمن في بنيتها ومفرداتها ـ كما أشرنا ـ سلبيات شتى، مما يجده القارىء أحياناً بسبب من طبيعة المنهج الذي يعتمدة الغربيون في التعامل مع الإسلام.

وثمة صيغة اخرى للعمل اضطررنا لتجاوزها خشية أن يتحول الكتاب إلى مشروع مناقشات وجدل ودفع للتهم الباطلة، فيفقد أهميته، وتوجّهه المطلوب، فضلاً عن أن أمراً كهذا مُورِسَ على نطاق واسع عبر العقود الأخيرة بصدد الفكر الغربي عامة، والاستشراقي على وجه الخصوص.

(٢)

ان شهادات الغربيين الايجابية عن الإسلام ليست ذات طبقة واحدة، وانما عدة طبقات[1]، فبعض الشهادات لا تعدو كونها تأكيداً لحقائق معينة في نسيج ديننا وحضارتنا، تارة بالترجمة الحرفية لنصوص الوقائع المستمدة من المصادر الإسلامية نفسها، أو الغربية، وتارة اخرى، بتركيز هذه النصوص، أو التوسّع فيها، مع المحافظة على جوهرها الأصيل. وهذا التأكيد، أو النقل، يمثل ـ بحدّ ذاته ـ اعترافاً ضمنيا أو مكشوفا بقيم الدين والحضارة الإسلامية، وتميزهما، فهو ـ إذن ـ يحمل أهميته كشهادة، خاصة إذا ما تذكرنا السيل الآخر المضاد من المعطيات الغربية التي استهدفت التشكيك بصحّة هذه الوقائع، وتحققها بالفعل، أو فسرتها تفسيراً خاطئاً يخرج بها عن كونها عناصر جيدة ترفد المجرى العام البنّاء الذي يشكل الإسلام والحياة الإسلامية، ويلقي عليها ظلاً يبعد بها عن جادة اليقين.

فها هي الشهادات الايجابية تجيء كإقرار أو أعتراف لكي تردّ هذا الهوى وتبعد ذلك السوء، وتعلن بالموضوعية التي يتطلبها التعامل الجادّ مع الحقائق، تأكيدها لما وقع فعلاً لا لما يريد أصحاب الظنون والاهواء أن يكون.

---

(١) يجب أن نتذكر أن الشهادات (السلبية) تتضمن هي الأخرى طبقات عدة يلي بعضها الأخر، هبوطاً، فهنالك طبقة التشويه، فالتشكيك فالنفي الذي مارسه العقل الغربي كثيرا ازاء ما يعتبر في المنظور الإسلامي من قبيل البداهات والحقائق المسلمّ بها. انظر بحثاً للمؤلف بعنوان: (المستشرقون والسيرة النبوية: بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات) (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٥).

لكن هذه الشهادة لا ترقى إلى مرتبة الطبقة التالية التي تأخذ طابع التقييم الذي يصدر عن غير المسلم، تجاه هذا الجانب أو ذاك من الإسلام.

ثم تأتي الطبقة الثالثة، والاعلى مرتبة من الشهادات، متمثلة بمعطيات أولئك الذي انتموا فعلاً لهذا الدين، وقالوا كلمتهم في هذا الجانب أو ذاك من جوانبه، قبل انتمائهم أو بعده. إن هذه الشهادات تمثل سياقاً يحمل أهميته البالغة فيما نحن بصدده، لأنها تجيء بمثابة الدافع والشهادة في الوقت نفسه الدافع الذي قادهم إلى الإسلام، والشهادة على ما يتضمنه هذا الدين من قيم ومزايا لا تتوفر في المذاهب والعقائد الأخرى. ان هذا الانتماء ليعدّ بحد ذاته شهادة واقعية على صدق هذا الدين في تعامله مع الانسان المتحضّر، وقدرته على الكسب والانتشار.

وسيتابع هذا الكتاب، بالقدر المناسب، والأنماط، أو الطبقات الثلاث من الشهادات، مانحاً الأولوية للطبقتين الأخيرتين، خاصة وأن الطبقة الأولى قد حظيت بحشد غني من الكتابات، فضلاً عن أن أهميتها تنحصر في كونها تأكيدا فحسب لصدق الوقائع والمعطيات وتحققها في الزمن والمكان.

أما الطبقتان الأخريان من الشهادات فتجيء بمثابة استنتاج، أو تقييد أو استنباط نقدي، تجاه هذا الجانب أو ذاك من بنية الإسلام والحياة الإسلامية وهذا - بلا ريب - يحمل قيمة أكبر بكثير، بل إنه هو الذي يمثل الشهادة المطلوبة ها هنا، لأنه يركز مقولاته في صيغة مبادىء وقيم وتوجهات شمولية، يحكم بها، أو يصوغ بعبارة أدق، الكثير من أوجه الإسلام والحياة الإسلامية. وهكذا سينصب الإختبار بالدرجة الأساسية على هذا النمط مع عدم اغفال النمط الأخر بالكلية.

(٣)

يبدو من المستحيل استقصاء كل الشهادات التي قيلت بصدد الموضوع، ولكن ما يعوض هذا أن البحث ذو طابع نمطي، إذ تكفي في كل جانب منه شهادة عدد محدد من الأشخاص والمفكرين لكي يكون بمثابة عرض (نموذجي) لجلّ ما قيل في ذلك الجانب، وكثيراً ما يحدث أن تتناول عدة نصوص مسألة محددة وتمنح تأكيدها أو تقييمها لهذه الموضوعية أو تلك، بالمعطيات نفسها تقريبا، وهكذا فان ايرادها جميعا سوف يقود ولا ريب إلى نوع من التكرار والتضخم. إن قطعة القماش ما دامت ذات

نسيجٍ واحد، فإنه لن يكون من قبيل الاعتساف اقتطاع عينات منها لكي تدل عليها جميعاً.

وقد يلحظ المرء عدم توازن في مساحة الشهادات المعروضة عن الجوانب المختلفة للإسلام والحياة الإسلامية، والسبب يرجع ـ حيناً ـ إلى مساحة الموضوع الذي تعالجه الشهادات، وحيناً آخر، إلى طبيعة المعطيات التي كانت تنصب بغزارة على جانب ما كالإسلام نفسه أو حضارته أو صيغ انتشاره وتعامله مع غير المنتمين إليه، بينما تقل في جوانب أخرى ـ ولكن مادام أن مسألة (كالأنتشار والتعامل) أو (الحضارة) هي بمثابة التحقق المنظور للإسلام في واقع الانجاز التاريخي، فإن اتساع المساحة الخاصة بها تجيء، بحدّ ذاتها، شهادة على عناصر القوة والعطاء والابداع والالتزام في الأسس الإسلامية التي قامت عليها الممارسة التاريخية، وفي القدرات العقيدية والنفسية والعقلية والاخلاقية التي فجرها الاسلام في اتباعه فدفعهم إلى تقديم هذا العطاء الواسع، الغني، الملتزم، المتشعب.

ولحسن الحظ، فإن الشهادت، بشكل عام، تشكل مع بعضها نوعاً من التكامل حيث ينصب اهتمام كل مجموعة منها على جانب ما من جوانب الإسلام والحياة الإسلامية. وهاهنا من أجل تجاوز التكرار والتضخّم، تم التركيز على أكثر الكتب، المتوفرة، أهمية وغزارة بالنسبة لكل مجموعة مع عدم اغفال المراجع الاقل مادة بطبيعة الحال.

مثلاً، يحمل كل من (انسانية الإسلام) لمارسيل بوازار و (الطريق إلى مكة) لليوبولد فايس (محمد أسد) و (دفاع عن الإسلام) للورا فيشيا فاغليري و(دراسات في حضارة الإسلام) و(الاتجاهات الحديثة في الإسلام) لهاملتون جب، أهميته البالغة في كثافة شهاداته عن الإسلام عقيدة وشريعة وعبادة وأخلاقاً وسلوكاً، ومن ثم يمكن اعتبار الكتب المذكورة بمثابة مراجع محورية في الفصل الخاص بالإسلام، حيث تليها في الأهمية سائر المراجع التي قدمت مادة أقلّ.

وما يقال عن الكتب آنفة الذكر بالنسبة (للإسلام) يمكن أن يقال ـ مثلاً ـ عن كتاب (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) لموريس بوكاي بالنسبة (للقرآن الكريم)، وكتاب (محمد الرسالة والرسول) لنظمي لوقا، و(حياة محمد) لاميل درمنغم

و(الابطال) لكارلايل، بالنسبة (للرسول ﷺ)، وكتاب (الدعوة إلى الإسلام) لتوماس ارنولد و(انسانية الإسلام) لبوازار بالنسبة (لانتشار الإسلام وطرائق معاملة غير المسلمين) وكتاب (حضارة العرب) لغوستاف لوبون و(شمس الله تسطع على الغرب) لزيغريد هونكه و(تأثير الإسلام على أوروبا في العصور الوسطى) لمونتغمري وات بالنسبة (للحضارة الإسلامية)، وكتاب (القوميات والدولة السوفياتية) لهيلين كارير دانكوسّ و(انسانية الإسلام) لبوازار و(الطريق إلى مكة) لليوبولد فايس بالنسبة لـ (واقع المسلمين مستقبلهم).

(٤)

إن كلمة (الإسلام) التي يتضمنها عنوان الكتاب، تجيء بشكل جامع يضمّ بين جناحيه الجوانب النظرية (العقيدية) والتطبيقية (التاريخية) على السواء باعتبار أن التاريخ الإسلامي بمعطياته السياسية والحضارية، برجالاته وجماهيره وتجاربه، تعبير عن الإسلام بدرجة أو اخرى، أو بعبارة ثانية: الحقل الذي تبرز فيه تأثيرات الإسلام في خطوط متفاوتة العمق. ومن ثم فإن الشهادات لن تقتصر هنا على الإسلام وحده، بقرآنه الكريم ونبيه عليه السلام ومعطياته العقيدية والتشريعية... إلى آخره، وإنما تنسحب على صيغ التحقق في الزمن والمكان، أي في التاريخ.

وبما أن الشهادات المنصبة على التاريخ السياسي والعسكري للإسلام باحداثه واشخاصه ووقائعه وتوجهاته، تدور في معظمها ضمن طبقة تأكيد الحقائق لا تقييمها، وتجاوزا للتضخم فسوف يتم قدر الامكان تحاشي الشهادات التي قدمت في هذا الاطار، إلّا قلّة منها، أما الحضارة فان أمرها يختلف وأن الشهادات في دائرتها لتتوزع بشكل عادل بين التقييم والتأكيد.

وقد نلحظ ـ أحياناً ـ بعض الغربيين يستخدمون لكلمات من مثل (عربي) و(حضارة عربية) و(فكر عربي) و(تاريخ عربي)... إلى آخره رغم أن تحليلهم ينصبّ على مساحة بشرية أوسع بكثير، تضم بين ظهرانيها جماعات وشعوباً أخرى غير عربية.

لا داعي لأن نعيد القول في هذه المسألة، ويكفي أن ننبّه عليها مرة واحدة والمهم هو أن شهادات هؤلاء الغربيين تتجاوز في مضامينها ـ معظم الاحيان نطاق التسمية

المحدودة صوب كل ما هو إسلامي، يمثل العرب ـولا ريب ـ مساحة كبيرة منه، إلى جانب جماعات وأقوام وشعوب أخرى كثيرة انضوت إلى هذا الدين، أو عملت في نطاق دوله وحضارته.

ثم إننا يجب ان نلاحظ أن كلمة (الغربيين) التي تتردد في مقدمة هذا الكتاب وفصوله، قُصد بها في معظم الأحيان: غير المسلمين عموماً سواء كانوا أوروبيين وأمريكيين أو حتى شرقيين، لكن المساحة الأوسع تبقى، ولا ريب، (غربية) بالمفهوم الجغرافي والحضاري.

(٥)

يتضمن الكتاب مدخلاً وسبعة فصول تتفاوت في مساحاتها استناداً إلى حجم المادة المرصودة في كل فصل.

يتحدث الفصل الأول عما قيل في (القرآن الكريم)، ويتحدث ثانيها عن (رسول الله ﷺ): الشخصية والسيرة والحديث والسنة، بينما يتجه ثالثها، وهو أكبرها حجماً، إلى (الإسلام) بكافة جوانبه العقيديه والتشريعية والتعبدية والاخلاقية والسلوكية. أما الفصل الرابع الذي يتميز باتساع رقعته، اسوة بالذي سبقه، فينتقل للحديث عن معطيات الإسلام التاريخية بصدد اثنتين من أهم المسائل: الانتشار ومعاملة غير المسلمين. وهما مسألتان مرتبطتان أشد الأرتباط، متداخلتان مع بعضهما كنسيج واحد ولذا تم تناولها في إطار فصل واحد.

وأما الفصل الخامس الذي يتميز هو الآخر باتساعه، فيقف عند المعطيات الحضارية، محاولاً قدر الأمكان تجاوز التفاصيل والجزئيات، مركزاً على الشهادات ذات الطابع الاستنتاجي والتقييمي، وبخاصة تلك التي تتحدث عن أبعاد الدور العالمي الذي لعبته حضارة الإسلام في مجرى التاريخ.

أما الفصلان الأخيران الأصغر حجماً فيعالج أحدهما بعض ما قيل بصدد جانب مهم من النسيج الاجتماعي للإسلام والمجتمع الإسلامي: المرأة والأسرة، ويتناول ثانيهما نماذج من الشهادات التي قيلت عن واقع الإسلام الراهن ومستقبله القريب والبعيد. وقد حاولتُ هَاهنا ـ قدر الأمكان ـ أن التقط الأقوال ذات الطابع الشمولي، متجاوزا الكثير مما قيل عن هذه الحركة الإسلامية أو تلك، مما يتضمن حشوداً كبيرة

من التفاصيل والجزئيات لا يتسع لها الكتاب.

ويجب أن نلاحظ ما يحدث أحياناً من تداخل بين معطيات بعض الفصول، فإن عدداً من الشهادات التي تنصب على شخصية الرسول ﷺ مثلاً، قد ترتبط بشكل من الأشكال، بجانب ما من جوانب القرآن الكريم أو الإسلام، أو غيرهما من الموضوعات، وبالعكس. ومهما يكن من أمر فإن تصنيف الشهادة في مواضعها التي يلحظها القارىء إنما يعتمد على مركز الثقل فيها.

هذا وقد رتب الشهود في كل فصل وفق التسلسل الأبجدي لأسمائهم كما نظمت النصوص بالنسبة لكل شاهد وفق سياقها في المصدر المعتمد، وليس وفق الموضوعات الفرعية التي تعالجها، وذلك من أجل سهولة الرجوع إلى المصدر المعني، وأعطي لكل شهادة رقم خاص، وفي حالات محدودة، أعتمد القوس المربع [ ] الذي يخترق النص بإيضاح: أو ربط ما لتمييزه عن سياق النص، كما أن النقاط (...) التي تسبق النص أو تتخلله أو تختتمه، أريد بها التأشير على مكان الحذف في النصّ.

ولقد وردت بعض أسماء الأعلام التي تبدأ بحرف G الانكليزي (مثل Gibb) حسب رسم الحرف في المصدر المعتمد، حيناً بالغين (غب)، وحينا بالكاف (كب) أو الكاف الفارسية (ﮔب) وحينا بالجيم (جب) التي تلفظ لدى المصريين بالكاف الفارسية. وحبذّا لو تم الاتفاق بين المترجمين العرب على رسم موّحد لهذا الحرف المربك.

أما تعريفات الأعلام فقد وردت مرتبطة بأول فصل يدلي فيه المؤلف بشهادته، فإذا كان سير توماس ارنولد، على سبيل المثال، قد قدّم شهادة ما في فصل (القرآن الكريم)، ورد تعريفه هناك، والاّ فإن التعريف سيرد في الفصل التالي، وهكذا. وقد استقيت مادة التعريف من المراجع نفسها حيناً، وبخاصة تلك التي يسهم في كتابة فصولها عدد من المؤلفين أو المتحدثين كما هو الحال ـ مثلاً ـ بالنسبة لكتاب (تراث الإسلام) الذي أشرف توماس ارنولد على تحريره، وكتاب (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة) الذي تولى جمعه محمد خلف الله، وكتاب (رجال ونساء أسلموا)، القيّم، ذي الأجزاء العشرة التي تولى جمعها وتأليفها عرفات كامل العشّي، وكتاب (ما يقال عن الإسلام) للعقاد. ولكن جلّ التعريفات استمدّت من كتاب نجيب العقيقي

(المستشرقون) باجزائه الثلاثة التي تقدم كشفاً دقيقاً بمعظم المستشرقين: حياتهم وآثارهم[1].

(٦)

إن الشهادات التي يتضمنها الكتاب تحمل أكثر من مغزى، وواضح أن المغزى الأشد ثقلاً وحضوراً هو ما يحمله هذا الدين في نسيجه وتصوره ومعطياته المتحققة في السلوك والحضارة والتاريخ من قيم وميزات ايجابية فعّالة، تتحرك في خطوط متوازية مع مطامح الإنسان السويّ المتوازية، وميوله ومنازعه، حيث لا تعارض ولا تقاطع ولا تفتت ولا ارتطام.

ولكن هناك شيئاً لا يقل أهمية، فنحن في عصر التعصّب والتباغض والخصام الذي يصنعه دين سماوي منحرف حيناً، ومذهب وضعي حيناً آخر. التباغض والخصام بين دين ودين ومذهب ومذهب، وما يسوق إليه من صراع كثيراً ما تسبّب في إراقة أنهار من الدماء البريئة. وكما تتراكم الخبرات الثقافية، والحضارية عموماً بمرور الزمن، فتزداد نضجاً وتعقيداً واتساعاً في الطول والعرض والعمق فإنه في مقابل هذا، وعلى الجانب السلبي من حركة الزمن ودلالاتها تلتقي بتراكم خبرات، أو بشكل أدق تجارب وذكريات الحقد الديني والطائفي والمذهبي لكي تبلغ في قرننا هذا شأوا بعيداً مترعا بالحزن والمرارة.

وتجيء هذه الشهادات لكي تمنح السيل الطامي المليء بالوحل والكدر شيئاً من الصفاء، لكي تحاول أن تعيد للعلاقة بين المذاهب والأديان شيئاً من الألفة والمحبة، أن تفتح باب الحوار المتعقل المحب المسؤول بين دين ودين وبين مذهب ومذهب، وان تكسر حواجز العنف والكراهية وتخفف من عبء التراكم المحزن في ذكريات الاقتتال والدمار والعذاب.

ويقيناً فإنه في بيئة حرّة كهذه، يبدو أنها ستزداد تأصلاً واتّساعاً بمرور الوقت، في بيئة كهذه سيكون الانتصار للاسلام نفسه كما أكد التاريخ ولا يزال، مادام أن الإسلام، مهندس باعجاز، على حجم الإنسان، مرسومة خرائطه باتقان على مساحة

---

(١) الطبعة الثالثة (المزيدة والمنقحة)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤ - ١٩٦٥.

دوره في العالم. وما دام أنه الحركة العقيدية الوحيدة التي كانت وستظل بمثابة الطريق الأوحد للتحقق بالوفاق مع الذات والكون والتصالح مع سننهما ونواميسهما من أجل سعادة الإنسان وتوحّده.

قد تحقق هذه المحاولة ـ كذلك ـ نوعاً من التسهيلات الاكاديمية للباحثين وذلك بوضع حشدٍ من النصوص الموثّقة عن رأي غير المسلمين بالإسلام في كافة مناحيه العقيدية والتـطبيقية. وهـذه النصـوص ستعـزز، ولا شك، كل بحث يسعى، بموضوعية واخلاص، إلى دراسة هذا الجانب أو ذاك من بنية الإسلام.

وتبقى المحـاولـة بمثـابـة عمل ناقص، أو مشروع مفتوح، قابل دوماً للإضافة والإغناء، ولئن أخطأت أو قصّرت فإني التمس من القارىء الصفح الجميل.

وإلى الله وحده نتوجه بالأعمال

الموصل: عماد الدين خليل

المدخـــل

[شهادة العقل الغربي : الحواجز والقيمة]

لا بدّ من الأعتراف ـ منذ البدء ـ بأن العقل الغربي، بسبب : من حيويته وتوقدّه، يمثـل ـ عبر القـرن الأخير على وجه الخصوص ـ مركز ثقل خطير في دائرة التصوّر والفكر والحياة. وبما أن «الدين» ـ ابتداء ـ يقدم برنامجاً للفكر وتصوراً للحياة، فإن تفحّص موقف هذا العقـل من الدين، يعد ضرورة بالغة إذا ما أريد وضع اليد، بشكل محدّد، على المساحة التي احتلها، ويحتلها وسيحتلّها الدين في خارطة الوجود البشري.

هذه مسألة ذات طابع عام يتضمن مطلق الأديان. وبما أن العقل الغربي قد قال كلمتـه ـ أكثر من مرة ـ في الدين المسيحي الذي يعدّ ـ إلى حدّ كبير ـ القوة الدينية الوحيدة الموازية للإسلام، في الديمومة والانتشار، وبما أن هذا العقل قد أعلن أكثر من مرة، رفضـه للنصرانية وانسـلاخه عنها بسبب من نقاط الارتطام العديدة بينه وبينها، فإننا نريد أن نتفحّص هنا بعض ما يريد أن يقوله في الدين الآخر: الإسلام.

طبعاً، لقد عانى هذا العقل ولا يزال من حواجز الرؤية الموضوعية التي تمكنه من معاينة الإسلام عن كثب، والحكم عليه بالتجرد والعلمية التي ينادي بها هذا العقل ويتخذها منهج عمل له في التعامل مع الظواهر والموجودات أو كما يحاول أن يقنع نفسه على الأقل.

هذه الحـواجـز ذات الجـذور العميقـة والـطبقات المتعددة، جعلته، عبر قرون متواصلة، يقول في الإسلام ما يرتطم ـ ابتداء ـ ببداهات الروح العلمية التي يؤمن بها ويلحّ عليها. واننا لنتذكر هنا عبارتين للمستشرق البريطاني المعاصر (مونتغمـري وات)

يقول في إحداهما: «إذا حدث وأن كانت بعض آرء العلماء الغربيين غير معقولة عند المسلمين، فذلك لأن العلماء الغربيين لم يكونوا دائماً مخلصين لمبادئهم العلمية، وأن آراءهم يجب إعادة النظر فيها من وجهة النظر التاريخية الدقيقة»[1]، ويقول في الأخرى: «إن موقف العلماء الغربيين كان غالباً سيّئاً لما يبدو أنه يتضمنه من انكار لمعتقدات الإسلام الفقهية. ولذا كانت الدراسات الغربية عن القرآن غير موفقة حتى من وجهة نظر أفضل العلماء»[2].

وبمقدور المرء أن يتابع سيلاً عرماً من الكتابات والأقوال الغربية في الإسلام، تدفقت عبر أربعة قرون أو خمسة، فإنه غير واجد في معظم مساحاته إلّا الكدر الذي يحجب نفاذ الرؤية إلى الأعماق.

هذه مسألة تكاد تكون معروفة للجميع، وليس من مهمة هذا البحث إلّا أن يكتفي بالاشارة إليها لكي يمضي، مباشرة، إلى النقيض الذي يهمّه: رصد الأقوال والمعطيات الأكثر موضوعية، والاقرب إلى العلمية التي يعتمدها العقل الغربي، وغير المسلم عموماً، وهي أقوال ومعطيات أخذت تتزايد طرداً بمرور الوقت، وبخاصة في العقود الأخيرة، بسبب من قدرة العقل الغربي على كسر العديد من الحواجز التي كانت تصدّه عن التعامل العادل مع هذا الدين، وتمكنه من اجتيازها بصيغ تستحق التقدير والاعجاب. بل ان بعض الغربيين ـ وهذا أمرٌ طبيعي ـ انتهى به الأمر إلى اعتناق الإسلام كما لو أنه اكتشف ـ بعد لأي ـ ما كان يبحث عنه، بالدهشة والفرح والإعجاب نفسها التي تتملك انساناً ما فقد وثيقة مستقبله وطموحه ثم ها هو ذا يعثر عليها أخيراً.

مهما يكن من أمر فإن رصد معطيات كهذه ـ رغم عدم توازنها الكميّ بطبيعة الحال مع التيار المضاد اللاعلمي واللاموضوعي ـ يمثل ضرورة على أكثر من مستوى، بعضها انساني، وبعضها عقيدي، وبعضها الآخر أكاديمي صرف.

وهذه الضرورة، بمستوياتها تلك، هي التي تمنح القارىء، شرقياً كان أم غربياً، مسلماً أم غير مسلم، مبررات عمل كهذا، وتلقى الضوء على دوافعه وأهدافه.

---

(١) محمد في مكة، ص ٦.

(٢) نفسه، ص ٥٥ ـ ٥٦.

انسانياً تجيء شهادات خصوم هذا الدين، بما يمتلكون من قدرات عقلية فذّة، وصيغ حضارية متقدمة، بمثابة سعي مخلص وجاد، غير متحيّز ولا ميّال. لحلّ أزمة الانسان المعاصر، بارشاده، بشكل مباشر أو غير مباشر إلى أن «الإسلام» هو خلاصه الوحيد، وأن معضلته ليست خطيئة ابدية، ولا طريقا مسدوداً، بل أن بمقدوره في أية لحظة أن يحظى بخلاصه المنشود، بمجرد أن يفتح عقله وقلبه وأن يعرف، بدافع من عشق الحقّ وحده، ما يمكن أن يقدمه له هذا الدين.

عقيدياً، تجيء شهادات خصوم هذا الدين، لتأكيد وتعزيز ما سبق وأن قاله الإسلام نفسه، في كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ، وما عبّر عنه من خلال معطيات أجيال من المسلمين، على مستوى العقيدة والشريعة والسلوك والتاريخ والحضارة، من أنه الدين الوحيد الحق، الدين الأخير الذي تنزّل لكي يكون على حجم الإنسان المتحضّر، المسؤول، وعلى حجم مطامحه بالتقدم، ورغبته الملحّة في التوحّد بين الوجود والمصير.

أكاديمياً، تجيء شهادات خصوم هذا الدين لكي تثبّت «حقائق» يتحتم أن ترصد، وتوازن سيلاً من المعطيات اللاعلمية واللاموضوعية التي قيلت عن هذا الدين، وتردّ الأمر، أو بعضه، إلى نصابه الحق.

وهذه الدوافع، أو الأهداف الثلاثة، تقود ـ بالضرورة ـ إلى المحصّلة الأخيرة التي يبتغيها هذا العمل الاوليّ المتواضع: مخاطبة العقل الغربي، بالصيغ الأكثر اقناعا وتأثيراً، عن طريق الاستنتاجات نفسها التي توصل إليها هذا العقل وهو يتعامل مع الإسلام، بقدر طيب من الموضوعية، واقناعه، أو محاولة اقناعه، بجدّية هذا الدين، وأحقيته في قيادة الإنسان، والحياة وفي صياغة الوجود البشري والتخطيط للمصير، بعد أن عجزت كافة المذاهب والايديولوجيات والأديان عن تحقيق هذا الهدف، وأنه ليس ثمة غير الإسلام، بواقعيته، وشموليته، وتوازنه، وانسجامه مع الإنسان، من يقدر على أداء هذا الدور الخطير.

ومن أجل الاّ يكون هذا التحليل مُجرّد تعميمات غير محدّدة، فإنه يتحتم قبل البدء بتقديم «الشهادات» أن نضع أيدينا ـ بالتركيز المطلوب ـ على الخصائص الأساسية للإسلام، تلك التي كانت بمثابة نقاط إشعاع أو تألّق، جذبت أنظار الغربيين

ودفعتهم إلى إصـدار مقـولاتهم تلك، وأن نضـع أيدينـا ـ كذلك على الخصائص الأساسية للبيئة الفكرية والنفسية، والحضارية عموماً، التي تعطي الانسان المعاصر بعض ما يريده، نعم ولكنها تمنع عنه الكثير مما يريده فيما يوازي حجمه كانسان، ويلبي مطامحه كمخلوق اريد له ان يلعب دوراً أكبر بكثير، وأعلى بكثير، من هذا الذي يمارسه على مساحة العالم، حتى إذا ما أتيح له أن يلتقي بهذا الدين، وجهاً لوجـه، أو من خلال مرايا الآخـرين التي تنـطبع عليها الملامح، أو بعضها، وعبر الجسـور التي يقيمهـا هذا الرجل أو ذاك، فإنه سيعثر ـ ولا شك ـ على ما يدهشه ويعجبـه، فتكـون ردود الأفعـال المتفـاوته، ويكون التعبير ذو الدرجات التي تبدأ «بقول» يقيّم هذا الجانب أو ذاك من جوانب الإسلام، و«شهادة» تبدي إعجابها بهذا الوجه أو ذاك من وجوه أنشطته ومعطياته ونسيجه المتفرّد، وتنتهي بمعانقة هذا الدين، والتسليم به، والانتماء إليه: عقيدة تحمل في بنيتها الصواب المطلق، وتحمل مع هذا الصواب القدرة الفذة المتجددة على مجابهة معضلات العصر، ومعايشة بيئته الصعبة، المضطربة التي يتخبط فيها الإنسان، لكنّها ما تلبث أن تستجيب لنداءاته كافة، وتقوده، عبر طرق مستقيمة، كالصراط، إلى مبتغاه.

[الاسلام هو الرسالة السماوية الأخيرة للبشرية: دعـوة للاختبار]

إن حقيقة «أن الإسلام هو الرسالة السماوية الأخيرة للبشرية» تحمل أهميتها هنا بقدر ما يتعلق الأمر بفئتين من غير المسلمين ظنت إحداهما أن رحلة الأديان توقفت عند السيّد المسيح عليه السلام، وأخذت طابعها الأخير على يديه فليس ثمة بعده من نبوة، ولا بعد دينه من دين. وظنت الفئة الأخرى، أنه بعد المسيحية، كدين أخير، وبعـد أن أثبتت عجـزها عن قيادة الحياة، والانسان، وملاحقة المتغيرات الفكرية والحضارية، وبعد أن أخفقت في الاستجابة للتحديات التاريخية المتجددة التي لا ينقطع سيلها، ترك الحبل على الغارب، ودُعي الإنسان، الذي لم تقدر النصرانية على أن تأخذ بيده حتى النهاية، دعي لكي يستجيش قدراته العقلية، وينقذ نفسه بنفسه، وفق برامج عمل مرحلية، تسلمه الواحدة منها للأخرى، معتقداً أنه بهذا وحده قد يرُّ على ملء الفراغ، ومنح الانسان القدرة على على اجتياز رحلة الحياة على هدى وبيّنة.

وليس ثمة مجال للتأكيد ها هنا على اخفاق هذه المحاولات الوضعية المتواصلة، وبقاء الإنسان معلقاً، من عنقه في فضاء مخيف، وليس ثمة من يمدّ يده إليه لكي يخلّصه ويهديه سواء السبيل، هذه المحاولات التي كان بعضها ينقض بعضا، وكانت إحداها تضرب الأخرى لكي تدفع بها بعيداً عن مركز القيادة والسلطان.

عشرات، بل مئـات، من المحاولات، كانت الحياة نفسها محكّ اختبارها وكان فشلها ـ في نهاية الأمر ـ معيار عدم قدرتها على أداء الدور الذي أريد للأديان أن تؤديه لصالح الإنسان.

وهكذا فإن اعتبار الإسلام هو «الدين الأخير» يحمل أهميته البالغة، ليس فقط في دحض قناعات الفئتين آنفتيْ الذكر، اللتين تشكلان المساحة الأكبر من البشرية، بل باعتبـاره الـدين الـوحيد الذي يتحتم الانتماء إليه، والعقيدة المتفردة، من بين كل العقائد السماوية التي نسخها هذا الدين، أو الوضعية التي أثبتت نسبيتها وعدم قدرتها على أداء مهمتها في القيادة المتواصلة، الناجعة للإنسان والحياة. العقيدة القديرة في كل لحظة على تسلّم موقع القيادة، المستعدة في كل زمن ومكان لتأدية دورها المرسوم بعناية لصاح الإنسان، المستجيبة ـ أبداً ـ للمتغيرات والتحديات.

ولم يكن الإسلام ليحمل هذه الصفة المتفردة، ولا ليصدر هذا الحكم الحاسم، باعتباره الدين الأخير الناسخ لما سبقه من أديان، والقادر ـ في الوقت نفسه على مواصلة الطريق حتى النهاية، دون أن يكون لديه ميزتان أساسيتان نريد أن نقف عندهما بعض الشيء . أولاهما عقيدة تتعلق بطبيعة الارتباط بين الإسلام وبين كافة الأديان السماوية التي سبقته، وثانيتهما حيوية تتعلق بقدرة هذا الدين على قيادة الحياة البشرية، وتمكنه من تلبية حاجيات الانسان، بغض النظر عن إختلاف الزمن والمكان، وتفاوت البيئات والأحوال.

إن اختبار هاتين الميزتين، ليس من قبل المسلمين أنفسهم الذين يسلّمون بهما تسليماً قطعياً، والاّ ما غدوا مسلمين ولا اقتنعوا بأحقية هذا الدين في الانتماء إليه، وإنما من قبل أولئك الذين يتحركون خارج دائرة الإسلام، ويحرصون، سلباً أو ايجابا، على تفحصّ ميزات كهذه، لكي ينفوا أو يؤكدوا تلك المقولة التي تعتبر الإسلام دينا أخيراً، وهو في الوقت نفسه يملك ديمومته واستمراريته.

إن اختبار هاتين الميزتين (مما يدخل في سياق هذا الكتاب) والاقتناع بصدقهما وواقعيتهما، يمنح الإنسان غير المسلم قناعة كافية، من بين قناعات أخرى كثيرة، بأن دينا كهذا يستحق «الشهادة» و «التقييم»، بل و «التقبّل» و «الإنتماء»، وهذا هو ما تم بالفعل على نطاق ليس بمحدود كما سيتضح من متابعة معطيات الكتاب.

والحق أنه ليس أسهل على المرء من ممارسة اختبار كهذا، جرى ويجري على نطاق واسع، وذلك بمجرد الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أو إمرار النظر في معطيات الإسلام العقيدية والتشريعية، أو متابعة جانب من صيرورته التاريخية والحضارية.

إن القرآن الكريم، والسنة بالتالي، لا يؤكدان فحسب «تصديق» الإسلام لكافة الأديان السماوية التي[1] سبقته، وهيمنته على روحها وجوهرها، وصهره معطياتها الاصيلة في كيان ديني متوحدّ، ذي نسيج واحد، ولكنهما يتجاوزان ذلك، بما يتضمنانه من حشود الصيغ والمفردات إلى تأكيد مشهود لحقيقة أن الإسلام هو خاتم

(١) انظر على سبيل المثال: سورة البقرة، آية ٤١، ٨٩، ٩١، ٩٧، ١٠١، آل عمران ٣، ٨١، النساء ٤٧، المائدة ٤٨، فاطر ٣١، الاحقاف ١٢، ٣٠، يونس ٣٧، يوسف ١١١.

الأديان السماوية جميعاً، وجوهرها وروحها، وأنه كآخر محطة في مسارها الطويل، سيحمل كل ما تكفّلت حمله من قيم وأهداف وخبرات، سعت جميعا عبر أماكن وأزمان متفاوته، لتأكيد أهميتها للانسان، ولتنفيذها في واقع الحياة.

إن هذا الاحتواء المؤكد لخبرات ومعطيات الأديان السابقة في أصولها الصحيحة، دفع الكثير من الدارسين إلى ذلك الوهم المعروف وهو أن محمداً ﷺ، قد تعلم من تلك الأديان وأخذ عنها، والأمر ليس كذلك، فإن ما نقضه الإسلام نفسه من تحريفات تلك الأديان، التي ظن أصحابها ولا يزالون، أنها من صلب أديانهم، وما طرده من أجسام غريبة ـ وثنية الأصول ـ في كيان هذه الأديان السماوية، يؤكد أن محمداً ﷺ، لم يبعث لكي يتلقى فحسب، أو يرفض فحسب، ولا حتى لكي يمارس عملاً انتقائيا إزاء مفردات الأديان السابقة، لكي يركّب منها دينا جديداً. وإنما المسألة على خلاف هذا كله، فيما يبدو واضحاً في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، على أشد ما يكون الوضوح: تنزيل دين جديد، متميز، في طبيعة نسيجه، وفي المساحة التي سيتحرك عليها والأهداف التي دعي لتنفيذها، لكنه دين غير معزول عن تراث النبوات السابقة[1]، بل لقد كان يسعى منذ اللحظات الأولى إلى احتضان العناصر الايجابية من ذلك التراث، واغناء مكوناته بالجوانب المتألقة من تلك الخبرات، ولكنه ـ في الوقت نفسه ـ ما كان يتهادن أبداً مع كل ما من شأنه أن يمس شخصيته المتميزة، ودعوته المتفردة للتوحيد المطلق، مما هو طارىء على الأديان السابقة، غريب عن نسيجها ذي الخيوط الواحدة الممتدة من السماء.

معنى هذا أن الإسلام ليس بدعاً من الأمر، وأن كل أبناء الأديان الأخرى مدعوون للإنضواء إليه، لأنهم بهذا وحده سيكونون صادقين مع أنفسهم، ملبيّن مطالب الدين الذي ينتمون إليه. وأنهم بانتمائهم للدين الجديد سيعززون القيم الأصيلة لأديانهم السابقة، وسيمكنون لها في الأرض. إنهم بشكل من الأشكال، مدعوون لمغادرة قطاراتهم التي أنهكها المسير، ونفد وقودها، والتحول إلى قطار الإسلام ذي الوقود العجيب، والذي أريد له أن ينطلق لكي يلفّ العالم كلّه، وينقل الاجيال تلو الاجيال من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.

---

(١) قبل التحريف.

إنـه اختبـار ليس صعب المنال، والنتيجة التي يتوخاها الممتحن المخلص كائنة هنـاك، في نسيج معـطيات هذا الدين، منقوشة بوضوح متألّق في صفحات كتابه وكلمات رسوله عليه السلام.

ويقيناً فإنه بمجرد أن يتبينّ هذا اللقاء المرسوم بين الإسلام وبين اشقائه الذين سبقوه على الطريق، بمجرد أن يتضح هذا العناق في الروح، وفي الجوهر، بين الأديان السماوية جميعا، وقد تبينّ هذا وذاك فعلاً، فإنه سيكون بمثابة واحد من الاغراءات الأشـد إثارة، من الوعد المقنع، بأن الانتماء لهذا الدين ليس خيانة ولا هرطقه ولا مروقا، ولكنه الصدق مع الله، والنفس، والضمير، والتوحد الاكثر حيوية وعطاءً مع حركة الدين السماوي في هذا العالم.

ترى، كم من أولئك الذين عاينوا هذه المسألة، خرجوا لكي يقولوا للناس كلمة حق، أو يدلـوا بشهـادة تقييم لهذا الـدين، وكم منهم، انتهـوا أخيراً إلى التحقق بالكلمة، والانتماء إلى دين هو بمثابة دعوة للحنفي واليهودي والنصراني، فضلاً عن الوثني والملحد؟

[الخصائص الأساسية لهذا الدين]

فماذا عن الاختبار الثاني؟ محاولة التأكد من قدرة هذا الدين، الأبدية على الاستجابة لمطالب الانسان، فردا وجماعة، وعلى قيادته، عبر الصراط إلى أهدافه المرتجاة؟

سيكون من قبيل محاولة إثبات أن الشمس تطلع من الشرق، إذا قلنا بأن الإسلام جاء لكي يعالج كافة مناحي الحياة البشرية، الفردية والجماعية، الروحية، والمادية، والتربوية والتشريعية . . . إلى آخره، فهذه مسألة معروفة لا تحتاج إلى اختبار أو تأكيد، بمجرد أن يطلع المرء على طبيعة هذا الدين، ويتفحص تركيبه، وبمجرد أن يعرف أنه ما جاء لكي يؤم الناس في الصلوات فحسب، بل لكي يقودهم في الحياة ويرشدهم، وفق برنامج عمل مرسوم، إلى ما يجب أن يفعلوه وما يجب ألا يفعلوه في مسائل الحياة جميعا.

لكن ثمة «ميزات» تنبثق عن هذه النزعة الشمولية، وتمثل في الوقت نفسه مصدرها الأساسي، هي التي تجعل هذا الدين، من بين سائر الأديان والمذاهب السماوية والوضعية، بمثابة «الضرورة» الدائمة أو الحتمية الوحيدة للإنسان والجماعة البشرية إذا أراد، وأرادت، أن ترجع إلى فطرتها الأصيلة، وتستعيد توازنها المفقود، وتتجاوز تبعثرها وانشطارها وتعاستها.

وهذه الميزات هي التي تأكدت بمرور الوقت، وازدادت صلابة وتبلوراً عن طريق احتكاكها الدائم بالمعطيات الجانحة، سواء كانت وضعية أم دينية محرّفة، وهي التي يسوق اختبارها، ووضع اليد عليها من قبل غير المسلمين إلى تبيّن خصوصية هذا الدين، وتفرّده وقدرته على الاستجابة لمطالب الإنسان الملحّة والسير به صوب أهدافه المرتجاة.

فمن يستطيع ـ مثلاً ـ أن ينكر ما يتضمنه الإسلام من توازن بين كافة الثنائيات، ووفاق بينها، بينما هي في سائر الأديان والمذاهب الأخرى تصطرع وتتقاتل، وينفي بعضها بعضا، أو يطغىٰ على حساب الاخريات متفردا بالسلطان؟ إنه ما من دين أو مذهب ـ كالإسلام ـ قدر على لمّ هذه الثنائيات في صميم الكينونة الإنسانية، في تركيب الجماعة البشرية، في نسيج النشاط الحضاري، وتحويلها بالتناغم والتلاؤم إلى

قوى توحدّ ودفع وانسجام في مسيرة الإنسان. إنه اللقاء الموزون بين الظاهر والباطن، والحضور والغياب، والمادة والروح، والقدر والاختيار، والضرورة والجمال، والطبيعة وما وراء الطبيعة، والتراب والحركة، والوحدة والتنوع، والفردية والجماعية، والاخلاقية والمنفعية، والعدل والحرية، والوحي والتجريب، والدنيا والآخرة، والفناء والخلود... هذا اللقاء الذي يشكل بحق واحداً من نقاط الجذب في الإسلام، ويدفع الكثيرين ممن يعاينونه ويختبرونه إلى الإعجاب والإنبهار.

من يستطيع أن ينكر قدرة الإسلام على تلبية مطالب الإنسان أيا كان موقعه في الزمان أو المكان، وأيةً كانت درجة رقيّه وتحضره؟ إنه إذ يخاطب ويخطط لعناصر الديمومة والاستمرار في كيان الإنسان، ونسيج العلاقات الاجتماعية، تلك العناصر التي تعلو على المتغيرّات، بل تعمل من خلالها، بحضورها الابدي، وتتجاوز عوامل التعرية والتآكل التي تأتي بالغناء عن الكثير من القيم والخبرات الموقوتة، إنه إذ يفعل هذا فكأنه يتجاوز معضلة «المرحلية» التي أسرت ولا تزال الكثير من المذاهب والأديان ورفعتها إلى الزوايا الضيّقة، فما لبثت حركة التاريخ أن تجاوزتها، أو أرغمتها على الانسحاب لأنها لم تكن تملك المرونة والانفتاح اللذين يمكناها من مواصلة التعامل مع الإنسان. لقد كان الإسلام، وسيظل، هو الأقدر من بين سائر المذاهب والممارسات، على تلبية حاجيات الإنسان وتطمين منازعه، واننا بمجرد أن نتفحص سيل المنتمين إلى هذا الدين في القرن العشرين، وهم على ما هم عليه من تقدّم مشهود في السلمّ الحضاري، جنباً إلى جنب مع حشود المنتمين إليه في أماكن وأزمان شتى، وهم على ما هم عليه من تخلّف حضاري، يتبينّ لنا كم أن الإسلام قدير على تلبية مطالب الإنسان، دون أن يشكل انضواء الإنسان إليه أيّ ارتطام على الاطلاق بين حالته التاريخية أو الحضارية وبين الصيغ والخرائط التي يلزمه الإسلام باعتمادها والاسترشاد بها عبر اجتيازه رحلة الحياة الدنيا.

ومن يستطيع أن ينكر أن الإسلام جاء لكي يهدي الإنسان ككيان بشري في كافة مكوناته وعلى قدر احتياجاته من غير زيادة أو نقصان، وأنه بينما جنحت المذاهب والنظريات صوب جانب فحسب من جوانب الكينونة البشرية: العقل، أو الروح، أو الغرائز، أو الجسد، أو الحسّ، أو الوجدان... إلى آخره، بينما عانت من التضخم والورم المرضي في هذا الجانب أو ذاك، وضمرت وغابت في جوانب أخرى، نجد

الإسلام يتقدم بهندسته المعجزة لكي يتعامل مع الإنسان بمكوناته كافة، ولكي يكون حاضراً عند كل صغيرة أو كبيرة في معاناته، أيةً كانت طبيعة هذه المعاناة عقلية أم روحية أم جسدية. وإذا كنا قبل قليل نتكلّم عن أن هذا الدين جاء لكي يكون رسالة السماء الأخيرة للارض، فإنه سيكون من قبيل التناقض ألاّ يتضمن ميزة «التلاؤم» الكامل مع الإنسان، فإن الله سبحانه الذي هو أدرى بخلقه والذي يعرف من خلق، يعرف في الوقت نفسه المنهاج الذي يصلح للانسان والذي يجيء موازيا تماما لحجمه، ملائماً تماماً لدوره في الأرض؛ ان المؤمنين يعرفون هذا جيداً، وهم يعيشونه صباح مساء، وعبر أربعة عشر قرناً من الزمان كان المسلم وهو يتعامل مع دينه، مقتنعاً حتى النخاع بأنه واجد فيه الجواب على كل سؤال يطرحه، والحل لكل معضلة تجابهه، بل أنه واجد فيه التناسب الفذّ مع منازعه كانسان، بحيث أن هذه العقيدة لم تنكمش يوماً تاركة إياه يتخبط في اجتهاداته الخاصة التي قد تخطىء وقد تصيب، ولم تتسع يوماً بأكثر مما يجب بحيث يعجز عن ملاحقة مطالبها وإدراك أبعادها الشاسعة، لقد كان المسلم يعرف دائماً أن إحدى مزايا دينه هو هذا التلاؤم بينه وبين الإنسان، أما غير المسلمين فإنهم كثيراً ما اختبروا هذا الجانب، فأكد لهم الاختبار صدق المقولة، وكان ذلك من بين عوامل وميزات أخرى، ما دفعهم إلى أن يقولوا كلمتهم فيه، بل أن يعلن بعضهم انتماءه إليه.

من يستطيع أن ينكر ـ كذلك ـ حركية هذا الدين، أو ديناميته الأبدية، قدرته على ملاحقة المتغيرات، استجابته للتحديات، حضوره الدائم في مواجهة الأحداث والخبرات؟ من يستطيع، رغم مرور الإسلام بفترات اختناق وتصلّب، طالت حينا وقصرت أحيانا، أن يقول بأنه ما استرجع قدرته على الفعل والحوار في أعقاب كل توقف، أو أنه فقد قدرته على الجدل إثر كل اختناق.

إن بمقدور المرء وهو يتفحّص هذا الدين. أن يلمح في تركيبه خطين متوازيين كان وجودهما معاً بمثابة حماية لذاتية الإسلام، وتمكين له في الوقت نفسه من التحرك والانفتاح لكي يجابه سائر الحالات والمتغيرات ويستجيب لمختلف الخبرات والتحديات.

أما الخط الأول فيتمثل بعناصر الديمومة والثبات التي لا يطالها التغيير والتي تتأبى على المتغيرات، بسبب من كونها حقائق أبدية تجابه حالات دائمة لا تخضع للتبدلات

التاريخية والحضارية. وأما الخط الثاني فيتمثل بتلك الامكانات المرنة التي منحها الإسلام أتباعه كي يجتهدوا أن يجابهوا بها المتغيرات ويستجيبوا للحالات المتجددة استناداً إلى الأسس والعناصر الدائمة الثابتة. وهكذا يمضي الإسلام القرون تلو القرون وهو يحمل قدرته المزدوجة على حماية ذاته في مواجهة العالم، فيما لم تشهده أية عقيدة أو مذهب آخر، ويحمل مع هذه قدرته الأخرى على التكيف والملاءمة والاستجابة.

إن وحدة الدين والحياة ما تحققت يوماً ما كما تحققت في إطار هذا الدين، وإن ما قاله كبار الدارسين للإسلام من غير أبنائه يؤكد صموده للاختبار في هذا الجانب الحيوي وتفوقه فيه.

وثمة ميزات وملامح كثيرة أخرى سنلتقي بها عبر فصول الكتاب ولن يتسع لها المجال ها هنا، إذ هو على أية حال ليس مجال الحديث عن الإسلام من الداخل، وإنما هي إشارة فحسب إلى أن اختبار بعض هذه الميزات، من الخارج، اكّد، وسيظل يؤكد تفرّد هذا الدين وقدراته المتجددة التي ما لها من نفاد. ويزيد هذا الاختبار أهمية أنه، لا الأديان المحرفة ولا المذاهب الوضعية، قدرت على أن تلمّ دفعة واحدة هذه الميزات جميعا. نعم إنها قد تألّقت في هذا الجانب أو ذاك، ونالت أعجاب الناس لهذه الميزة أو تلك، ثم إن هذا التألق والأعجاب ما غطى سوى مرحلة زمنية محددة فحسب، وما لبث أن انطفأ لكي يتحول الاتباع إلى ما يبهرهم ويقنعهم، إلى عقائد ومذاهب أخرى، أو أنهم علّقوا على الأقل إعجابهم وانبهارهم وفقدوا قناعاتهم بما كانوا قد انتموا إليه يوماً، كما يفعل الكثير من الغربيين اليوم ممّن كانوا نصارى أو ماركسيين في يوم من الأيام.

أما في الإسلام فإننا نجد حشداً من الميزات، وقدرة في الوقت نفسه على تجاوز أسرْ الزمان والمكان، والامتداد الدائم، عبر الحالات والمتغيرات والتحديات، لكسب الانسان، ومنحه القناعة بتفرد هذا الدين وتميّزه على المذاهب والنظريات، وهو يبدو واضحاً في قرننا العشرين هذا بسبب من الخيبة التي مني بها الإنسان وهو يتعامل مع هذه المذاهب والنظريات، الأمر الذي يقودنا إلى وقفة عاجلة عند الخصائص الأساسية للبيئة الفكرية والنفسية والحضارية التي يعيشها الإنسان المعاصر فتدفعه دفعة إلى البحث عن «البديل» أو الإعراب عن الإعجاب به أو بجانب منه على أقل تقدير.

بإيجاز شديد، ومن خلال معاينة أو مطالعة سيل من المعطيات المعاصرة يستطيع المرء أن يضع يديه بسهولة على «الأزمة» التي يعانيها الفكر الغربي بجناحيه العلماني والمادي، والتي يعيشها الإنسان المعاصر، والتي تجابه الحضارة الغربية المتفوقة بنذر التعاسة، وتصيب جسدها الخاوي بالقروح.

وقد تبلورت هذه الأزمة، في جوانبها كافة، من خلال طبيعة الحياة الغربية المعاصرة، و حشود الشهادات التي أدلى بها ولا يزال عدد ليس بالقليل من مفكري الغرب وعلمائه وأدبائه وفلاسفته وفنّانيه.

ورغم ما قد يبدو على هذه الشهادات ـ أحياناً ـ من طابع ردّ الفعل الذي يتسّم بالمبالغة أو التهويل، لكنه ردّ فعل ملائم للأزمة التي تعانيها الحياة الغربيّة، وردّ الفعل كما هو معروف يجيء مساوياً للفعل في قوته مخالفاً إيّاه في الاتجاه.

ثم إن هؤلاء، الذين يقولون كلمتهم في الحضارة الغربية، ويدينونها، ليسوا أناساً عاديين، إنهم ـ بلا ريب ـ زهرة الثقافة الغربية وطليعتها التي لا تعبرّ عن نفسها فحسب، ولكن عن حشود المثقفين الذين يجتازون الممر الضيق نفسه ويكادون أن يختنقوا، بل عن جماهير الناس العاديين الذين سنلتقي بنماذج منهم في هذا الكتاب، والذين يحسون بالأزمة ولكنهم لا يستطيعون أن يعبروا عنها بالصيغ الأكثر نضجاً، بل ربما، كان تعبير بعضهم أقرب إلى المباشرة والبساطة والفجاجة، من خلال موجات من الموضات السلوكية المنحرفة، يعقب بعضها بعضا، وهي في عمومها تمنح الدارس محصلة واحدة: الاحتجاج ضد الحياة الغربية المعاصرة، ورفضها.

وبمجرد القاء نظرة سريعة على أعمال معروفة من مثل (اللامُنتمي) و(سقوط الحضارة) لكولن ولسون، و(الساعة الخامسة والعشرون) لكونستانت جيور وجيو، و(الخمور الفكرية) لآرثر كوستلر و(الصرخة المختنقة) لسترايت و(الطريق إلى مكة) لليوبولد فايس و(منعطف الاشتراكية الكبير) و(البديل) لروجيه جارودي و(عصر السريالية) لفاولي و(المذكرات) لكازانتزاكي و(الإنسان ذلك المجهول) لألكسيس كاريل و(حدود العلم) لسوليفان ومؤلفات كتّاب (العبث واللامعقول) من مثل بكت

وجان جينيه ويوشكو وبعض الكتاب الوجوديين وبخاصة كامي وغيرها كثير[1] يمكن أن نتلمس بوضوح حجم المعاناة التي تجابه الإنسان والحضارة الغربية باجنحتها كافة فتسوق البعض إلى الرفض والانشقاق، والبعض الآخر إلى البحث عن البديل وتسوق فئة ثالثة إلى الإيمان بهذا الدين: الإسلام الذي رأوا فيه خلاصهم الوحيد.

ان انتماء رجل كليوبولد فايس، أو روجيه جارودي إلى الإسلام، وكلاهما يملك عقلا كبيراً، ويمثل باتساع ثقافته وعمقها، وبتنوع خبرته، حصيلة الثقافة الغربية العميقة وغنى خبراتها، يعني أن هذه الثقافة لم تجد في مكوناتها الخاصة بها، على ازدحامها وكثافتها، ما يمنح بعض العقول الكبيرة القناعة والتوازن واليقين. بالعكس، فإن هذا الغنى الثقافي يكشف أكثر فأكثر، ضرورة أن تكون هناك قاعدة أساسية تنبثق عنها هذه الثقافة عقيدة شاملة، بعبارة أخرى، فالثقافة وحدها لا تكفي، وهي تميل في الأغلب، إذا لم تستند إلى أرضية عقيدية أو رؤية شمولية مقنعة، لأن تتبعثر وتتشتّت، وتجرّ معها الانسان إلى التبعثر والتشتت.

وإلى جانب هذا، ومن خلال المعاناة نفسها برزت على الساحة الغربية ظاهرة (اللا انتماء) التي حدثنا عنها الباحث البريطاني كولن ولسون في كتابيه المعروفين (اللامنتمي) و(سقوط الحضارة) فأطال الحديث. إن كبار المفكرين والفنانين والأدباء والفلاسفة هناك لم يقدروا على التحقق الذاتي في إطار ثقافتهم تلك، بل لم يجدوا أوليات التوازن، واليقين في خضمّ هذه الثقافة المتلاطم، الكالح، العميق. وكانت مأساتهم تكمن في أنهم كانوا يعون هذا الانفصال المحزن بين الإنسان فردا ومجتمعاً وبين ثقافته وإن اندفعت قيادات هذه الثقافة وقواعدها نحو نوع من الاندماج أو النسيان ـ ربما ـ بسبب من تضاؤل وعيها بانعدام التوازن أو التلاؤم بين الإنسان الغربي وبين ثقافته، نجد بالمقابل ذلك التّيار المضاد: حَشدٌ من المثقفين الكبار يتمردون على ثقافة بلغت بهم شوطا من الطريق، وهم يريدون أن يواصلوا الرحلة صوب المصير فلا تقدر معطياتهم الثقافية على منحهم المزيد. لقد «امتلكوا العالم» كما يقول كولن ولسون ثم «ماذا بعد؟».

---

(١) انظر المؤلفات التالية للمؤلف: (تهافت العلمانية)، (الأدب في مواجهة المادية)، (العلم في مواجهة المادية)، (فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر)، (أضواء جديدة على لعبة اليمين واليسار).

إن الإنسان بطبيعة تركيبه ذي النزوع إلى الما ورائيات يريد أن يتجاوز العالم إلى الكون، جدران المادية إلى الغيب، الطبيعة إلى ما وراءها، والسلطة إلى الحرية، إنه يريد أن يكسر الأسوار، وينطلق بحثاً عن الاله المفقود. بعبارة أخرى إنهم يريدون العقيدة التي تلبيّ نزوعهم الطموح، وان المرء ليلمس بوضوح هذا التوجه صوب العقيدة الشمولية المتوازنة في معظم المؤلفات الغربية التي أشرنا إلى نماذج منها، والتي حاول أصحابها أن يعالجوا أزمة الوجود الثقافي الغربي على ضوء المصير المقفل والدرب المسدود.

وإننا لنلمح على ضوء هذه الأزمة التي تعانيها الثقافة الغربية الدافع الذي جعل حشداً من كبار المثقفين الغربيين، عبر الربع الثاني من هذا القرن على وجه التقريب، من مثل ارثر كوستلر واندريه جيد وريتشارد رايت واكناز سيلوني وستيفن سبندر ولويس فيشر وبيكاسو واراجون وجارودي وغيرهم يلجأون إلى الماركسية. إنه لم يكن توجها حرّا بمعنى الكلمة، ولكنه ارتماء المرهقين الباحثين عن الخلاص بأية طريقة ومن خلال أي برنامج يمتلك رؤية عقيدية شاملة تأخذ بيد الإنسان، حتى ولو كان الذي يصوغها هو الشيطان.

لكن المشكلة التي سرعان ما تبدت لهؤلاء الذين ارتموا في أحضان الماركسية أنها هي الأخرى تمتح من البئر نفسه الذي يشكل ماؤه نسيج الثقافة الغربية وينفخ الحياة في عروقها.

الفلسفة المادية التي ترفض الغيب والروح، وتنكر وجود الله، وتقطع الطريق إلى الجنة، وتحارب وجود الله. . إنها هي الأخرى تحجمّ الانسان، وتحصره في النطاق الضيّق، وتغلق الأبواب عليه لكي لا ينطلق صوب الآفاق الرحبة التي تتجاوز حدود المنظور والملموس وتتأبى على نداءات الجنس وصرخات الأمعاء.

وإذا كان ثمة فارق فإنه يكمن في امتلاك الماركسية النظرة الشمولية للعقيدة والفلسفة التي استهوت أولئك المثقفين، لكن الجوهر هو الجوهر والنسيج هو النسيج. فما ثمة بد لهؤلاء من الارتداد، كرة أخرى، بحثاً عن حل أكثر قبولاً، وأقدر على تلبية طموح الانسان، بما أنه «انسان» لا «حيوان اجتماعي»، ولا مجرد أداة ميكانيكية، أو رقم مضاف إلى الشمال أو اليمين. حلّ يمكّن المثقف الغربي من التحققّ الذاتي

الضائع، وإذا كانت الأكثرية القلقة لم تقدر لأسباب شتى، ليس هذا مجال تحليلها أو حتى الإشارة إليها، على أن تجد طريقها صوب الهدف، فإن إسلام عشرات الغربيين بل مئاتهم، إشارة مؤكدة على أن هناك من يقدر على الوصول وعلى أن رحلة البحث عن المصير الموازي لحجم الإنسان ستؤتي ثمارها باذن الله.

إن الأزمة الغربية الراهنة، في جوانبها الفكرية والنفسية والحضارية، تأخذ أبعاداً شتى، ليس أقلها خطورة ـ إذن ـ ذلك الضمور والضحالة الروحية اللذان تعانيهما الحضارة المعاصرة بكافة مذاهبها ونظمها ومعطياتها، الضمور والضحالة اللذان يصلان حدّ الخواء، وانعدام أي بعد يمنح الإنسان المعاصر رؤية أوسع مدى، وتجربة أعمق غورا، يتجاوز بهما سطحية حياته المادية ورتابة تجربته المباشرة، ويكسر جدران الحس القريب لكي يمدّ في تجربة «الانسان» ويمنحها كثافة أشد، وتوغلاً أبعد، ومنظوراً لتكون الحياة والعالم والانسان أكثر غنى، إنه خواء يستل اليقين بكل ما من شأنه أن يمنح الحياة البشرية تفردّها، وتألّقها، وتميزها عن سائر الحيوان، ويعطي أبناءها الفرصة للاستهداء بحشد من القيم، والضوابط، والمناهج المرسومة، التي يتحركون على هديها إلى أهداف تليق بهم، وتخلّصهم من الفوضى والتخبّط والارتجال.

إن حضارة تفتقد اليقين الديني لن يكون بمقدورها أن تمنح الإنسان كل ما يريد، وإن الإنسان إن لم يجد نفسه في بيئة تتعامل معه كانسان، بكل مكوناته، وأشواقه، ومنازعه، فإنه سيتمرد ـ ولا ريب ـ على هذه البيئة، وينشق عليها، طال الوقت أم قصر.

[الأخطاء المنهجية للفكر الوضعي]

وثمة النظرة الأحادية للفكر الغربي الوضعي[1]، والمنهج ذو الوجه الواحد الذي طالما اعتمده هذا الفكر وتشبث به. إنه ملمح لا يقل خطورة عن الملمح السابق ومن ثم سنقف عنده بعض الشيء.

إن المرء كثيراً ما يتساءل: لماذا يصرّ الفكر الوضعي عموماً، والغربي بخاصة، على التشبث بجانب واحد من الفكرة ذات الجوانب العديدة ويقف عند مساحة محدودة منها بينما هنالك مساحات أخرى؟ ولماذا يصرّ على تبسيط الظاهرة وحملها على أن تطلّ على الانسان بوجه مسطح واحد بينما هنالك وجوه عدّة؟ ولماذا يتشنّج على طبقة واحدة من الحقيقة بينما هي تتضمن طبقات وطبقات؟

إن السبب قد يحمل بعداً نفسياً ذاتياً صرفاً، فالمفكّر الوضعي الذي يكتشف جانبا من الحقيقة، أو مساحة من الظاهرة، أو وجهاً ما من الفكرة، ليسعى للاعتقاد بأن ما اكتشفه هو الجانب الوحيد للحقيقة، والمساحة الكلية للظاهرة، والوجه المتفرد للفكرة، ويبذل جهداً متواصلا لاقناع أتباعه بذلك ولشدة التكرار والإلحاح يتوهم هؤلاء بأن ما يقوله هو الحق وأن اكتشافه الفكري هو الصواب وأنه يتضمن أطراف الحقيقة أو الفكرة أو الظاهرة كافة.

إنها نوع من الرغبة في تعبيد الناس للمفكر، وكسب إعجابهم وانبهارهم من خلال اطروحاته الفكرية المعزّزة باستنتاجات ومعطيات متواصلة لتأكيد أنها الحق المطلق وان ما وراءها الباطل والضلال. وهو يبني موقفه هذا، أو كسبه غير المشروع إذا صحّ التعبير، على ما قد يتضمنه العقل البشري من قصور وعدم قدرة على الإلمام بجوانب الحقيقة، وافتقاده النظرة الكلية التي تستشرف أطراف الظاهرة من كل مكان. هذا العقل الذي يظل يعاني من نقصه هذا طالما هو لم يستهد بدين سماوي، ببرنامج عمل موضوعي يجيء من السماء ويمنح الانسان والعقل الانساني، بما يتضمنه من علم إلهي شامل، القدرة على تجاوز النظرة أحادية الجانب، والتوغل لادراك جوانب الحقيقة ومساحاتها وطبقاتها جميعا.

---

(١) المقصود هنا المدلول اللغوي لا الاصطلاحي لكلمة (الوضعية).

ان المفكر الوضعي يمارس هنا نشاطاً ضد المنهج، ضد الموضوعية والتجرد العلمي، وهذه الضدّية تجيء على حساب الحقيقة. نعم، قد يكسب المفكر الجولة وقد يلتف حوله المريدون والأتباع، وقد يُظن لفترة طويلة من الزمن أنه وضع يده على مفاتيح الحقيقة وأنه سبر غورها العميق، ولكن الخاسر في هذه اللعبة التي تكررت على الساحة الأوروبية عشرات القرون هو الحقيقة والانسان الذي يتوخى معرفتها وادراكها في نهاية الأمر.

ويقوم هذا النشاط الذي يمارسه المفكر ضد المنهج والموضوعية على محاولة توسيع مساحة «الاكتشاف» لجعله يلف الظاهرة كلها، فيمطّه بأي أسلوب لكي يحيط بالفكرة من جوانبها كافة، ويرغمه على التضخمّ لكي يوازي الحقيقة طولاً وعرضا وعمقا.

والمشكلة أن هذا الاكتشاف الذي يحمل قيمته الكبيرة بحدّ ذاته، قد يغطي مساحة من الظاهرة، قد يفسّر جانباً من الفكرة، قد ينشر شعاعا على جهة محدودة من الحقيقة لكي يضيئها. ولكن تبقى دائماً مساحات وجوانب أخرى من الظواهر والأفكار والحقائق لا يكفي الاكتشاف ـ إن على مستوى النوع أو على مستوى الكم ـ لتفسيرها وإضاءتها، لابد من اكتشافات أخرى وإضاءات متتالية، تأخذ طابع التتابع والتكامل، وتسلط على الحقائق والظواهر والأفكار من أطرافها جميعا، ويسهم فيها خط طويل من المفكرين، وعقول متألقة لا يحصيها عدّ. وعند ذلك قد تصل إلى تفسير هذه الظاهرة أو تلك وقد لا تصل أساساً.

إن هذا يتم في ميدان العلوم النظرية (الصرفة) والتطبيقية (التقنية) ولهذا حقّقت هذه العلوم تلك الخطوات العملاقة، وقدّمت للإنسان خدمات جلى لا يستطيع أحد أن ينكر دورها الفعال في استمرار الحضارات وبخاصة الحضارة الغربية المعاصرة.

لكن العلوم الإنسانية شهدت صيغة أخرى في العمل، صيغة الانفراد، والذاتية، والإدّعاء، والتضخم. ولذا لم تستطع أن تقدم للإنسان عشر معشار ما قدمته العلوم النظرية والتطبيقية، ولهذا ـ ايضاً ـ آلت إلى الفشل والسقوط الواحدة تلو الأخرى.

فعلى سبيل المثال، لماذا يصرّ عقل فذ (كهيغل) على جعل الجدل أو الديالكتيك أو التقابل المتضادّ بين الحقائق والتجارب يقتصر على نطاق (الفكرة)؟ ولماذا يجيء

(ماركس) و(انجلز) بعده لكي يديناه على احادية نظرته، بل على وضعها المقلوب، لكنهما ما يلبثان أن يقعا في الخطأ نفسه فيتشنجان على نظرية الديالكتيك المادي، أي الجدل في نطاق المادة وحدها؟ انهما يتهمان (هيغل) بأنه وضع فلسفة «تمشي على رأسها» لكنهما وهما يسعيان لتعديل الوضع الفلسفي، قدّما فلسفة تمشي على بطنها بحثاً عن الخبز وحده.

أما كان الأولى أن يتجاوز (هيغل) تشبثه بالفكرة، وأن يبعد (ماركس) و(انجلز) قليلاً عن الأرضية المادية، وأن يحاول الطرفان وضع صيغة للجدل أكثر شمولية تتضمن الفكري والمادي معاً؟ ثم لماذا يصرّ الطرفان على أن الجدل بين الافكار أو الصيغ المادية يأخذ طابع التناقض والتضاد ويقود دوماً إلى الاصطراع؛ ألا يتحتم أن تضاف إليه صيغ أخرى للعلاقة تأخذ طابع (التبادل) بدلاً من التضادّ؟ تبادل في الأخذ والعطاء دونما ضرورة تدفع لصراع محتوم، ودونما اطراح لبعض العناصر من هذا الجانب أو ذاك، بل بلورته وتبنّيه وإضافته للموحّد الجديد.. وغير (هيغل) و(ماركس) و(انجلز) كثيرون جدا.

إن ثمة أسئلة كثيرة تخطر على بال الانسان وهو يتعامل مع الفكر الوضعي ولئن لم تحظ بأي جواب، فإن هناك ما يشبه القناعة تبرز لكل ذي عينين: أن النظرة أحادية الجانب، تلك التي تأخذ بخناق هذا الفكر، إن هي الاّ انعكاس لنوعٍ من الادعاء والغرور، وربما الكذب، سواء شئنا أم أبينا، إن معظم المفكرين الغربيينً كما يصفهم كتاب الله ﴿**ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس..**﴾[1].

تلك هي أزمة الفكر الوضعي من جهة المفكر نفسه، أي من الزاوية التي يطل بها على العالم، والمنهج الذي يعتمده في التعامل مع الظواهر والحقائق والأشياء. ولكننا نريد أن نقف لحظات في الجهة الأخرى، جهة العقل الغربي المتلقيّ وهو يتعامل مع معطيات مفكريه: مذاهب ومدارس وعقائد ونظريات جهة المثقفين الغربيين وهم ينتمون إلى هذه المدرسة أو تلك، وإلى هذا المذهب أو النظرية أو ذاك.

فها هنا أيضاً نجابه بعدد من الأخطاء المنهجيّة في طبيعة هذا التعامل، ويكمن أكبر هذه الأخطاء وأشدها وضوحا في المشكلة نفسها التي يعاني منها المفكر واضع

---

(١) سورة النجم، الآية ٢٣ .

النـظرية أو مصممّ المذهـب، تلك هي ـ مرة أخرى ـ النظرة احادية الجانب حيث يمارس المثقف ما يمكن اعتباره خداعا وتضليلاً على حساب الحقيقة، أو ما يمكن اعتباره خطأ منهجياً على أقل تقدير. إنه يصدّق فعلاً ان (الاكتشاف) الذي حققه هذا المفكـر أو ذاك، ومطّه ونفخ فيه لكي يجعل منه نظرية أو مذهباً، يفسر كل شيء، ويلقي ضوءه على كل معضلة أو مسألة غامضة في الوجود والعالم، يصدّق أن هذا الاكتشاف هو الحق المطلق، الرؤية المتفردة، الكشف النهائي للسنن والقوانين التي تحرك العالم وتفسر معطياته في الوقت ذاته. وهم، أي المثقفون، يدفعون أنفسهم إلى نوع من الاستسـلام لهذا التصـوّر، يصل بهم أحيانا حدّ الوثنية والتعبدّ، فيفقدوه القدرة على أي تفكير مستقل يخرج بهم عن دائرة المذهب الذي انتموا إليه، والمفكر أو الفيلسوف الذي آمنوا به، بل أنهم يعتبرون أية محاولة لتجاوز اطروحات المذهب خروجا على التعاليم المقدسة، وهرطقة يستحق صاحبها أشد العقاب.

وإذا كان المفكـر الـوضعي يتخـذ موقف المعلم المطلق، أو صاحب الاكتشاف المقدس، لتحقيق حاجة ذاتية في تركيبه الخاص، فما الذي يجعل المثقف المتلقي، أو التابع، يتخذ موقف التسليم المطلق والانقياد الأعمى للفكرة أو الاكتشاف ويتشنج عليهما ويعتبرهما الحق الذي ليس وراءه سوى الضلال؟

قد يلعب البعد النفسي دوره هنا أيضاً، فإن الانتماء لمذهب ما والمبالغة في الاعتقاد بأنه الحق المطلق واليقين الكامل، يمنح الذات فرصة للتحقق والتوازن والامتلاء، ويشبـع فيهـا حاجـات كانت في كثـير من الاحيان بمثـابة الدافع القوي للسلوك البشري. لكن هذا وحده لا يكفي. إنه ـ مرة اخرى ـ القصور العقلي، عدم قدرة الانسان على بلوغ اليقين المطلق، أو رؤية الحقيقة كاملة طالما هو يرفض التلقي عن العلم الالهي الشـامل، ومن ثم يجد نفسه أسير التجزيئيّة والقصور، والرؤية ذات البعـد الـواحد. وهو من أجل تجاوز محنته، بل بسبب من اعتقاده بقدرته العقلية الفائقة، يندفع للتصديق بهذه النظرية أو تلك، والتسليم بهذا الكشف أو ذاك، لا لأنها بحد ذاتها تحمل الصواب المطلق، بل لأنه هو نفسه لا يملك المقاييس الموضوعية النهـائية للحكم عليهـا ومن ثم فقـد يمتلك القنـاعة الكافية، المناسبة مع قدراته المحـدودة، في أن هذا الـذي يطرحـه مفكر أو فيلسوف ما هو إلّا الصدق واليقين والحق، وان الانتماء إليه يمنح الفكر معادلاته الموضوعية، وتوازنه، واستقراره.

إن المشكلة، مرة أخرى، تكمن في غياب الرؤية الدينية، انعدام المقاييس الموضوعية التي تنبثق عن العلم الالهي الشامل. وهنا، في الساحة التي يتفرد فيها بالسلطان العقل ذو القدرات النسبية، يصبح الانتماء مجرد اجتهاد شخصي قد يخطىء وقد يصيب، وهو حتى إذا أصاب، فإنه لا يتحقق بالمعرفة الكلية اليقينية الشاملة، لأنه ليس بمقدور عقل بشري أن يبلغ شواطئها.

وهنا قد يسأل المرء: إذا حدث وأن طرح مفكر ما كشفاً أو نظرية، تناقض في جوهرها كشف مفكر أخر أو نظريته، فمن يكون من أتباع كلا المفكرين على حق ومن يكون على ضلال؟

إن هذا التناقض الطولي بين مفكر وآخر يعملان في مجال واحد، من مثل التناقض بين (هيغل) و(ماركس) أو بين (دارون) وحفيده، أو بين (فرويد) وبعض تلامذته الذين انشقوا عليه، يكفي لوحده أن يهزّ قناعات الأتباع بكل الربوبيات والصنميات الفكرية، لكن هذا لا يحدث الّا نادراً، لأن القصور الفكري وضياع المقاييس الشمولية، فضلا عن الحاجات والدوافع النفسية في الاحتماء بهذه النظرية أو تلك والامتلاء بقناعاتها يمنع هذا المصير.

مهما يكن من أمر، فإن بعض المفكرين بسبب من تضخم إحساسهم بالقدرة على الكشف، وبأن كشفهم هذا قادر على الإمتداد لتغطية جوانب الحقيقة كافة وتفسير كل شيء، بسبب من هذا يتجاوزون ـ أحياناً ـ دوائر تخصصهم، ويوغلون في مجالات ودوائر أخرى للمعرفة قد لا يملكون من الادوات والوسائل ما يمكنهم من أن يحققوا فيها ما حققوه هناك في حقل تخصصهم وإبداعهم. وإذا كان الدافع لهذا السلوك واضحاً، فما الذي يدفع (الاتباع) إلى تقبل هذا الموقف واعتبار معطيات المفكر، حتى في مجالات تبعد عن تخصصه، بمثابة الحقيقة النهائية هي الأخرى؟

(ان هذا بالذات ما يحدث بالنسبة للماركسيين ـ على سبيل المثال ـ وهم يتعاملون مع اكتشافات (ماركس) في حقول الأقتصاد والفلسفة والتاريخ، فيرونها جميعاً بمثابة الأمور التي تتجاوز حدود الحقائق الاختبارية إلى نوع من القدسية التي يتحتّم ألّا يمسّها أحد بأية صيغة من صيغ التساؤل والشك. فإذا كان (ماركس) في حقل الاقتصاد قدَّم في دائرته كشوفاً ذات قيمة، فما الذي يحتم على أتباعه قبول كل معطياته

وكشوفاته في مجالين آخرين قد لا يكون صاحب القول الفصل فيهما وهما الفلسفة والتاريخ؟

ان الفلسفة التي تتعامل مع المادة لا يمكن أن تمنحنا قناعات كافية إن لم تبدأ من المختبر، وتنبثق عن أسس فيزيائية علمية كما يفعل رجال من أمثال (هايزنبرغ) و(اينشتاين) و(كاريل) وغيرهم. والبحث في التاريخ ما لم يستكمل تفاصيل وجزئيات كل عصر وبيئة لا يمكن أن يمنحنا نتائج نهائية.

وعلى ضوء هاتين البديهيتين يمكن أن نقيّم معطيات (ماركس) في هذين الحقلين، ونحن لا زلنا نذكر عبارة الباحث الاقتصادي (اوسكار لانكه) وهو أحد أكبر أخصائيين اقتصاد الدول النامية، فهو بعد ان يستعرض جهود الكتاب الذين اهتموا بدراسة اقتصاد مجتمعات ما قبل الرأسمالية، منذ عصر (ماركس) وحتى عصر (بورشييف) يقول ما معناه: «ولكن هذه الدراسات جميعها مفككة، لذلك فإن الاقتصاد السياسي للنظم الاجتماعية ما قبل الرأسمالية لما يخرج بعد إلى حيز الوجود باعتباره فرعا منظماً من فروع الاقتصاد السياسي»[1]. ولكن هل يكفي هذا كله لفك الارتباط الوثني بين الاتباع والارباب وتجاوز تقاليد قرون طوال سادت الفكر الغربي ولا تزال؟).

قد يتساءل المثقف الغربي، ومن حقه أن يتساءل، هل معنى قبول الدين، والإسلام على وجه الخصوص، أن نتخلى ـ بمعنى من المعاني ـ عن بعض درجات سلّمنا الحضاري المتقدمة، أو أن نتجاوز «العلمية» التي تميّز هذه الحضارة، والتي هي منهجها وشعارها؟

بعبارة أخرى: هل يحتّم خلاصنا الديني بالاسلام، أن نضحيّ ببعض منجزاتنا العقلية، وخبراتنا الحضارية، من أجل هذا الخلاص؟ وهل أنه لا مناص من الاختيار بين الاثنين: إما هذا أو ذاك؟

إن الجواب على هذا السؤال المشروع بجانبيه، أي ما يتعلق بالحضارة وما يخصّ العلم، يقتضي وقفة متأنية لكي نعرف ما الذي يقوله الإسلام بصددهما، ما الذي

---

(١) محمد على نصر الله: أضواء على نمط الانتاج الأسيوي، مجلة آفاق عربية، سنة ٢، عدد ٦، ٧، ٨.

قدّمـه أو نسجـه؟ وما هي طبيعة منظوره للحضارة، ورؤيته للعلم؟ وهل ثمّة من تأشيرات سلبية على أنشطتهما، أم أنه اللقاء، والحضّ والعطاء؟ هل أنه الانفصال الذي اعتقدته العلمانية الأوروبية كردّ فعل للنصرانية التي وقفت بمواجهة التحضرّ والعلم، بشكل أو بآخر، أم أنه التناغم والاتصال؟

لن يسمح هذا المدخل الموجز لتقديم الجواب[1] ويكفي أن نتابع «الشهادات» التي تضمنها هذا الكتاب والتي لا تدع مجالاً للشك في أن الإسلام، بمعنى من المعاني، هو التحضرّ والعلم معاً في إطار رؤية دينية تتميز بالشمولية والتوازن.

إنه يتحتمّ علينا ألاّ ننساق وراء المقولة الخاطئة التي اصطنعتها العلمانية الأوروبية، والتي تتركـز بعبارة «إما هذا أو ذاك»، أي إما الإيمان أو التحضرّ، إما الدين وإما العلم، إما الله وإما الانسان، وباختصار: إما السماء وإما الأرض.

فها هنا، في نسيج التصوّر الإسلامي، متناسقاً مع سداه ولحمته، نلتقي الشعار الأخـر الـذي يتحتم على الغربيين أن يعرفوه جيدا ويوقنوا به: هذا وذاك، الايمان والتحضر، الدين والعلم، الله والانسان، السماء والأرض.

إن الإسلام، بانفتاحه على العلم والتحضرّ وتبنيّه لهما، كما سيتبين لنا، يجعل من مرور الـزمن، وتراكم الخبرات العلمية والحضارية، سلاحاً بيده وليس ضده، كما فعلت النصرانية وبعض الأديان الأخرى، سيجعل منها عصاً، كتلك التي أمسك بها موسىٰ عليه السلام، فضرب بها البحر ومضى باتباعه صوب أهدافهم المرتجاة.

وإنه من خلال المعطيات العلمية والحضارية ستتبين لكل ذي فكر مصداقية هذا الـدين وأحقيتـه بالتفّـرد والسلطان. فما قال به في عصر تنزّله البعيد، جاءت هذه المعـطيات لكي تؤكده وتكشف عنه النقاب. وإن القرآن الكريم ليؤكد هذا البعد الزمني في آيتين: إحداهما قول الله تعالى: **﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾**[2]. والثانية:

---

(١) عالـج المؤلف هذه المسألة في الكتب التالية التي يمكن الرجوع إليها لمتابعة التفاصيل: (مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم)، (حول اعادة تشكيل العقل المسلم)، (التفسير الإسلامي للتاريخ)، و(مؤشرات حول الحضارة الإسلامية).

(٢) سورة يونس، الآية ٣٩، وسورة فصّلت، الآية ٥٣ .

قوله الله تعالى: ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**﴾[1]. بعد الخبرة والتقدم، والزمن الذي يضيف بحساب الكم والنوع إلى نهر العلم والتحضرّ.

إن الانتماء للإسلام يضع الانسان في حالة تساوقٍ وتآلف مع السنن الكونية، ويجنبه الارتطام بها، فيمنحه قوة أكبر على التقدم والاندفاع من خلال توافق طاقاته مع طاقات الكون ونواميسه. كما أن الانتماء للدين الذي يدعوه للكشف عن السنن والطاقات المذخورة في الكون والعالم، والإفادة منها يمنحه قدرات مضافة على التحضر والإبداع والتقدم جنباً إلى جنب مع دعوته للكشف عن قوانين الحركة التاريخية واعتمادها لتنفيذ مهمته العمرانية في العالم والتعجيل بها.

إن الإسلام، في نهاية التحليل وبدايته كذلك، دعوة إلى التقدم والتحضرّ بأي منظور ومن أية زاوية، وإن المنتمين إليهم يجدون فرصتهم الحقيقية لذلك، ليس من قبيل الادّعاء والغرور ولكن من خلال العقل والتحققّ اللذين يحرسهما الإيمان والتقوى ويدفعهما الاحسان إلى المزيد، كما سيتبين لنا من قراءة فصول هذا الكتاب.

---

(١) سورة فصّلت، الآية ٥٣.

الفصل الأول
القــرآن الكريــم

«لقد قمتُ بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة، باحثاً عن درجة اتفاق نصي القرآن ومعطيات العلم الحديث . . فأدركت أنه لا يحتـوي على أيـة مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث. . . ».

العالم الفرنسي موريس بوكاي

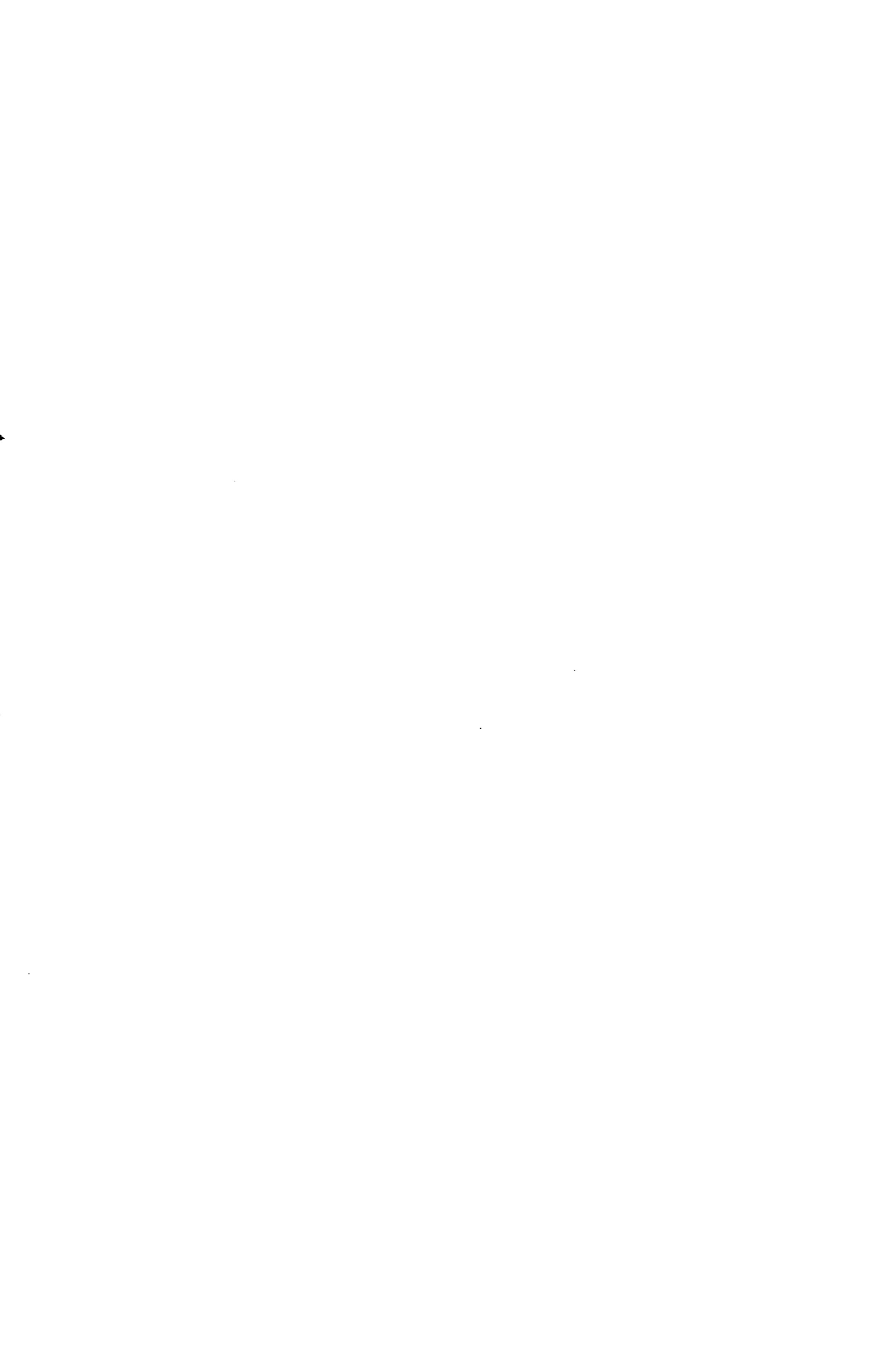

خليل أحمد[1]

[١]

«يرتبط هذا النبي [ﷺ] بإعجاز أبد الدهر بما يخبرنا به المسيح [عليه السلام] في قولـه عنه: (ويخبركم بأمور آتية)، هذا الأعجاز هو القرآن الكريم معجزة الرسول البـاقية ما بقي الـزمان. فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل مناحيه: من طب، وفلك، وجغرافيا، وجيولوجيا، وقانون، واجتماع، وتاريخ... ففي أيامنا هذه استطاع العلم أن يرىٰ ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف...»[2].

[٢]

«أعتقد يقيناً أني لو كنت إنساناً وجودياً... لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية وجاءني نفر من الناس وحدثني بما سبق به القرآن العلم الحديث ـ في كل مناحيه ـ لامنت برب العزة والجبروت، خالق السماوات والأرض ولن أشرك به أحدا...»[3].

[٣]

«في هذا الظلام الدامس ـ أيها المسيحي ـ ينزل القرآن الكريم على رسول الله ليكشف لك عن الله عز وجل..»[4].

[٤]

«للمسلم أن يعتزَّ بقرآنه، فهو كالماء فيه حياة لكل من نهل منه»[5].

---

(١) إبراهيم خليل أحمد — Ibrahim Khalil Ahmad

قس مبشر من مواليد الإسكندرية عام ١٩١٩، يحمل شهادات عالية في علم اللاهوت من كلية اللاهوت المصرية، ومن جامعة برنستون الأمريكية. عمل أستاذاً بكلية اللاهوت بأسيوط. كما أرسل عام ١٩٥٤ إلى أسوان سكرتيراً عاماً للإرسالية الألمانية السويسرية. وكانت مهمته الحقيقية التنصير والعمل ضد الإسلام. لكن تعمقه في دراسة الإسلام قاده إلى الإيمان بهذا الدين وأشهر إسلامه رسمياً عام ١٩٥٩.

كتب العديد من المؤلفات، أبرزها ولاريب (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن)، (المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي)، و(تاريخ بني إسرائيل).

(٢) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٤٧ ـ ٤٨.

(٣) نفسه، ص ٤٨.

(٤) نفسه، ص ١٧٢.

(٥) نفسه، ص ٣٢.

ارنــولد[1]

[١]

«. . [إننا] نجد حتى من بين المسيحيين مثل الفار Alvar [الإسباني] الذي عرف بتعصبـه على الإسـلام، يقـرر أن القـرآن قد صيغ في مثل هذا الأسلوب البليغ الجميل، حتى أن المسيحيين لم يسعهم إلا قراءته والإعجاب به . . »[2].

ايرفنــج [3]

[١]

«كانت التوراة في يوم ما هي مرشد الإنسان وأساس سلوكه. حتى إذا ظهر المسيح [عليه السلام] اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل، ثم حلّ القرآن مكانهما، فقد كان القرآن أكثر شمولاً وتفصيلا من الكتابين السابقين، كما صحح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل. حوى القرآن كل شيء ، وحوى جميع القوانين، إذ أنه خاتم الكتب السماوية . . »[4].

[٢]

«يدعو القرآن إلى الرحمة والصفاء وإلى مذاهب أخلاقية سامية»[5].

---

(١) سـير توماس أرنولد (١٨٦٤ - ١٩٣٠) Sir Thomas Arnold
من كبـار المستشرقـين البريطانيين. صاحب فكرة كتاب (تراث الإسلام) الذي أسهم فيه عدد من مشاهير البحث والاستشراق الغربي. وقد أشرف ارنولد على تنسيقه واخراجه. تعلم في كمبردج وقضى عدة سنوات في الهند أستاذاً للفلسفة في كلية عليكرة الإسلامية. وهو أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العـربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن. وصفه المستشرق البريطاني المعروف (جب) بأنه «عالم دقيق فيما يكتب، وأنه أقام طويلاً في الهند وتعرف إلى مسلميها، وأنه متعاطف مع الإسلام، وكل هذه أمور ترفع أقواله فوق مستوى الشهادات» (دراسات في حضارة الإسلام ص ٢٤٤). ذاع صيته بكتابيه: (الدعوة إلى الإسلام) الذي ترجم إلى أكثر من لغة، و(الخلافة). كما أنه نشر عدة كتب قيمة عن الفن الإسلامي.

(٢) الدعوة إلى الإسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)، ص ١٦٢.

(٣) واشنجتون ايرفنـج W. Irving
مستشرق أمريكي، أولى اهتماماً كبيراً لتاريخ المسلمين في الأندلس. من آثاره: (سيرة النبي العربي) مذيلة بخاتمة لقواعد الإسلام ومصادرها الدينية (١٨٤٩)، و(فتح غرناطة) (١٨٥٩)، وغيرها.

(٤) حياة محمد، ص ٧٢. (٥) نفسه، ص ٣٠٤.

بــروز[1]

[١]

«إنه ليس هناك شيء لا ديني في تزايد سيطرة الإنسان على القوى الطبيعية، (هناك آية في القرآن يمكن أن يستنتج منها أنه لعل من أهداف خلق المجموعة الشمسية لفت نظر الإنسـان لكي يدرس علم الفلك ويستخـدمـه في حياتـه: **﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾**[2]. وكثيراً ما يشير القرآن إلى إخضاع الطبيعة للانسان باعتباره إحدى الآيات التي تبعث على الشكر والإيمان: **﴿وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾**[3]. ويذكر القرآن ـ لا تسخير الحيوان واستخدامه فحسب ـ ولكن يذكر السفن أيضاً.. فإذا كان الجمـل والسفينـة من نعم الله العـظيمة، أفلا يصدق هذا أكثر على سكة الحديد والسيارة والطائرة؟»[4].

[٢]

«.. إن أعظم نتائج العلم يمكن أن تستخدم في أغراض هدمية أو بنائية. وربما كان هذا هو المقصود بما ورد في القرآن خاصاً باستخدام الحديد: **﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾**[5]. وأظهر مثال من هذه الآية بالضرورة هو استخدام النشاط الذري ـ الذي نشطت بحوثه ـ لضرورة حربية..»[6].

---

(١) د. ميلر بـروز — Millar Burrows

رئيس قسم لغات الشرق الأدنى وآدابه وأستاذ الفقه الديني الإنجيلي في جامعة (ييل). وعمل أستاذاً بجامعة براون، وأستاذاً زائراً بالجامعة الأمريكية في بيروت، ومديراً للمدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية بالقدس، ومن مؤلفاته:

Founders of Great Religions, 1931.

What Means these Stones, 1941.

Palestine is our Business, 1941.

(٢) سورة يونس، الآية ٥.

(٣) سورة الزخرف، الآية ١٣.

(٤) الثقافة الإسلامية، ص ٥١.

(٥) سورة الحديد، الآية ٢٥.

(٦) الثقافة الإسلامية، ص ٥٤.

بلاشير[1]

[١]

« . . إن الفضل بعد الله يعود إلى الخليفة عثمان بن عفان [رضي الله عنه] لإسهامه قبل سنة ٦٥٥هـ في إبعاد المخاطر الناشئة عن وجود نسخ عديدة من القرآن، وإليه وحده يدين المسلمون بفضل تثبيت نص كتابهم المنزل، على مدى الأجيال القادمة»[2].

[٢]

« لا جرم في أنه إذا كان ثمة شيء تعجز الترجمة عن أدائه فإنما هو الإعجاز البياني واللفظي والجرس الإيقاعي في الآيات المنزلة في ذلك العهد. . إن خصوم محمد [عليه الصلاة والسلام] قد أخطأوا عندما لم يشاءوا أن يروا في هذا إلّا أغاني سحرية وتعويذية، وبالرغم من أننا على علم ـ استقرائياً فقط ـ بتنبؤات الكهان، فمن الجائز لنا الاعتقاد مع ذلك بخطل هذا الحكم وتهافته، فإن للآيات التي أعاد الرسول [عليه الصلاة والسلام] ذكرها في هذه السور اندفاعاً وألقاً وجلالة تخلِّف وراءها بعيداً أقوال فصحاء البشر كما يمكن استحضارها من خلال النصوص الموضوعة التي وصلتنا»[3].

[٣]

« . . إن القرآن ليس معجزة بمحتواه وتعليمه فقط، إنه أيضاً ويمكنه أن يكون قبل أي شيء آخر تحفة أدبية رائعة تسمو على جميع ما أقرته الإنسانية وبجّلته من

---

(١) بلاشير R. L. Blachère

ولد بالقرب من باريس، وتلقى دروسه الثانوية في الدار البيضاء، وتخرج بالعربية في كلية الآداب بالجزائر (١٩٢٢)، وعين أستاذاً لها في معهد مولاي يوسف بالرباط، ثم انتدب مديراً لمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط (١٩٢٤ ـ ١٩٣٥)، واستدعته مدرسة اللغات الشرقية بباريس أستاذاً لكرسي الأداب العربي (١٩٣٥ ـ ١٩٥١)، ونال الدكتوراه (١٩٣٦)، وعين أستاذاً محاضراً في السوربون (١٩٣٨)، ومشرفاً على مجلة (المعرفة)، التي ظهرت في باريس باللغتين العربية والفرنسية، من آثاره: دراسات عديدة عن تاريخ الأدب العربي في أشهر المجلات الاستشراقية، وكتاب (تاريخ الأدب العربي) (باريس ١٩٥٢)، وترجمة جديدة للقرآن الكريم في ثلاثة أجزاء (باريس ١٩٤٧ ـ ١٩٥٢)، وغيرها.

(٢) تاريخ الأدب العربي ٢ / ٢٢.

(٣) نفسه، ٢ / ٣١.

التحف.. إن الخليفة المقبل عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] المعارض الفظ في البداية للدين الجديد، قد غدا من أشد المتحمسين لنصرة الدين عقب سماعة لمقطع من القرآن. وسنورد الحديث فيما بعد عن مقدار الافتتان الشفهي بالنص القرآني بعد أن رتّله المؤمنون»[1].

[٤]

«.. الإعجاز هو المعجزة المصدقة لدعوة محمد [ﷺ] الذي لم يرتفع في أحاديثه الدنيوية إلى مستوى الجلال القرآني..»[2].

[٥]

«.. في جميع المجالات التي أطللنا عليها من علم قواعد اللغة والمعجمية وعلم البيان، أثارت الواقعة القرآنية وغذت نشاطات علمية هي أقرب إلى حالة حضارية منها إلى المتطلبات التي فرضها إخراج الشريعة الإسلامية. وهناك مجالات أخرى تدخل فيها (الواقعة القرآنية) كعامل أساسي.. ولا تكون فاعليتها هنا فاعلية عنصر منبه فقط، بل فاعلية عنصر مبدع تتوطد قوته بنوعيته الذاتية..»[3].

بوازار[4]

[١]

«لا بدّ عند تعريف النصّ القدسي في الإسلام من ذكر عنصرين، الأول أنه كتاب منزل أزلي غير مخلوق، والثاني أنه (قرآن) أي كلام حي في قلب الجماعة.. وهو بين الله والإنسانية (الوسيط) الذي يجعل أي تنظيم كهنوتي غير ذي جدوى، لأنه مرضيّ

(١) القرآن الكريم، ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) نفسه، ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٣) نفسه، ص ١٠٤

(٤) مارسيل بوازار M. Poizar

مفكر، وقانوني فرنسي معاصر. أولى اهتماماً كبيراً لمسألة العلاقات الدولية وحقوق الإنسان وكتب عدداً من الأبحاث للمؤتمرات والدوريات المعنية بهاتين المسألتين. يعتبر كتابه (إنسانية الإسلام)، الذي انبثق عن الاهتمام نفسه، علامة مضيئة في مجال الدراسات الغربية للإسلام، بما تميز به من موضوعية، وعمق، وحرص على اعتماد المراجع التي لا يأسرها التحيز والهوى. فضلاً عن الكتابات الإسلامية نفسها.

به مرجعاً أصلياً، وينبوع إلهام أساسيٌّ . . ومازال حتى أيامنا هذه نموذجاً رفيعاً للأدب العربي تستحيل محاكاته إنه لا يمثل النموذج المحتذىٰ للعمل الأدبي الأمثل وحسب، بل يمثل كذلك مصدر الأدب العربي والإسلامي الذي أبدعه لأنَّ الدين الذي أوحى به هو في أساس عدد كبير من المناهج الفكرية التي سوف يشتهر بها الكتاب . . »[1].

[٢]

«لقد أثبت التنزيل برفضه الفصل بين الروحي والزمني أنه دين ونظام اجتماعي . . ومن البديهي أن التنزيل والسبيل الذي ظن امكان استخدامه فيه قد طبعا المجتمع بعمق . . »[2].

[٣]

« . . إن القرآن لم يقدّر قط لإصلاح أخلاق عرب الجاهلية، إنه على العكس يحمل الشريعة الخالدة والكاملة والمطابقة للحقائق البشرية، والحاجات الاجتماعية في كل الأزمنة»[3].

[٤]

« . . يخلق الروح القرآني مناخ عيش ينتهي به الأمر إلى مناغمة التعبيرات الذهنية والمساواة بين العقليات والنظم الاجتماعية بأكثر مما تفترض التصريفات السياسية والطوابع الايديولوجية التي تسند إلى الدول. ولا يكفي قط ما يتردد عن درجة تأثير القرآن الكبرى في (الذهنية الإسلامية) المعاصرة، فهو ما يزال مصدر الإلهام الفردي والجماعي الرئيسي، كما أنه ملجأ المسلمين وملاذهم الأخير»[4].

[٥]

« . . [إن] الأدوات التي يوفرها التنزيل القرآني قادرة ولا ريب على بناء مجتمع حديث . . »[5].

---

(١) انسانية الإسلام، ص ٥٢ ـ ٥٣ .
(٢) نفسه، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .
(٣) نفسه، ص ١٠٩ .
(٤) نفسه، ص ٣٤٣ .
(٥) نفسه، ص ٣٤٥ .

بـوتـر[1]

[١]

«.. عندما أكملت القرآن الكريم غمرني شعور بأن هذا هو الحق الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها. وأنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية. أما القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع وأسلوب قاطع لا يدع مجالاً للشك بأن هذه هي الحقيقة وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة»[2].

[٢]

«.. إن المضمـون الإلهي للقـرآن الكـريم هو المسئـول عن النهوض بالإنسان وهدايته إلى معرفة الخلق، هذه المعرفة التي تنطبق على كل عصر..»[3].

[٣]

«.. كيف أستطاع محمد [ﷺ] الرجل الأمي الذي نشأ في بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم، والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لابدّ إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عزّ وجلّ»[4].

---

(١) ديبـورا بـوتـر D. Potter
ولـدت عام ١٩٥٤، بمـدينـة ترافـيرز، في ولاية متشيغان الأمريكية، وتخرجت من فرع الصحافة بجامعة متشيغان، اعتنقت الإسلام عام ١٩٨٠، بعد زواجها من أحد الدعاة الإسلاميين العاملين في أمريكا، بعد اقتناع عميق بأنه ليس ثمة من دين غير الإسلام يمكن أن يستجيب لمطالب الإنسان ذكراً كان أم أنثى.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ص ٨/ ١٠٠.

(٣) نفسه، ص ٨/ ١١٣.

(٤) نفسه، ٨/ ١٠٩.

بـوكـاي[1]

[١]

«لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نصّ القرآن ومعطيات العلم الحديث. وكنت أعرف، قبل هذه الـدراسة، وعن طريق الترجمات، أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية ولكن معرفتي كانت وجيزة. وبفضل الدراسة الواعية للنصّ العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل. أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعـد من الكتـاب الأول، أي سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا في عصرنا. وأما بالنسبة للأناجيل. . . فاننا نجد نص انجيل متي يناقض بشكل جلي انجيل لوقا Luc ، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض[3].

[٢]

«لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية. فلم أكن أعتقد قط بإمكان أكتشاف عدد كبير إلى هذا الحدّ من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقته تماماً للمعارف العلمية الحديثة، وذلك في نص كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً. في البداية لم يكن لي أي إيمان بالإسلام. وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة. . »[4].

---

(١) د. موريـس بـوكـاي — Maurice Bucaille

الطبيب والعالم الفرنسي المعروف. كان كتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) من أكثر المؤلفات التي عالجت موضوعاً كهذا، أصالة واستيعابا وعمقاً. ويبدو أن عمله في هذا الكتاب القيم منحه قناعات مطلقة بصدق كتاب الله، وبالتالي صدق الدين الذي جاء به. دعي أكثر من مرة لحضور ملتقى الفكر الإسلامي الذي ينعقد في الجزائر صيف كل عام، وهناك أتيح له أن يطلع أكثر على الإسلام فكراً وحياةً.

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ١٣ .

(٣) نفسه، ص ١٤٤ .

(٤) نفسه، ص ١٤٥ .

[٣]

« . . تناولتُ القرآن منتبها بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات الطبيعية. لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات وهي تفاصيل لا يمكن أن تدرك إلا في النص الأصلي. أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرات والتي لم يكن ممكنا لأي إنسان في عصر محمد ﷺ أن يكون عنها أدنى فكرة. . »[1].

[٤]

« . . كيف يمكن لإنسان ـ كان في بداية أمره أمّياً ـ . . أن يصرح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يكونها، وذلك دون أن يكشف تصريحه عن أقل خطأ من هذه الوجهة؟ » [2].

بيكارد[3]

[١]

« . . ابتعت نسخة من ترجمة سافاري (Savary) الفرنسية لمعاني القرآن وهي أغلى ما أملك. فلقيت من مطالعتها أعظم متعة وابتهجت بها كثيراً حتى غدوت وكأن شعاع الحقيقة الخالد قد أشرق علي بنوره المبارك[4].

---

(١) نفسه، ص ١٤٥ .　　(٢) نفسه، ص ١٥٠ .

(٣) **وليم بيرشل بشير بيكارد** **W. B. Beckard**
إنكليزي، تخرج من كانتر بوري. مؤلف وكاتب مشهور. ومن بين مؤلفاته الأدبية بالإنكليزية (مغامرات القاسم) و(عالم جديد). شارك في الحرب العالمية الأولى وأُسر. عمل فترة من الوقت في أوغندا. أعلن أسلامه عام ١٩٢٢م.

(٤) رجال ونساء أسلموا، ٢/ ٨٦ .

حــتي[1]

[١]

«إن الأسلوب القرآني مختلف عن غيره، ثم إنه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر، ولا يمكن أن يقلّد. وهذا في أساسه، هو إعجاز القرآن.. فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة الكبرى»[2].

[٢]

«.. إن إعجاز القرآن لم يحل دون أن يكون أثره ظاهراً على الأدب العربي. أما إذا نحن نظرنا إلى النسخة التي نقلت في عهد الملك جيمس من التوراة والإنجيل وجدنا أن الأثـر الـذي تركته على اللغة الإنكليزية ضئيل، بالإضافة إلى الأثر الذي تركه القـرآن على اللغة العربية. إن القرآن هو الذي حفظ اللغة العربية وصانها من أن تتمزق لهجات»[3].

حـنـا[4]

[١]

«إنه لا بدّ من الإقرار بأن القرآن، فضلاً عن كونه كتاب دين وتشريع، فهو أيضاً كتاب لغة عربية فصحىٰ. وللغة القرآن الفضل الكبير في ازدهار اللغة، ولطالما يعود

---

(١) د. فيليب حتّي — P. Hitti

ولد عام ١٨٨٦م، لبناني الأصل، أمريكي الجنسية، تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت (١٩٠٨م)، ونال الدكتوراه من جامعة كولومبيا (١٩١٥م)، وعين معيداً في قسمها الشرقي (١٩١٥ ـ ١٩١٩)، وأستاذاً لتاريخ العرب في الجامعة الأمريكية ببيروت (١٩١٩ ـ ١٩٢٥)، وأستاذاً مساعداً للآداب السامية في جامعة برنستون (١٩٢٦ ـ ١٩٢٩م)، وأستاذاً ثم أستاذ كرسي ثم رئيساً لقسم اللغات والآداب الشرقية (١٩٢٩ ـ ١٩٥٤م)، حين أحيل على التقاعد، أنتخب عضواً في جمعيات ومجامع عديدة.

من آثـاره: (أصـول الدولة الإسلامية) (١٩١٦م)، (تاريخ العرب) (١٩٢٧م)، (تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين) (١٩٥١م)، (لبنان في التاريخ) (١٩٦١م)، وغيرها.

(٢) الإسلام منهج حياة، ص ٦٢ (٣) نفسه، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٤) الدكتور جـورج حـنّا — G. Hanna (John)

مسيحي من لبنان، ينطلق في تفكيره من رؤية مادية طبيعية صرفة، كما هو واضح في كتابه المعروف (قصة الإنسان).

إليه أئمة اللغة، في بلاغة الكلمة وبيانها، سواء كان هؤلاء الأئمة مسلمين أم مسيحيين. وإذا كان المسلمون يعتبرون أن صوابية لغة القرآن هي نتيجة محتومة لكون القرآن منزلاً ولا تحتمل التخطئة، فالمسيحيون يعترفون أيضاً بهذه الصوابية، بقطع النظر عن كونه منزلاً أو موضوعاً، ويرجعون إليه للاستشهاد بلغته الصحيحة، كلما استعصى عليهم أمرٌ من أمور اللغة»[1].

داود[2]

[١]

« . . تناولت نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، لأنني عرفت أن هذا هو الكتاب المقدس عند المسلمين، فشرعت في قراءته وتدبّر معانيه. لقد استقطب جل اهتمامي، وكم كانت دهشتي عظيمة حين وجدت الإجابة المقنعة عن سؤالي المحيِّر: [الهدف من الخلق] في الصفحات الأولى من القرآن الكريم. . لقد قرأت الآيات (٣٠ ـ ٣٩) من سورة البقرة. . وهي آيات توضح الحقيقة بجلاء لكل دارس منصف، إن هذه الآيات تخبرنا بكل وضوح وجلاء وبطريقة مقنعة عن قصة الخلق. . »[3].

[٢]

« . . إن دراستي للقرآن الكريم وضحت أمام ناظري العديد من الإشكالات الفكرية وصححت الكثير من التناقضات التي طالعتها في الكتب السماوية السابقة»[4].

---

(١) قصة الإنسان، ص ٧٩ ـ ٨٠ .

(٢) عامر علي داود — A. Ali David

ينحدر من أسرة هندية برهمية، تنصّرت على أيدي المبشرين الذين قدموا مع طلائع الاستعمار، كان كثير القراءة للكتب الدينية، ولما أتيح له أن يطلع على القرآن الكريم كان الجواب هو انتماؤه للإسلام.

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٧/١١٦ـ١١٨ .

(٤) نفسه، ٧/١١٨ .

درمنغم[1]

[١]

«للمسيح [عليه السلام] في القرآن مقام عالٍ، فولادته لم تكن عادية كولادة بقية الناس، وهو رسول الله الذي خاطب الله جهرا عن مقاصده وحدث عن ذلك أول شخص كلمه، وهو كلمة الله الناطقة من غير اختصار على الوحي وحده.. والقرآن يقصد النصرانية الصحيحة حينما يقول: إن عيسىٰ [عليه السلام] كلمة الله، أو روح الله، ألقاها إلى مريم وأنه من البشر. وهو يَذمّ مذهب القائلين بالوهية المسيح [عليه السلام] ومذهب تقديم الخبز إلى مريم عبادةً ثم أكله وما إلى ذلك من مذاهب الإلحاد النصرانية، لا النصرانية الصحيحة، ولا يسع النصراني إلا أن يرضى بمهاجمة القرآن للثالوث المؤلف من الله وعيسى ومريم»[2].

[٢]

«سيكـون القـرآن حافزاً للجهاد يردده المؤمنون كما يردد غيرهم أناشيد الحرب، محرضـاً على القتال جامعاً لشؤونه، محركاً لفاتري الهمم، فاضحاً للمخلَّفين مخزياً للمنافقين، واعداً الشهداء بجنات عدن»[3].

[٣]

«كان محمد [ﷺ] يعد نفسه وسيلة لتبليغ الوحي، وكان مبلغ حرصه أن يكون أميـناً مصغياً أو سجلاً صادقاً أو حاكياً معصوماً لما يسمعه من كلام الظل الساطع والصـوت الصـامت للكـلام القـديم على شكـل دنيوي، لكلام الله الذي هو أمّ الكتاب، للكلام الذي تحفظه ملائكة كرام في السماء السابعة. ولا بد لكل نبي من

---

(١) إميل درمنغم E. Dermenghem
مستشرق فرنسي، عمل مديراً لمكتبة الجزائر، من آثاره: (حياة محمد) (باريس ١٩٢٩) وهو من أدق ما صنّفه مستشرق عن النبي ﷺ، و(محمد والسنة الإسلامية) (باريس ١٩٥٥)، ونشر عدداً من الأبحاث في المجلات الشهيرة مثل: (المجلة الأفريقية)، و(حوليات معهد الدراسات الشرقية)، و(نشرة الدراسات العربية)... الخ.

(٢) حياة محمد، ص ١٣١ - ١٣٢.

(٣) نفسه، ص ١٩٥.

دليل على رسالته، ولا بد له من معجزة يتحدى بها.. والقرآن هو معجزة محمد [ﷺ] الوحيدة، فأسلوبه المعجز وقوة أبحاثه لا تزال.. إلى يومنا يثيران ساكن من يتلونه، ولو لم يكونوا من الاتقياء العابدين، وكان محمد [ﷺ] يتحدى الإنس والجن بأن يأتوا بمثله، وكان هذا التحدي أقوم دليل لمحمد على صدق رسالته.. ولا ريب أن في كل آية منه، ولو أشارت إلى أدق حادثة في حياة الخاصة، تأتيه بما يهزّ الروح بأسرها من المعجزة العقلية، ولا ريب في أن هنالك ما يجب أن يبحث به عن سرّ نفوذه وعظيم نجاحه»[1].

[٤]

«كان لمحمد [ﷺ] بالوحي آلام كبيرة.. وحالات مؤثرة كره أن يطلع الناس عليها، ولاحظ أبو بكر [رضي الله عنه] ذات يوم، والحزن ملء قلبه، بدء الشيب في لحية النبي [ﷺ] فقال له النبي: (شيّبتني هود وأخواتها: الواقعة والحاقة والقارعة). وكان النبي [ﷺ] يشعر بعد الوحي بثقل في رأسه فيطبه بالمراهم، وكان يدثر حين الوحي فيسمع له غطيط وأنين. وكان إذا نزل الوحي عليه يتحدر جبينه عرقاً في البرد»[2].

[٥]

«كان محمد [ﷺ]، وهو البعيد من إنشاء القرآن وتأليفه ينتظر نزول الوحي إليه أحياناً على غير جدوى، فيألم من ذلك، ويود لو يأتيه الملك متواترا»[3].

دي كاستري[4]

[١]

«.. إن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى. آيات

---

(١) نفسه، ص ٢٨٩ ـ ٢٨٠.
(٢) نفسه، ص ٢٨٣.
(٣) نفسه، ص ٢٨٥.
(٤) الكونت هنري دي كاستري (١٨٥٠ ـ ١٩٢٧) Cte. H. de Castries
مقدم في الجيش الفرنسي، قضى في الشمال الأفريقي ردحاً من الزمن. من آثاره: (مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب) (١٩٠٥)، (الاشراف السعديون) (١٩٢١)، (رحلة هولندي إلى المغرب) (١٩٢٦)، وغيرهما.

لما سمعها عقبة ابن ربيعة حار في جمالها، وكفى رفيع عبارتها لاقناع عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] فآمن برب قائلها، وفاضت «عين نجاشيّ الحبشة بالدموع لما تلى عليه جعفر بن أبي طالب سورة زكريا وما جاء في ولادة يحيى وصاح القسس أن هذا الكلام واردٌ من موارد كلام عيسى [عليه السلام] . . لكن نحن معشر الغربيين لا يسعنا أن نفقه معاني القرآن كما هي لمخالفته لافكارنا ومغايرته لما ربيت عليه الأمم عندنا. غير أنه لا ينبغي أن يكون ذلك سبباً في معارضة تأثيره في عقول العرب. ولقد أصاب (جان جاك روسو) حيث يقول: (من الناس من يتعلم قليلاً من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحـك منـه ولو أنه سمع محمداً [ﷺ] يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة وصوته المشبع المقنع الذي يطرب الآذان ويؤثر في القلوب. . لخر ساجداً على الأرض وناداه: أيها النبي رسول الله خذ بيدنا إلى مواقف الشرف والفخار أو مواقع التهلكة والاخطار فنحن من أجلك نودّ الموت أو الانتصار) . . وكيف يعقل أن النبي [ﷺ] ألف هذا الكتاب باللغة الفصحى مع أنها في الأزمان الوسطى كاللغة اللاتينية ما كان يعقلها إلا القوم العالمون . . ولو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب . . »[1].

[٢]

«أتى محمد [ﷺ] بالقرآن دليلاً على صدق رسالته، وهو لا يزال إلى يومنا هذا سرّ من الأسرار التي تعذر فك طلاسمها ولن يسبر غور هذا السر المكنون إلا من يصدق بأنه منزل من الله . . »[2].

[٣]

« . . قد نرى تشابهاً بين القرآن والتوراة في بعض المواضع، إلّا أن سببه ميسور المعرفة . . إذا لاحظنا أن القرآن جاء ليتممها، كما أن النبي [ﷺ] خاتم الأنبياء والمرسلين»[3].

---

(١) الإسلام: خواطر وسوانح، ص ١٨ ـ ٢٠ . (٢) نفسه، ص ٢٠
(٣) نفسه، ص ٢٢ ـ ٢٣ .

دينيه[1]

[١]

«لقد حقق القرآن معجزة لا تستطيع أعظم المجامع العلمية أن تقوم بها، ذلك أنه مكن للغة العربية في الأرض بحيث لو عاد أحد أصحاب رسول الله ﷺ إلينا اليوم لكان ميسوراً له أن يتفاهم تمام التفاهم مع المتعلمين من أهل اللغة العربية، بل لما وجد صعوبة تذكر للتخاطب مع الشعوب الناطقة بالضاد. وذلك عكس ما يجده مثلاً أحد معاصري (رابيليه) من أهل القرن الخامس عشر الذي هو أقرب إلينا من عصر القرآن، من الصعوبة في مخاطبة العدد الأكبر من فرنسيّي اليوم»[2].

[٢]

«.. أحسَّ المشركون، في دخيلة نفوسهم، أن قد غزا قلوبهم ذلك الكلام العجيب الصادر من أعماق قلب الرسول الملهم [ﷺ] وكلهم كثيراً ما كانوا على وشك الخضوع لتلك الألفاظ الأخاذة التي ألهمها إيمان سماوي، ولم يمنعهم عن الإسلام إلا قوة حبهم لأعراض الدنيا..»[3].

[٣]

«إن معجزة الأنبياء الذين سبقوا محمداً كانت في الواقع معجزات وقتية وبالتالي معرضة للنسيان السريع. بينما نستطيع أن نسمي معجزة الآيات القرآنية: (المعجزة الخالدة) وذلك أن تأثيرها دائم ومفعولها مستمر، ومن اليسير على المؤمن في كل زمان وفي كل مكان أن يرى هذه المعجزة بمجرد تلاوة في كتاب الله، وفي هذه المعجزة نجد التعليل الشافي للانتشار الهائل الذي أحرزه الإسلام، ذلك الانتشار الذي لا يدرك

---

(١) ايتين دينيه (١٨٦١ - ١٩٢٩) Et. Dinet

تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر، فكان يقضي في بلدة بو سعادة نصف السنة من كل عام، وأشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين (١٩٢٧)، وحج إلى بيت الله الحرام (١٩٢٨).

من آثاره: صنف بمعاونة سليمان بن إبراهيم (محمد في السير النبوية)، وله بالفرنسية (حياة العرب)، و(حياة الصحراء)، و(أشعة خاصة بنور الإسلام)، و(الشرق في نظر الغرب)، و(الحج إلى بيت الله الحرام).

(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص ٣٥.

(٣) محمد رسول الله، ص ١٠٦.

سببه الأوروبيون لأنهم يجهلون القرآن، أو لأنهم لا يعرفونه إلا من خلال ترجمات لا تنبض بالحياة فضلاً عن أنها غير دقيقة»[1].

[٤]

«إن كان سحر أسلوب القرآن وجمال معانيه، يحدث مثل هذا التأثير في [نفوس علماء] لا يمتون إلى العرب ولا إلى المسلمين بصلة، فماذا ترى أن يكون من قوة الحماسة التي تستهوي عرب الحجاز وهم الذين نزلت الآيات بلغتهم الجميلة؟.. لقد كانوا لا يسمعون القرآن إلا وتتملك نفوسهم انفعالات هائلة مباغتة، فيظلون في مكانهم وكأنهم قد سمرٌوا فيه. أهذه الآيات الخارقة تأتي من محمد [ﷺ] ذلك الأمي الذي لم ينل حظاً من المعرفة؟.. كلا إن هذا القرآن لمستحيل أن يصدر عن محمد، وأنه لا مناص من الاعتراف بأن الله العلي القدير هو الذي أملى تلك الآيات البينات..»[2].

[٥]

«لا عجب أن نرى النبي الأمي يتحدى الشعراء، ويعترف لهم بحق نعتهم له بالكذب، أن أتوا بعشر سور من مثله، فقد آمن بعجزهم عن ذلك»[3].

ديورانت[4]

[١]

«.. ظل [القرآن] أربعة عشر قرناً من الزمان محفوظاً في ذاكرة [المسلمين] يستثير خيالهم، ويشكل أخلاقهم، ويشحذ قرائح مئات الملايين من الرجال. والقرآن يبعث في النفوس أسهل العقائد، وأقلها غموضاً، وأبعدها عن التقيد بالمراسم والطقوس،

(١) نفسه، ص ١١٨.
(٢) نفسه، ص ١١٩ - ١٢١.
(٣) نفسه، ص ١٢١.
(٤) ول ديورانت W. Durant
مؤلف أمريكي معاصر، يعد كتابه (قصة الحضارة) ذو الثلاثين مجلداً، واحداً من أشهر الكتب التي تؤرخ للحضارة البشرية عبر مساراتها المعقدة المتشابكة، عكف على تأليفه السنين الطوال، وأصدر جزأه الأول عام ١٩٣٥، ثم تلته بقية الأجزاء.
ومن كتبه المعروفة كذلك (قصة الفلسفة).

وأكثرها تحرراً من الوثنية والكهنوتية. وقد كان له أكبر الفضل في رفع مستوى المسلمين الأخلاقي والثقافي، وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية، وحرضهم على اتباع القواعد الصحية، وحرّر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام، ومن الظلم والقسوة، وحسّن أحوال الارقاء، وبعث في نفوس الأذلاء الكرامة والعزة، وأوجد بين المسلمين.. درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أية بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الابيض..»[1].

روزنثال[2]

[١]

«من الدوافع العملية لدراسة التاريخ توفر المادة التاريخية في القرآن مما دفع مفسريه إلى البحث عن معلومات تاريخية لتفسير ما جاء فيه. وقد أصبح الاهتمام بالمادة التاريخية، على مر الزمن، أحد فروع المعرفة التي تمت بالارتباط بالقرآن. وإذا كان الرسول [ﷺ] قد سمع بعض الأخبار والمعلومات التاريخية، فإن هذا لا يبرر الافتراض بأنه قد قرأ المصادر التاريخية كالتوراة في ترجماتها العربية. لقد وردت في القرآن معلومات تاريخية تختلف عما يدعي اليهود وجوده في التوراة. وقد ذكر الرسول [ﷺ] أن اليهود والنصارى حرفوا التوراة، وتمسك المسلمون بما جاء في القرآن.. لقد أشار القرآن إلى كثير من الأحداث التي أحاطت بالرسول [ﷺ].. وكان لذلك أهمية في التاريخ الإسلامي لأن الأحداث التي أشارت إليه الآيات صارت لها أهمية تاريخية كبرى للمسلمين، واستثارت البحوث التاريخية..»[3].

---

(١) قصة الحضارة، ص ١٣/٦٨ ـ ٦٩.

(٢) **فرانز روزنثال** — F. Rosenthal

من أساتذة جامعة ييل.

من آثاره: العديد من الدراسات والأبحاث في المجلات الشهيرة مثل (الثقافة الإسلامية)، (الشرقيات)، (صحيفة الجمعية الأمريكية الشرقية). كما ألف عدداً من الكتب من أشهرها: (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي)، و(علم التاريخ عند المسلمين).

(٣) علم التاريخ عند المسلمين، ص ٤١ ـ ٤٢.

ريسلر[1]

[١]

«. . لما كانت روعة القرآن في أسلوبه فقد [أنزل] ليقرأ ويتلى بصوت عال. ولا تستطيع أية ترجمة أن تعبر عن فروقه الدقيقة المشبعة بالحساسية الشرقية. ويجب أن تقرأه في لغته التي كتب بها لتتمكن من تذوق جمله وقوته وسمو صياغته. ويخلق نثره الموسيقى والمسجوع سحراً مؤثراً في النفس حيث تزخر الأفكار قوة وتتوهج الصور نضارة. فلا يستطيع أحد أن ينكر أن سلطانه السحري وسموه الروحي يسهمان في إشعارنا بأن محمداً [ﷺ] كان ملهماً بجلال الله وعظمته»[2].

[٢]

«كان في القرآن فوق أنه كتاب ديني خلاصة جميع المعارف. . وظل زمناً طويلاً أول كتاب يتخذ للقراءة إلى الوقت الذي شكل فيه وحدة كتاب المعرفة والتربية. ولا يزال حتى اليوم النص الذي تقوم عليه أسس التعليم في الجامعات الإسلامية. ولا تستطيع الترجمات أن تنقل ثروته اللغوية (إذ يذبل جمال اللغة في الترجمات كأنها زهرة قطفت من جذورها) ولذلك يجب أن يقرأ القرآن في نصه الأصلي»[3].

[٣]

«إن القرآن يجد الحلول لجميع القضايا، ويربط ما بين القانون الديني والقانون الأخلاقي، ويسعى إلى خلق النظام، والوحدة الاجتماعية، وإلى تخفيف البؤس والقسوة والخرافات. إنه يسعى إلى الأخذ بيد المستضعفين، ويوصي بالبر، ويأمر بالرحمة. . وفي مادة التشريع وضع قواعد لأدق التفاصيل للتعاون اليومي، ونظم العقود والمواريث، وفي ميدان الأسرة حدد سلوك كل فرد تجاه معاملة الأطفال والارقاء والحيوانات والصحة والملبس، الخ. .»[4].

---

(١) جاك . س . ريسلر J. S. Restler
باحث فرنسي معاصر، وأستاذ بالمعهد الإسلامي بباريس.
(٢) الحضارة العربية، ص ٣٠ - ٣١ . (٣) نفسه، ص ٤٥ .
(٤) نفسه، ص ٥١ .

[٤]

«. . حقاً، لقد ظلت شريعة القرآن راسخة على أنها المبدأ الأساسي لحياة المسلم ولم يتعرض ما جاء في القرآن من نظر وأخلاق ونظام لأية تغييرات ولا لتبديلات بعيدة الغور»(١).

[٥]

«يظل القـرآن طيلة القـرون الأولى للهجرة من جهة المبدأ مصدر الإلهام لكل العقلية الإسـلامية فهـو يضم بين أطرافه الأفكار والأحاسيس الضرورية والكافية لتزويد أعظم الدراسات في الفكر»(٢).

سـارتـون(٣)

[١]

«[إن] لغة القرآن على اعتبار أنها اللغة التي اختارها الله جلّ وعلا للوحي كانت، بهذا التحديد، كاملة. . . وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعـلى في التعبـير عن المقـاصد، . . [وجعل منها] وسيلة دولية للتعبير عن اسمى مقتضيات الحياة»(٤).

(١) نفسه، ص ٧٥ . (٢) نفسه، ص ٢١٢ .

(٣) **جورج سارتون (١٨٨٤ ـ ١٩٥٦)** G. Sarton
ولد في بلجيكا، وحصل على الدكتوراه في العلوم الطبيعية والرياضية (١٩١١)، فلما نشبت الحرب رحل إلى إنكلترا، ثم تحول عنها إلى الولايات المتحدة، وتجنّس بجنسيّتها فعين محاضراً في تاريخ العلم بجامعة واشنطن (١٩١٦)، ثم في جامعة هارفارد (١٩١٧ ـ ١٩٤٩). وقد انكب على دراسة اللغة العربية في الجامعة الأمريكية ببيروت (١٩٣١ ـ ١٩٣٢) وألقى فيها وفي كلية المقاصد الإسلامية محاضرات ممتعة لتبيان فضل العرب على التفكير الانساني، زار عدداً من البلدان العربية، وتمرس بالعديد من اللغات، ومنح عدة شهادات دكتوراه كما انتخب عضواً في عشرة مجامع علمية وفي عديد من الجمعيات العالمية، وأشرف على عدد من المجلات العلمية.
من آثـاره: خلف أكثر من خمسمائة بحث، وخير تصانيفه وأجمعها: (المدخل إلى تاريخ العلم) في خمسة مجلدات (١٩٢٧، ١٩٣١، ١٩٤٧).

(٤) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ص ٣٧ ـ ٣٨ .

ستشيجفسكا[1]

[١]

«إن القرآن الكريم مع أنه أنزل على رجل عربي أمي نشأ في أمة أمية، فقد جاء بقوانين لا يمكن أن يتعلمها الإنسان إلّا في أرقى الجامعات. كما نجد في القرآن حقائق علمية لم يعرفها العالم إلا بعد قرون طويلة»[2].

ستيفنز[3]

[١]

«في تلك الفترة من حياتي بدا لي وكأنني فعلت كل شيء وحققت لنفسي النجاح والشهرة والمال والنساء.. كل شيء، ولكن كنت مثل القرد أقفز من شجرة إلى أخرى ولم أكن قانعاً أبداً. ولكن كانت قراءة القرآن بمثابة توكيد لكل شيء بداخلي كنت أراه حقاً، وكان الوضع مثل مواجهة شخصيتي الحقيقية»[4].

[٢]

«القرآن الكريم يقرر الكثير عن الزواج، وعن العلاقة بين الرجل والمرأة، وعن أي موضوع آخر تقريباً»[5].

---

(١) يوجينا غيانة ستشيجفسكا Bozena - Gajane Stryzewska
باحثة بولونية معاصرة، درست الإسلام في الأزهر على يد أساتذة ومشرفين أخصائيين زهاء خمس سنوات (١٩٦١ ـ ١٩٦٥)، تمكنت خلالها من اللغة العربية كذلك، وكانت قد أنهت دراساتها العليا في كلية الحقوق، وفي معهد اللغات الشرقية في بولونيا.

(٢) تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، ص ١٧ .

(٣) كات ستيفنز C. Stephens
المغني البريطاني ـ نمساوي الأصل ـ المشهور. بيع من أسطواناته ما يقدر بالمليون في الستينات وأوائل السبعينات، اعتنق الإسلام عام ١٩٧٦ بعد أن تعرف على القرآن الكريم بواسطة شقيقه. يقضي الآن معظم وقته في المسجد ويلعب دوراً فعالاً في شئون الجالية الإسلامية في لندن

(٤) رجال ونساء أسلموا، ١٠٣/١٠ .

(٥) نفسه، ١٠٣/١٠ .

سلهب[1]

[١]

«إن الآية التي أستطيب ذكرها هي التي تنبع سماحاً إذ تقول: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن - إلا الذين ظلموا منهم - وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون﴾**[2]. ذلك ما يقوله المسلمون للمسيحيين وما يؤمنون به لأنه كلام الله إليهم. إنها لعبارات يجدر بنا جميعاً، مسيحيين ومسلمين، أن نرددها كل يوم، فهي حجارة الأساس في بناءٍ نريده أن يتعالى حتى السماء، لأنه البناء الذي فيه نلتقي والذي فيه نلقى الله: فحيث تكون المحبة يكون الله. والواقع أن القرآن يذكر صراحة أن الكتب المنزلة واحدة، وان أصلها عند الله، وهذا الأصل يدعى حيناً (أم الكتاب) وحيناً آخر (اللوح المحفوظ) أو (الإمام المبين). . »[3].

[٢]

« . . إن محمداً [ﷺ] كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب. فإذا بهذا الأمي يهدي الإنسانية أبلغ أثر مكتوب حلمت به الإنسانية منذ كانت الإنسانية ذاك كان القرآن الكريم، الكتاب الذي أنزله الله على رسوله هدى للمتقين. . »[4].

[٣]

« . . الإسلام ليس بحاجة إلى قلمنا، مهما بلغ قلمنا من البلاغة. ولكن قلمنا

---

(١) نصري سلهب S. Salhab
مسيحي من لبنان، يتميز بنظرته الموضوعية وتحريه للحقيقة المجردة، كما عرف بنشاطه الدؤوب لتحقيق التعايش السلمي بين الإسلام والمسيحية في لبنان، - كما يزعم - إنْ على مستوى الفكر أو على مستوى الواقع. وعبر الستينات كتب العديد من الفصول والقى العديد من المحاضرات في المناسبات الإسلامية والمسيحية على السواء، متوخياً الهدف نفسه.
من مؤلفاته: (لقاء المسيحية والإسلام) (١٩٧٠)، و(في خطى محمد) (١٩٧٠).

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٣) لقاء المسيحية والإسلام، ص ٢٢.

(٤) نفسه، ص ٩٤.

بحاجة إلى الإسلام، إلى ما ينطوي عليه من ثروة روحية وأخلاقية، إلى قرآنه الرائع الذي بوسعنا أن نتعلم منه الكثير»[1].

[٤]

«لم يقدّر لأي سفر، قبل الطباعة، أيا كان نوعه وأهميته، أن يحظى بما حظى به القرآن من عناية واهتمام، وأن يتوفرّ له ما توفرّ للقرآن من وسائل حفظته من الضياع والتحريف، وصانته عما يمكن أن يشوب الاسفار عادة من شوائب»[2].

[٥]

«تلك اللغة التي أرادها الله قمة اللغات، كان القرآن قمتها، فهو قمة القمم، ذلك بأنه كلام الله . . »[3].

سوسه[4]

[١]

«يرجع ميلي إلى الإسلام . . حينما شرعت في مطالعة القرآن الكريم للمرة الأولى . . فولعت به ولعاً شديداً . . وكنت أطرب لتلاوة آياته . . »[5].

---

(١) نفسه، ص ١٢١ .   (٢) نفسه، ص ٣٣٧ .

(٣) نفسه، ص ٣٤٢ .

(٤) الدكتور أحمد نسيم سوسه   Dr. A. N. Sousa

باحث مهندس من العراق، وعضو في المجمع العلمي العراقي، وواحد من أبرز المختصين بتاريخ الري في العراق، كان يهودياً فاعتنق الإسلام متأثراً بالقرآن الكريم، وتوفي قبل سنوات قلائل.

ترك الكثير من الدراسات في مختلف المجالات وخاصة في تاريخ الريّ، وفنّد في عدد منها ادعاءات الصهيونية العالمية من الناحية التاريخية، ومن مؤلفاته الشهيرة: (مفصل العرب واليهود في التاريخ)، و(في طريقي إلى الإسلام) الذي تحدث فيه عن سيرة حياته.

(٥) في طريقي إلى الإسلام، ١/٥١ .

[٢]

«. . الـواقع أن تحوير وتبديل مصاحف اليهود أثرٌ أجمع عليه العلماء في عصرنا الحالي نتيجة الدرس والتنقيب وقد جاء ذلك تأييداً علمياً للأقوال الربانية التي أوحيت قبل نيف وثلاثة عشر قرنا على لسان النبي العربي الكريم ﷺ. أما الفرقان المجيد. . فقـد حافظ المسلمون عليه بحرص شديد وأمانة صادقة فهو حقاً الكتاب المقدس الفريد الذي أجمع الكل على سلامته وطهارته من التلاعب والتحوير، وما على القارىء إلا أن يطالع ما كتبه المستشرقون في هذا الباب. . الذين وصفوا كيفية جمعه وتدوينه، وهؤلاء أجانب غرباء كثيراً ما يصوّبون أسهمهم الناقدة السامة نحو الإسلام. والواقع أن الدلائل التاريخية واضحة بأجلى وضوح مما لا يترك أي شك في أن الفرقان الكريم لم يطرأ عليه أي تحريف أو تحوير وقد جاء كلام الله بكامله على لسان نبيه ﷺ دون أن يتغير فيه حرف واحد»[1].

[٣]

«ورد في القرآن أنه جاء مهيمناً على ما بين يديه من الكتاب، ويستدل من ذلك أن التعـاليم الالهية المقـدسة الأصلية قد ضمن القرآن المحافظة عليها بما أوضحه من الحقيقة باظهار الصحيح والدخيل في الكتب الرائجة في زمان نزوله، وعليه فيكون بهذا البيان والايضاح قد جاء خير مهيمن على كتب الله الحقيقية وخير حافظ اياها من التلاعب»[2].

[٤]

«الواقع أنه يتعذر على المرء الذي لم يتقن اللغة العربية ولم يضطلع بآدابها أن يدرك مكانة هذا الفرقان الإلهي وسموه وما يتضمنه من المعجزات المبهرة، ولما كان القرآن الكريم قد تناول كل أنواع التفكير والتشريع فقد يكون من العسير على إنسان واحد أن يحكم في هذه المواضع كلها. وهل من مناص للمرء من الانجذاب إلى معجزة القرآن بعد تمعنه في أمّية نبي الإسلام ووقوفه على أسرار حياة الرسول ﷺ. . فقد

---

(١) نفسه، ص ١/٨٦.
(٢) نفسه، ١/٨٧.

جعل الله تعالى معجزة القرآن وأمّية محمد ﷺ برهاناً على صدق النبوة وصحة انتساب القرآن له . . »[1].

[٥]

«إن معجزة القرآن الكريم هي أكثر بروزاً في عصرنا الحالي، عصر النور والعلم، مما كانت عليه في الأزمنة التي سادها الجهل والخمول . . »[2].

سيديو[3]

[١]

«لا تجد في القرآن آية إلا توحي بمحبة شديدة لله . . وفيه حث كبير على الفضيلة خلال تلك القواعد الخاصة بالسلوك الخلقي . . وفيه دعوة كبيرة إلى تبادل العواطف وحسن المقاصد والصفح عن الشتائم، وفيه مقت للعجب والغضب، وفيه إشارة إلى أن الذنب قد يكون بالفكر والنظر، وفيه حض على الايفاء بالعهود حتى مع الكافرين، وتحريض على خفض الجناح والتواضع، وعلى استغفار الناس لمن يسيئون إليهم، لا لعنهم ويكفي جميع تلك الأقوال الجامعة المملوءة حكمة ورشداً لاثبات صفاء قواعد الأخلاق في القرآن . . إنه أبصر كلَّ شيء . . »[4].

[٢]

« . . صلح القرآن ليكون نموذجاً للأسلوب وقواعد النحو . فأوجب ذلك نشوء علم اللغة، فظهور علم البيان الذي درس فيه تركيب الكلام ومقتضى الحال والبديع

---

(١) نفسه، ١/١٨٢ ـ ١٨٣ .   (٢) نفسه، ١/١٨٥ .

(٣) لويس سيديّو (١٨٠٨ ـ ١٨٧٦) L. Sédillot
مستشرق فرنسي عكف على نشر مؤلفات أبيه جان جاك سيديو الذي توفي عام ١٨٣٢ قبل أن تتاح له فرصة إخراج كافة أعماله في تاريخ العلوم الإسلامية . وقد عين لويس أميناً لمدرسة اللغات الشرقية (١٨٣١) وصنف كتاباً بعنوان (خلاصة تاريخ العرب) فضلاً عن (تاريخ العرب العام)، وكتب العديد من الأبحاث والدراسات في المجلات المعروفة .

(٤) تاريخ العرب العام، ص ٨٩، ٩٨ ـ ٩٩، ١٠٠، ١١٧ .

وأوجه البلاغة، وأضحى لصناعة قراءة القرآن وتفسيره أكثر من مئة فرع، فأدى هذا إلى مالا حصر له من التأليف في كل منها، واغتنت اللغة العربية بتعابير جديدة كثيرة بعيدة من الفساد بمخالطة اللغات الأخرى. .»[1].

[٣]

«مما يجدر ذكره أن يكون القرآن، بين مختلف اللغات التي يتكلم بها مختلف الشعوب الإسلامية في آسيا حتى الهند، وفي افريقية حتى السودان، كتاباً يفهمه الجميع، وأن يربط القرآن هذه الشعوب المتباينة الطبائع برابط اللغة والمشاعر. .»[2].

سيرويا[3]

[١]

«. . القرآن من الله بأسلوب سام رفيع لا يدانيه أسلوب البشر، وهو في الوقت عينه، (ثورة عقيدية، هذه الثورة العقيدية لا تعترف - لا بالبابا ولا أي مجمع لعلماء الكهنوت والقساوسة)، حيث لم يشعر الإسلام يوما بالخشية والهلع من قيام مبدأ التحكيم العقلي الفلسفي فإذا قارنا الإسلام باليهودية والمسيحية نجد بعض الخطوط المميزة والتي لا تبدو مطابقة تماماً خاصة مع المسيحية. . فالنظام المسيحي اليهودي يخالف الإسلام حيث لا يوجد فراغ بين الخالق والخلق البشري، هذا الفراغ لدى اليهود والمسيحيين مليء بالواسطة. . ولا شيء من هذا يتفق مع الإسلام. فمحمد [ﷺ] مع كونه مبعوثاً ورسولاً من لدن الله لم يتظاهر بانكار دعوات كل من موسى وعيسى، كل مجهوده انحصر في تنقيتها على ما جاء في القرآن، الذي وضع في العام الأول مهاجمة مبدأ الثلاثية منبهاً إلى أن عيسى ليس سوى رجل ابن مريم وليس بابن الله والقول بأن الله له ولد، هذا شرك كبير تنشق له السماء وتنفتح له الأرض وتنسحق

(١) نفسه، ص ٤٥٨ .	(٢) نفسه، ص ٤٥٨ .

(٣) هنري سيرويا H. Serouya

مستشرق فرنسي.

من آثاره: (موسى بن ميمون: ترجمته وأثاره وفلسفته) (١٩٢١)، (الصوفية والمسيحية واليهودية)، (فلسفة الفكر الإسلامي).

له الجبال. أما روح القدس فما هو إلا بمثابة ملاك مثل جبريل دوره هو أن ينقل إلى عيسى ومحمد [ﷺ] الدعوة المقدسة، أما مريم فهي مريم العذراء وليست بأم الله..»[1].

شـــاد[2]

[١]

«.. عنـدمـا آمنت بالتوحيد بدأت أبحث عن الحجج والبراهين التي تثبت أن القرآن هو كتاب الله تعالى وأنه آخر الكتب السماوية وخاتمها. وإنني أحمد الله إذ مكنني من حل هذه المسألة. فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يعترف بكافة الكتب السماوية الأخرى، بينما نجد أنها جميعاً يرفض بعضها بعضا.. وهذه في الحقيقة هي إحدى خصائص ومميزات القرآن الكريم، آخر الكتب السماوية وخاتمها»[3].

[٢]

«.. إن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يحفظه عن ظهر قلب ألوف مؤلفة من البشر في مختلف بقاع الأرض، بينما نجد أن الكتب المقدسة الأخرى محفوظة بالخط المطبوع فقط. ومن هنا لو حدث لسبب أو لآخر أن أختفت الكتب المطبوعة يظل القرآن هو كتاب الله الوحيد المحفوظ في الصدور. وهكذا يحق له أن يتباهى بأنه ظل في مأمن من التحريف لم ينقص منه حرف واحد ولم يزد فيه حرف واحد منذ أن نزل به الوحي على رسول الله ﷺ. فليست هناك أية تناقضات ولا أخطاء من أي نوع في القرآن الكريم، هذا في الوقت الذي تعاني فيه الكتب السماوية الأخرى في نسختها الحالية من الكثير من التغيير والتبديل. وهذا سبب آخر جعلني أؤمن بالإسلام»[4].

---

(١) فلسفة الفكر الإسلامي، ص ٣٢ ـ ٣٣.

(٢) بشير أحمد شاد Basheer A. Shad

ولد عام ١٩٢٨، لأسرة نصرانية هندية بقرية ديان جالو الهندية، كان أبوه ماتياس مبشراً نصرانياً ولذا حرص على تنشئة أبنه على ذات الطريق، في عام ١٩٤٧ أكمل دراسته وبدأ يعمل مبشراً في لاهور، لكنه مثل كثيرين غيره ما لبث أن فقد قناعاته ـ كلّية ـ بالنصرانية وانتهى به الأمر بعد عشرين سنة من البحث والمعاناة إلى إعلان إسلامه، (حزيران عام ١٩٦٨).

(٣) رجال ونساء أسلموا، ص ٧/١٩ ـ ٢٠.

(٤) نفسه، ص ٧/٢٠.

فاغليري[1]

[١]

«إن معجزة الإسلام العظمى هي القرآن الذي تنقل إلينا الرواية الراسخة غير المنقطعة، من خلاله، أنباء تتصف بيقين مطلق. إنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته. إن كلاً من تعبيراته شامل جامع، ومع ذلك فهو ذو حجم مناسب، ليس بالطويل أكثر مما ينبغي، وليس بالقصير أكثر مما ينبغي. أما أسلوبه فأصيل فريد. وليس ثمة أيما نمط لهذا الأسلوب في الأدب العربي تحدر إلينا من العصور التي سبقته. والأثر الذي يحدثه في النفس البشرية إنما يتم من غير أيما عون عرضي أو إضافي من خلال سموه السليقيّ. إن آياته كلها على مستوى واحد من البلاغة، حتى عندما تعالج موضوعات لابدّ أن تؤثر في نَفَسها وجرسها كموضوع الوصايا والنواهي وما إليها. إنه يكرر قصص الأنبياء [عليهم السلام] وأوصاف بدء العالم ونهايته، وصفات الله وتفسيرها، ولكن يكررها على نحو مثير إلى درجة لا تضعف من أثرها. وهو ينتقل من موضوع إلى موضوع من غير أن يفقد قوته. إننا نقع هنا على العمق والعذوبة معا - وهما صفتان لا تجتمعان عادة - حيث تجد كل صورة بلاغية تطبيقاً كاملاً فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد [ﷺ]، وهو العربي الأميّ الذي لم ينظم طوال حياته غير بيتين أو ثلاثة أبيات لا ينمّ أي منها عن أدنى موهبة شعرية؟»[2].

[٢]

«لا يزال لدينا برهان آخر على مصدر القرآن الالهي في هذه الحقيقة: وهي أن نصّه ظل صافياً غير محرف طوال القرون التي تراخت ما بين تنزيله ويوم الناس هذا، وأن نصه سوف يظل على حاله تلك من الصفاء وعدم التحريف، بإذن الله، مادام الكون»[1].

---

(١) لورا فيشيا فاغليري — L. Veccia Vaglieri

باحثة إيطالية معاصرة انصرفت إلى التايخ الإسلامي قديماً وحديثاً، وإلى فقه العربية وادابها.

من أثارها: (قواعد العربية) في جزئين (١٩٣٧ - ١٩٤١)، و(الإسلام) (١٩٤٦)، و(دفاع عن الإسلام) (١٩٥٢)، والعديد من الدراسات في المجلات الاستشراقية المعروفة.

(٢) دفاع عن الإسلام، ص ٥٦ - ٥٧.

(٣) نفسه، ص ٥٨ - ٥٩.

[٣]

«إن هذا الكتاب، الذي يتلى كل يوم في طول العالم الإسلامي وعرضه، لا يوقع في نفس المؤمن أيما حسّ بالملل. على العكس، إنه من طريق التلاوة المكرورة يحبب نفسه إلى المؤمنين أكثر فأكثر يوما بعد يوم. إنه يوقع في نفس من يتلوه أو يصغى إليه حسّاً عميقاً من المهابة والخشية. إن في إمكان المرء أن يستظهره في غير عسر، حتى إننا لنجد اليوم، على الرغم من انحسار موجة الإيمان، آلافاً من الناس القادرين على ترديده عن ظهر قلب. وفي مصر وحدها عدد من الحفاظ أكثر من عدد القادرين على تلاوة الأناجيل عن ظهر قلب في أوروبا كلها». [1].

[٤]

«إن إنتشـــار الإســلام السريع لم يتم لا عن طريق القـوة ولا بجهـود المبشرين المـوصـولـة. إن الـذي أدى إلى ذلك الانتشار كون الكتاب الذي قدمه المسلمون للشعـوب المغلوبة، مع تخييرها بين قبوله ورفضه، كتاب الله، كلمة الحق، أعظم معجزة كان في ميسور محمد [ﷺ] أن يقدمها إلى المترددين في هذه الأرض»[2].

[٥]

«فيما يتصل بخلق الكون فإن القرآن على الرغم من إشارته إلى الحالة الأصلية وإلى أصل العالم.. لا يقيم أيما حدّ مهما يكن في وجه قوى العقل البشري، ولكنه يتركها طليقة تتخذ السبيل الذي تريد..»[3].

---

(١) نفسه، ص٥٩.

(٢) نفسه، ص ٥٩.

(٣) نفسه، ص ٦٠.

فايس[1]

[١]

«هكذا، بإلماح إلى وعي الإنسان وعقله ومعرفته بدأ تنزيل القرآن . . »[2].

[٢]

«أصبحت السا (زوجتي)، شأني أنا، أكثر تأثراً مع الوقت بذلك الالتئام الباطني بين تعاليم [القرآن] الأخلاقية وتوجيهاته العملية. إن الله بمقتضى القرآن، لم يطلب خضوعاً أعمى من جانب الإنسان بل خاطب عقله: إنه لا يقف بعيداً عن مصير الإنسان بل إنه (أقرب إليك من حبل الوريد) إنه لم يرسم أي خط فاصل بين الإيمان والسلوك الاجتماعي»[3].

[٣]

« . . لقد عرفت الآن، بصورة لا تقبل الجدل، أن الكتاب الذي كنت ممسكاً به في يدي كان كتاباً موحى به من الله. فبالرغم من أنه وضع بين يدي الإنسان منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا فإنه توقع بوضوح شيئاً لم يكن بالإمكان أن يصبح حقيقة إلا في عصرنا هذا المعقد، الآلي. لقد عرف الناس التكاثر في جميع العصور والأزمنة ولكن هذا التكاثر لم ينته قط من قبل إلى أن يكون مجرد اشتياق إلى أمتلاك الأشياء وإلى أن يصبح ملهاة حجبت رؤية أيما شيء آخر. اليوم أكثر من أمس وغداً أكثر من اليوم . . لقد عرفت أن هذا[4] لم يكن مجرد حكمة إنسانية من إنسان عاش في الماضي البعيد في

---

(١) ليوبولد فايس (محمد أسد) L. Weiss

مفكر، وصحفي نمساوي، أشهر إسلامه، وتسمى بمحمد أسد، وحكى في كتابه القيم (الطريق إلى مكة) تفاصيل رحلته إلى الإسلام. وقد أنشأ بمعاونة وليم بكتول، الذي أسلم هو الآخر، مجلة (الثقافة الإسلامية)، في حيدر آباد، الدكن (١٩٢٧) وكتب فيها دراسات وفيرة معظمها في تصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام.

من آثاره: ترجم صحيح البخاري بتعليق وفهرس، وألف (أصول الفقه الإسلامي)، و(الطريق إلى مكة)، و(منهاج الإسلام في الحكم)، و(الإسلام على مفترق الطرق).

(٢) الطريق إلى مكة، ص ٣٠٣. (٣) نفسه، ص ٣١٨.

(٤) يشير إلى سورة التكاثر التي أخبرت بإعجاز عن أزمة القرن العشرين.

جزيرة العرب النائية فمهما كان هذا الإنسان على مثل هذا القدر من الحكمة فإنه لم يكن يستطيع وحده أن يتنبأ بالعذاب الذي يتميز به هذا القرن العشرون. لقد كان ينطق لي، من القرآن، صوت أعظم من صوت محمد»[1].

فيشر[2]

[١]

«إن القرآن كلام الله يشد فؤاد المسلم، وتزداد روعته حين يتلى عليه بصوت مسموع، ولكنه لا يفهم هذه الروعة كما لم يفهمها زملاؤه الذين سبقوه إلى الاعتراف ببلاغة القرآن، واعتماداً على أثره البليغ في قلوب قرّائه وسامعيه، ثم يقفون عند تقرير هذه البلاغة بشهادة السماع»[3].

[٢]

«. . إن القرآن كتاب تربية وتثقيف، وليس كل ما فيه كلاماً عن الفرائض والشعائر، وان الفضائل التي يحث عليها المسلمين من أجمل الفضائل وأرجحها في موازين الأخلاق، وتتجلى هداية الكتاب في نواهيه كما تتجلى في أوامره . . »[4].

---

(١) نفسه، ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ .

(٢) الدكتور سدني فيشر Sydney Fisher
أستاذ التاريخ في جامعة أوهايو الأمريكية، وصاحب الدراسات المتعددة في شئون البلاد الشرقية التي يدين الأكثرون من أبنائها بالإسلام. مؤلف كتاب (الشرق الأوسط في العصر الإسلامي) والذي يناقش فيه العوامل الفعالة التي يرجع إليها تطور الشعوب والحوادث في هذه البلاد وأولها الإسلام.

(٣) الشرق الأوسط في العصر الإسلامي، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٥٤ .

(٤) نفسه، ص ٥٤ .

جب[1]

[١]

«إذا رأى أحد أن الحاح القرآن على فعل الخير غير كثير اثبتنا له بالحجة القاطعة خطأه وسقنا إليه ذلك التعريف الشامل للبر في تلك الآية العظيمة **﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وآتي المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة وأتى الزكاة، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾**[2]. فالبر إذن تاج الإيمان الحق، حين يدرك المؤمن أخيراً أن الله شاهد ابداً، ويستجيب لشهود في كل أفكاره وأعماله»[3].

[٢]

«هذه، إذن، هي الرسالة التي بلغها القرآن إلى الجيل الأول من المسلمين وظل يبلغها إلى جميع الأجيال منذ عهدئذ. فالقرآن سجل لتجربة حية مباشرة في ميدان الألوهية، تجربة ذات طرفين: واحد مطلق وآخر متصل بشؤون الحياة العامة، ودعوة للمخلوق كي ينظم حياته ليتمكن من الأخذ بنصيب في تلك التجربة. وحين يتبع المسلم أوامر القرآن ويسعى ليستكنه روح تعاليمه، لا بفكره فحسب بل بقلبه وروحه أيضاً، فإنه يحاول أن يستملك شيئا من الرؤى الحدسية ومن التجربة التي كانت للرسول الحبيب. ويعظم في عينيه مغزى كل آية فيه، لإيمانه بأنه كلام الله. ولو لم

---

(١) سير هاملتون الكساندر روسكين جب ١٨٩٥-١٩٦٧ Prof. Sir Hamilton A. R. Gibb

يعد إمام المستشرقين الانكليز المعاصرين، أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن سنة ١٩٣٠، وأستاذ في جامعة أكسفورد منذ سنة ١٩٣٧، وعضو مؤسس في المجمع العلمي المصري، تفرغ للأدب العربي وحاضر بمدرسة المشرقيات بلندن.

من آثاره: (دراسات في الآداب العصرية) (١٩٢٦)، (الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى وعلاقتها ببلاد الصين)، (رحلات ابن بطوطة)، (اتجاهات الإسلام المعاصرة)، وهو أحد محرري دائرة المعارف الإسلامية.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٧٧.

(٣) دراسات في حضارة الإسلام، ص ٢٥٤.

يكن هذا الإيمان شعبة من عقيدته لما تناقصت قيمته لديه من حيث هو منبع حي للالهام والاستبصار الديني»[1].

[٣]

«مهما يكن أمر استمداد الإسلام من الأديان التي سبقته فذلك لا يغير هذه الحقيقة أيضاً وهي : أن المواقف الدينية التي عبر عنها القرآن ونقلها إلى الناس تشمل بناء دينيا جديداً متميزاً»[2].

[٤]

« . . على الرغم مما قام به العلماء المتأخرون من تطوير لعلم كلام اسلامي منهجي ، يبقى صحيحا ما ذكرناه سابقاً وهو: أن جمهور الجماعة الإسلامية كان يتألف من شعوب أحدثت لديها ممارسة حقائق الدين ممارسة حدسية أثراً أقوى وأسرع من كل أثر خلفه أي قدر من الجدل العقلي أو من حذاقته وبراعته»[3].

[٥]

«إننا نخطىء خطأً فاحشاً إذا أقتصرنا على النظر إلى هذه العقيدة نظرتنا لمذهب لاهوتي اتقن بشكل وراثي من جيل إلى جيل منذ ألف وثلاثمائة سنة . إنها على العكس من ذلك يقين وإيمان حي يتجدد ويتأكد باستمرار في قلوب المسلمين وأرواحهم وأفكارهم ، ولدى العربي بشكل خاص ، حين يدرس النصّ المقدس . لقد عارض المذهب السني المتمسك بشكل عام ترجمة القرآن إلى اللغات الإسلامية الأخرى على الرغم من أن النص العربي يظهر في بعض الأحيان مقترنا بترجمة تركية أو فارسية أو أوردية وغيرها من اللغات . إن هذا الموقف يستند على محاكمة شرعية متماسكة تصوغ حججها إلى حد ما بشكل عقلاني مستندة في ذلك على اعتبارات بعيدة عن هذا الشكل العقلاني. والواقع أن القرآن لا يمكن ترجمته بشكل أساسي كما هي الحال

---

(١) نفسه، ص ٢٥٤ . (٢) نفسه، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .
(٣) نفسه، ص ٢٥٥ .

بالنسبة للشعر الرفيع. إذ ليس بالامكان التعبير عن مكنون القرآن باللغة العادية، ولا يمكن أن يعبر عن صوره وأمثاله لأن كل عطف أو مجاز أو براعة لغوية يجب أن تدرس طويلاً قبل أن ينبثق المعنى للقارىء. والقرآن كذلك له حلاوة وطلاوة ونظم بديع مرتب لا يمكن تحديده لأنها تعد بسحرها أفكار الشخص الذي يصغي إلى القرآن لتلقي تعاليمه. ولا شك أن تأويل كلمات القرآن إلى لغة أخرى لا يمكن إلّا أن يشوهها ويحول الذهب النقيّ إلى فخار. .»[1].

كوبولد[2]

[١]

«. . وذكرتُ أيضاً ما جاء في القرآن عن خلق العالم وكيف أن الله سبحانه وتعالى قد خلق من كل نوع زوجين، وكيف أن العلم الحديث قد ذهب يؤيد هذه النظرية بعد بحوث مستطيلة ودراسات امتدت أجيالاً عديدة»[3].

[٢]

«إن أثر القرآن في كل هذا التقدم [الحضاري الإسلامي] لا ينكر، فالقرآن هو الذي دفع العرب إلى فتح العالم، ومكنهم من انشاء امبراطورية فاقت امبراطورية الاسكندر الكبير، والامبراطورية الرومانية سعة وقوة وعمرانا وحضارة. .»[4].

[٣]

«الواقع أن جمل القرآن، وبديع أسلوبه أمرٌ لا يستطيع له القلم وصفاً ولا تعريفاً، ومن المقرر أن تذهب الترجمة بجماله وروعته وما ينعم به من موسيقى لفظية لست

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص ٣٠ ـ ٣١ .

(٢) اللادي ايفلين كوبولد — Lady E. Cobold
نبيلة انكليزية، اعتنقت الإسلام وزارت الحجاز، وحجت إلى بيت الله، وكتبت مذكراتها عن رحلتها تلك في كتاب لها بعنوان: (الحج إلى مكة) (لندن ١٩٣٤) والذي ترجم إلى العربية بعنوان: (البحث عن الله).

(٣) البحث عن الله، ص ٤٥ .

(٤) نفسه، ص ٥١ .

تجدها في غيره من الكتب. ولعل ما كتبه المستشرق جوهونسن بهذا الشأن يعبر كل التعبير عن رأي مثقفي الفرنجة وكبار مفكريهم قال: (إذا لم يكن شعراً، وهو أمرٌ مشكوك به، ومن الصعب أن يقول المرء بأنه من الشعر أو غيره، فإنه في الواقع أعظم من الشعر، وهو إلى ذلك ليس تاريخاً ولا وصفاً، ثم هو ليس موعظة كموعظة الجبل ولا هو يشابه كتاب البوذيين في شيء قليل أو كثير، ولا خطبا فلسفية كمحاورات أفلاطون، ولكنه صوت النبوة يخرج من القلوب السامية، وإن كان عالمياً في جملته، بعيد المعنى في مختلف سوره وآياته، حتى أنه يردد في كل الاصقاع، ويرتل في كل بلد تشرق عليه الشمس»[1].

[٤]

«أشار الدكتور ماردريل المستشرق الافرنسي الذي كلفته الحكومة الافرنسية بترجمة بعض سور القرآن، إلى ما للقرآن الكريم من مزايا ليست توجد في كتاب غيره وسواه فقال: (أما أسلوب القرآن فإنه أسلوب الخالق عز وجل وعلا، ذلك أن الأسلوب الـذي ينطوي عليه كنه الكائن الذي صدر عنه هذا الأسلوب لا يكون إلا إلهياً. والحق والواقع أن أكثر الكتاب ارتيابا وشكاً قد خضعوا لتأثير سلطانه وسحره، وأن سلطانه على ملايين المسلمين المنتشرين على سطح المعمور لبالغ الحدّ الذي جعل أجانب المبشرين يعترفون بالاجماع بعدم إمكان إثبات حادثة واحدة محققة ارتد فيها أحد المسلمين عن دينه إلى الآن. ذلك أن هذا الأسلوب.. الذي يفيض جزالة في اتساق منسق متجانس. كان لفعله الأثر العميق في نفس كل سامع يفقه اللغة العربية، لذلك كان من الجهد الضائع الذي لا يثمر أن يحاول المرء [نقل] تأثير هذا النثر البديع الذي لم يسمع بمثله بلغة اخرى..»[2].

[٥]

«الـواقع أن للقرآن أسلوباً عجيباً يخالف ما كانت تنهجه العرب من نظم ونثر، فَحُسْنُ تأليفِـه، والتئـامُ كلماتـه، ووجـوه إيجازه، وجودة مقاطعه، وحسن تدليله، وانسجام قصصه، وبديع أمثاله، كل هذا وغيره جعله في أعلى درجات البلاغة،

---

(١) نفسه، ص ١١١-١١٢.
(٢) نفسه، ص ١١٢-١١٣.

وجعل لأسلوبه من القوة ما يملأ القلب روعة، لا يمل قارئه ولا يخلق بترديده.. قد امتاز بسهولة ألفاظه حتى قلّ أن تجد فيها غريبا، وهي مع سهولتها جزلة عذبة، وألفاظه بعضها مع بعض متشاكله منسجمة لا تُحِسُّ فيها لفظاً نابيا عن أخيه، فإذا أضفت إلى ذلك سموّ معانيه أدركت بلاغته وإعجازه»[1].

كويليام[2]

[١]

«من الوجه العلمي، بصرف النظر عن أنه كتاب موحى به، فالقرآن أبلغ كتاب في الشرق.. (وهو حافل بالمجازات السامية مليء بالاستعارات بالباهرة)..»[3].

[٢]

«أحكام القرآن ليست مقتصرة على الفرائض الأدبية والدينية.. إنه القانون العام للعالم الإسلامي، وهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية والقضائية والجنائية والجزائية. ثم هو قانون ديني يدار على محوره كل أمر من الأمور الدينية إلى أمور الحياة الدنيوية، ومن حفظ النفس إلى صحة الأبدان، ومن حقوق الرعية إلى حقوق كل فرد، ومن منفعة الإنسان الذاتية إلى منفعة الهيئة الاجتماعية، ومن الفضيلة إلى الخطيئة، ومن القصاص في هذه الدنيا إلى القصاص في الآخرة.. وعلى ذلك فالقرآن يختلف ماديا عن الكتب المسيحية المقدسة التي ليس فيها شيء من الأصول الدينية بل هي في الغالب مركبة من قصص وخرافات واختباط عظيم في الأمور التعبدية.. وهي غير معقولة وعديمة التأثير»[4].

---

(١) نفسه، ص ١١٣.

(٢) **عبد الله كويليام** Kwelem

مفكر انكليزي، ولد سنة ١٨٥٦، وأسلم سنة ١٨٨٧، وتلقب باسم: (الشيخ عبدالله كويليام).

من آثاره: (العقيدة الإسلامية) (١٨٨٩)، و(أحسن الأجوبة).

(٣) العقيدة الإسلامية، ص ١١٩ - ١٢٠.

(٤) نفسه، ص ١٢٢ - ١٢٣.

[٤]

«لقد عثرت في (دائرة المعارف العامة) Popular Encyclopedia على نبذة نصها كما يأتي (أن لغة القرآن معتبرة بأنها من افصح ما جاء في اللغة العربية فإن ما فيه من محاسن الانشاء وجمال البراعة جعله باقياً بلا تقليد ودون مثيل. أما أحكامه العقلية فإنها نقية زكية إذا تأملها الإنسان بعين البصيرة لعاش عيشة هنية). . »[١].

[٥]

«هذا القرآن الذي هو كتاب حكمة فمن أجال طرف اعتباره فيه وأمعن النظر في بدائع أساليبه وما فيها من الإعجاز رآه وقد مر عليه من الزمان ألف وثلاثمائة وعشرون سنة كأنه مقول في هذا العصر إذ هو مع سهولته بليغ ممتنع ومع إيجاز مفيد للمرام بالتمام. وكما أنه كان يرى مطابقاً للكلام في زمن ظهوره لهجة وأسلوباً كذلك يرى موافقاً لأسلوب الكلام في كل زمن ولهجة، وكلما ترقّت صناعة الكتابة قدرت بلاغته وظهرت للعقول مزاياه. وبالجملة فإن فصاحته وبلاغته قد أعجزت مصاقع البلغاء وحيرت فصحاء الأولين والآخرين. وإذا أعطفنا النظر إلى ما فيه من الأحكام وما أشتمل عليه من الحكم الجليلة نجده جامعا لجميع ما يحتاجه البشر في حياته وكماله وتهذيب أخلاقه. . وكذا نراه ناهياً عما ثبت بالتجارب العديدة خسرانه وقبحه من الأفعال ومساوىء الأخلاق. . وكم فيه ما عدا ذلك أيضاً ما يتعلق بسياسة المدن وعمارة الملك، وما يضمن للرعية الأمن والدعة من الأحكام الجليلة التي ظهرت منافعها العظيمة بالفعل والتجربة فضلاً عن القول. . »[٢].

[٣]

«أن من ضمن محاسن القرآن العديدة أمرين واضحين جداً أحدهما علامة الخشوع والوقار التي تشاهد دائماً على المسلمين عندما يتكلمون عن المولى ويشيرون إليه. . والثاني خلّوه من القصص والخرافات وذكر العيوب والسيآت وإلى آخره، والأمر الذي يؤسف عليه كثيراً لوقوعه بكثرة فيما يسميه المسيحيون (العهد القديم). . »[٣].

---

(١) نفسه، ص ١٣٨. (٢) نفسه، ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٣) أحسن الأجوبة عن سؤال أحد علماء أوروبة، ص ٢٣ ـ ٢٦.

لانــدو[1]

[١]

«بسبب من أن مهمة ترجمة القرآن بكامل طاقته الايقاعية، إلى لغة اخرى، تتطلب عناية رجل يجمع الشاعرية إلى العلم، فإننا لم نعرف حتى وقت قريب ترجمة جيدة استطاعت أن تتلقف شيئاً من روح الوحي المحمدي. والواقع أن كثيراً من المترجمين الأوائل لم يعجزوا عن الاحتفاظ بجمال الأصل فحسب، بل كانوا إلى ذلك مفعمين بالحقد على الإسلام إلى درجة جعلت ترجماتهم تنوء بالتحامل والغرض. ولكن حتى أفضل ترجمة ممكنة للقرآن في شكل مكتوب لا تستطيع أن تحتفظ بإيقاع السور الموسيقي الاسر، على الوجه الذي يرتلها به المسلم. وليس يستطيع الغربي أن يدرك شيئاً من روعة كلمات القرآن وقوّتها إلا عندما يسمع مقاطع منه مرتلة بلغته الأصلية»[2].

[٢]

«.. كلف كاتب الوحي، زيد بن ثابت، جمع الآيات القرآنية في شكل كتاب وكان أبو بكر [رضي الله عنه] قد أشرف على هذه المهمة. وفي ما بعد، إثر جهد مستأنف بذل بأمر من الخليفة عثمان [رضي الله عنه] أتخذ القرآن شكله التشريعي النهائي الذي وصل إلينا سليماً لم يطرأ عليه أي تحريف»[3].

---

(١) روم لانــدو R. Landau.

نحّات وناقد فني انكليزي، زار زعماء الدين في الشرق الأدنى (١٩٣٧)، وحاضر في عدد من جامعات الولايات المتحدة (١٩٥٢ ـ ١٩٥٧)، أستاذ الدراسات الإسلامية وشمالي أفريقيا في المجمع الأمريكي للدراسات الآسيوية في سان فرنسيسكو (١٩٥٣).

من آثاره: (الله ومغامراتي) (١٩٣٥)، (بحث عن الغد) (١٩٣٨)، (سلم الرسل) (١٩٣٩)، (دعوة إلى المغرب) (١٩٥٠)، (سلطان المغرب) (١٩٥١)، (فرنسا والعرب) (١٩٥٣)، (الفن العربي) (١٩٥٥).. وغيرها.

(٢) الإسلام والعرب، ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٣) نفسه، ص ٢٩٦.

[٣]

«.. إن بين آيات قصار السور ترابطاً باهراً له تأثيره الوجداني برغم أنه ليس ثمة أيما وزن نظامي. وفي الحق ان سماع السور تتلى في الأصل العربي، كثيراً ما يخلف في نفس المرء تأثيراً بليغاً. لقد أريد بالقرآن.. أن يتلى في صوت جهير. ويتعين على المرء أن يسمعه مرتلاً لكي يحكم عليه حكماً عادلاً ويقدره حق قدره.. وبوصفه كلمة الله الحقيقية، كان معجزاً لا سبيل إلى محاكاته، ولم يكن ثمة، بكل بساطة، ايما شيء من مثله»[١].

لـوبـون[٢]

[١]

«.. إن أصول الأخلاق في القرآن عالية علوّ ما جاء في كتب الديانات الأخرى جميعها، وإن أخلاق الأمم التي دانت له تحولت بتحول الأزمان والعروق مثل تحول الأمم الخاضعة لدين عيسى [عليه السلام].. إن أهم نتيجة يمكن استنباطها هي تأثير القرآن العظيم في الأمم التي أذعنت لأحكامه، فالديانات التي لها ما للإسلام من السلطان على النفوس قليلة جداً، وقد لا تجد دينا اتفق له ما اتفق للإسلام من الأثر الدائم، والقرآن هو قطب الحياة في الشرق وهو ما نرى أثره في أدقّ شؤون الحياة»[٣].

[٢]

«إن هذا الكتاب [القرآن] تشريع ديني وسياسي واجتماعي، وأحكامه نافذة منذ عشرة قرون..»[٤].

---

(١) نفسه، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٢) كوستاف لوبون Dr. G. Lebon

ولد عام ١٨٤١م، وهو طبيب، ومؤرخ فرنسي، عني بالحضارات الشرقية.

من آثاره: (حضارة العرب) (باريس ١٨٨٤)، (الحضارة المصرية)، و(حضارة العرب في الأندلس).

(٣) حضارة العرب، ص ٤٣١ ـ ٤٣٢.

(٤) النتائج الأولى للحرب (عن: محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، ١/ ٧٤).

ليختنستادتر(1)

[١]

«. . إن المسلم العصري يعتقد أن كتابه المنزل يسمح له، بل يوجب عليه، أن يعالج مشكلات عصره بما يوافق الدين ولا يضيع المصلحة أو يصد عن المعرفة كما انتهت إليهـا علوم زمنه. . وإن مزية القرآن ـ في عقيدة المسلم ـ أنه متمم للكتب السماوية ويوافقها في أصول الإيمان، ولكنه يختلف عنها في صفته العامة فلا يرتبط برسالة محدودة تمضي مع مضي عهدها ولا بأمة خاصة يلائمها ولا يلائم سواها. وكل ما يراد به الدوام، ينبغي أن يوافق كل جيل ويصلح لكل أوان»(2).

[٢]

«إنه من الضروري لإدراك عمل القرآن من حيث هو كتاب ديني وكتاب اجتماعي أن ندرك صدق المسلم حين يؤكد أن القرآن يمكن أن يظل أساساً لإدراك الحكم المعقدة التي تعالج مشكلات المجتمع الحديث. فإن النبي [ﷺ] يرى أن القرآن هو حلقة الاتصال بين الإلـه في كماله الإلهي وبين خليقته التي يتجلى فيها بفيوضه الربانية وآيتها الكبرى الإنسان. وإن واجب الإنسان أن يعمل بمشيئة الله للتنسيق بين العالم الالهي وبـين عالم الخلق والشهادة، وخير ما يدرك به هذا المطلب أن تتولاه جماعة إنسـانية تتحـرى أعمق الأوامـر الإلهية وألـزمها وهي أوامر العدل للجميع والرحمة بالضعيف والـرفق والإحسان. وتلك هي الوسائل التي يضعها الله في يد الإنسان لتحقيق نجاته، فهو ثـم مسئول عن أعماله ومسئول كذلك عن مصيره»(3).

---

(١) **الدكتورة إلس ليختنستادتر** **Ilse Lictenstadter**
سيدة ألمانية، درست العلوم العربية والإسلامية في جامعة فرانكفورت، ثم في جامعة لندن، وأقامت زهاء ثلاثين سنة بين بلاد الشرقين الأدنى والأوسط، وعنيت عناية خاصة بدعوات الاجتهاد والتجديد والمقابلة بين المذاهب. من مؤلفاتها (الإسلام والعصر الحديث).

(٢) الإسلام والعصر الحديث، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ١٩.

(٣) نفسه، ص ١٩.

مونتاي[1]

[١]

«إنني لا أشك لحظة في رسالة محمد ﷺ. وأعتقد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه بعث للناس كافة، وأن رسالته جاءت لختم الوحي الذي نزل في التوراة والإنجيل. وأحسن دليل على ذلك هو القرآن المعجزة. فأنا أرفض خواطر بسكال العالم الأوروبي الحاقد على الإسلام والمسلمين إلّا خاطرة واحدة وهي قوله: ليس القرآن من تأليف محمد [ﷺ]، كما أن الانجيل ليس من تأليف متّي»[2].

[٢]

«.. إن مثل الفكر العربي الإسلامي المبعد عن التأثير القرآني كمثل رجل افرغ من دمه»[3].

هوني[4]

[١]

«.. لن أستطيع مهما حاولت، أن أصف الأثر الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون، فكانت هذه أول صلاة لي في الإسلام..»[5].

---

(١) فنساي مونتاي: المنصور بالله الشافعي F. Montague

فرنسي، رجل بحث وترحال، اختص بدراسة القضايا الإسلامية والعربية، عن كثب، قضى سنوات عديدة في المغرب والمشرق وأفريقيا وآسيا، ونشر عشرات الأبحاث والكتب عن الإسلام والحضارة الإسلامية، وانتهى الأمر به إلى إعلان إسلامه في صيف عام ١٩٧٧.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٥/ ٤٥. (٣) نفسه، ص ٥/ ٥٠ ـ ٥١.

(٤) عائشة برجت هوني Ayesha Bridget Honey

نشأت في أسرة انكليزية مسيحية، وشغفت بالفلسفة، ثم سافرت إلى كندا لاكمال دراستها، وهناك في الجامعة أتيح لها أن تتعرف على الإسلام، وأن تنتهي إليه، وقد عملت مدرسة في مدرسة عليا في نيجيريا.

(٥) رجال ونساء أسلموا، ص ١/ ٥٩ ـ ٦٠.

وات[1]

[١]

«يعتبر القرآن قلاقل العصر نتيجة أسباب دينية بالرغم من الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية وأنه لا يمكن تقويمها إلا باستخدام الوسائل الدينية مثل كل شيءٍ. وإنه لمن الجرأة الشك في حكمة القرآن نظراً لنجاح محمد [ﷺ] في تبليغ الرسالة التي أمره الله بتبليغها. . »[2].

[٢]

«يجب علينا في رأيي، مهما كان موقفنا الديني، أن نعتبر رسالة القرآن انبثاقاً خلاقا في الوضع المكي. ولا شك أنه كانت توجد مشاكل تتطلب الحلّ، وأزمات حاول البعض تخفيفها، ولكن كان يستحيل الانتقال من هذه المشاكل وتلك الازمات إلى رسالة القرآن بواسطة التفكير المنطقي. . ولا شك أن رسالة القرآن تحل مشاكل اجتماعية وأخلاقية وفكرية، ولكن لا تحلّها جمعياً دفعة واحدة وليس بصورة بديهية. ولربما قال مؤرخ دنيوي أن محمداً وقع صدفة على أفكار كانت بمثابة المفتاح لحل المشاكل الأساسية في زمان ليس هذا ممكناً. ولا يمكن للمحاولات التجريبية ولا للفكر النافذ أن يفند لنا كما يجب رسالة القرآن»[3].

---

(١) مونتجومري وات Montgomery, Watt
عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبرا سابقاً.
من آثاره: (عوامل انتشار الإسلام)، (محمد في مكة)، (محمد في المدينة)، (الإسلام والجماعة الموحدة)، وهو دراسة فلسفية اجتماعية لردّ أصل الوحدة العربية إلى الإسلام (١٩٦١).

(٢) محمد في مكة، ص ١٣٥.

(٣) نفسه، ص ١٣٥ ـ ١٣٦.

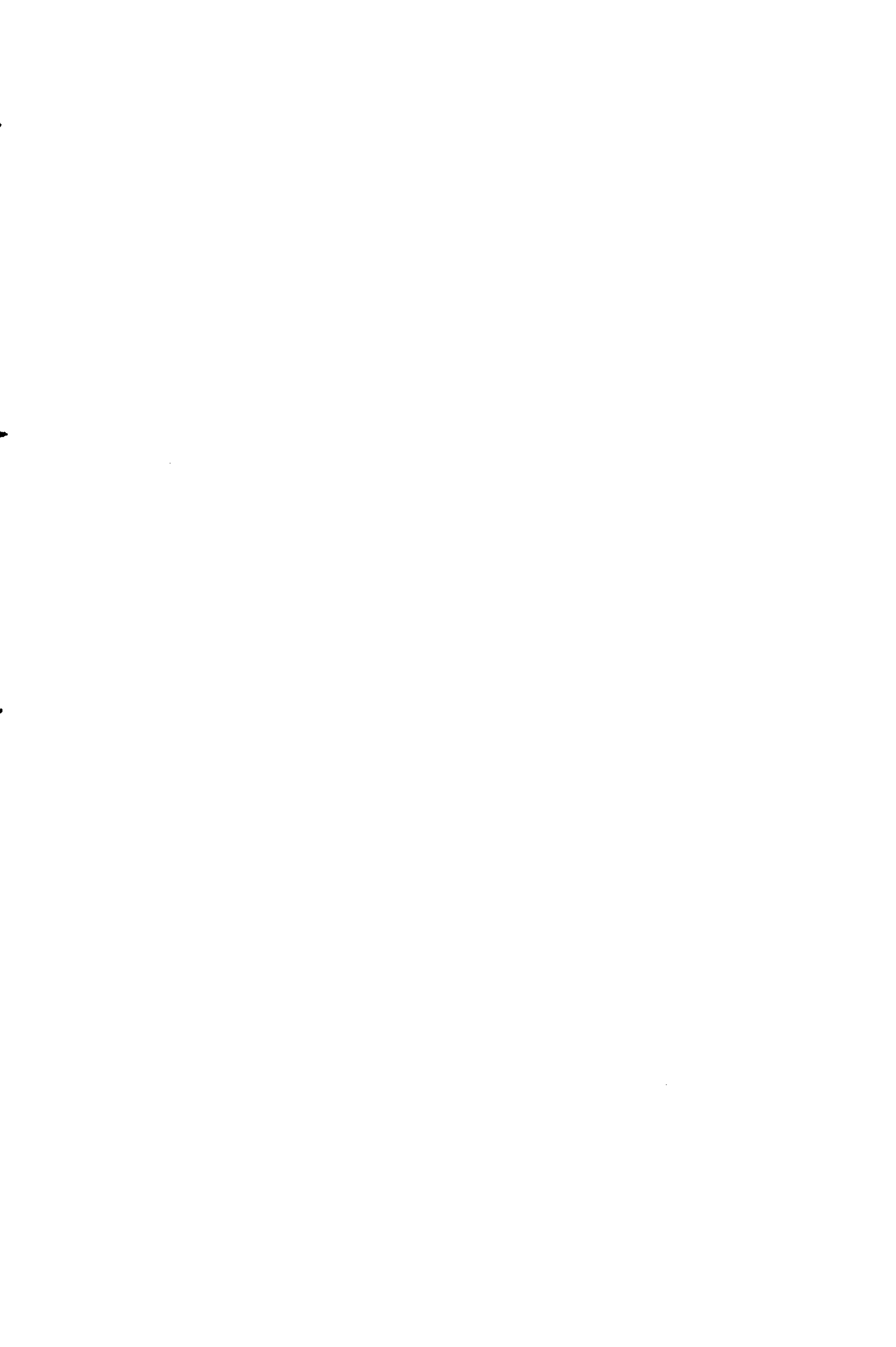

الفصل الثاني
محمد رسول الله (ﷺ)

«إن محمداً [ﷺ] كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمىٰ وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي . . إن هذا الاتّحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معاً يخوّله أن يعتبر أعظم شخصية ذات تأثير في تاريخ البشرية».

العالم الأمريكي مايكل هارت

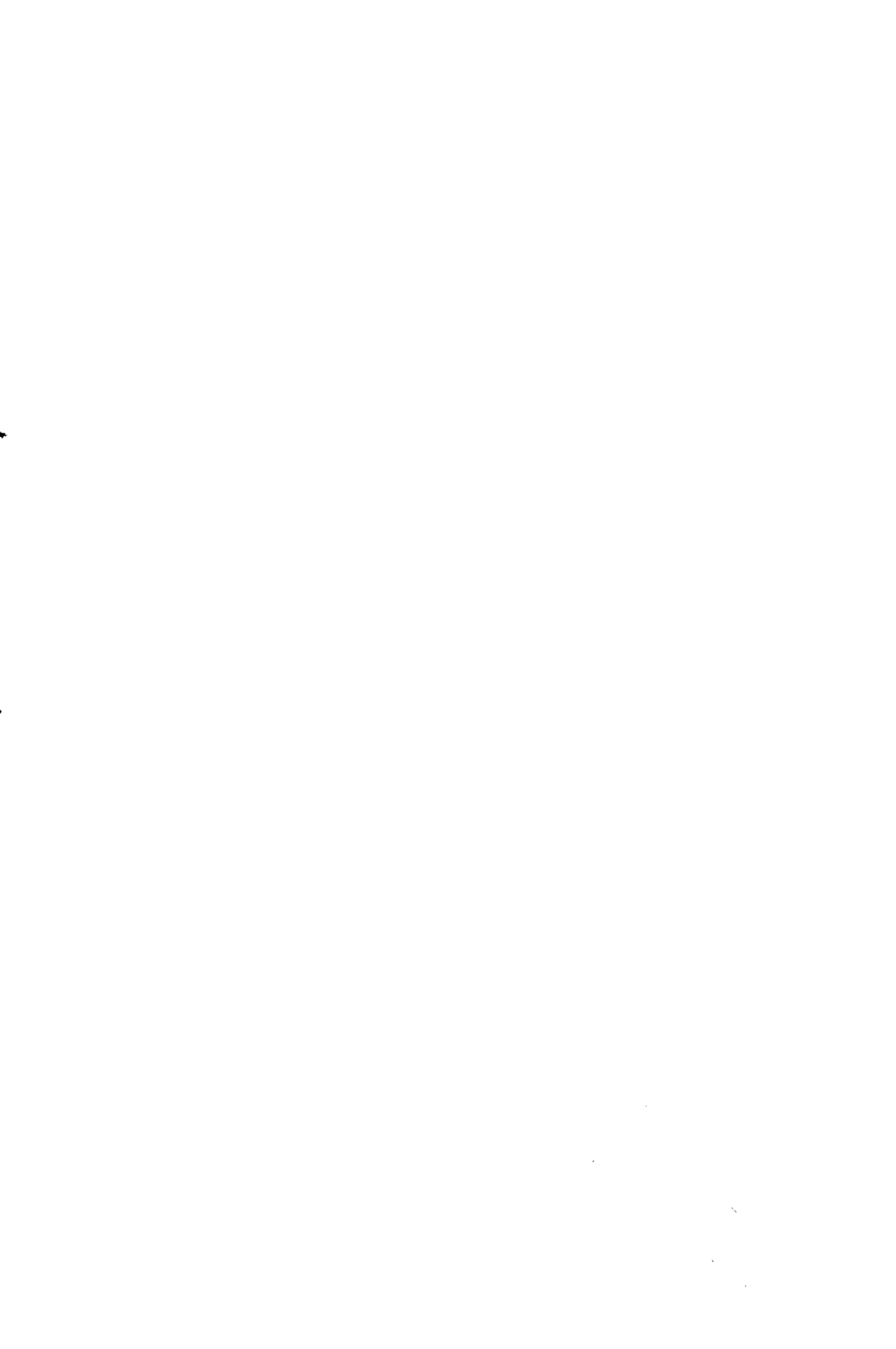

إبراهيم خليل أحمد

[١]

«هذه هي حقيقة يثبتها التاريخ: فبينما كان العالم الشرقي والعالم الغربي بفلسفاتهما العقيمة يعيش في دياجير ظلام الفكر وفساد العبادة، بزغ من مكة المكرمة في شخص محمد رسول الله ﷺ، نور وضاء أضاء على العالم فهداه إلى الإسلام»[١].

[٢]

«إن سيدنا عيسى عليه السلام يتنبأ عن الرسول الكريم محمد ﷺ بقوله: (وأما متى جاء ذاك: روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية)[٢]..»[٣].

[٣]

«يقول برنابا: (سيأتي مسيا (أي الرسول) المرسل من الله لكل العالم، .. وحينئذ يسجد لله في كل العالم وتنال الرحمة..)[٤]..»[٥].

[٤]

«.. كلمة انجيل كلمة يونانية تعني بشارة أو بشرى، ولعل هذا هو الذي نستفيده من سيرة سيدنا عيسى عليه السلام، أنه كان بشرى من الله للرحمة، وبشرى بتبشيره عن المسيا الذي سيأتي للعالمين هدى ورحمة، ألا وهو الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ»[٦].

[٥]

«يقول عيسى [عليه السلام] في انجيل برنابا: (لأن الله سيصْعِّدني من الأرض وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إيّاي. ومع ذلك فإنه حين يموت شر ميتة

(١) محمد في التوراة والانجيل والقرآن، ص ٤٧ .
(٢) انجيل يوحنا، ١٦ : ١٢ و .
(٣) محمد في التوراة والانجيل والقرآن، ص ٩٨ .
(٤) الجيل برنابا، ٨٢ : ١٦ ـ ١٨ .
(٥) محمد في التوراة، ص ١٠٥ .
(٦) نفسه، ص ١١٤ .

أمكث أنا في ذلك العار زمنا طويلا في العالم ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة)[1]. . »[2].

ارنــولد

[١]

« . . لعله من المتوقع، بطبيعة الحال، أن تكون حياة مؤسس الإسلام ومنشىء الـدعوة الإسلامية [ﷺ]، هي الصورة الحق لنشاط الدعوة إلى هذا الدين. وإذا كانت حياة النبي [ﷺ] هي مقياس سلوك عامة المؤمنين، فإنها كذلك بالنسبة إلى سائر دعاة الإسلام. لذلك نرجو من دراسة هذا المثل أن نعرف شيئاً عن الروح التي دفعت الذين عملوا على الاقتداء به، وعن الوسائل التي ينتظر أن يتخذوها. ذلك أن روح الدعوة إلى الإسلام لم تجىء في تاريخ الدعوة متأخرة بعد أناة وتفكر، وإنما هي قديمة قدم العقيدة ذاتها. وفي هذا الوصف الموجز سنبين كيف حدث ذلك وكيف كان النبي محمد [ﷺ] يعد نموذجاً للداعي إلى الإسلام. . »[3].

[٢]

« . . من الخطأ أن نفترض أن محمداً [ﷺ] في المدينة قد طرح مهمة الداعي إلى الإسلام والمبلغ لتعاليمه، أو أنه عندما سيطر على جيش كبير يأتمر بأمره، انقطع عن دعوة المشركين إلى أعتناق الدين. . »[4].

[٣]

« . . إن المعاملة الحسنة التي تعودتها وفود العشائر المختلفة من النبي [ﷺ] واهتمامه بالنظر في شكاياتهم، والحكمة التي كان يصلح بها ذات بينهم، والسياسة التي أوحت إليه بتخصيص قطع من الأرض مكافأة لكل من بادر إلى الوقوف في جانب الإسلام وإظهار العطف على المسلمين، كل ذلك جعل اسمه مألوفاً لديهم، كما جعل صيته ذائعاً في كافة أنحاء شبه الجزيرة سيّداً عظيماً ورجلاً كريما. وكثيراً ما كان يفد أحد أفراد

---

(١) انجيل برنابا، ١١٢ : ٨ ـ ١٦

(٢) محمد في التوراة، ص ١٤١ .

(٣) الدعوة إلى الإسلام، ص ٣٤ .

(٤) نفسه، ص ٥٤ .

القبيلة على النبي [ﷺ] بالمدينة ثم يعود إلى قومه داعياً إلى الإسلام جاداً في تحويل إخوانه إليه . . »[1].

واشنجتون ايرفنج

[١]

«كان محمد [ﷺ] خاتم النبيين وأعظم الرسل الذين بعثهم الله ليدعوا الناس إلى عبادة الله»[2].

[٢]

«كانت تصرفات الرسول [ﷺ] في [أعقاب فتح] مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر. فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي . ولكنه توّج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو»[3].

[٣]

«لقي الرسول [ﷺ] من أجل نشر الإسلام كثيراً من العناء، وبذل عدة تضحيات . فقد شك الكثير في صدق دعوته، وظل عدة سنوات دون أن ينال نجاحا كبيراً، وتعرض خلال إبلاغ الوحي إلى الإهانات والاعتداءات والاضطهادات، بل أضطر إلى أن يترك وطنه ويبحث عن مكان يهاجر إليه هنا وهناك وتخلى عن كل متع الحياة وعن السعي وراء الثراء من أجل نشر العقيدة»[4].

[٤]

«برغم انتصارات الرسول [ﷺ] العسكرية لم تثر هذه الانتصارات كبرياءه أو غروره، فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحة شخصية، وحتى في أوج مجده حافظ الرسول [ﷺ] على بساطته وتواضعه، فكان يكره إذا دخل حجرة على

---

(١) نفسه، ص ٥٥ عن : Muir (Sir William): Life of Mahomet, PP. 107-8 (London, 1858 - , 1).

(٢) حياة محمد، ص ٧٢ .

(٣) نفسه، ص ٢٣٣ .

(٤) نفسه، ص ٣٠٠ .

جماعة أن يقوموا له أو يبالغوا في الترحيب به وإن كان قد هدف إلى تكوين دولة عظيمة، فانها كانت دولة الإسلام، وقد حكم فيها بالعدل، ولم يفكر أن يجعل الحكم فيها وراثياً لأسرته»(١).

[٥]

«كان الرسول [ﷺ] ينفق ما يحصل من جزية أو ما يقع في يديه من غنائم في سبيل انتصار الإسلام، وفي معاونة فقراء المسلمين، وكثيراً ما كان ينفق في سبيل ذلك آخر درهم في بيت المال. . وهو لم يخلف وراءه ديناراً أو درهماً أو رقيقاً. . وقد خيره الله بين مفاتيح كنوز الأرض في الدنيا وبين الأخرة فاختار الأخرة»(٢).

بـارت(٣)

[١]

«كان من بين ممثلي حركة التنوير من رأوا في النبي العربي [ﷺ] أداة لله، ومشرعا حكيما، ورسولاً للفضيلة، وناطقاً بكلمة الدين الطبيعي الفطري، مبشراً به»(٤).

[٢]

«كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة في بوادي وواحات شبه الجزيرة، يعيثون فيها فساداً. حتى أتى محمد [ﷺ] ودعاهم إلى الإيمان بإله واحد، خالق بارئ، وجمعهم في كيان واحد متجانس»(٥).

---

(١) نفسه، ص ٣٠٢-٣٠٣.
(٢) نفسه، ص ٣٠٣.
(٣) رودي بـارت Rudi, Part
عالم ألماني معاصر، اضطلع بالدراسات الشرقية في جامعة هايدلبرج، وكرس حياته لدراسة علوم العربية والإسلام، وصنف فيها عدداً كبيراً من الأعمال، منها ترجمته للقرآن الكريم التي استغرقت منه عشرات السنين وأصدرها بين عامي ١٩٦٣ و١٩٦٦، وله كتاب عن النبي محمد ﷺ.
(٤) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص ١٥.
(٥) نفسه، ص ٢٠.

بـــروي[1]

[١]

«جاء محمد بن عبد الله [ﷺ]، النبي العربي وخاتمة النبيين، يبشر العرب والناس أجمعين، بدين جديد، ويدعو للقول بالله الواحد الأحد، كانت الشريعة [في دعوته] لا تختلف عن العقيدة أو الإيمان، وتتمتـع مثلهـا بسلطة إلهية ملزمة، تضبط ليس الأمـور الـدينية فحسب، بل أيضـاً الأمور الدنيوية، فتفرض على المسلم الزكاة، والجهاد ضد المشركين.. ونشر الدين الحنيف.. وعندما قبض النبي العربي [ﷺ]، عام ٦٣٢م، كان قد انتهى من دعوته، كما انتهى من وضع نظام اجتماعي يسمو كثيراً فوق النظام القبلي الذي كان عليه العرب قبل الإسلام، وصهرهم في وحدة قوية، وهكذا تم للجزيرة العربية وحدة دينية متماسكة، لم تعرف مثلها من قبل..»[2].

بلاشـــير

[١]

«.. إن معجزة النبي [عليه الصلاة والسلام] الحقيقية والوحيدة هي إبلاغه الناس رسالة ذات روعة أدبية لا مثيل لها، فمن هو ذلك الرجل المكلّف بالمهام الثقيلة العبء وهي حمل النور إلى عرب الحجاز في أوائل القرن السابع؟ إن محمد [عليه الصلاة والسلام] لا يبـدو في القـرآن إطـلاقـاً، منعـماً عليه بمواهب تنزهه عن الصفات الإنسـانية، فهـو لا يستـطيع في نظر معـاصرية المشركين أن يفخر بالاستغناء عن حاجات هي حاجاتهم، وهو يصرّح بفخر أنه لم يكن سوى مخلوق هالك: ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم**﴾[3]. وهو لم يتلق أي قدرة على صنع المعجزات، ولكنه انتخب ليكون منذراً ومبشراً للكافرين. إن نجاح رسالته مرتبط إذن في قيمتها الاحيائية وإلى شكلها المنقطع النظير. ولم يكن محمد [عليه الصلاة والسلام] رغم ذلك، صاحب بيان ولا

---

(١) **ادوار بـروي** **Edourd Perroy**
باحث فرنسي معاصر، وأستاذ في السربون.

(٢) تاريخ الحضارات العام، ١١٢/٣.

(٣) سورة الكهف، الآية ١١٠.

شاعراً، فإن الأخبار التي روت سيرته لم تحسن الاحتفاظ بذكرى مفاخراته الشخصية، وثمة عوامل تحملنا على الشك فيما إذا كان عرف استعمال السجع، أو أنه تلقى من السماء فنّ ارتجال الشعر. وعندما قال عنه المكيّون المشركون أنه شاعر، أو حين عرّضوا بأن مصدر الوحي جنيّ معروف أزال الله عنه هذه التهمة: **﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين﴾**[1]. وهكذا يطرح هذا الوحي البالغ جماله حد الاعجاز، الواثق بحمل الناس بقوة بيانه على الهداية، كظاهرة لا علاقة لها بالفصاحة ولا الشعر»[2].

[٢]

«.. أما عن انتصار الإسلام فثمَّة أسباب تداخلت وفي طليعتها القرآن والسنة وحالة الحجاز الدينية، ونصح وبيان وأمانة الرجل المرسل لابلاغ الرسالة المنزلة عليه..»[3].

مارسيل بوازار

[١]

«سبق أن كتب كل شيء عن نبي الإسلام [ﷺ]، فانوار التاريخ تسطع على حياته التي نعرفها في أدق تفاصيلها. والصورة التي خلفها محمد [ﷺ] عن نفسه تبدو، حتى وان عمد إلى تشويهها، علمية في الحدود التي تكشف فيها وهي تندمج في ظاهرة الإسلام عن مظهر من مظاهر المفهوم الديني وتتيح إدراك عظمته الحقيقة..»[4].

[٢]

لم يكن محمد [ﷺ] على الصعيد التاريخي مبشراً بدين وحسب بل كان كذلك مؤسس سياسة غيّرت مجرى التاريخ، وأثرت في تطور انتشار الإسلام فيما بعد على أوسع نطاق..»[5].

(١) سورة يسٓ، الآيات ٦٩ ـ ٧٠.
(٢) تاريخ الأدب العربي، ٢/١٤ ـ ١٥.
(٣) نفسه، ٢/٥٠.
(٤) إنسانية الإسلام، ص ٤٠ ـ ٤١.
(٥) نفسه، ص ٤٢.

[٣]

«منذ استقر النبي محمد [ﷺ] في المدينة، غدت حياته جزءاً لا ينفصل من التاريخ الإسلامي. فقد نقلت إلينا فعاله وتصرفاته في أدق تفاصيلها.. ولما كان منظماً شديد الحيوية، فقد أثبت نضالية في الدفاع عن المجتمع الإسلامي الجنيني، وفي بث الدعوة.. وبالرغم من قتاليته ومنافحته، فقد كان يعفو عند المقدرة، لكنه لم يكن يلين أو يتسامح مع أعداء الدين. ويبدو أن مزايا النبي الثلاث، الورع والقتالية والعفو عند المقدرة قد طبعت المجتمع الإسلامي في أبان قيامه وجسدّت المناخ الروحي للإسلام.. وكما يظهر التاريخ الرسول [ﷺ] قائداً عظيما ملء قلبه الرأفة، يصورة كذلك رجل دولة صريحاً قوي الشكيمة له سياسته الحكيمة التي تتعامل مع الجميع على قدم المساواة وتعطي كل صاحب حق حقه. ولقد استطاع بدبلوماسيته ونزاهته أن ينتزع الاعتراف بالجماعة الإسلامية عن طريق المعاهدات في الوقت الذي كان النصر العسكري قد بدأ يحالفه. وإذا تذكرنا أخيرا على الصعيد النفساني هشاشة السلطان الذي كان يتمتع به زعيم من زعماء العرب، والفضائل التي كان أفراد المجتمع يطالبونه بالتحلي بها، استطعنا أن نستخلص أنه لا بدّ أن يكون محمد [ﷺ] الذي عرف كيف ينتزع رضا أوسع الجماهير به إنسانا فوق مستوى البشر حقا، وأنه لا بد أن يكون نبياً حقيقياً من أنبياء الله»[١].

[٤]

«.. لقد كان محمد [ﷺ] نبياً لا مصلحاً اجتماعياً. وأحدثت رسالته في المجتمع العربي القائم آنذاك تغييرات أساسية ما تزال أثارها ماثلة في المجتمع الإسلامي المعاصر..»[٢].

[٥]

«.. مما لا ريب فيه أن محمداً [ﷺ] قد اعتبر، بل كان في الواقع، ثائراً في النطاق الذي كان فيه كل نبي ثائراً بوصفه نبياً، أي بمحاولته تغيير المحيط الذي يعيش فيه..»[٣].

---

(١) نفسه، ص ٤٦.
(٢) نفسه، ص ٦١.
(٣) نفسه، ص ٦٦.

توينبي[1]

[١]

«لقد كرّس محمد [ﷺ] حياته لتحقيق رسالته في كفالة هذين المظهرين في البيئة الاجتماعية العربية [وهما الوحدانية في الفكرة الدينية، والقانون والنظام في الحكم]. وتم ذلك فعلاً بفضل نظام الإسلام الشامل الذي ضم بين ظهرانيه الوحدانية والسلطة التنفيذية معاً. فغدت للإسلام بفضل ذلك قوة دافعة جبارة لم تقتصر على كفالة احتياجات العرب ونقلهم من أمة جهالة إلى أمة متحضرة، بل تدفق الإسلام من حدود شبه الجزيرة، واستولى على العالم السوري بأسره من سواحل الأطالسي إلى شواطىء السهب الاوراسي..»[2].

[٢]

«.. لقد أخذت سيرة الرسول العربي [ﷺ] بألباب أتباعه، وسمت شخصيته لديهم إلى أعلى عليّين، فآمنوا برسالته إيماناً جعلهم يتقبلون ما أوحي به إليه وأفعاله كما سجّلتها السنة، مصدراً للقانون، لا يقتصر على تنظيم حياة الجماعة الإسلامية وحدها، بل يرتب كذلك علاقات المسلمين الفاتحين برعاياهم غير المسلمين الذين كانوا في بداية الأمر يفوقونهم عدداً»[3].

---

(١) ارنولد توينبي Arnold Toynbee

المؤرخ البريطاني المعاصر، الذي انصبت معظم دراساته على تاريخ الحضارات، وكان أبرزها ـ ولا ريب ـ مؤلفه الشهير (دراسة للتاريخ)، الذي شرع يعمل فيه منذ عام ١٩٢١، وانتهى منه عام ١٩٦١، وهو يتكون من اثنى عشر جزءً عرض فيها توينبي لرؤيته الحضارية للتاريخ. ولقد وضع المستر سومر فيل ـ تحت اشراف توينبي نفسه ـ مختصراً في جزئين لهذا العمل الواسع بسط فيه جميع آراء المؤلف مستخدماً عباراته الأصلية في معظم الأحيان، وحذف الكثير من الأمثلة والاراء دون إخلال بالسياق العام للكتاب، وهذا المختصر هو الذي ترجم إلى العربية في أربعة أجزاء، وهو الذي أعتمدناه هنا.

(٢) مختصر دراسة للتاريخ، ١/٣٨١.

(٣) نفسه، ٣/٩٨.

فيليب حتي

[١]

«إن اللغة العربية هي لغة القرآن التي كانت الأساس الذي قامت عليه أمة جديدة أخرجت للناس، أمة جاءت بها بعثة محمد [ﷺ] من قبائل متنافرة متنازعة لم يقدّر لها من قبل أن تجتمع على رأي واحد. وهكذا استطاع رسول الإسلام [ﷺ] أن يضيف حداً جديداً (رابعاً) إلى المأثرة الحضارية ذات الحدود الثلاثة من الدين والدولة والثقافة، ذلك الحد الرابع الجديد كان (إيجاد أمة ذات لغة فوق اللغات). . »(١).

[٢]

«إن إقامة الأخوة في الإسلام مكان العصبية الجاهلية (القائمة على الدم والقرابة) للبناء الاجتماعي كان في الحقيقة عملاً جريئاً جديداً قام به النبي العربي [ﷺ]. . »(٢).

[٣]

«في الكتاب المعاصرين لنا نفرٌ يحاولون أن يكشفوا الأعمال الباهرة (التي حققها محمد ﷺ) أو أن يعالجوا حياته الزوجية على أساس من التحليل النفسي، فلا يزيدون على أن يضيفوا إلى أوجه التحامل وإلى الآراء الهوائية أحكاماً من زيف العلم. . »(٣).

[٤]

«صفات محمد [ﷺ] مثبتة في القرآن بدقة بالغة فوق ما نجد في كل مصدر آخر. إن المعارك التي خاضها والأحكام التي أبرمها والأعمال التي قام بها لا تترك مجالاً للريب في الشخصية القوية والإيمان الوطيد والإخلاص البالغ وغير ذلك من الصفات التي خلقت الرجال القادة في التاريخ. ومع أنه كان في دور من أدوار حياته يتيماً فقيراً، فقد كان في قلبه دائماً سعة لمؤاساة المحرومين في الحياة»(٤).

---

(١) الإسلام منهج حياة، ص ١٩ ـ ٢٠ .
(٢) نفسه، ص ٥١ .
(٣) نفسه، ص ٥٤ .
(٤) نفسه، ص ٥٤ .

[٥]

«إذا نحن نظرنا إلى محمد [ﷺ] من خلال الأعمال التي حققها، فإن محمداً الرجل والمعلم والخطيب ورجل الدولة والمجاهد يبدو لنا بكل وضوح واحداً من أقدر الرجال في جميع أحقاب التاريخ. لقد نشر ديناً هو الإسلام، وأسس دولة هي الخلافة، ووضع أساس حضارة هي الحضارة العربية الإسلامية، وأقام أمة هي الأمة العربية. وهو لا يزال إلى اليوم قوة حية فعالة في حياة الملايين من البشر»[1].

جورج حنا

[١]

«. . كان محمد [ﷺ] يخرج من سويعات [لقائه مع جبريل عليه السلام] بآيات تنطق بالحكمة، داعياً قومه إلى الرجوع عن غيّهم، والإيمان بالاله الواحد الكليّ القدرة، صاباً النقمة على الآلهة الصنمية، التي كان القوم يعبدونها فكان طبيعيا أن يحقد عليه اشراف العرب ويضمروا له الشرّ، لما كان في دعوته من خطر على زعامتهم، وهي ما كانت قائمة إلا على التعبد للأصنام التي جاء هذا الرجل يدعو إلى تحطيمها. لكن محمداً [ﷺ] لم يكن يهادن في بث دعوته، ولم يكن يسكت عن اضطهاد أشراف قريش له، بل كان يتحداهم، فيزدادون حقداً عليه وتأمراً على حياته. فلم تلبث دعوته حتى تحولت من دعوة سلمية إلى دعوة نضالية. إنه لم يرض بأن يحوّل خدّه الأيسر لمن يضربه على خدّه الأيمن. . بل مشى في طريقه غير هيّاب، في يده الواحدة رسالة هداية، يهدي بها من سالموه، وفي يده الثانية سيف يحارب به من حاربوه. لقد آمن به نفر قليل في بداية الدعوة، وكان نصيب هذا النفر مثل نصيبه من الاضطهاد والتكفير. كان هؤلاء باكورة الديانة الإسلامية، والشعلة التي أنطلقت منها رسالة محمد [ﷺ]»[2].

---

(١) نفسه، ص ٥٦ .

(٢) قصة الإنسان، ص ٧٦ .

[٢]

«كان محمد [ﷺ] في المدينة أكثر أطمئناناً على نفسه وعلى أتباعه ورسالته مما كان في مكة . . كانت يثرب مدينة العامة التابعة، لا مدينة الخاصة المتبوعة. والعامة دائماً أقرب إلى اقتباس كلمة الحق من الخاصة، لا سيما إذا كانت كلمة الحق هذه، تحررها من عبوديتها للخاصة»[١].

[٣]

«محمد بن عبدالله [ﷺ] كان ثائراً، عندما أبى أن يماشي أهل الصحراء في عبادة الأصنام وفي عاداتهم الهمجية وفي مجتمعهم البربري. فأضرمها حرباً لا هوادة فيها على جاهلية المشركين وأسيادهم وآلهتهم. فكفره قومه واضطهدوه وأضمروا له الموت. فهاجر تحت جنح الليل مع نفر من أتباعه، وما تخلى عن النضال في نشر دعوته، وما أحجم عن تجريد السيف من أجلها. فأخرج من جاهلية الصحراء عقيدة دينية وأجتماعية تجمع بين مئات الملايين من البشر في أقطار المعمورة»[٢].

أميل درمنغم

[١]

«. . إذا كانت كل نفس بشرية تنطوي على عبرة وإذا كان كل موجود يشتمل على عظة فما أعظم ما تثيره فينا من الأثر الخاص العميق المحرك الخصيب حياة رجل يؤمن برسالته فريق كبير من بني الإنسان!»[٣].

[٢]

«. . ولد لمحمد [ﷺ، من مارية القبطية] ابنه إبراهيم فمات طفلاً، فحزن عليه كثيراً ولحده بيده وبكاه، ووافق موته كسوف الشمس فقال المسلمون: إنها انكسفت لموته، ولكن محمداً [ﷺ] كان من سموّ النفس ما رأى به ردّ ذلك فقال: (إن الشمس

---

(١) نفسه، ص ٧٧ . (٢) نفسه، ص ٢٥٢ .

(٣) حياة محمد، ص ٨ .

والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد . .) فقول مثل هذا مما لا يصدر عن كاذب دجال . . »[1].

[٣]

« . . تجلت بهذه الرحلة الباهرة [حجة الوداع] ما وصلت إليه من العظمة والسؤدد رسالة ذلك النبي الذي نهكه اضطهاد عشر سنين وحروب عشر سنين أخرى بلا انقطاع، وهو النبي الذي جعل من مختلف القبائل المتقاتله على الدوام أمة واحدة . . »[2].

[٤]

«[إن] محمداً [ﷺ] الذي خلق القيادة لم يطلب معاصريه بغير ما يفرض عليهم من الطاعة لرجل يبلّغهم رسالات الله، فهو بذلك واسطة بين الله رب العالمين والناس أجمعين . . وكان ينهى عن عدّه ملكا . . ولقد نال السلطان والثراء والمجد، ولكنه لم يغتر بشيء من هذا كله فكان يفضل إسلام رجل على أعظم الغنائم، ومما كان يمضه عجز كثير من الناس عن إدراك كنه رسالته . . »[3].

[٥]

« . . الحق أن النبي [ﷺ] لم يعرف الراحة ولا السكون بعد أن أوحى إليه في غار حراء، فقضى حياة يعجب الإنسان بها، والحق أن عشرين سنة كفت لاعداد ما يقلب الدنيا، فقد نبتت في رمال الحجاز الجديبة حبة سوف تجدد، عما قليل، بلاد العرب وتمتد أغصانها إلى بلاد الهند والمحيط الاطلنطي. وليس لدينا ما نعرف به أن محمداً [ﷺ] أبصر، حين أفاض من جبل عرفات، مستقبل أمته وانتشار دينه، وأنه أحسّ ببصيرته أن العرب الذين ألّف بينهم سيخرجون من جزيرتهم لفتح بلاد فارس والشام وأفريقية واسبانية»[4].

---

(١) نفسه، ص ٣١٨ .
(٢) نفسه، ص ٣٥٩ .
(٣) نفسه، ص ٣٦٠ .
(٤) نفسه، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

دوراني(١)

[١]

«أستـطيع أن أقول بكل قوة أنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد ﷺ لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام فهو القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة لنا وحباً بنا حتى نقتفي أثره»(٢).

[٢]

« . . وأخيراً أخذت أدرس حياة النبي محمد ﷺ فأيقنت أن من أعظم الآثام أن نتنكر لذلك الرجل الرباني الذي أقام مملكة لله بين أقوام كانوا من قبل متحاربين لا يحكمهم قانون، يعبدون الوثن، ويقترفون كل الأفعال المشينة، فغير طرق تفكيرهم، لا بل بدل عاداتهم وأخلاقهم، وجمعهم تحت راية واحدة وقانون واحد ودين واحد وثقافة واحدة وحضارة واحدة وحكومة واحدة، وأصبحت تلك الأمة، التي لم تنجب رجلا عظيماً واحدا يستحق الذكر منذ عدة قرون، أصبحت تحت تأثيره وهديه تنجب ألوفاً من النفوس الكريمة التي انطلقت إلى اقصى أرجاء المعمورة تدعو إلى مبادىء الإسلام وأخلاقه ونظام الحياة الإسلامية وتعلم الناس أمور الدين الجديد»(٣).

[٣]

« . . تحمل، ﷺ، ثلاثة عشر عاماً كاملةً من المتاعب [في مكة] دون انقطاع، وثمانية سنوات [في المدينة] دون توقف، فتحمل ذلك كله، فلم يتزحزح شعرة عن موقفه، وكان صامداً، رابط الجأش، صلباً في أهدافه وموقفه. عرضت عليه أمته أن تنصبه ملكاً عليها وأن تضع عند قدميه كل ثروات البلاد إذا كف عن الدعوة الى دينه ونشر رسالته. فرفض هذه الأغراءات كلها فاختار بدلاً من ذلك أن يعاني من أجل

---

(١) **الدكتور م. ج. دوراني** **Dr. M. H. Durrani**

سليل أسرة مسلمة منذ القدم، أصبح نصرانياً في فترة مبكرة من حياته وتحت تأثير إحدى المدارس التبشيرية المسيحية، وقضى ردحاً من حياته في كنيسة انكلترا، حيث عمل قسيساً منذ عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٦٣ حيث جاءه الإسلام «كما يأتي فصل الربيع»، فعاد إلى دين ابائه وأجداده.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٤/ ٢٧ ـ ٢٨ .

(٣) نفسه، ٤/ ٢٨ ـ ٢٩ .

دعـوتـه. لماذا؟ لماذا لم يكـترث أبـداً للثروات والجاه والملك والمجد والراحة والدعة والرخاء؟ لا بدّ أن يفكر المرء في ذلك بعمق شديد إذا أراد أن يصل إلى جواب عليه»[1].

[٤]

«هل بوسع المرء أن يتصور مثالاً للتضحية بالنفس وحب الغير والرأفة بالأخرين أسمى من هذا المثـال حيث نجـد رجـلاً يقضي على سعـادتـه الشخصية لصـالح الآخرين، بينما يقوم هؤلاء القوم أنفسهم الذين يعمل على تحسين أحوالهم ويبذل أقصى جهده في سبيل ذلك يقومون برميه بالحجارة والاساءة إليه ونفيه وعدم إتاحة الفـرصة له للحياة الهادئة حتى في منفاه، وأنه رغم كل ذلك يرفض أن يكف عن السعي لخيرهم؟ هل يمكن لأحـد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة مزيفة؟ هل يستطيع أي مدخول غير مخلص. . ان يبدي هذا الثبات والتصميم على مبـدئه والتمسك به حتى آخر رمق دون أدنى وجل أو تعثر أمام الأخطار وصنوف التعذيب التي يمكن تصورها وقد قامت عليه البلاد بأكملها وحملت السلاح ضده؟»[2].

[٥]

«إن هذا الإيمان وهذا السعي الحثيث وهذا التصميم والعزم الذي قاد به محمد ﷺ حركته حتى النصر النهائي، إنما هو برهان بليغ على صدقه المطلق في دعوته. إذ لو كانت في نفسـه أدنى لمسـة من شك أو أضـطراب لما استطاع أبداً أن يصمد أمام العاصفة التي استمرَّ أوارها أكثر من عشرين عاماً كاملة. هل بعد هذا من برهان على صدق كامل في الهدف واستقامة في الخلق وسموّ في النفس كل هذه العوامل تؤدي لا محالة إلى الاستنتاج الذي لا مفر منه وهو أن هذا الرجل هو رسول الله حقاً. هذا هو نبينا محمد ﷺ، إذ كان آية في صفاته النادرة ونموذجاً كاملاً للفضيلة والخير، ورمزاً للصـدق والأخـلاص. . [إن] حياتـه وأفكـاره وصدقه واستقامته، وتقواه وجوده،

---

(١) نفسه، ٤/٢٩ـ٣٠.

(٢) نفسه، ٤/٣٠.

وعقيدته ومنجزاته، كل أولئك براهين فريدة على نبوته. فأي إنسان يدرس دون تحيّز حياته ورسالته سوف يشهد أنه حقاً رسول من عند الله، وأن القرآن الذي جاء به للناس هو كتاب الله حقاً. وكل مفكر منصف جاد يبحث عن الحقيقة لا بدّ أن يصل إلى هذا الحكم»[١].

سانتيلانا[٢]

[١]

«ما كان من محمد [ﷺ] إلّا أن تناول المجتمع العربي هدماً من أصوله وجذوره وشاد صرحاً اجتماعياً جديداً. . هذا العمل الباهر لم تخطئه عين (ابن خلدون) النفاذة الثاقبة. إن محمداً [ﷺ] هدم شكل القبيلة والأسرة المعروفين آنذاك، ومحا منه الشخصية الفردية Gentes والموالاة والجماعات المتحالفة. من يعتنق دين الإسلام عليه أن ينشىء روابطه كلها ومنها رابطة قرباه وأسرته، إلا إذا كانوا يعتنقون دينه (إخوته في الإيمان). فما داموا هم على دينهم القديم فإنه يقول لهم كما قال إبراهيم [عليه السلام] لأهله: (لقد تقطعت بيننا الأسباب). . »[٣].

[٢]

«كان محمد [ﷺ] رسول الله إلى الشعوب الأخرى، كما كان رسول الله إلى العرب»[٤].

---

(١) نفسه، ٤/٣٠ـ٣١.

(٢) دافيد دي سانتيلانا (١٨٤٥ ـ ١٩٣١) David de Santillana

ولد في تونس، ودرس في روما، أحرز الدكتوراه في القانون، فدعاه المقيم العام الفرنسي في تونس لدراسة وتدوين القوانين التونسية، فوضع القانونين المدني والتجاري معتمداً بذلك على قواعد الشريعة الإسلامية ومنسقاً إياهما بحسب القوانين الأوروبية. كان على معرفة واسعة بالمذهبين المالكي والشافعي، وفي سنة ١٩١٠ عين أستاذاً لتاريخ الفلسفة في الجامعة المصرية، وله محاضرات قيمة فيها. ثم استدعته جامعة روما لتدريس التاريخ الإسلامي.

من آثاره: (ترجمة وشرح الأحكام المالكية)، كتاب (الفقه الإسلامي ومقارنته بالمذهب الشافعي). . الخ.

(٣) تراث الإسلام (إشراف سير توماس ارنولد)، ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦.

(٤) نفسه، ص ٤٠٦.

هنري دي فاستري

[١]

«إن أشد ما نتطلع إليه بالنظر إلى الديانة الإسلامية ما اختص منها بشخص النبي [ﷺ] ولذلك قصدت أن يكون بحثي أولاً في تحقيق شخصيته وتقرير حقيقته الأدبية علّني أجد في هذا البحث دليلاً جديداً على صدقه وأمانته المتفق تقريباً عليها بين جميع مؤرخي الديانات وأكبر المتشيعين للدين المسيحي»[١].

[٢]

«ثبت إذن أن محمداً [ﷺ] لم يقرأ كتاباً مقدساً ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه . . »[٢].

[٣]

« . . ولقد نعلم أن محمداً [ﷺ] مرّ بمتاعب كثيرة وقاسىٰ آلاماً نفسية كبرى قبل أن يخبر برسالته، فقد خلقه الله ذا نفس تمحّضت للدين ومن أجل ذلك احتاج إلى العزلة عن الناس لكي يهرب من عبادة الأوثان ومذهب تعدد الآلهة الذي ابتدعه المسيحيون وكان بغضهما متمكناً من قلبه وكان وجود هذين المذهبين أشبه بإبرة في جسمه [ﷺ] ولعمري فيم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الأربعين وهو في ريعان الذكاء ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بحدة التخيّل وقوة الادراك . . إلا أن يقول مرارا ويعيد تكراراً هذه الكلمات (الله أحد الله أحد). كلمات رددها المسلمون أجمعون من بعده وغاب عنا معشر المسيحيين مغزاها لبعدنا عن فكرة التوحيد . . »[٣].

---

(١) الإسلام: خواطر وسوانح، ص ٦ .
(٢) نفسه، ص ١٦ .
(٣) نفسه، ص ١٦ - ١٧ .

[٤]

« . . لو رجعنا إلى ما وضحه الحكماء عن النبوة ولم يقبله المتكلمون من المسيحيين لأمكننا الوقوف على حالة مشيد دعائم الإسلام وجزمنا بأنه لم يكن من المبتدعين. . ومن الصعب أن تقف على حقيقة سماعه لصوت جبريل [عليه السلام]. . إلا أن معرفة هذه الحقيقة لا تغير موضوع المسألة لأن الصدق حاصل في كل حال»(١).

[٥]

«لا يمكن أن ننكر على محمد [ﷺ] في الدور الأول من حياته كمال إيمانه وأخلاص صدقه، فأما الإيمان فلم يتزعزع مثقال ذرة من قلبه في الدور الثاني [الدور المدني] وما أوتيه من نصر كان من شأنه أن يقويه على الإيمان لولا أن الاعتقاد كله قد بلغ منه مبلغاً لا محل للزيادة فيه. . وما كان يميل إلى الزخارف ولم يكن شحيحاً. . وكان قنوعاً خرج من [الدنيا] ولم يشبع من خبز الشعير مرة في حياته. . تجرد من الطمع وتمكن من نوال المقام الأعلى في بلاد العرب ولكنه لم يجنح إلى الاستبداد فيها، فلم يكن له حاشية ولم يتخذ وزيراً ولا حشماً، وقد احتقر المال. . »(٢).

اينين دينيه

[١]

«إن الشخصية التي حملها محمد [ﷺ] بين برديه كانت خارقة للعادة وكانت ذات أثر عظيم جداً حتى أنها طبعت شريعته بطابع قوي جعل لها روح الإبداع وأعطاها صفة الشيء الجديد. . »(٣).

[٢]

إن نبي الإسلام هو الوحيد من بين أصحاب الديانات الذي لم يعتمد في إتمام رسالته على المعجزات وليست عمدته الكبرى إلا بلاغة التنزيل الحكيم. . »(٤).

(١) نفسه، ص ٢١ .
(٢) نفسه، ص ٢٤
(٣) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص ١٥ .
(٤) نفسه، ص ١٦ .

[٣]

«. . ان سنة الرسول الغرّاء [ﷺ] باقية إلى يومنا هذا، يجلوها أعظم اخلاص ديني تفيض به نفوس [مئات الملايين] من أتباع سنته منتشرين على سطح الكرة»[1].

[٤]

«كان النبي [ﷺ] يعنى بنفسه عناية تامة، إلى حد أن عرف له نمط من التأنق على غاية من البساطة، ولكن على جانب كبير من الذوق والجمال، وكان ينظر نفسه في المرآة. . ليتمشط أو ليسوي طيات عمامته. . وهو في كل ذلك يريد من حسن منظره البشري أن يروق الخالق سبحانه وتعالى. . »[2].

[٥]

«لقد (دعا) عيسى [عليه السلام] إلى المساواة والأخوة، أما محمد [ﷺ] فوفق إلى (تحقيق) المساواة والأخوة بين المؤمنين أثناء حياته»[3].

ول ديورانت

[١]

«. . يبدو أن أحداً لم يعن بتعليم [محمد ﷺ] القراءة والكتابة. . ولم يعرف عنه أنه كتب شيئاً بنفسه. . ولكن هذا لم يحل بينه وبين قدرته على تعرف شئون الناس تعرفا قلّما يصل إليه أرقى الناس تعليماً»[4].

[٢]

«كان النبي [ﷺ] من مهرة القواد. . ولكنه كان إلى هذا سياسياً محنكاً، يعرف كيف يواصل الحرب بطريق السلم»[5].

---

(١) محمد رسول الله، ص ٥١ .
(٢) نفسه، ص ٣١٢ .
(٣) نفسه، ص ٣٢٣
(٤) قصة الحضارة، ١٣/٢١ - ٢٢ .
(٥) نفسه، ١٣/٣٨ .

[٣]

«إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا أن محمداً [ﷺ] كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب القت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقلّ أن نجد إنساناً غيره حقق ما كان يحلم به. . ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه. . وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء جدباء، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان قليل عددها، متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة. وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم، ديناً سهلاً واضحاً قوياً، وصرحاً خلقياً وقوامه البسالة والعزة القومية. واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشىء دولة عظيمة، وان يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم»[١].

[٤]

«. . لسنا نجد في التاريخ كله مصلحاً فرض على الاغنياء من الضرائب ما فرضه عليهم محمد [ﷺ] لاعانة الفقراء. . »[٢].

[٥]

«تدل الأحاديث النبوية على أن النبي [ﷺ] كان يحث على طلب العلم ويعجب به، فهو من هذه الناحية يختلف عن معظم المصلحين الدينيين. . »[٣].

---

(١) نفسه، ١٣/٤٧ .
(٢) نفسه، ١٣/٥٩ .
(٣) نفسه، ١٣/١٦٧ .

رودنسن[1]

«. . [بظهور عدد من المؤرخين الأوروبيين المستنيرين في القرن الثامن عشر] بدأت تتكامل معالم صورة هي صورة محمد [ﷺ] الحاكم المتسامح والحكيم والمشرع»[2].

فرانزروز نثال

[١]

«إن أفكار الرسول [ﷺ] التي تلقاها وحيا أو التي أدى إليها اجتهاده نشّطت دراسة التاريخ نشاطاً لا مزيد عليه، فقد أصبحت أعمال الأفراد وأحداث الماضي وحوادث كافة شعوب الأرض أموراً ذات أهمية دينية، كما أن شخصية الرسول [ﷺ] كانت خطّاً فاصلاً واضحاً في كل مجرى التاريخ، ولم يتخط علم التاريخ الإسلامي هذا الخط قط. . »[3].

[٢]

«تبقى حقيقة، هي أن الرسول [ﷺ] نفسه وضع البذور التي نجني منها اهتماماً واسعاً بالتاريخ. . لقد كان التاريخ يملأ تفكير الرسول [ﷺ] لدرجة كبيرة، وقد ساعد عمله من حيث العموم في تقديم نمو التاريخ الإسلامي في المستقبل، رغم أن الرسول [ﷺ] لم يتنبأ بالنمو الهائل للمعرفة والعلم الذي سيتم باسم دينه»[4].

---

(١) مكسيم رودنسن M. Rodinson
ولد عام ١٩١٥، من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بباريس، ثم مديرها.
من آثاره: (مباحث في فن الطبخ عند العرب) (١٩٤٩). ونشر عدداً من الدراسات في المجلات المعروفة من مثل (دانتي والإسلام)، و(حياة محمد والمشكلة الاجتماعية المتعلقة بأصول الإسلام)، و(دراسة الصلات بين الإسلام والشيوعية).

(٢) تراث الإسلام، (تصنيف شاخت وبوزوث)، ١/٦٧ ـ ٦٨.

(٣) علم التاريخ عند المسلمين، ص ٤٠.

(٤) نفسه، ص ٤٥.

جاك ريسلر

[١]

«القرآن يكمله الحديث الذي يعد سلسلة من الأقوال تتعلق بأعمال النبي [ﷺ] وارشاداته. وفي الحديث يجد المرء ما كان يدور بخلد النبي [ﷺ]، العنصر الأساسي من سلوكه أمام الحقائق المتغيرة في الحياة، هذه الأقوال، أو هذه الأحاديث التي يشكل مجموعها السنة دونت مما روى عن الصحابة [رضي الله عنهم] أو نقل عنهم مع التمحيص الشديد في اختيارها وهكذا جمع عدد كبير من الأحاديث.. والسنة هي المبينة للقرآن التي لا غنى عنها للقرآن..»[1].

[٢]

«.. كان لزاماً على محمد [ﷺ] أن يبرز في أخصر وقت ممكن تفوّق الشعب العربي عندما أنعم الله عليه بدين سام في بساطته ووضوحه، وكذلك بمذهبه الصارم في التوحيد في مواجهة التردد الدائم للعقائد الدينية. وإذا ما عرفنا أن هذا العمل العظيم أدرك وحقق في أقصر أجل أعظم أمل لحياة إنسانية فإنه يجب أن نعترف أن محمداً [ﷺ] يظل في عداد أعظم الرجال الذين شرف بهم تاريخ الشعوب والأديان»[2].

جورج سارتون

[١]

«صدع الرسول [ﷺ] بالدعوة نحو عام ٦١٠م وعمره يومذاك أربعون سنة، وكان مثل اخوانه الأنبياء السابقين [عليهم السلام] ولكن كان أفضل منهم بها لا نسبة فيه.. وكان زاهداً وفقيها ومشرعاً ورجلاً عملياً..»[3].

---

(١) الحضارة العربية، ص ٣٢.   (٢) نفسه، ص ٣٧.

(٣) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ص ٢٩، ٣٠ ـ ٣١.

[٢]

«انه لم يتح لنبي من قبل . . أن ينتصر انتصاراً تاماً كانتصار محمد [ﷺ] . . »[1].

[٣]

« . . لم يكن محمد [ﷺ] نبي الإسلام فحسب، بل نبي اللغة العربية والثقافة العربية، على اختلاف أجناس المتكلمين بها وأديانهم»[2].

نصري سلهب

[١]

«في مكة . . ابصر النور طفل لم يمرّ ببال أمة، ساعة ولادته، أنه سيكون أحد أعظم الرجال في العالم بل في التاريخ، ولربما أعظمهم اطلاقاً . . »[3].

[٢]

«هنا عظمة محمد [ﷺ]. لقد أستطاع، خلال تلك الحقبة القصيرة من الزمن، أن يحدث شريعة خلقية وروحية واجتماعية لم يستطعها أحد في التاريخ بمثل تلك السرعة المذهلة»[4].

[٣]

« . . هذا الرجل الذي ما عرف الهدوء ولا الراحة ولا الاستقرار، استطاع وسط ذلك الخضم الهائج، أن يرسي قواعد دولة، وأن يشترع قوانين ويسنّ أنظمة، ويجود بالتفاسير والاجتهادات . . ولم ينس أنه أب وجد لأولاد وأحفاد، فلم يحرمهم عطفه وحنانه، فكان بشخصيته الفذة الغنية بالقيم والمعطيات والمؤهلات، المتعددة الابعاد

---

(١) نفسه، ص ٤٣ .

(٢) نفسه، ص ٤٣ .

(٣) في خطى محمد، ص ٤٢ .

(٤) نفسه، ص ١٩٦ .

والجوانب، الفريدة بما أسبغ الله عليها من نعم وصفات، وبها حباها من امكانات، كان بذلك كله، عالماً قائماً بنفسه»[1].

[٤]

«تراثك يا ابن عبدالله ينبغي أن يُحيا، لا في النفوس والقلوب فحسب، بل في واقع الحياة، في ما يعاني البشر من أزمات وما يعترضهم من عقبات. تراثك مدرسة يلقى على منابرها كل يوم عظة ودرس. كل سؤال له عندك جواب كل مشكلة، مهما استعصت وتعقدت، نجد لها في آثارك حلاّ»[2].

[٥]

«.. لم يكن النبي [ﷺ] رسولاً وحسب، يهدي الناس إلى الإيمان، إنما كان زعيماً وقائد شعب، فعزم على أن يجعل من ذلك الشعب خير أمة أخرجت للناس. وكان له ما أراد»[3].

أحمد سوسة

[١]

«.. أي غاية أسمىٰ وأقرب إلى الانسانية ودين الله من تلكم الغاية التي كان يرمي إليها الرسول ﷺ في توحيد القلوب واظهار الحقيقة؟ لنتصور محمداً ﷺ وهو يملي على أهل الكتاب وحي الله قائلاً: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾**[4] ..»[5].

---

(١) نفسه، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(٢) نفسه، ص ٣٩٦.

(٣) نفسه، ص ٤٠٩.

(٤) سورة آلا عمران، الآية ٦٤.

(٥) في طريقي إلى الإسلام، ١/٧٢ ـ ٧٣.

[٢]

«. . ان نبي الإسلام شخصية تاريخية مبجلة . وما حياة الرسول ﷺ سوى سلسلة وقائع تاريخية عظيمة الشأن نبيلة المرمى يتجلى فيها مقامه السامي من الحلقة الانسانية . . »[١].

[٣]

«. . كان محمد ﷺ انموذجاً للحياة الإنسانية بسيرته وصدق إيمانه ورسوخ عقيدته القويمة . بل مثالاً كاملاً للأمانة والاستقامة وإن تضحياته في سبيل بث رسالته الإلٰهية خير دليل على سموّ ذاته ونبل مقصده وعظمة شخصيته وقدسية نبوته»[٢].

[٤]

«إن التاريخ ينبؤنا أن محمداً [ﷺ] ضحى بكل شيء من أجل رسالته إذ أتيحت له مرات فرصة الاختيار بين أمرين أولهما حياة راحة وهناء وغنى على أن ينبذ [دعوته] وثانيهما حياة عسر واضطهاد مقرونة بنشر رسالته، وقد فضل الأمر الثاني لأن إيمانه برسالته كان قويا وكان قد أوحى إليه بأنه قد اختاره ربه لبث هذه الرسالة إلى الانسانية جمعاء فكان ما اراد الله له»[٣].

لويس سيديو

[١]

«لقد حلّ الوقت الذي توجه فيه الأنظار إلى تاريخ تلك الأمة التي كانت مجهولة الأمر في زاوية من آسية فارتقت إلى أعلى مقام فطبق أسمها أفاق الدنيا مدة سبعة قرون . ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد، هو محمد [ﷺ]. . »[٤].

[٢]

«. . لم يعد محمد [ﷺ] نفسه غير خاتم لأنبياء الله [عليهم السلام] وهو قد أعلن

---

(١) نفسه، ص ١/١٧٤ .
(٢) نفسه، ١/١٧٤ ـ ١٧٥ .
(٣) نفسه، ٢/١٣٠ .
(٤) تاريخ العرب العام، ص ١٥ .

أن عيسى بن مريم كان ذا موهبة في الاتيان بالمعجزات، مع أن محمداً [ﷺ] لم يعط مثل هذه الموهبة، وما أكثر ما كان يعترض محتجاً على بعض ما يعزوه إليه أشد أتباعه حماسة من الأعمال الخارقة للعادة!»[1].

[٣]

«. . إن محمداً [ﷺ] أثبت خلود الروح. . وهو مبدأ من أقوم مبادىء الأخلاق. ومن مفاخر محمد [ﷺ] أن أظهره قويا أكثر مما أظهره أي مشترع آخر. . »[2].

[٤]

«. . ما أكثر ما عرض محمد [ﷺ] حياته للخطر انتصاراً لدعوته في عهده الأول بمكة، وهو لم ينفك عن القتال في واقعة أحد حتى بعد أن جرح جبينه وخده وسقطت ثنّتياه. . وهو قد أوجب النصر بصوته ومثاله في معركة حنين، ومن الحق أن عرف العالم كيف يحيي قوة إرادته ومتانة خلقه. . وبساطته، ومن يجهل أنه لم يعدل، إلى آخر عمره، عما يفرضه فقر البادية على سكانها من طراز حياة وشظف عيش؟ وهو لم ينتحل أوضاع الأمراء قط مع ما ناله من غنى وجاه عريض. . وكان [ﷺ] حليماً معتدلاً، وكان يأتي بالفقراء إلى بيته ليقاسمهم طعامه، وكان يستقبل بلطف ورفق جميع من يودّون سؤاله، فيسحر كلماءه بما يعلو وجهه الرزين الزاهر من البشاشة، وكان لا يضجع من طول الحديث، وكان لا يتكلم إلا قليلا فلا ينمّ ما يقول على كبرياء أو أستعلاء، وكان يوحي في كل مرة باحترام القوم له. . ودلّ [ﷺ] على أنه سياسي محنّك. . »[3].

[٥]

«بدت في بلاد العرب أيام محمد [ﷺ] حركة غير مألوفة من قبل، فقد خضعت لسلطان واحد قبائل العرب الغيرى على استقلالها والفخورة بحياتها الفردية، وانضم بعض هذه القبائل إلى بعض فتألفت أمة واحدة»[4].

(١) نفسه، ص ٩٠.
(٢) نفسه، ص ٩٣.
(٣) نفسه، ص ١٠٢ ـ ١٠٣.
(٤) نفسه، ص ١٢٣.

هنري سيروي

[١]

«ومحمد [ﷺ] لم يغرس في نفوس الأعراب مبدأ التوحيد فقط، بل غرس فيها أيضاً المدنية والأدب»[١].

[٢]

«محمد [ﷺ] شخصية تاريخية حقة، فلولاه ما أستطاع الإسلام أن يمتد ويزداد، ولم يتوان في ترديد أنه بشر مثل الآخرين مآله الموت، وبأنه يطلب العفو والمغفرة من الله عز وجل. وقبل مماته أراد أن يطهر ضميره من كل هفوة أتاها فوقف على المنبر مخاطبا: أيها المسلمون، إذا كنت قد ضربت احداً فهاكم ظهري فليأخذ ثأره، أو سلبته مالاً فمالي ملكه. فوقف رجل معلنا أنه يدينه بثلاثة دراهم، فردّ الرسول [ﷺ] قائلاً: أن يشعر الإنسان بالخجل في دنياه خيرٌ من آخرته. ودفع للرجل دينه في التو. وهذا التذوق والإحساس البالغ لفهم محمد [ﷺ] لدوره كنبي يرينا بأن (رينان) كان على غير حق في نعته العرب قبل الإسلام بأنها أمة كانت تحيا بين براثين الجهل والخرافات..»[٢].

[٣]

«إن المحاولة الإسلامية في التاريخ ذات أثر كبير، والعبقرية العربية تجد في محمد [ﷺ] منشئاً لحضارة التوحيد التي تعتبر ذات أهمية كبيرة، إذا فكرنا في القيمة الفلسفية للتوحيد، وفي تفوقها الكبير الذي جعل كل الشعوب الآرية تمارس أفكار تلكم الفلسفة. وهذه الثروة الروحية الغزيرة في الأمة العربية، راجعة إلى الغريزة النبوية والتي تعد واضحة لدى الشعوب السامية، فاليهود الذين يستطيعون الفخر بأنبيائهم الكبار، يقروا بأن روح النبوة قد اختفت لديهم بعد هدم معبدهم الثاني، وهذا ما يفسر بمعنى أكيد العداوة العنيفة والكثيرة التكرار في القرآن بالنسبة إليهم»[٣].

---

(١) فلسفة الفكر الإسلامي، ص ٨. (٢) نفسه، ص ١٧.
(٣) نفسه، ص ٣١.

[٤]

«. . إن الحضارة الفكرية الذهنية الحقيقية لم تظهر وتوجد ـ لدى العرب ـ سوى لدى وصول محمد [ﷺ]»[1].

لورافيشيا فاغليري

[١]

«. . كانت حملة كبيرة على سوريا . . رهن الإعداد، عندما أسكت الموت إلى الأبد صوت النبي [ﷺ] الذي كان قد أحدث هذه الهزة العميقة في تلك القلوب كلها، والذي كان مقدراً له أن يستهوي عما قريب شعوباً أخرى تقيم في مواطن أكثر إمعانا في البعد. وكان في السنة الحادية عشرة من الهجرة»[2].

[٢]

«كان محمد [ﷺ] المتمسك دائماً بالمبادىء الإلٰهية، شديد التسامح، وبخاصة نحو أتباع الأديان الموحدة. لقد عرف كيف يتذرع بالصبر مع الوثنيين، مصطنعاً الاناة دائماً اعتقاداً منه بأن الزمن سوف يتم عمله الهادف إلى هدايتهم واخراجهم من الظلام إلى النور. . لقد عرف جيداً أن الله لا بد أن يدخل آخر الأمر إلى القلب البشري»[3].

[٣]

«حاول أقوى أعداء الإسلام، وقد أعماهم الحقد، أن يرموا نبي الله [ﷺ] ببعض التهم المفتراة. لقد نسوا أن محمداً كان قبل أن يستهل رسالته موضع الاجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته. ومن عجب أن هؤلاء الناس لا يجشمون أنفسهم عناء التساؤل كيف جاز أن يقوى محمد [ﷺ] على تهديد الكاذبين والمرائين، في بعض آيات القرآن اللاسعة بنار الجحيم الابدية، لو كان هو قبل ذلك [وحاشاه]

---

(١) دفاع عن الإسلام، ص ٢٤ . (٢) نفسه، ص ٣٣ .
(٣) نفسه، ص ٧٣ .

رجلا كذابا؟ كيف جرؤ على التبشير، على الرغم من اهانات مواطنيه، إذا لم يكن ثمة قوى داخلية تحثه، وهو الرجل ذو الفطرة البسيطة، حثا موصولا؟ كيف استطاع أن يستهل صراعاً كان يبدو يائساً؟ كيف وفق إلى أن يواصل هذا الصراع أكثر من عشر سنوات، في مكة، في نجاح قليل جدا، وفي أحزان لا تحصى، إذا لم يكن مؤمنا إيمانا عميقا بصدق رسالته؟ كيف جاز أن يؤمن به هذا العدد الكبير من المسلمين النبلاء والأذكياء، وأن يؤازروه، ويدخلوا في الدين الجديد ويشدوا أنفسهم بالتالي إلى مجتمع مؤلف في كثرته من الارقاء، والعتقاء، والفقراء المعدمين إذا لم يلمسوا في كلمته حرارة الصدق؟ ولسنا في حاجة إلى أن نقول أكثر من ذلك، فحتى بين الغربيين يكاد ينعقد الاجماع على أن صدق محمد [ﷺ] كان عميقاً واكيداً»(1).

[٤]

«دعا الرسول العربي [ﷺ] بصوت ملهم باتصال عميق بربه، دعا عبدة الأوثان وأتباع نصرانية ويهودية محرّفتين إلى أصفى عقيدة توحيدية. وارتضى أن يخوض صراعاً مكشوفاً مع بعض نزعات البشر الرجعية التي تقود المرء إلى أن يشرك بالخالق آلهة أخرى . . »(2).

[٥]

« . . إن [محمداً ﷺ] طوال سنين الشباب التي تكون فيها الغريزة الجنسية أقوى ما تكون، وعلى الرغم من أنه عاش في مجتمع كمجتمع العرب، حيث كان الزواج، كمؤسسة اجتماعية، مفقوداً أو يكاد، وحيث كان تعدد الزوجات هو القاعدة، وحيث كان الطلاق سهلاً إلى أبعد الحدود، لم يتزوج إلا من امرأة واحدة ليس غير، هي خديجة [رضي الله عنها] التي كانت سنّها أعلى من سنّه بكثير، وأنه ظل طوال خمس وعشرين سنة زوجها المخلص المحب، ولم يتزوج كرة ثانية، وأكثر من مرة، إلا بعد أن توفيت خديجة، وإلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره. لقد كان لكل زواج من زواجاته هذه سبب اجتماعي أو سياسي، ذلك بأنه قصد من خلال النسوة اللاتي

---

(1) نفسه، ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(2) نفسه، ص ٤٣ .

تزوجهن إلى تكريم النسوة المتصفات بالتقوى، أو إلى انشاء علاقات زوجية مع بعض العشائر والقبائل الأخرى ابتغاء شق طريق جديد لانتشار الإسلام وباستثناء عائشة [رضي الله عنها]، ليس غير، تزوج محمد [ﷺ] من نسوة لم يكنّ لا عذارى، ولا شابات، ولا جميلات، فهل كان ذلك شهوانية؟ لقد كان رجلاً لا إلها. وقد تكون الرغبة في الولد هي التي دفعته أيضاً إلى الزواج من جديد، لأن الأولاد الذين انجبتهم خديجة [رضي الله عنها] له كانوا قد ماتوا. ومن غير أن تكون له موارد كثيرة أخذ على عاتقه النهوض باعباء أسرة ضخمة، ولكنه التزم دائماً سبيل المساواة الكاملة نحوهن جميعاً، ولم يلجأ قط إلى اصطناع حق التفارق مع أي منهن. لقد تصرف متأسّياً بسنة الأنبياء القدامى [عليهم السلام]، مثل موسى وغيره، الذين لا يبدو أن أحداً من الناس يعترض على زواجهم المتعدد. فهل يكون مرد ذلك إلى أننا نجهل تفاصيل حياتهم اليومية، على حين نعرف كل شيء عن حياة محمد [ﷺ] العائلية؟»[1].

ليوبولد فايس

[١]

«.. إن العمل بسنة رسول الله [ﷺ] هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وإن ترك السنة هو انحلال الإسلام. لقد كانت السنة الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام، وأنك إذا أزلت هيكل بناء ما، أفيدْهِشُك أن يتقوض ذلك البناء، كأنه بيت من ورق؟»[2].

[٢]

«.. إن السنة هي المثال الذي أقامه لنا الرسول [ﷺ] من أعماله وأقواله. إن حياته العجيبة كانت تمثيلاً حيا وتفسيراً لما جاء في القرآن الكريم، ولا يمكننا أن ننصف القرآن الكريم بأكثر من أن نتبع الذي قد بلّغ الوحي»[3].

---

(١) نفسه، ص ٩٩ـ ١٠٠.
(٢) الإسلام على مفترق الطرق، ص ٨٧.
(٣) نفسه، ص ٨٨.

[٣]

« . . إنه على الرغم من جميع الجهود التي بذلت في سبيل تحدي الحديث على أنه نظام ما، فإن أولئك النقاد العصريين من الشرقيين والغربيين لم يستطيعوا أن يدعموا انتقادهم العاطفي الخالص بنتائج من البحث العلمي. وأنه من الصعب أن يفعل أحد ذلك، لأن الجامعين لكتب الحديث الأولى، وخصوصاً الإمامين البخاري ومسلماً قد قاموا بكل ما في طاقة البشر عند عرض صحة كل حديث على قواعد التحديث عرضاً أشد كثيراً من ذلك يلجأ إليه المؤرخون الاوربيون عادة عند النظر في مصادر التاريخ القديم»[1].

[٤]

« . . إن رفض الأحاديث الصحيحة، جملة واحدة أو اقساما، ليس حتى اليوم . . إلّا قضية ذوق، قضية قصرت عن أن تجعل من نفسها بحثاً علمياً خالصا من الاهواء . . »[2].

[٥]

« . . إن العمل بالسنة [يجعل] كل شيء في حياتنا اليومية مبنياً على الاقتداء بما فعله الرسول [ﷺ] وهكذا نكون دائماً، إذا فعلنا أو تركنا ذلك، مجبرين على أن نفكر بأعمال الرسول وأقواله المماثلة لأعمالنا هذه وعلى هذا تصبح شخصية أعظم رجل متغلغلة إلى حد بعيد في منهاج حياتنا اليومية نفسه، ويكون نفوذه الروحي قد أصبح العامل الحقيقي الذي يعتادنا طوال الحياة . . »[3].

---

(١) نفسه، ص ٩٢.
(٢) نفسه، ص ٩٧.
(٣) نفسه، ص ١٠٩.

كارلايل[1]

[١]

« . . هل رأيتم قط . . أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً عجبا . . إنه لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب! فهو إذاً لم يكن عليماً بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه ببيت وإنما هو تل من الانقاض وكثيب من أخلاط المواد، وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثنى عشر قرنا يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن. وأني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة والاّ أبت أن تجيب طلبته . . كذب ما يذيعه أولئك الكفار وان زخرفوه حتى تخيّلوه حقا . . ومحنة أن ينخدع الناس شعوبا وأمما بهذه الاضاليل . . »[2] .

[٢]

« . . ان [محمداً ﷺ] لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً وكانت صناعة الخطّ حديثة العهد آن ذاك في بلاد العرب، ويظهر لي أن الحقيقة هي أن محمداً [ﷺ] لم يكن يعرف الخط والقراءة، وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء وأحوالها وكل ما وفق إلى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهده بعينيه ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية . . انه لم يعرف من العالم ولا من علومه إلا ما تيسّر له أن يبصره بنفسه أو يصل إلى سمعه في ظلمات صحراء العرب، ولم يضره . . أنه لم يعرف علوم العالم لا قديمها ولا حديثها لأنه كان بنفسه غنياً عن كل ذلك. ولم يقتبس محمد [ﷺ] من نور أي أنسان آخر ولم يغترف من مناهل غيره ولم يك في جميع أشباهه من الأنبياء والعظماء ـ أولئك الذين أشبههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور ـ من كان بين محمد [ﷺ] وبينه أدنى صلة وإنما نشأ وعاش وحده في أحشاء الصحراء . . بين الطبيعة وبين أفكاره»[3] .

---

(١) توماس كارلايل (١٧٩٥ ـ ١٨٨١) Th. Carlyle
الكاتب الانكليزي المعروف.
من آثاره: (الابطال) (١٩٤٠)، وقد عقد فيه فصلاً رائعاً عن النبي ﷺ، (الثورة الفرنسية) . . الخ.

(٢) الأبطال، ص ٤٣ .

(٣) نفسه، ص ٥ .

[٣]

«لوحظ على محمد [ﷺ] منذ [صباه] أنه كان شاباً مفكراً وقد سّماه رفقاؤه الأمين - رجل الصدق والوفاء - الصدق في أفعاله وأقواله وأفكاره. وقد لاحظوا أنه ما من كلمة تخرج من فيه إلاّ وفيها حكمة بليغة. واني لاعرف عنه أنه كان كثير الصمت يسكت حيث لا موجب للكلام، فإذا نطق فما شئت من لبّ. . وقد رأيناه طول حياته رجلاً راسخ المبدأ صارم العزم بعيد الهم كريماً برّاً رؤوفا تقياً فاضلاً حراً، رجلاً شديد الجدّ مخلصاً، وهو مع ذلك سهل الجانب لين العريكة، جمّ البشر والطلاقة حميد العشرة حلو الايناس، بل ربما مازح وداعب، وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق. . وكان ذكي اللب، شهم الفؤاد. . عظيما بفطرته، لم تثقفه مدرسة ولا هذبه معلم وهو غني عن ذلك. . فأدى عمله في الحياة وحده في أعماق الصحراء»[١].

[٤]

« . . ومما يبطل دعوى القائلين أن محمداً [ﷺ] لم يكن صادقاً في رسالته. . أنه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة [مع خديجة رضي الله عنها] لم يحاول أثناءها احداث ضجة ولا دوي، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة. . ولم يك إلاّ بعد أن ذهب الشباب وأقبل المشيب ان فار بصدره ذلك البركان الذي كان هاجعاً وثار يريد أمراً جليلاً وشأناً عظيماً»[٢].

[٥]

« . . لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير [ﷺ] ابن القفار والفلوات العظيم النفس، المملوء رحمة وخيراً وحناناً وبرا وحكمة وحجى ونهىٰ، افكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه. وكيف وتلك نفس صامتة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم إلاّ أن يكونوا مخلصين جادين؟ فبينما نرى آخرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ويسيرون طبق اعتبارات باطلة. إذ ترى محمداً [ﷺ] لم يرض

(١) نفسه، ص ٥٠ ـ ٥١ . (٢) نفسه، ص ٥١ .

أن يلتفع بالاكاذيب والاباطيل. لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة وبحقائق الامور والكائنات، لقد كان سرّ الوجود يسطع لعينيه باهواله ومخاوفه ومباهره، ولم يك هنالك من الاباطيل ما يحجب ذلك عنه، فكأنه لسان حال ذلك السرّ يناجيه: هآنذا، فمثل هذا الاخلاص لا يخلو من معنى الهي مقدس، وما كلمة مثل هذا الرجل إلا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة، فإذا تكلم فكل الآذان برغمها صاغية وكل القلوب واعية. وكل كلام ماعدا ذلك هباء وكل قول جفاء..»[1].

[٦]

«اني لأحب محمداً [ﷺ] لبراءة طبعه من الرياء والتصنّع. ولقد كان ابن القفار هذا رجلا مستقل الرأي لا يعول إلا على نفسه ولا يدعي ما ليس فيه ولم يك متكبرا ولكنه لم يكن ذليلا، فهو قائم في ثوبه المرقع كما أوجده الله وكما اراده، يخاطب بقوله الحرّ المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة. وكان يعرف لنفسه قدرها.. وكان رجلاً ماضي العزم لا يؤخر عمل اليوم إلى غد..»[2].

كاهن[3]

[١]

«اصطبغت شخصية محمد [ﷺ] بصبغة تاريخية قد لا تجدها عند أي مؤسس آخر من مؤسسي الديانات الكبرى»[4].

---

(١) نفسه، ص ٥١ ـ ٥٢. (٢) نفسه، ص ٦٤.

(٣) **كلود كاهن** **Cl. Cahen**
ولد عام ١٩٠٩، وتخرج باللغات الشرقية من السوربون ومدرسة اللغات الشرقية ومدرسة المعلمين العليا، وعين محاضرا في مدرسة اللغات الشرقية في باريس (١٩٣٨)، وأستاذاً لتاريخ الإسلام في كلية الآداب بجامعة ستراسبورغ (١٩٤٥)، وفي جامعة باريس.
من آثاره: عدد كبير من الدراسات والأبحاث في المجلات الشهيرة، وحقق العديد من النصوص التاريخية المهمة، كما أنجز عدداً من المؤلفات عن الحروب الصليبية.

(٤) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ١/ ١٤.

[٢]

«يبدو للمؤرخ المنصف أن محمداً [ﷺ] كان في عداد الشخصيات النبيلة السامية التي سعت في كثير من الحماس والأخلاص إلى النهوض بالبيئة التي عاش فيها أخلاقياً وفكرياً، كما أستطاع في الوقت نفسه أن يكيف رسالته حسب طباعِ الناس وتقاليدهم بمزيد من الفهم والتنظيم بحيث كفل البقاء والخلود للرسالة التي بشر بها. وحتم علينا أن نلقى محمداً [ﷺ] بعواطف الاجلال والاحترام لما تحلى به من سمو الالهام ومن قدرة على تذليل العقبات الانسانية عامة والتغلب على مصاعبه الشخصية خاصة. وربما أثارت فينا بعض جوانب حياته شيئاً من الارتباك تبعاً لعقليتنا المعاصرة. فقد أكدت المهاترات على شهوات الرسول [ﷺ] الدنيوية والمحت إلى زوجاته التسع اللائي اتخذهن بعد وفاة خديجة [رضي الله عنها]. لكن الثابت أن معظم هذه الصلات الزوجية قد طبعت بطابع سياسي، وأنها استهدفت الحصول على ولاء بعض الاشراف وبعض الافخاذ. ثم ان العقلية العربية تقرّ الانسان إذا استخدم طبيعته على نحو ما خلقها الله»[١].

[٣]

«.. الحق أننا نتجاوز النقد العلمي الصحيح إذا نحن أنكرنا على كل حديث صحته أو قدمه. ولقد باشر العلماء بمثل هذا التمحيص منذ عهد بعيد فوجدوا أن التحريف أو التلفيق قد لا يعّمان على نسق واحد واستندوا في ذلك إلى بعض الأحاديث التي يمكن اعتبارها سابقة أو حجة يعتد بها. بمعنى أن الموقف النقدي مفروض على الباحث المنصف. وفقهاء المسلمين أنفسهم هم قدوة لنا في هذا المضمار لأنهم ـ على طريقتهم ـ قد التزموا بذلك الموقف منذ العصر الوسيط»[٢].

هاملتون كب

[١]

«.. اقتضى الأمر نشوء علم جديد غايته جمع الحديث ونقده وتصنيفه وتنسيقه والحصول في النهاية ـ بقدر الامكان ـ على مجموعة متفق عليها يتقبلها الجميع. وقد

(١) نفسه، ١/١٨.
(٢) نفسه، ١/٩٥.

استـأثرت هذه المهمة بالكثير من طاقات الفقهاء والعلماء في القرن الثالث، ولكن القائمين عليها احرزوا نجاحاً حتى أصبح حديث الرسول [ﷺ] يعتبر مرجعاً ثانيا معتمدا للفقه والعقيدة»[1].

[٢]

«. . يكاد يكون من المؤكد أن الاراء التي تعبر عنها الاحاديث [التي تم جمعها في القرن الثالث] تمثل تعاليم القرآن ومبادئه الخلقية تمثيلا صادقاً»[2].

[٣]

«إن بدايات التاريخ العلمي بالعربية تقترن بدراسة سيرة الرسول [ﷺ] ودراسة أعـمالـه. وعليه فاننـا نجـد مصدر هذه الدراسة في جمع الحديث النبوي وبخاصة الأحاديث المتعلقة بمغازي الرسول [ﷺ]. وكان موطن هذه الدراسة هو المدنية. . ويفسر لنا ارتباط المغازي بالحديث، هذا الارتباط الذي ترك طابعاً لا يمحى في المنهج التاريخي باستخدام هذا المنهج للاسناد، ما طرأ من تغير هائل ظهر منذ هذه اللحظة في طبيعة الاخبار التاريخية عند العرب، ودقتها المؤسسة على النقد. ويمكننا أن نشعر لأول مرة بأننا نستند إلى أساس تاريخي قويم حتى وأن اعترفنا بوجود بعض العناصر المشكوك فيها في أخبار الفترتين، المدنية والمكية، من حياة الرسول [ﷺ]»[3].

[٤]

«ومهما نقل في قوة النزعة الإسلامية نحو محمد [ﷺ] وفي آثارها فانا لا نوصف بالغلو. فقد كان اجلال الرسول [ﷺ] شعوراً طبيعياً محتوما في عصره وفيما بعده، غير أن ما نومىء إليه شيء يتجـاوز الاجلال. فان العلاقات الشخصية من الاعجاب والحب اللذين بعثهما في نفوس صحابته ظل صداها يتردد خلال القرآن، والفضل في ذلك يعود إلى الوسائل التي أقرّتها الأمة لتستثير بهما مجددين في كل جيل»[4].

---

(١) دراسات في حضارة الإسلام، ص ٢٠ .
(٢) نفسه، ص ٢١ .
(٣) نفسه، ص ١٤٧ .
(٤) نفسه، ص ٢٥٧ .

[٥]

«.. لولا الحديث لاصبح [لمحمد ﷺ] في أقل تقدير صورة معممة - إن لم نقل بعيدة - في أصولها التاريخية والدينية. أما الحديث فقد صور وجوده الانساني في مجموعة وفيرة من التفصيلات الحية المحسوسة، وبذلك قدم للمسلمين حين ربط بين المسلمين وبين نبيهم بنفس الروابط الذاتية الوثيقة التي كانت تصله بأصحابه الأولين، وهي روابط نمت على مر القرون وكانت أقوى من أن تصاب بالضعف. ولم يصبح شخص محمد [ﷺ] ابداً ذا صبغة مرسومة مقررة، ويكاد لا يكون من الغلو أن نقول ان حرارة ذلك الشعور الشخصي نحو الرسول الحبيب [ﷺ] كانت أبداً أقوى عنصر حيوي في دين الجماهير الإسلامية أو كانت كذلك بين أهل السنة، على الاقل»[1].

«.. ما تزال الاحتفالات العائلية تختم بادعية وأناشيد في تمجيد الرسول [ﷺ] وكل الأمة تراعيها وتشهدها بحماسة في ذلك اليوم المجيد، يوم مولد النبي [ﷺ] في الثاني عشر من شهر ربيع الأول. هنالك ترى المجددين والمقلدين والصوفية والسلفية والعلماء وأفراد الجمهور يلتقون جميعاً معاً على بقعة واحدة، وقد يكون بين نزعاتهم العقلية تنوع واسع متباين، ولكنهم جميعاً وحدة متآلفة في اخلاصهم وحبهم لمحمد [ﷺ]»[2].

ايقلين كوبولد

[١]

«.. هذه هي مدينة الرسول [ﷺ].. تعيد إلى نفسي ذكرى جهوده في سبيل لا إله إلا الله، وتلقى في روعي صبره على المكاره واحتماله للأذى في سبيل الوحدانية الالهية»[3].

---

(١) نفسه، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.
(٢) نفسه، ص ٢٥٩.
(٣) البحث عن الله، ص ٣٩ - ٤٠.

[٢]

«كان العرب قبل محمد [ﷺ] أمة لا شأن لها ولا أهمية لقبائلها ولا لجماعتها، فلما جاء محمد [ﷺ] بعث هذه الأمة بعثاً جديداً يصح أن يكون أقرب إلى المعجزات فغلبت العالم وحكمت فيه آجالا وآجالا . . »(١).

[٣]

« . . لعمري، ليجدن المرء في نفسه، ما تقدم إلى قبر [الرسول ﷺ] روعة ما يستطيع لها تفسيرا، وهي روعة تملأ النفس اضطرابا وذهولا ورجاء وخوفا وأملا، ذلك أنه أمام نبي مرسل وعبقري عظيم لم تلد مثله البطون حتى اليوم . . ان العظمة والعبقرية يهزان القلوب ويثيران الافئدة فما بالك بالعظمة إذا انتظمت مع النبوة، وما بالك بها وقد راحت تضحي بكل شيء في الحياة في سبيل الانسانية وخير البشرية»(٢).

[٥]

«لقد استطاع النبي [ﷺ] القيام بالمعجزات والعجائب، لمّا تمكن من حمل هذه الأمة العربية الشديدة العنيدة على نبذ الاصنام وقبول الوحدانية الالهية . . لقد وفّق إلى خلق العرب خلقاً جديدا ونقلهم من الظلمات إلى النور»(٣).

[٦]

«مع أن محمداً [ﷺ] كان سيد الجزيرة العربية . . فإنه لم يفكر في الألقاب، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل على حاله مكتفيا بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، ينظف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده، كريماً باراً كأنه الريح السارية، لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضل عليه بما لديه، وما لديه كان في أكثر الاحايين قليلا لا يكاد يكفيه»(٤).

---

(١) نفسه، ص ٥١ .
(٢) نفسه، ص ٥٢ .
(٣) نفسه، ص ٦٦ ـ ٦٧ .
(٤) نفسه، ص ٦٧ .

كولد تسيهر(1)

[١]

«.. إن محمداً قد بشر بمذهبه للمرة الأولى بحماس لم يفتر ولم تعوزه المثابرة، وبعقيدة ثابتة بأن هذا المذهب يحقق صالح الجماعة الخاصة، وقد كان في ذلك كله مظهراً لانكار الذات برغم سخرية الجمهور»(2)

[٢]

«.. الحق، أن محمداً [ﷺ] كان بلا شك أول مصلح حقيقي في الشعب العربي من الوجهة التاريخية»(3).

[٣]

«في هذا العصر نرى النبي [ﷺ] يستخدم حنكته المفكرة ورويته الدقيقة وتبصره العالمي، في مقاومة خصومه الذين شرعوا في معارضة مقاصده وغاياته في داخل موطنه وخارجه»(4).

عبد الله لويليام

[١]

«كان محمد [ﷺ] على أعظم ما يكون من كريم الطباع وشريف الأخلاق ومنتهى الحياء وشدة الاحساس. وكان حائزا لقوة ادراك عجيبة وذكاء مفرط وعواطف رقيقة

---

(1) كولدتسيهر (١٨٥٠ - ١٩٢١م) Y. Goldziher

تخرج باللغات السامية على كبار أساتذتها في بودابست وليبزج وبرلين وليدن. ولما نبه ذكره عين أستاذاً محاضراً في كلية العلوم بجامعة بودابست (١٨٧٣) ثم أستاذ كرسي (١٩٠٦). رحل إلى عدد من البلدان العربية وتضلع بالعربية على شيوخ الأزهر. انتخب عضواً في عدد من المجامع العلمية وحضر عدداً من المؤتمرات الاستشراقية.

من آثاره: كتب سيلاً من المقالات والأبحاث في المجلات الآسيوية والغربية بأكثر من لغة. وكتاب (العقيدة والشريعة في الإسلام) (باريس ١٩٢٠)، و(درس في الإسلام) في جزئين كبيرين. كما حقق العديد من النصوص القديمة.

(2) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ١٢ - ١٣. (3) نفسه، ص ١٣.

(4) نفسه، ص ٢١ - ٢٢.

شريفة. وكان على خلق عظيم وشيم مرضية مطبوعا على الاحساس..»[1].

[٢]

«.. إن بعض كتـاب هذا العصر الحاضر كادوا أن يعرفوا بأن الطعن والقدح والشتم والسب ليس بالحجة ولا البرهان فسلموا بذكر كثير من صفات النبي [ﷺ] السامية وجليل أعماله الفاخرة..»[2].

[٣]

«.. ما اهتدى مئات الملايين إلى الإسلام إلا ببركة محمد [ﷺ] الذي علمهم الركوع والسجود لله وأبقى لهم دستوراً لن يضلوا بعده أبدا وهو القرآن الجامع لمصالح دنياهم ولخير اخراهم..»[3].

[٤]

«لما شرف محمد ﷺ ساحة عالم الشهود بوجوده الذي هو الواسطة العظمى والوسيلة الكبرى إلى اعتلاء النوع الانساني وترقيه في درجات المدنية أكمل ما يحتاجه البشر من اللوازم الضرورية على نهج مشروع وأوصل الخلق إلى اقصى مراتب السعادة بسرعة خارقة. ومن نظر بعين البصيرة في حال الانام قبله عليه الصلاة والسلام وما كانوا عليه من الضلالة.. ونظر في حالهم بعد ذلك وما حصل لهم في عصره من الترقّي العظيم رأى بين الحالين فرقاً عظيماً كما بين الثريا والثرى»[4].

[٥]

«.. امتدت أنوار المدنية بعد محمد [ﷺ] في قليل من الزمان ساطعة في أقطار الأرض من المشرق إلى المغرب حتى أن وصول أتباعه في ذلك الزمن اليسير إلى تلك المرتبة العلية من المدنية قد حيّر عقول أولي الألباب. وما السبب في ذلك إلا كون أوامره ونواهيه موافقة لموجب العقل ومطابقة لمقتضى الحكمة»[5].

---

(١) العقيدة الإسلامية، ص ٩٦ ـ ٩٧ .
(٢) نفسه، ص ١١٣ ـ ١١٤ .
(٣) نفسه، ص ٣٨ (عن لوازون في خطبته المذكورة) .
(٤) أحسن الأجوبة عن سؤال أحد علماء أوروبا، ص ٢١ ـ ٢٢ .
(٥) نفسه، ص ٢٢ ـ ٢٣ .

روم لانـدو

[١]

«. . لم ينسب محمد [ﷺ] في أيّما يوم من الأيام إلى نفسه صفة ألوهية أو قوى أعجوبية. على العكس، لقد كان حريصاً على النص على أنه مجرد رسول اصطنعه الله لابلاغ الوحي للناس»[١].

[٢]

«كان محمد [ﷺ] تقّياً بالفطرة، وكان من غير ريب مهيّأً لحمل رسالة الاصلاح التي تلقـاهـا. . وبالاضافة إلى طبيعته الروحية، كان في جوهره رجلاً عملياً عرف مواطن الضعف ومواطن القوة في الخلق العربي، وأدرك ان الاصلاحات الضرورية ينبغي أن تقدم إلى البدو الذين لا يعرفون انضباطاً وإلى المدينيين الوثنيين، في آن معاً، على نحو تدريجي. وفي الوقت نفسه كان محمد [ﷺ] يملك إيمانا لا يلين بفكرة الاله الـواحد. . وعزماً راسخاً على استئصال كل أثر من آثار عبادة الأصنام التي كانت سائدة بين الوثنيين العرب»[٢].

[٣]

«كانت مهمة محمد [ﷺ] هائلة. كانت مهمة ليس في ميسور دجال تحدوه دوافع أنانية (وهو الوصف الذي رمى به بعض الكتاب الغربيين المبكرين الرسول العربي [ﷺ] أن يرجو النجاح في تحقيقها بمجهوده الشخصي، إن الاخلاص الذي تكشف عنه محمد [ﷺ] في اداء رسالته، وما كان لاتباعه من إيمان كامل في ما أنزل عليه من وحي، واختبار الاجيال والقرون، كل أولئك يجعل من غير المعقول أتهام محمد [ﷺ] بأيّ ضرب من الخـداع المتعمـد. ولم يعـرف التاريخ قط أي تلفيق (ديني) متعمد استطاع أن يعمر طويلا. والاسلام لم يعمر حتى الآن ما ينوف على ألف وثلاثمائة سنة وحسب، بل انه لا يزال يكتسب، في كل عام، اتباعاً جدداً. وصفحات التاريخ لا

---

(١) الإسلام والعرب، ص ٣٢.　　(٢) نفسه، ص ٣٣.

تقـدم إلينـا مثـلاً واحـداً على محتـال كان لرسالته الفضل في خلق امبراطورية من امبراطوريات العالم وحضارة من أكثر الحضارات نبلا»[1].

[٤]

«كانت مهمة محمد [ﷺ] هي القضاء على النظام القبلي القوي الذي كان مسؤولاً عن اندلاع نار الحرب، على نحو موصول تقريباً، بين العرب، والاستعاضة عنه بولاء لله يسمو على جميع الروابط الأسرية والاحقاد الصغيرة. كان عليه أن يعطي الناس قانونا كليا يستطيع حتى العرب المتمردون قبوله والاذعان له، وكان عليه أن يفرض الانضباط على مجتمع عاش على العنف القبلي والاثئار الدموي لضروب من المظالم بعضها واقعي وبعضها متوهم. كان عليه أن يحلّ الانسانية محل الوحشية، والنظام محل الفوضى، والعدالة محل القوة الخالصة»[2].

[٥]

«عندما توفى محمد [ﷺ] عام ٦٣٢م كان في نجاح الإسلام ما زكى ايمان خديجة [رضي الله عنها] بالوحي الذي تلقاه زوجها، وكانت العقيدة التوحيدية الجديدة في سبيلها إلى القيام بفتح روحي ومادي لا يضارعه أي فتح في التاريخ البشري»[3].

لايتنـــر[4]

[١]

«بقدر ما أعرف من دينيْ اليهود والنصارى أقول بأن ما علمه محمد [ﷺ] ليس اقتباساً بل قد (أوحي إليه به) ولا ريب بذلك طالما نؤمن بأنه قد جاءنا وحي من لدن عزيز عليم. واني بكل احترام وخشوع أقول: إذا كان تضحية الصالح الذاتي، وأمانة

---

(١) نفسه، ص ٣٣ ـ ٣٤ . (٢) نفسه، ص ٣٤ .

(٣) نفسه، ص ٣٥ .

(٤) لايتنـر Lightner

باحث انكليزي، حصل على أكثر من شهادة دكتوراه في الشريعة والفلسفة واللاهوت، وزار الأستانة عام ١٨٥٤، كما طوف بعدد من البلاد الإسلامية والتقى برجالاتها وعلمائها.

المقصـد، والإيمان القـوي الثابت، والنظر الصادق الثاقب بدقائق وخفايا الخطيئة والضلال، واستعمال أحسن الوسائط لازالتها، فذلك من العلامات الظاهرة الدالة على نبوة محمد [ﷺ] وأنه قد أوحى إليه»[1].

[٢]

«إن الديانة النصرانية التي ودّ محمد [ﷺ] أعادتها لأصلها النقي كما بشر بها المسيح [عليه السـلام] تخالف التعـاليم السرّية التي أذاعها بولس والاغلاط الفظيعة التي أدخلها عليها شيع النصارى. . ولقد كانت آمال محمد [ﷺ] وأمانيه أن لا تخصص بركة دين إبراهيم [عليه السلام] لقومه خاصة، بل تعم الناس جميعا، ولقد صار دينه الواسطة لارشاد وتمدن الملايين من البشر، ولولا هذا الدين للبثوا غرقى في التوحش والهمجية، ولما كان لهم هذا الاخاء المعمول به في دين الإسلام»[2].

[٣]

« . . لما بلغ [ﷺ] السنة الخامسة والعشرين من العمر تزوج امرأة عمرها (أربعين عامـا، وهذه تشابه امرأة عمرها خمسين عاما في أوربا، وهي أول من آمن برسالته المقدسة. . وبقيت خديجة (رضي الله عنها) معه عشرين عاما لم يتزوج عليها قط حتى ماتت (رضي الله عنها). ولما بلغ من العمر خمساً وخمسين سنة صار يتزوج الواحدة بعد الأخرى. لكن ليس من الاستقامة والصدق أن ننسب ما لا يليق لرجل عظيم صرف كل ذاك العمـر بالـطهارة والعفاف فلا ريب أن لزواجه بسن الكبر أسباب حقيقية غير التي يتشدق بها كتاب النصارى بهذا الخصوص، وما هي تلك الأسباب يا ترى؟ ولا ريب هي شفقته على نساء أصحابه الذين قتلوا. . »[3].

[٤]

« . . مرة، أوحى الله تعالى إلى النبي [ﷺ] وحياً شديد المؤاخذة لأنه ادار وجهه عن رجل فقير أعمى ليخاطب رجلاً غنياً من ذوي النفوذ، وقد نشر ذاك الوحي، فلو

---

(١) دين الإسلام، ص ٤ ـ ٥ .
(٢) نفسه، ص ٥ .
(٣) نفسه، ص ١٢ ـ ١٣ .

كان [ﷺ] كما يقول أغبياء النصارى بحقه لما كان لذاك الوحي من وجود»[1].

[٥]

« . . أني لاجهر برجائي بمجيء اليوم الذي به يحترم النصارى المسيح [عليه السلام] احتراماً عظيماً وذلك باحترامهم محمداً [ﷺ]، ولا ريب في أن المسيحي المعترف برسالة محمد [ﷺ] وبالحق الذي جاء به هو المسيحي الصادق»[2].

غوستاف لوبون

[١]

«جمع محمد [ﷺ] قبل وفاته كلمة العرب، وبنى منهم أمة واحدة خاضعة لدين واحد مطيعة لزعيم واحد، فكانت في ذلك آيته الكبرى . . ومما لا ريب فيه أن محمداً [ﷺ] أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الإسلام، ومنها اليهودية والنصرانية ولذلك كان فضله على العرب عظيما . . »[3].

[٢]

«إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد [ﷺ] من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمداً [ﷺ] مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله . . »[4].

[٣]

«استطاع محمد [ﷺ] أن يبدع مثلاً عالياً قويا للشعوب العربية التي لا عهد لها بالمثل العليا، وفي ذلك الابداع تتجلى عظمة محمد [ﷺ] على الخصوص . . ولم يتردد أتباعه في التضحية بأنفسهم في سبيل هذا المثل الأعلى . . »[5].

---

(١) نفسه، ص ١٣٢ - ١٣٣ .
(٢) نفسه، ص ٦ .
(٣) نفسه، ص ١٦ .
(٤) حضارة العرب، ص ١١٥ .
(٥) نفسه، ص ١١٦ .

[٤]

« . . لا شيء أصوب من جمع محمد [ﷺ] لجميع السلطات المدنية والحربية والدينية في يد واحدة أيام كانت جزيرة العرب مجزأة ما استطعنا أن نقدر قيمة ذلك بنتائجه، فقد فتح العرب العالم في قرن واحد بعد أن كانوا قبائل من أشباه البرابرة المتحاربين قبل ظهور محمد [ﷺ]»[1].

لوقا[2]

[١]

« . . ما كان [محمد ﷺ] كآحاد الناس في خلاله ومزاياه، وهو الذي اجتمعت له آلاء الرسل [عليهم السلام]، وهمة البطل، فكان حقاً على المنصف أن يكرم فيه المثل، ويحييّ فيه الرجل»[3].

[٢]

«لا تأليه ولا شبهة تأليه في معنى النبوة الإسلامية. . و قد درجت شعوب الارض على تألية الملوك والأبطال والاجداد، فكان الرسل أيضاً معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين الألوهية بسبب من الأسباب، فما أقرب الناس لو تركوا لأنفسهم أن يعتقدوا في الرسول أو النبي أنه ليس بشراً كسائر البشر وأن له صفة من صفات الألوهية على نحو من الانحاء. ولذا نجد توكيد هذا التنبيه متواتراً مكرراً في آيات القرآن، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: **﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إليّ . . ﴾**[4]، وفي تخير كلمة (مثلكم) معنى مقصود به التسوية المطلقة، والحيلولة دون الارتفاع بفكرة النبوة أو الرسالة فوق مستوى البشرية بحال من الأحوال. بل نجد ما

---

(١) نفسه، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ .

(٢) د. نظمي لوقا — Dr. N. Luka

مسيحي من مصر. يتميز بنظرته الموضوعية وأخلاصه العميق للحق. ورغم الحاح أبويه على تنشئته على المسيحية منذ كان صبيا، فأنه كثيراً ما كان يحضر مجالس شيوخ المسلمين ويستمع بشغف إلى كتاب الله وسيرة رسوله عليه السلام. بل أنه حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز العاشرة من عمره. ألف عدداً من الكتب أبرزها (محمد الرسالة والرسول)، و(محمد في حياته الخاصة).

(٣) محمد الرسالة والرسول، ص ٢٨ .

(٤) سورة الكهف، الآية ١١٠ .

هو اصرح من هذا المعنى فيما جاء بسورة الشورى: ﴿**فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا. ان عليك الآ البلاغ!**﴾[1]، وظاهر في هذه الآية تعمد تنبيه الرسول نفسه [ﷺ] إلى حقيقة مهمته، وحدود رسالته التي كلف بها، وليس له أن يعدوها، كما أنه ليس للناس أن يرفعوه فوقها»[2].

[٣]

«. . رجل فرد هو لسان السماء. فوقه الله لا سواه. ومن تحته سائر عباد الله من المؤمنين. ولكن هذا الرجل يأبى أن يداخله من ذلك كبر. بل يشفق، بل يفرق من ذلك ويحشد نفسه كلها لحرب الزهو في سريرته، قبل أن يحاربه في سرائر تابعية. ولو أن هذا الرسول [ﷺ] بما أنعم من الهداية على الناس وما تم له من العزة والأيادي، وما أستقام له من السلطان، اعتد بذلك كله واعتزّ، لما كان عليه جناح من أحد، لأنه إنما يعتد بقيمة ماثلة، ويعتز بمزية طائلة. يطريه أصحابه بالحق الذي يعلمون عنه، فيقول لهم: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدالله، فقولوا عبدالله ورسوله. ويخرج على جماعةٍ من أصحابه فينهضون تعظيما له، فينهاهم عن ذلك قائلاً: لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا»[3].

[٤]

«ماذا بقي من مزعم لزاعم؟ ايمان امتحنه البلاء طويلا قبل أن يفاء عليه بالنصر وما كان النصر متوقعاً أو شبه متوقع لذلك الداعي إلى الله في عاصمة الأوثان والازلام. . ونزاهة ترتفع فوق المنافع، وسمو يتعفف عن بهارج الحياة، وسماحة لا يداخلها زهو أو استطالة بسلطان مطاع. لم يفد. ولم يورث آله، ولم يجعل لذريته وعشيرته ميزة من ميزات الدنيا ونعيمها وسلطانها. وحرم على نفسه ما أحلّ لآحاد الناس من أتباعه، وألغى ما كان لقبيلته من تقدم على الناس في الجاهلية حتى جعل العبدان والأحابيش سواسية وملوك قريش. لم يمكن لنفسه ولا لذويه. وكانت لذويه بحكم الجاهلية صدارة غير مدفوعة، فسوّى ذلك كله بالأرض أي قالة بعد هذا تنهض على قدمين لتطاول هذا المجد الشاهق أو تدافع هذا الصدق الصادق؟ لا خيرة

---

(١) سورة الشورى، الآية ٤٨ .
(٢) محمد الرسالة والرسول، ص ٨٥ ـ ٨٦ .
(٣) نفسه، ص ١٧٩ ـ ١٨٠

في الامر، ما نطق هذا الرسول عن الهوى. . وما ضلّ وما غوى. . وما صدق بشر ان لم يكن هذا الرسول بالصادق الأمين. . »[1].

[٥]

«أي النـاس أولى بنفي الكيد عن سيرتـه من (ابي القاسم) [ﷺ] الذي حول الملايين من عبادة الأصنام الموبقة إلى عبادة الله رب العالمين، ومن الضياع والانحلال إلى السموّ والايمان، ولم يفد من جهاده لشخصه أو آله شيئاً مما يقتتل عليه طلاب الدنيا من زخارف الحطام؟»[2].

[٦]

«كـان [محمـد ﷺ] يملك حيويتـه ولا تملكـه حيويتـه. ويستخـدم وظائفه ولا تستخدمه وظائفه. فهي قوة له تحسب في مزاياه، وليست ضعفاً يعد في نقائصه. لم يكن [ﷺ] معطل النوازع ولكنها لم تكن نوازع تعصف به، لأنه يسخرها في كيانه في المستوى الذي يكرم به الإنسان حين يطلب ما هو جميل وجليل في الصورة الجميلة الجليلة التي لا تهدر من قدره بل تضاعف من تساميه وعفته وطهره. وبيان ذلك في امر بنائه بزوجاته التسع [رضي الله عنهن]. . »[3].

ماسـيه[4]

[١]

«بفضـل اصـلاحـات محمد [ﷺ] الدينية والسياسية، وهي اصلاحات موحدة بشكل أساسي، فان العرب وعوا أنفسهم وخرجوا من ظلمات الجهل والفوضى ليعدّوا

---

(١) نفسه، ص ١٨٣ ـ ١٨٦ . (٢) محمد في حياته الخاصة، ص ١٢ .

(٣) نفسه، ص ٣٩ ـ ٤٠ ، ويمكن للقارىء أن يرجع للكتاب نفسه (محمد في حياته الخاصة)، فهو بمجمله يمكن أن يعدّ شهادة قيّمة على حياة الرسول [ﷺ] العائلية الخاصة.

(٤) هـنري مـاسـيه H. Massé

ولد عام ١٨٨٦ ، عمل مديراً للمعهد الفرنسي بالقاهرة، وعين أستاذاً في جامعة الجزائر (١٩١٦ ـ ١٩٢٧)، وعضوا في مجمع الكتابات والآداب وفي المجمع العلمي العربي بدمشق، وانتدبته الحكومة لعديد من المهام الثقافية واختارته اليونسكو في لجنة المستشرقين.

من آثاره : نشر كتابا عن الشاعر (سعدي) (١٩١٩)، وصنف كتابا بعنوان: (الإسلام) (١٩٥٧)، كما ترجم وحقق العديد من النصوص العربية، ونشر العديد من الأبحاث في المجلات الاستشراقية الشهيرة.

دخولهم النهائي إلى تاريخ المدنية»[1].

[٢]

«. . كان محمد [ﷺ] هو المشرّع الملهم والمحرك الأول للوحدة الدينية بين جميع الأقوام، . . وكان بسيطاً وحازما. . »[2].

مونتـه[3]

[١]

«ان طبيعة محمد [ﷺ] الدينية تدهش كل باحث مدقّق نزيه المقصد بما يتجلى فيها من شدة الاخلاص. فقد كان محمد مصلحاً دينياً ذا عقيدة راسخة، ولم يقم إلّا بعد أن تأمل كثيراً وبلغ سن الكمال بهذه الدعوة العظيمة التي جعلته من أسطع الأنوار الانسانية في الدين. وهو في قتاله الشرك والعادات القبيحة التي كانت عند أبناء زمنه كان في بلاد العرب أشبه بنبي من أنبياء بني إسرائيل الذين نراهم كباراً جداً في تاريخ قومهم. ولقد جهل كثير من الناس محمداً [ﷺ] وبخسوه حقه وذلك لأنه من المصلحين النادرين الذين عرف الناس أطوار حياتهم بدقائقها»[4].

[٢]

«كان محمد [ﷺ] كريم الأخلاق حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم صادق اللفظ، وقد كانت الصفات الغالبة عليه هي صحة الحكم وصراحة اللفظ، والاقتناع التام بما يعمله ويقوله»[5].

---

(١) الإسلام، ص ٥٥.
(٢) نفسه، ص ٥٩.
(٣) مونتـه (١٨٥٦ - ١٩٢٧) Montet
أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف، من كتبه (محمد والقرآن)، وترجمة جيدة للقرآن، و(حاضر الإسلام ومستقبله).
(٤) محمد والقرآن، ص ١٨ (عن ستودارد: حاضر العالم الإسلامي ١/٣٢).
(٥) نفسه، (عن ستودارد ١/٣٢).

[٣]

«. . ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثل [محمد ﷺ] وان ما قام به من اصلاح اخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للانسانية»[١].

[٤]

«لا مجال للشك في أخلاص الرسول [ﷺ] وحماسته الدينية التي تشبعت بها نفسه وفكره. . »[٢].

نهـــرو[٣]

[١]

«. . لربما خامرت هؤلاء الملوك والحكام [الـذين تسلموا كتب الرسول ﷺ] الدهشة من هذا الرجل البسيط الذي يدعوهم إلى الطاعة. ولكن إرسال هذه الكتب يعطينا صورة عن مقدار ثقة محمد [ﷺ] بنفسه ورسالته. وقد هيأ بهذه الثقة وهذا الإيمان لأمته أسباب القوة والعزّة والمنعة وحوّلهم من سكان صحراء إلى سادة يفتحون نصف العالم المعروف في زمانهم. . وقد توفي محمد [ﷺ] بعد أن جعل من القبائل العربية المتنافرة أمة واحدة تتقد غيرة وحماساً. . »[٤].

---

(١) حاضر الإسلام ومستقبله (عن محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية ١/٦٧) .

(٢) نفسه، ١/٦٧ .

(٣) **جواهر لال نهـرو** **J. Lal Nehro**

ولد في عام ١٨٨٩، في مدينة الله أباد، في الهند، والتقى بغاندي في أوائل عام ١٩١٩، اعتقل عدة مرات، وانتخب رئيسا لحزب المؤتمر الهندي الوطني عدة مرات، دخل الوزارة، وتولى الشؤون الخارجية، وأصبح نائباً لرئيس المجلس التنفيذي، تولى رئـاسـة الـوزراء الهندية عدة مرات، له عدة مؤلفات في التاريخ والسياسة والشؤون الهندية، توفي عام ١٩٦٤م.

(٤) لمحات من تاريخ العالم، ص ٢٥ ـ ٢٦ .

هـارث[1]

[١]

«ان اختياري لمحمد [ﷺ] ليكون رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، ربما أدهش كثيراً من القراء، . . ولكن في أعتقادي أن محمداً [ﷺ« كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي»[2].

[٢]

«لقد أسس محمد [ﷺ] ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام. ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً تقريباً على وفاته، فان تأثيره لا يزال قوياً وعارماً . . »[3].

[٣]

« . . من وجهة النظر الدينية الصرفة يبدو أن محمداً (ﷺ) كان له تأثير على البشرية عبر التاريخ كما كان للمسيح (عليه السلام) . . »[4].

[٤]

« . . ان محمداً (ﷺ) يختلف عن المسيح بأنه كان زعيماً دنيوياً فضلا عن أنه زعيم ديني، وفي الحقيقة إذا أخذنا بعين الأعتبار القوى الدافعة وراء الفتوحات الإسلامية، فإن محمداً (ﷺ) يصبح أعظم قائد سياسي على مدى الاجيال»[5].

---

(١) الدكتور مايكـل هـارث Michael Hart
أمريكي، حصل على عدة شهادات في العلوم وعلى الدكتوراه في الفلك من جامعة برنستون، عام ١٩٧٢، عمل في مراكز الأبحاث والمراصد، وهو أحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقية.

(٢) دراسة في المائة الأوائل، ص ١٩ .
(٣) نفسه، ص ١٩ .
(٤) نفسه، ص ٢٣ .
(٥) نفسه، ص ٢٤ .

[٥]

«. . إن هذا الاتحاد الفريد لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معاً يخول محمداً (ﷺ) أن يعتبر أعظم شخصية مفردة ذات تأثير في تاريخ البشرية»(١).

مونتغمري وات

[١]

«منذ أن قام كارليل بدراسته عن محمد [ﷺ] في كتابه (الأبطال وعبادة البطل) أدرك الغرب أن هناك أسباباً وجيهة للاقتناع بصدق محمد. إذ أن عزيمته في تحمّل الاضطهاد من أجل عقيدته، والخلق السامي للرجال الذين آمنوا به، وكان لهم بمثابة القائد، وأخيراً عظمة عمله في منجزاته الأخيرة، كل ذلك يشهد باستقامته التي لا تتزعزع. فاتهام محمد [ﷺ] بأنه دجال Imposteur يثير من المشاكل أكثر مما يحلّ. ومع ذلك فليس هناك شخصية كبيرة في التاريخ حط من قدرها في الغرب كمحمد [ﷺ]. فقد أظهر الكتاب الغربيون ميلهم لتصديق اسوأ الأمور عن محمد [ﷺ] وكلما ظهر أي تفسير نقدي لواقعة من الوقائع ممكناً قبلوه. ولا يكفي، مع ذلك، في ذكر فضائل محمد أن نكتفي بأمانته وعزيمته إذا أردنا أن نفهم كل شيء عنه. وإذا أردنا أن نصحح الأغلاط المكتسبة من الماضي بصدده فيجب علينا في كل حالة من الحالات، لا يقوم الدليل القاطع على ضدها، أن نتمسك بصلابة بصدقه. ويجب علينا أن لا ننسى عندئذ أيضاً أن الدليل القاطع يتطلب لقبوله أكثر من كونه ممكنا وأنه في مثل هذا الموضوع يصعب الحصول عليه. . »(٢).

[٢]

«هناك ـ على العكس ـ أسباب قوية تؤكد صدق (محمد) [ﷺ] ونستطيع في مثل هذه الحالة الخاصة أن نبلغ درجة عالية من اليقين، لأن النقاش حول هذه المسألة. . يعتمد على وقائع ولا يمكن أن يتضمن خلافاً في التقدير حول الاخلاقية. . »(٣).

---

(١) نفسه، ص ٢٥ .
(٢) محمد في مكة، ص ٩٤ .
(٣) نفسه، ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨ .

[٣]

«. . ليس توسع العرب شيئاً محتوماً أو آلياً وكذلك انشاء الأمة الإسلامية. ولولا هذا المزيج الرائع من الصفات المختلفة الذي نجده عند محمد [ﷺ] لكان من غير الممكن أن يتم هذا التوسع، ولأستنفذت تلك القوى الجبارة في غارات على سوريا والعراق دون أن تؤدي لنتائج دائمة. ونستطيع أن نميز ثلاث هبات مهمة أوتيها محمد [ﷺ]. وكانت كل واحدة منها ضرورية لاتمام عمل محمد [ﷺ] بأكمله. لقد اوتى اولاً موهبة خاصة على رؤية المستقبل. فكان للعالم العربي بفضله، أو بفضل الوحي الذي ينزل عليه حسب رأي المسلمين، أساس فكري (ايديولوجي) حلت به الصعوبات الاجتماعية، وكان تكوين هذا الأساس الفكري يتطلب في نفس الوقت حدساً ينظر في الأسباب الأساسية للاضطراب الاجتماعي في ذلك العصر، والعبقرية الضرورية للتعبير عن هذا الحدس في صورة تستطيع اثارة العرب حتى اعمق كيانهم. . وكان محمد [ﷺ] ثانياً رجل دولة حكيما. ولم يكن هدف البناء الأساسي الذي نجده في القرآن، سوى دعم التدابير السياسية الملموسة والمؤسسات الواقعية. ولقد الحنا خلال هذا الكتاب غالباً على استراتيجية محمد [ﷺ] السياسية البعيدة النظر على اصلاحاته الاجتماعية ولقد دلّ على بعد نظره في هذه المسائل الانتشار السريع الذي جعل من دولته الصغيرة أمبراطورية، وتطبيق المؤسسات الاجتماعية على الظروف المجاورة واستمرارها خلال أكثر من ثلاثة عشر قرنا. وكان محمد [ﷺ] ثالثاً رجل ادارة بارعاً، فكان ذا بصيرة رائعة في اختيار الرجال الذين يندبهم للمسائل الادارية. إذ لن يكون للمؤسسات المتينة والسياسة الحكيمة أثر إذا كان التطبيق خاطئاً متردداً. وكانت الدولة التي أسسها محمد [ﷺ] عند وفاته، مؤسسة مزدهرة تستطيع الصمود في وجه الصدمة التي أحدثها غياب مؤسسها، ثم إذا بها بعد فترة تتلاءم مع الوضع الجديد وتتسع بسرعة خارقة اتساعاً رائعاً»[١].

[٤]

«كلما فكرنا في تاريخ محمد [ﷺ] وتاريخ أوائل الإسلام، كلما تملكنا الذهول أمام عظمة مثل هذا العمل. ولا شك أن الظروف كانت مواتية لمحمد فاتاحت له فرصاً

(١) نفسه، ص ٥١٠ـ٥١١.

للنجاح لم تتحها لسوى القليل من الرجال غير أن الرجل كان على مستوى الظروف تماما. فلو لم يكن نبياً ورجلٍ دولة وإدارة، ولو لم يضع ثقته بالله ويقتنع بشكل ثابت أن الله ارسله، لما كتب فصلاً مهماً في تاريخ الإنسانية. ولي أمل أن هذه الدراسة عن حياة محمد [ﷺ] يمكنها أن تساعد على اثارة الاهتمام، من جديد، برجل هو أعظم رجال ابناء آدم»[١].

ولــز[٢]

[١]

«. . هل تراك علمت قط أن رجلاً على غير كريم السجايا مستطيع أن يتخذك صديقا؟ ذلك أن من عرفوا محمد [ﷺ] أكثر من غيرهم، كانوا أشد الناس إيماناً به. وقد آمنت به خديجة [رضي الله عنها] كل حياته على أنها ربما كانت زوجة محبة. فأبو بكر [رضي الله عنه] شاهد أفضل وهو لم يتردد قط في اخلاصه. كان يؤمن بالنبي [ﷺ] ومن العسير على أي إنسان يقرأ تلك الأيام ألاّ يؤمن بأبي بكر [رضي الله عنه]، وكذلك علي [رضي الله عنه] فانه خاطر بحياته من أجل النبي [ﷺ] في أحلك أيامه سوادا. . »[٣].

[٢]

«حجّ محمد [ﷺ] حجة الوداع من المدينة إلى مكة، قبل وفاته بعام، وعند ذاك القى على شعبه موعظة عظيمة. . إنّ أول فقرة فيها تجرف أمامها كل ما بين المسلمين من نهب وسلب ومن ثارات ودماء، وتجعل الفقرة الأخيرة منها، الزنجي المؤمن عدلاً

---

(١) نفسه، ص ٥١٢.

(٢) هربرت جورج ولـز (١٨٦٦ ـ ١٩٤٦) H. G. Wells
الكاتب والأديب البريطاني المعروف. حصل على بكالوريوس العلوم سنة ١٨٨٨، تولى التدريس بضع سنين ثم أنصرف للتأليف. أشتهر بقصصه الذي يعتمد الخيال العلمي من مثل (آلة الزمن) و(الرجل الخفي)، فضلاً عن رواياته النفسية والاجتماعية من مثل (ميكا فيللي الجديد) و(الزواج). ولم يغفل ولز البحث في التاريخ فانجز عام ١٩٢٠ (معالم تاريخ الانسانية) وأعقبه بـ (موجز تاريخ العالم). وكان آخر كتاب اصدره هو (العقل في اقصى توتراته) (١٩٤٤). ولولز كتاب في السيرة الذاتية بعنوان: (تجربة في كتابة السيرة الذاتية).

(٣) معالم تاريخ الإنسانية، ٦٣٩/٣.

للخليفة. . انها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وانها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة ممكنة التنفيذ، فانها خلقت جماعة انسانية يقل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي، عما في أي جماعة اخرى سبقتها»[1].

[٣]

«لقد منح [العرب] العالم ثقافة جديدة، وأقاموا عقيدة لا تزال إلى اليوم من أعظم القوى الحيوية في العالم أما الرجل الذي أشعل ذلك القبس العربي فهو محمد [ﷺ][2].

(١) نفسه، ٣/٦٤٠-٦٤١.

(٢) موجز تاريخ العالم، ص ٢٠٠-٢٠١.

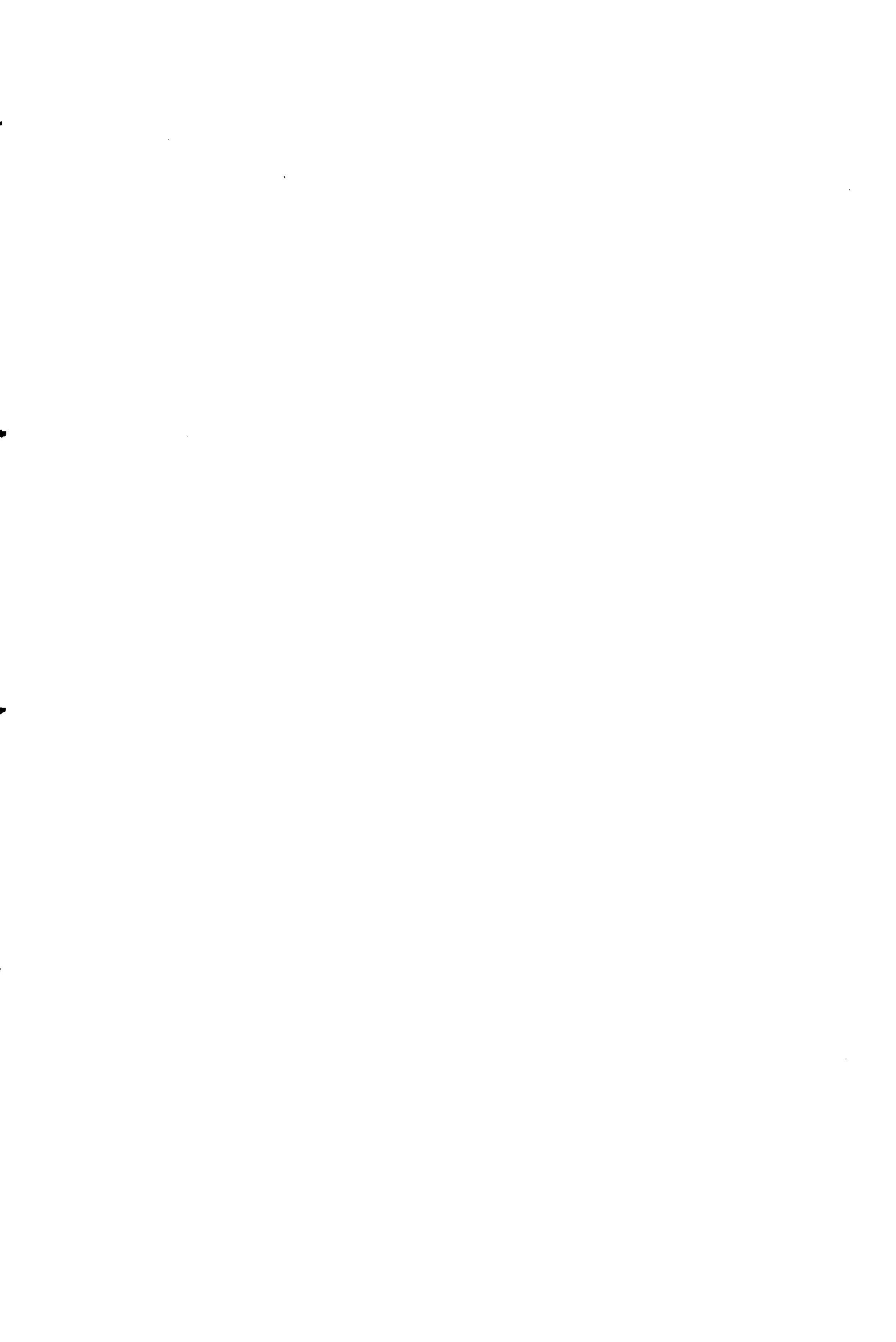

الفصل الثالث

الاســـــلام

«إذا كـان هـذا هـو الإسـلام، أفـلا نكـون جميعـنا مسـلمين؟».

الأديب الألماني غوته

إبراهيم خليل أحمد

[١]

«قـرأت بتـأمل وتفكر قوله تعالى: ﴿**قل يا عبادي الذي أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا أنه هو الغفور الرحيم**»[1]. وقارنت بين هذه الآية وما ورد في الانجيل عن الغفران: (بدون سفك دم لا تحصل مغفرة) بالقول: (هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الحبيب لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكـون له الحياة الأبدية). قارنت بين العقيدتين الأولى: أنها مقيدة بقيود: من جانب الله ببذل ابنه الحبيب حسب ما يعتقدون، ومن جانب المرء بضرورة الإيمان بهذا الأبن. ومن هذه العقيدة نشأت فريضة كنيسية تعرف بسرّ الشكر، وفيها يؤمن المسيحي باستحالة الخبز إلى جسد المسيح واستحالة الخمر إلى دم المسيح حقيقة، وبتناولهما تصير فيه حياة ابدية. ومن هذه العقيدة نشأت صكوك الغفران.. إنها بدعة وخـروج عن الحق الالهي الذي ندّد به زعماء الاصلاح في القرن الخامس عشر.. فحمدت الله على رحمته الواسعة ومغفرته اليقينية بدون قيد ولا شرط مادي، بل بتوبة صادقة وعزم على الحياة الطاهرة»[2].

[٢]

«قـرأت قول الله تعـالى: ﴿**إن أكـرمكم عنـد الله أتقـاكم**﴾[3]، وقرأت ما جاء بالانجيل: (إذن لسنا أولاد جارية، بل أولاد حرة) وزال عني العجب عن التفرقة العنصرية عند الاميركيين في أيامنا هذه بين البيض والسود، وزاد أعجابي واجلالي للمسلمـين. أن سيد القوم يقف بجانب المواطن العامل والمزارع والتاجر والموظف كالبنيان المرصوص بشد بعضه بعضاً، راكعين ساجدين، يخشون ربهم ويرجونه الرضا والعفو، فايقنت أن مجد الإسلام والمسلمين في هذا التساند الجميل والتآخي الحبيب..»[4].

---

(١) سورة الزمر، الآية ٥٣.
(٢) محمد في التوراة، ص ١٠ ـ ١١.
(٣) سورة الحجرات، الآية ١٣.
(٤) محمد في التوراة، ص ١١.

[٣]

«للمسلم أن يعتـز بدينـه، فهـو كالشمس تشرق على المسلمين وغير المسلمين وللمسلم أن يعتز باسلامه، فهو كالهواء النقي لا يستغني عنه الخلق ولا حياة لهم بدونه . . »(١).

[٤]

« . . إن الإسلام دين المنطق والعقل، لم يجعل وساطة بين الله والانسان، ولم يترك مقادير الناس تحت رحمة نفر منهم يلوحون لهم بسلطان الكنيسة . . »(٢).

[٥]

«استـوقفني كثيراً نظام التوحيد في الإسلام، وهو من أبرز معالم الإسلام . . أن التـوحيد يجعلني عبداً لله وحده لست عبداً لأي إنسان، التوحيد في الإسلام يحرّر الانسان ويجعله غير خاضع لأي إنسان، وتلك هي الحرية الحقيقية، فلا عبودية إلاّ لله وحده»(٣).

أرشـــر(٤)

[١]

«ان بحثي لنيل اجازة الدكتوراه كان عن التربية وبناء الأمة. ومن هنا عرفت ما تحتاج إليه الأمم لبنائها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وكذلك البناء الروحي. واكتشفت أن أركان الإسلام الأساسية تقدم أساساً عظيماً وقاعدة قيمة لاعادة بناء الأمة اجتماعياً واقتصادياً وروحياً. ولذلك فإذا سألتني لماذا أعتنقت الإسلام؟ سأقول

---

(١) نفسه، ص ٣٢ .
(٢) نفسه، ص ١٧٣ .
(٣) رجال ونساء أسلموا، ٩٢/٤ .
(٤) الدكتور دوغلاس أرشر : عبدالله أرشر Douglas Archer
شاب من جامـايكـا، في منتصف العقـد الخـامس من العمـر، يعمل مديراً للمعهد التربوي في منطقة الكاريبي، جامايكا، كان بروتستانتيا، وبعد أن انتمى للإسلام قد استقالته من عمله كأستاذ لعلم النفس في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تخصص هناك، وعاد إلى بلاده لكي يسهم في دعوة أبناء وطنه إلى الإسلام.

لك لأن الإسلام هو دين فريد من نوعه تشكل فيه أركانه الأساسية قاعدة للحكم تهدي كلا من الضمير وكذلك حياة المؤمنين به على حدّ سواء»[1].

[٢]

«ان تعـاليم الإسـلام هي تعـاليم عملية تقـدم نموذجاً لبناء الامم، كما يمنح الإسلام للضالين أحساساً بالأمل والاتجاه. ويمكن الفرد المسلم من فهم واجباته نحو الله ونحو بني الإنسان بصورة أفضل»[2].

[٣]

«في الوقت الذي تتحدث فيه الاديان الاخرى عن اله واحد، إلّا أنها تعبد ربّين أو ثلاثة. أما المسلمون فيعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً. وهنا شعور قوي بالأخوة الإسلامية في العالم الإسلامي وخاصة بين أولئك الذين يؤمنون بالإسلام حقاً ويطبقونه بصدق»[3].

سير توماس ارنولد

[١]

« . . نرى من أسباب الترحيب الحار الذي لقيه محمد [ﷺ] في المدينة أن الدخول في الإسلام، قد بدا للطبقة المستنيرة من أهالي المدينة علاجاً لهذه الفوضى التي كان المجتمع يقاسيها، وذلك لما وجدوه في الإسلام من تنظيم محكم للحياة، واخضاع أهواء الناس الجامحة لقوانين منظمة قد شرعتها سلطة تسمو على الأهواء الفردية»[4].

[٢]

« . . لا يغرب عن البال كيف ظهر جليا أن الإسلام حركة حديثة العهد في بلاد العرب الوثنية، وكيف كانت تتعارض المثل العليا في هذين المجتمعين تعارضاً تاماً.

(١) رجال ونساء أسلموا، ٥/٥٦ .
(٢) نفسه، ٥/٥٦ .
(٣) نفسه، ٥/٥٦ .
(٤) الدعوة إلى الإسلام، ص ٤٣ عن: Caetani (Leone): Annali dell'Islam 1/334-35 (Milano, 1905)

ذلك أن دخول الإسلام في المجتمع العربي لم يدل على مجرد القضاء على قليل من عادات بربرية وحشية فحسب، وإنما كان انقلاباً كاملاً لمثل الحياة التي كانت من قبل. . وأصبح النبي [ﷺ] بذلك رمزاً لأسلوب جديد. . »[١].

« . . يعبر الشطر الأول من هذه العقيدة [لا إله إلا الله، محمد رسول الله] عن مبدأ يكاد يقبله جميع الناس على أنه فرض لا بد منه، على حين يقوم الشطر الثاني منها على فكرة علاقة الناس بالله وهي مسألة تكاد تكون عامة شاملة كذلك بمعنى أن الله تعالى، في فترات من تاريخ العالم، قد وهب بعض تجليه على الخلق، على لسان أنبياء ملهمين. ولا يستطيع أي فرد أن يوضح الطابع العقلي للعقيدة الإسلامية، وما جنته من هذا الطابع من الفائدة في نشر الدعوة، توضيحاً يبعث على الاعجاب، بأكثر مما وضحه البروفيسور مونتيه في العبارات التالية: (الإسلام في جوهره دين عقلي، بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية. فإن تعريف الأسلوب العقلي Rationalism بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادىء المستمدة من العقل والمنطق، ينطبق عليها تمام الانطباق. . إن [للإسلام] كل العلامات التي تدل على أنه مجموعة من العقائد التي قامت على أساس المنطق والعقل. وتتلخص العقيدة الإسلامية من وجهة نظر المؤمنين في الاعتقاد بوحدانية اللهورسالة نبيه [ﷺ]، أما من وجهة نظرنا نحن الذين نحلل عقائده تحليلاً لا روح فيه، فنعتقد في الله وفي الحياة الآخرة، وهذان المبدأن هما أقل ما ينبغي للاعتقاد الديني، وهما امران يستقران في نفس الرجل المتدين على أساس ثابت من العقل والمنطق، ويلخصان كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن، وأن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهي على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة إلى الإسلام. . وعلى الرغم من التطور الخصب، بكل ما في هذه الكلمة من معنى، لتعاليم النبي [ﷺ] حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تغيير أو تبديل، باعتباره النقطة الأساسية التي بدأت منها تعاليم هذه العقيدة، وقد جهر القرآن دائماً بمبدأ الوحدانية في عظمة وجلاء وصفاء لا يعتريه التحول، ومن العسير أن نجد في غير الإسلام ما يفوق تلك المزايا. وان هذا الاخلاص لمبدأ الدين الأساسي، والبساطة الجوهرية في الصورة التي

---

(١) نفسه، ص ٦١ .

يصاغ فيها هذا الدين والدليل الذي كسبه هذا الدين من أقتناع الدعاة الذين يقومون بنشره اقتناعا يلتهب حماسة وغيرة، ان هذا كله يكون الأسباب الكثيرة التي تفسّر لنا نجاح جهود دعاة المسلمين. وكان من المتوقع لعقيدة محدودة كل التحديد خالية كل الخلوّ من جميع التعقيدات الفلسفية، ثم هي تبعا لذلك في متناول ادراك الشخص العادي، ان تمتلك، وانها لتمتلك فعلاً، قوة عجيبة، لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس»[١].

[٣]

«كذلك نجد أداء الصلوات الخمس كل يوم على جانب عظيم من التأثير سواء في جذب الناس، أو الاحتفاظ بالمسلمين منهم. وقد احسن منتسكيو في قوله: [في كتابه المعروف: روح القوانين]: (أن المرء الأشد ارتباطاً بالدين الحافل بكثير من الشعائر، منه بأي دين آخر أقل منه احتفالاً بالشعائر، وذلك لأن المرء شديد التعلق بالأمور التي تسيطر دائـماً على تفكـيره). إن دين المسلم يتمثـل دائماً في مخيلته، وفي الصلوات اليومية، يتجلى هذا الدين في طريقة نسكية خاشعة مؤثرة لا تستطيع أن تترك العابد والمشاهد كليهما غير متأثرين. . فإذا أستطاع دينا أن يقول: (ما دخلت مسجداً قط، دون أن تهزني عاطفة حادة، أو بعبارة أخرى، دون أن يصيبني أسف محقق على أنني لم أكن مسلماً)[٢]، كان من اليسير أن ندرك كيف ان منظر التاجر المسلم في صلاته، وسجـداته الكثيرة، وعبادته للاله الذي لا يراه، في سكينة واستغراق، قد يؤثر في الافريقي الوثني الذي وهب ادراكاً قوياً للقوى الخفية. . وقد يحفز حب الاستطلاع على البحث بطبيعة الحال. . »[٣].

[٤]

«ان هؤلاء المسلمين يعنون بتلك الفرائض وغيرها من الشعائر الدينية ولكن من غير أن يثقلوا بها كواهلهم، أو تجعلهم مغمـورين في الحياة، نجـد أركان العقيدة

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، ص ٤٥٤ ـ ٤٥٦. أما عبارات مونتيه (Montet) فيستمد المؤلف من كتاب:
La Propagande chrètienne et ses adversaires musulmans, pp. 17-18 (Paris, 1890).

(٢) Ernest Renan: L'islamisme et la Science, p. 19 (Paris, 1883).

(٣) الدعوة إلى الإسلام، ص ٤٥٨ ـ ٤٦٠.

الإسلامية تلقى دون انقطاع تعبيراً ظاهراً في حياة المؤمن، ومن ثم نجدها، بعد أن أصبحت متشابكة مع نظام حياته اليومية، تشابكاً لا سبيل إلى الفكاك منه، تجعل المسلم الفرد إماماً ومعلماً لعقيدته، أكثر إلى حد بعيد مما هي الحال مع انصار معظم الديانات الأخرى. إن تحدد هذه الطقوس وواقعيتها ودقتها ليدع المؤمن لا يتخالج في نفسه الشك فيما هو مكلف باداثه، فإذا أدى هذه الواجبات، أطمأن وجدانه إلى أنه قد انجز كل أوامر الشرع. وقد نجد إلى حد بعيد، في هذه الوحدة التي تربط بين النظامين العقلي والطقسي في هذا الدين، سرّ السيطرة التي أحدثها الإسلام على عقول الناس. (فإذا أردت أن تجذب إليك جماهير كبيرة من الناس، لقنهم الحقيقة في صورة حماسة، دقيقة واضحة، وفي أسلوب مرئيّ محسنّ. . »[1].

انجرام[2]

[١]

«اني أعتقد أن الإسلام هو الدين الذي يدخل السلام والسكينة إلى النفس ويلهم الإنسان العزاء وراحة البال والسلوى في هذه الحياة. وقد تسرب روح الإسلام إلى نفسي فشعرت بنعمة الإيمان بالقضاء الالهي وعدم المبالاة بالمؤثرات المادية من لذة وألم. . لقد درست الدين الإسلامي مدة سنين، ولم أتخذه ديناً إلا بعد بحث قلبي عميق، وتحليل نفسي طويل، لم أغير ديني إلا لكي أجد الراحة من ضجيج الحياة الجنوني، ولأنعم بالسكينة في ظلال الهدوء والتأمل بعيداً عن متاعب الهموم والمحن التي يسببها التكالب على الكسب والتهالك على المال، الذي أصبح اليوم معبود البشر والهم، ولأخلص نفسي من براثن الاغراء وخدع الحياة الباطلة، والشراب

---

(١) نفسه، ص ٤٦٠، والعبارة الأخيرة ينقلها عن: B. Kuenen: National Religions and universal Religions, p. 25, (London, 1882).

وانظر: الدعوة إلى الإسلام، ص ٤٥٤، هامش رقم ٣.

(٢) ركس انجرام R. Ingram

ولد في اسكتلندا، في أواخر القرن الماضي، وشارك في الحرب العالمية الأولى، ثم رحل إلى العديد من بلاد الشرق، ودرس لغاتها واديانها، وانتهى به المطاف مصوراً سينمائياً في هوليود. أعتنق الإسلام بعد أن وجد فيه ضالته المنشودة.

والمخدرات وجنون فرقة الجاز. أسلمت لكي أنقذ ذهني وعقلي وحياتي من الهدم والتدمير»[1].

[٢]

«أنا اليوم أبن الإسلام واني سعيد أكثر مما كنت في أي يوم من أيام حياتي، وفي مدنيتي الغـربية ومع ثيابي الغربية. سعيد كمؤمن يدين بالإسلام الخالد الذي هو أكمل دين سماوي ارتضاه الله للبشرية»[2].

اوليفـــر[3]

[١]

«بعد أن درست الأديان المختلفة في العالم توصلت إلى الاستنتاج بأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يؤثر في أولئك الذين يؤمنون به وكذلك الذين لا يؤمنون به على حدّ سواء. فاعظم فضيلة للإسلام أنه يأسر قلوب البشر بصورة تلقائية ومن أجل هذا تجد في الإسلام سحراً غريباً وجاذبية عظيمة تجتذب إليها ذوي العقليات المتفتحة من غير المسلمين»[4].

[٢]

«ان أهم الجوانب، في الإسلام التي أثرت في نفسي هي بساطة تعاليمه وطريقة الحياة البسيطة المستقيمة التي يحياها المسلمون المتمسكون بتعاليم الإسلام [كما] أن الإسلام لا يعتبر أحدا خاطئا منذ ولادته والإسلام هو دين السلام فهو يدعو إلى إشاعة السلام والانسجام بين المسلمين، وليس ذلك فحسب بل يضع المسؤولية على عاتق المسلمين لاقامة السلام في العالم كله»[5].

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ١/٣٢ .
(٢) نفسه، ١/٣٤ .
(٣) مـاري اوليفـر Mary Oliver
مسيحية لم تستطع عقيدتها أن تمنحها القناعة، فأخذت تدرس البوذية والهندوسية وإذا لم تجد فيها ما كانت تبحث عنه، انتهى بها المطاف إلى الإسلام، حيث أعتنقته مؤمنة بأنه الدين الوحيد الذي يستجيب لمطالب الإنسان.
(٤) رجال ونساء أسلموا، ٤/١٤٢ .
(٥) نفسه، ٤/١٤٢ ـ ١٤٣ .

[٣]

«.. ان كل من يؤمن بصدق واخلاص بهذا الدين يسعى إلى تحرير نفسه من الذنب والخطيئة، ويعمل على أن تكون حياته تجسيداً وتعبيراً صادقاً عن كافة الفضائل وهذه الرغبة من جانب المسلم تورث الانسجام والاعتدال في المجتمع الانساني وهذا الاعتدال بدوره يمهد السبيل نحو تقدم الأفراد والمجتمع..»(١).

[٤]

«.. الإسلام، على عكس الهندوكية والنصرانية، لا يحتفظ بأي جزء من تعاليمه ويجعله حكراً لطبقة خاصة من الناس. بمعنى أنه في الإسلام لا يوجد كهنوت ولا رجال دين كطبقة منفصلة متميزة لها امتيازاتها.. فالتعاليم الإسلامية موجهة إلى كافة البشر وهي بسيطة سهلة يستطيع كل إنسان أن يفهمها بكل يسر. فالإسلام يؤكد في تعاليمه أن على الناس أن يفكروا وأن يستخدموا عقولهم في الأمور الدينية..»(٢).

واشنجتون ايرفنج

[١]

«ينهى الإسـلام عن الوثنية تماماً في جميع صورها. فقد نهى الإسلام عن جميع الطقوس الدينية في الجاهلية التي تتعلق بالوثنية، ودعا إلى توحيد الله، ولكنه احتفظ من بين هذه الطقوس بما هو بعيد عن الوثنية، مثل الحج إلى مكة والطواف بالكعبة..»(٣).

[٢]

«عند قدوم محمد [ﷺ] إلى المدينة اعتنق بعض أهلها من المسيحيين الإسلام. فقد وجدوا تشابهاً بين التعاليم الانسانية في كل من الإسلام والمسيحية، ولم يلمسوا أي تعارض بين الدينين، وبخاصة أن الإسلام يضع المسيح [عليه السلام] في مقدمة

---

(١) نفسه، ١٤٤/٤.
(٢) نفسه، ١٤٤/٤ - ١٤٥.
(٣) حياة محمد، ص ٧٥.

الأنبياء [عليهم السلام]. أما باقي المسيحيين فلم يبدو أي عداء للاسلام فقد اعتبروه أفضل بكثير من الوثنية. ولا شك أن الخلافات العديدة التي كانت قد نشبت بين الطوائف المسيحية في الشرق قد مهدت الطريق أمام المسيحيين ليعتنقوا الإسلام»(١).

باتيل(٢)

[١]

«لقد أيقنت أن الإسلام هو المنهج الذي يحقق غاية [الوجود الإنساني] فهو يمتاز بالبساطة والواقعية والاستعلاء والحساسية والشمول. فالإسلام يحترم كافة الأديان ويوقر جميع الأنبياء.. قال تعالى: **﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾**(٣). فهل هناك أبلغ من هذا الدليل على شمول الإسلام وعقيدته وإيمانه بالله الواحد الأحد؟»(٤).

[٢]

«.. إن قوة الإسلام في ذاته، في خصائصه الروحية وشموله. وهذا هو سرّ غلبته في النهاية..»(٥).

رودي بارت

[١]

«إن العالم الواسع المترامي الأطراف ما كان ليحس بالعرب لو لم يتحولوا بفضل صلتهم بالإسلام إلى عامل من عوامل القوة السياسية، ويصبحوا بذلك ذوي أهمية، إن صح هذا التعبير»(٦).

(١) نفسه، ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) بشير أحمد عبدالرحمن باتيل B. A. Pattel

ولد في الهند عام ١٩٢٩م، في أسرة هندوكية عريقة، ولم يجد في دين أبائه ما يمنحه القناعة الكافية، فانقلب إلى الشيوعية، فلم تلبّ مطالبه هي الأخرى، فنقّب بين الأديان وأخيراً وجد مستقره في الإسلام، وهو الآن يعمل رئيساً لقسم اللغة الانكليزية والتاريخ في إحدى المدارس الثانوية في دار السلام، عاصمة تنزانيا.

(٣) سورة البقرة، الآية ١١٦.

(٤) رجال ونساء أسلموا، ١/١٩.

(٥) نفسه، ١/٢١.

(٦) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص ٢٠.

[٢]

«إن الشريعة الإسلامية بمعناها الواسع الذي يشمل تنظيم الشعائر كذلك، هي المضمون الحقيقي للروح الإسلامية الأصيلة، وهي التعبير الحاسم عن التفكير الإسلامي، إنها النواة الجوهرية للإسلام على الأطلاق»[١].

بالتودانو[٢]

[١]

« . . على العكس من الديانة الكاثوليكية التي تدعو إلى السموّ الروحي عن طريق المعاناة فإن الإسلام يحض الناس على مقاتلة الطغيان. إن النصرانية تجنح إلى اتخاذ موقف تجاه الحياة، بينما يتصدى الإسلام لمشكلات الحياة بشجاعة»[٣].

[٢]

« . . الحضارة المادية عليلة مملة، فالمرء يدور فيها في شبه دوّامة، والتحديات فيها قليلة، وحتى عند وقوعها لا يكاد يوجد صراع. فالحياة تنتهي بالتسويات وانصاف الحلول. انك لا تنمو، فالمرء لا ينمو إلّا في ظل التحدّي، والإسلام هو أعظم تحدٍّ في حياة الإنسان! وهكذا قررت أن أكون مسلمة»[٤].

---

(١) نفسه، ص ٤٩. والعبارة المذكورة وردت في مقدمة كتاب جوتهلف برحبشتر (المميزات الأساسية للشريعة الإسلامية)، (برلين، ١٩٣٥م).

(٢) مرسيدس بالتودانو : فاطمة بالتودانو M. Paltodano

ولدت في مدينة ليوم، بنيكاراغوا، في أمريكا الوسطى، كان أملها أن تصبح راهبة، وعندما بلغت المرحلة الثانوية (١٩٧٦ ـ ١٩٧٧م) دفعها طغيان سموزا الفردي إلى الشيوعية، لكن أعتقال شقيقتها وضع حداً لنشاطها السياسي، فسافرت إلى الولايات المتحدة لاكمال دراستها في الهندسة المدنية، وهناك، ومن خلال ضغوط الحياة الأمريكية المادية، وبفضل اتحاد الطلبة المسلمين، أعلنت انتماءها للإسلام.

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٥٢/٨ .

(٤) نفسه، ٥٣/٨ ـ ٥٤ .

بيرغ[1]

[١]

«لا حاجة بنا إلى الاطناب في بيان المميزات الخاصة بالإسلام ولا في بيان اختلافه العظيم عن الهندوكية . . إن نظام الطوائف الذي تحيا به الهندوكية أو تموت لا أثر له في الإسلام، دين الديمقراطية، وقد استمد قوته على الدوام من حبّ الجماهير له حباً حماسياً. إن الإسلام يعرف كيف يجعل له في قلوب الناس مكانا وأن معتنقيه ليفخرون به . . وليس هناك كاهن يشرف على الحياة الدينية. وان اجماع المسلمين على اختلاف الرأي رحمة من الله، هذا الاجماع الذي يستلفت النظر بلينه وتسامحه ويبرهن لنا برهاناً جديراً بالذكر على حاجة المسلمين السائدة إلى توحيد الكلمة، يؤيده عدم وجود سلطة معينة ترغم الناس على رأيها»[2].

[٢]

« . . إن الحج المفروض على كل مسلم أن يقوم به مرة في حياته إن استطاع إليه السبيل . . وأثر اللغة العربية في العمل على الوحدة، وتشابه طرق التعليم في كل العالم الإسلامي، كل هذه العوامل جعلت فكرة الوحدة الإسلامية باقيةً في المكان الأول، حتى بعد أن تم تمزق أمبراطورية الخلفاء إلى ولايات مختلفة . . »[3].

[٣]

« . . إن النزعة التي تصبغ كل شيء بصبغة الدين والتي أمتاز بها الإسلام منذ أيامه الأولى، جعلته مدة تزيد على أثنى عشر قرنا ديناً متمكناً في أمبراطوريات انمحت فيها القوميات وكان هو فيها أكبر قوة تعمل على تماسكها . . لقد حاز الإسلام فضلاً لا سبيل لانكاره بأنه عمل على حل مشكلة التفاهم بين الأمم وهو فضل لا يجحده حتى غير المسلم ممن يتبع دينا آخر ويعتنق فكرة أخرى في الحياة . . »[4].

---

(١) ج . ك . بيرغ — J. K. Birge
عمل أستاذاً في جامعة ليدن، وانصب اهتمامه على تاريخ الصوفية في الإسلام، وكتب أبحاثاً عديدة عن جلال الدين الرومي وغيره.

(٢) وجهة الإسلام (باشراف كب). ص ١٦٠ ـ ١٦١ .

(٣) نفسه، ص ١٦١ .

(٤) نفسه، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

بنكمـرت[1]

[١]

«الإسـلام دين السلام والمساواة والحرية، والاخاء والكرامة والعزة، يظهر ذلك جلياً في أحكـامـه ومبـادئـه وآدابـه. فالصوم في الإسلام ليس كالصوم في الأديان الأخرى، لأن مشكلة الانسان ليست في أن يكبت مطالب جسده، وأن يتخلى عنها حتى تكون أقرب إلى العدم منها إلى الوجود. فهذا أمر ممكن بالمران والتعود. . مثلما يفعل الرهبان حتى يصير جسد الواحد منهم أشبه بهيكل عظمي متحرك. ولكنهم مع ذلـك لم يتركوا أي أثر لهم في الحياة كبشر درجوا على وجه هذه البسيطة وعمروا ما أمكنهم عمرانه فيها، بل أنصرفوا عن ذلك في عجز وحسرة. لذلك فالإسلام، الذي هو دين الفطرة، لم يرض للمؤمنين بهذا هذا السلوك السلبي الانعزالي ولم يشرعه لهم، بل عدل مطالب الجسـد وهذبها ولم يكبتها، ونمى الغريزة وعلّاها ولم يستأصلها، ورسم الطريق السوي للسير بها نحو الكمال. فالصوم في الإسلام تعويد للنفس على الصبر والجهاد ضد الشهوات الآثمة المحرّمة، ومراقبة الله في السرّ والعلن، واستشعار لطعم الحرمان والجوع كي يعطف الصائم على المحرومين. كما أن في الصوم فرصة لاعطاء الجسم راحة من التخمة. فالصوم مفيد للشخص في صحته وروحه وعقله، وللمجتمع في تقاربه وتعاونه واتحاده. . »[2].

[٢]

«لم أجد ديناً وضع للزكاة تشريعاً شاملاً كالاسلام. والمجتمع الإسلامي الذي يحرص على إخراج الزكاة يخلو من الفقر والحرمان والتشرد. . انني أتصور لو أن العالم كله اهتدى إلى الإسلام لما بقي على ظهر الأرض جائع أو محروم. والمجتمع المسلم الذي يلتزم بأحكام الإسلام وآدابه مجتمع نظيف سعيد تنعدم فيه الجرائم بكافة ألوانها. . »[3].

---

(١) بريشا بنكمرت : عثمان عبدالله Berisha Bankmart

من رجال التربية والتعليم، بمملكة تايلاند، نشأ في أسرة بوذية، يتمسك أفرادها بتعاليم وفلسفة بوذا، لكنه لم يطمئن إليها، وراح يبحث، بعد اكمال دراسته، عن دين يجدر أن يكون «دين البشرية ودين الحياة»، كما يصفه. وفي مطلع عام ١٩٧١ أعلن أسلامه، وغير أسمه إلى عثمان عبدالله.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٣/١١٤ .

(٣) نفسه، ٣/١١٥ .

بنــوا[1]

[١]

«تمسكت بالإسلام، بادىء ذي بدء، لأسباب وراء الطبيعة. ولكن أسباباً أخرى أيضاً دفعتني إلى ذلك. فعلى سبيل المثال، كنت أرفض ما يزعمه الرهبان لأنفسهم بأنهم يملكون صلاحية الغفران للذنوب نيابة عن الله سبحانة وتعالى..»[2].

[٢]

«.. ان أسـاس الصـلاة والعبـادة بصورة عامة في الدين الإسلامي النظافة أو الطهارة الحسية والمعنوية. وهذه في الحقيقة هي احدى خصائص هذا الدين العظيم المميزة له عن سائر الأديان.. ان استخدام الماء في عملية الوضوء قبل الصلاة يجعل المسلم في قمة النشاط في جسمه وعقله.. فإذا تذكرنا أن المسلم يؤدي خمس صلوات كل يوم، نجـد أنه يغسل يديه ووجهه وقدميه ضمن عملية الوضوء، خمس مرات يوميا، فهل هناك وسيلة أفضل من هذه لتحقيق النظافة»[3].

[٣]

«إن السكوت عن طهارة الجسد نجده في الأديان الأخرى غير الإسلام، بل يخالطه كذلك شعور بالعدواة فيما يتعلق بالحياة الجسدية للإنسان، بينما أتضح لي أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتمشى مع الفطرة الانسانية»[4].

[٤]

«إنني الآن سعيد جداً بديني الجديد، وانني أعلن مرة أخرى: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله»[5].

---

(١) **الدكتور علي سلمان بنوا** **Dr. Ali Selman Benoist**
طبيب فرنسي من أسرة كاثوليكية، قرأ كثيراً عن الإسلام بعد اهتزاز قناعاته بمعطيات المسيحية، ثم أعلن إسلامه في شباط من عام ١٩٥٣م.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٦/٦.

(٣) نفسه، ٦/٧-٨.

(٤) نفسه، ٦/٩.

(٥) نفسه ٦/١١.

مارسيل بوازار

[١]

«. . إن من حق المؤرخ أن يعرف أسس ثقافة دينية المرتكز وسمت تطور الإنسانية بميسمها، ولم تزل حتى اليوم مرجعاً خلقياً وسياسياً لملايين البشر. ومن الأهمية بمكان تحليل أفكارها الأساسية وتطور هذه الأفكار المحتمل، والكشف عن الطريقة التي حدّد بها ذلك الدين العالمي الطموح مكانة الفرد في المجتمع وتصوّر تنظيم العلاقات بين الشعوب. . ان تقديم الإسلام على أنه مجرد خصم متصارع من النظريات والبنى التشريعية المعاصرة، أمر غير معقول»[١].

[٢]

«. . لا تمييز في العقيدة الإسلامية بين الموجب القانوني والواجب الخلقي . . وهذا الجمع المحكم بين القانون والخلق يؤكد قوة النظام منذ البداية . . »[٢].

«. . أليس من الواقعية والتقدمية أن يؤمن المرء بقيمة الإنسان وحريته وارادته، وأن يتخيل انشاء قانون تستطيع كل الشعوب الانضواء تحت لوائه؟ لسوف يسهم الإسلام في انشاء ذلك القانون»[٣].

[٣]

«. . إن القضية تتمثل في استرجاع فكرة صلاح الإسلام لكل حين من خلال تجلياته الابدية والماضية والمستقبلة»[٤].

[٤]

«لم يكن من ضمن رسالة [محمد ﷺ] أن يبطل ما أنزل من قبله، بل أن يصدّقه ناقضاً ما لحق الكتب السماوية من تحريف وانتهاك. وكلف تطهير تعاليم الرسل

---

(١) إنسانية الإسلام، ص ١٤، ١٥ .
(٢) نفسه، ص ١٨، ١٩ .
(٣) نفسه، ص ٢٤ .
(٤) نفسه، ص ٢٨ .

السابقين [عليهم السلام] من كل مخالفة، والتوسع فيها وتتميمها لتغدو ملائمة للبشرية جمعاء في كل زمان ومكان. . »[1].

«من نوافل الأمور رفض الادّعاء المتكرر آلاف المرات في الغرب عن عجز الإسلام عن تنمية نظام سياسي دينامي. فالتاريخ يكذبه تكذيباً مرا وقاطعاً. . »[2].

ديبورا بوتر

[١]

«لقد تعرضت في السنوات الأخيرة لفلسفات مختلفة وخضت تجارب من الايحاء الفردي كانت تكشف لي عن جزء من الحقيقة. أما الآن فقد تجلى لي بوضوح أن هذه التجارب هي جزء لا يتجزأ من النظام الشامل للكون وأنها بعزلتها تصبح قطعاً متناثرة من اللغز الكبير. هذا اللغز المتكامل هو الإسلام الذي أحدث ثورة في العالم بما قدم له من نظام شامل للحياة الخلقية والاجتماعية ونظام الحكم والنظام الروحي للانسان»[3].

[٢]

«. . الإسلام الذي هو قانون الله، نجده واضحاً في الطبيعة من حولنا، فبأمر الله وحده تسير الجبال والبحار والكواكب والنجوم وتهتدي في مساراتها، فهي خاضعة لأمر

---

(١) نفسه، ص ٤٣ .

(٢) نفسه ص ٣٦٥، ونكتفي بهذا القدر من أقوال (بوازار) عن (الإسلام) تجاوزاً لتضخّم المادة، فالكتاب كله (انسانية الإسلام)، إذا أردنا الحق، يعد بمثابة واحدة من أكثر الشهادات الغربية عمقاً وموضوعية ووضوح رؤية للاسلام، ويستحسن أن نحيل القارىء إلى صفحات اخرى تضمنت المزيد من المعطيات (الايجابية) بحق الإسلام وهي: ٢٥ ـ ٢٦، ٣٣، ٣٥، ٤٥ ـ ٤٦، ٥٦ ـ ٥٩، ٦٤ ـ ٦٦، ٦٨ ـ ٧١، ٧٤، ٨٦ ـ ٨٨، ٩٢ ـ ٩٩، ١٠١ ـ ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧ ـ ١٠٨، ١١٦ ـ ١١٧، ١١٩ ـ ١٢٣، ١٢٤ ـ ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨ ـ ١٣٠، ١٣١ ـ ١٣٢، ١٣٣ ـ ١٤٢، ١٤٥ ـ ١٤٧، ١٥٠ ـ ١٥١، ١٥٣، ١٥٥ ـ ١٦٤، ١٦٧، ١٧٠ ـ ١٧٣، ١٧٨ ـ ١٨٣، ٢٠٥ ـ ٢٠٦، ٢٠٨ ـ ٢١٠، ٢١٧، ٢٢٠ ـ ٢٢٢، ٢٢٧ ـ ٢٣٠، ٢٣٢ ـ ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٤ ـ ٢٤٧، ٢٥٠ ـ ٢٥١، ٢٥٦ ـ ٢٥٧، ٢٥٩ ـ ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٧٤ ـ ٢٧٥، ٢٨٧ ـ ٢٩٣، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٦١، ٣٦٣ ـ ٣٦٧، ٣٧٢ ـ ٣٧٣، ٤٢٢ ـ ٤٢٣، ٤٢٨ ـ ٤٢٩ .

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٨/ ١٠٠ .

الله خالقها كما تخضع الشخصيات في رواية من الروايات، ولله المثل الاعلى، فهي لا تنطق ولا تفعل إلا ما يقرره الكاتب. وهكذا فكل ذرة في هذا الكون ـ حتى الجماد منه ـ هو أيضاً مسلم. ولكن الانسان مستثنى من هذه القاعدة فقد منحه الله حرية الاختبار فله أن يستسلم لأمر الله، أو يضع قانونه لنفسه ويسير على دينه الذي يرتضيه، وقد اختار مع الأسف الطريق الثاني في معظم الاحوال»[1].

[٣]

«.. الإسلام ليس ديناً جديداً من عند محمد [ﷺ] ولكنه عندما انتشر في الأرض بعد مضي ستمائة عام على صعود المسيح [عليه السلام] إلى السماء، نشر ثانية الوحي الذي تجسد في الأديان السماوية السابقة، وأعاده إلى أصله النقي الصافي. فجميع الانبياء الذين أرسلهم الله [عليهم السلام] كانوا مسلمين ورسالتهم كانت واحدة دائماً..»[2].

[٤]

«الإسلام نظام عالمي ودين كوني جاء لجميع الناس في كل العصور. ولم يحدث أن أقر الإسلام أية تفرقة بسبب العرق أو الوطن أو الثقافة أو الطبقة فكلّ مؤمن بالحقيقة مسلم يتمتع بالاخوة الإسلامية مع كافة الناس في كل عصر ومصر. وهذا هو سرّ قوة الإسلام»[3].

[٥]

«.. [إن] الناس في أوروبا وأميركا يقبلون على أعتناق الإسلام بأعداد [كبيرة].. لأنهم متعطشون للراحة النفسية والاطمئنان الروحي [بل] ان [عددا] من المستشرقين والمبشرين النصارى الذين بدأوا حملتهم مصممين على القضاء على الإسلام واظهار عيوبه المزعومة، أصبحوا هم أنفسهم مسلمين، وما ذلك إلا لأن الحق حجته دامغة لا سبيل إلى انكارها»[4].

---

(١) نفسه، ٨/١٠٠ـ١٠١.
(٢) نفسه، ٨/١٠١.
(٣) نفسه، ٨/١٠٢.
(٤) نفسه، ٨/١١٤.

تـزفسـكن[1]

[١]

«لم يتبينّ لي الفرق الشاسع بين تعاليم الإسلام وبين كثير من العادات الشرقية إلا عنـدمـا دخلت عالم الإسـلام الروحي عن طريق القرآن والكتابات الإسلامية . . فشعرت ببطء كيف يجذبني الإسلام . وكانت تعاليمه تخاطب عقلي وفطرتي . وكان من أهم ما شدّني إلى النـظام الاجتماعي المثالي في الإسلام ، تساوي جميع الاجناس ، والتسـامـح الذي لا حدّ له ، والحرية التامة في جميع المجالات الدنيوية والروحية ، وكذلك الاعتراف بالحياة الدنيا من غير مبالغة ، والاجتهاد في طلب العلم الذي يعتبر فريضة على كل مسلم ومسلمة . . واخيراً وليس آخراً أعجبت بالعلاقة المباشرة بين العبد وربه»[2]

[٢]

« . . لقد بدا لي ، وأنا أتلو كتاب الله ، أن الإسلام وحده هو الطريق الذي علمه الله للناس منذ بدء الخليقة وأنه هو الحق»[3]

[٣]

«يصعب علي أن أحدّد نواحٍ معينة أعجبت بها من بين تعاليم الإسلام . إذ من العسير على المرء أن يفهم تفصيلات الإسلام وجزئياته ما لم يكن قد أحاط به بصفة كلية . فكل شيء في الإسلام وثيق الصلة بالآخر. ولذا فإن المسلم المؤمن لا يمكن أن يركز كل اهتمامه في موضوع واحد فحسب . . »[4]

---

(١) فاطمة تزفسـكن Fatima Zuesken
فتاة من تشيكوسلوفاكيا كانت تحمل اسم (مونيكا) . ولدت عام ١٩٤٣م ، وتخصصت في الرسم الهندسي . قرأت كثيراً واتصلت بعدد من المسلمين الألمان ، وبعد أن اقتنعت بالإسلام ديناً ، أعلنت انتماءها إليه عام ١٩٦٣م .

(٢) رجال ونساء أسلموا ، ٢/٩٨ ـ ٩٩ .

(٣) نفسه ، ٢/٩٩ .

(٤) نفسه ، ٢/٩٩ .

[٤]

«. . أما ما يتعلق بي شخصياً فأكثر ما يهمني من تعاليم ديني هي تلك المعلومات والقواعد التي تعينني على تحقيق التكامل الروحي والعقلي. . »(١).

ارنولد توينبي

[١]

«ما هو سر قوة الإسلام على البقاء، بقاؤه بعد وفاة رسوله، ثم زوال بناة امبراطوريته من العرب، وانهيار من حلوا محلهم من الايرانيين وانهزام الخلافة العباسية، وتداعي الدول التي قامت فترة ما على انقاض الخلافة العباسية، يكمن التفسير في التجربة الروحية التي مرّ بها المهتدون إلى الإسلام من رعايا الخلافة الأموية من غير العرب لقد تأصلت جذور الإسلام في قلوبهم فأولوه أهمية تفوق نظرة العرب إليه. وان كان منهم من أقبل على اعتناقه في بداية الأمر، تحقيقاً لمنافع عاجلة. ولا جرم أن عقيدة دينية توفق التوفيق كله تحت تأثير فضائلها الذاتية في الفوز بولاء الناس لها، عقيدة لا يستند بناؤها (أو زوالها) على اهواء تلك النظم السياسية التي تنشد استغلال العقيدة لتحقيق غايات تجافي مبادئها، ليعتبر انتصارها الروحاني، أعجب مثال يبين أنه وإن حلّت الكوارث بالأديان العالمية الأخرى التي سمت إلى تحقيق غايات سياسية، إلا أن الإسلام ـ عكسها ـ لم يؤثر فيه هذا الاتجاه. وهذا ما يبديه استقراء اتجاهه السياسي منذ عهد الرسول [ﷺ] نفسه ثم في عهد خلفائه [رضي الله عنهم] من بعده. فان هجرة النبي العربي [ﷺ] من مكة إلى المدينة، قد جعلت منه سياسياً ناجحاً لامعاً، عوضاً عن بقائه بمكة. . قليل الحظ من الاتباع والانصار»(٢).

[٢]

«. . إن الإسلام قد أعاد توكيد وحدانية الله، في مقابل الضعف البادي في تمسك المسيحية بهذه الحقيقة الجوهرية. . »(٣).

---

(١) نفسه، ٢/١٠٠ .

(٢) مختصر دراسة التاريخ، ٣/٥٤ ـ ٥٥ .

(٣) نفسه، ٣/١٦٤ .

[٣]

«في غضون القرن السابع الميلادي، جدّ في النقاش عامل جديد، كأنه ممثل جديد ظهر على مسرح الأحداث التاريخية على نحو رائع ومثير. فقد نشأ حينئذ دين جديد مكتمل النموّ. كان الإسلام يتعصب للتوحيد ويناهض التصوير مثلما يبتغي أي يهودي، وبفضل ما حققه انصاره في الميدان الحربي من نجاح متوال ـ وبعد ذلك بقليل في المجال التبشيري كذلك ـ واجه المسيحيون أمراً خطيراً جديداً يشغل تفكيرهم.. ان انتصارات العرب المسلمين الاولين قد القت وقوداً جديداً على المجادلات التي ظلت تدور أمداً طويلاً حول (وثنية) المسيحية..»[١].

جابا[٢]

[١]

«.. [لقد] تأثرت على وجه الخصوص ببساطة المجتمع الإسلامي واحساسه بكرامته، وبالحب الانساني المتبادل بين أفراده، كما شدّني إليه ذلك الاحترام ومبدأ المساواة المطبق فيه. وظلت شعلة الإيمان بالاسلام متقدة في قرارة نفسي بشكل مضطرد وبطيء، واخيراً نجحت هذه النار في كسبي نهائياً إلى الإسلام وهكذا فان كلاً من قلبي وعقلي اليوم هما بفضل الله يشرقان بحقيقة الإسلام»[٣].

[٢]

«.. [كنت] كلما مررت بأحد المساجد للمسلمين في الهند أفعم قلبي بالاحساس بعظمة هذا المكان وقدسيته.. كان قلبي يريد الانضمام إلى جماعة المؤمنين في المسجد، وكان النداء والدافع قوياً إلى درجة أنني لم أتمالك نفسي من الدخول إلى

---

(١) نفسه، ٤/ ٦٤.

(٢) **كوفهي لال جابا : خالد لطيف جابا** K. Lal Gaba

رجل سياسة ومؤلف وصحفي، ولد في مدينة لاهور، منحدراً من أسرة هندوكية عظيمة الثراء، عالية التعليم، لها مكانتها بين الهندوس. وبعد أن أعلن اسلامه انتقل للحياة في بومبي. ومن أشهر مؤلفاته كتاب: (الأصوات العامرة)، وآخر بعنوان: (رسول الصحراء).

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٦/ ٩٥.

المسجد والوقوف في صف المصلين. والحقيقة أنني لم أستطع مقاومة ذلك وظللت أفعله فترة طويلة من الزمن»[1].

[٣]

«إذا أراد الناس أن يعرفوا لماذا فضلت الإسلام على سائر الأديان الأخرى بما فيها دين أبائي وأجدادي فسوف أقول لهم: أن أول ما جذبني إلى الإسلام هو بساطته وصراحته التامة. ونحن بطبيعة الحال لا نستطيع أن نعدد على اصابعنا كافة المميزات والخصائص العظمى لهذا الدين الحنيف..»[2].

[٤]

«.. إن مبدأ المساواة في الإسلام لا يوجد له مثيل، لا في البلشفية ولا في أي من المبادىء الأخرى.. كما أن المساواة الإسلامية تغاير تماما الأديان الأخرى التي تجعل للسود أماكن مستقلة للعبادة.. أما في الإسلام فالناس جميعاً سواسية كأسنان المشط.. وهم يقفون كتفاً إلى كتف في صف واحد مستقيم بين يدي الله سبحانه وتعالى في المسجد.. يعبدون رباً واحداً لا شريك له..»[3].

جاوبا[4]

[١]

«إن أول شيء شدني إلى هذا الدين هو بساطته ووضوحه التام المطلق.. والصفة الثانية التي جذبتني إلى الإسلام العظيم تلك الروح الديمقراطية الأصيلة التي يتميز بها. فالمساواة في الإسلام تختلف عنها في البلشفية التي تعمل على سحق الأغنياء لصالح الفقراء، ولا هي كالمساواة عند النصارى حيث يجلد الرجل الزنجي لا لشيء

---

(١) نفسه، ٦/٩٦. (٢) نفسه، ٦/٩٦.
(٣) نفسه، ٦/٩٧-٩٨.
(٤) ك. ل. جاوبا K. L. Gauba
هندوكي مثقف، ومحامي كبير بالمحاكم العليا، درس الإسلام، ولم يرض أن يظل على دينه الذي ورثه عن أبائه وأجداده، وأخذ يقارن بين الأديان، وانتهى الأمر به إلى أعتناق الإسلام.

إلا لأنه وقع بصره على امرأة بيضاء. ويعبد الزنوج ربهم في كنائس خاصة بهم مستقلة عن كنائس البيض. أما في الإسلام فجميع المساجد مفتحة أبوابها لكل مسلم غنياً كان أم فقيراً، أسوداً كان أو أبيضاً، ملكاً كان أو عبداً. وهذه الصفة تقيم صرح وحدة حقيقية راسخة بين المسلمين. ومن أجل ذلك فان الدين الإسلامي لا يقيم مراسيم خاصة لكل داخل في الإسلام كما تفعل الأديان الأخرى، وإنما حسب المرء أن ينطق بالشهادتين حتى يغدو عضواً في أعظم اخوة عالمية يتساوى في ظلها الناس جميعاً في الواقع العملي الملموس إلى جانب الناحية النظرية المجردة.. وليس في العالم كله أشمل وأصدق من هذه الأخوة الإسلامية»[1].

[٢]

«.. إن الأمر [الآخر] الذي من أجله اخترت الإسلام هو قدرة الإسلام على التلاؤم والتكيف مع متطلبات الحياة الحاضرة، فليس هناك أي دين من الأديان المعاصرة يتمتع بمثل هذه المقدرة على حل المشكلات الحاضرة التي تواجه الانسان في هذا الزمان..»[2].

فيليب حتّي

[١]

«الإسلام منهج حياة. وهو - بهذا النظر - يتألف من ثلاثة جوانب أساسية، الجانب الديني والجانب السياسي والجانب الثقافي. هذه الجوانب الثلاثة تتشابك وتتفاعل، وربما انقلب بعضها إلى بعض مرة بعد مرة من غير أن نلحظ ذلك»[1].

[٢]

«الإسلام - بما هو دولة - وحدة سياسية تضمّ مجموعاً من المؤسسات القائمة على الشريعة، على المبادىء القرآنية، انشأها محمد [ﷺ] في المدينة، ثم تطورت في أيام خلفائه [رضي الله عنهم] على انقاض الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية

(١) رجال ونساء أسلموا، ٣/٨٣-٨٤.
(٢) نفسه، ٣/٨٥.
(٣) الإسلام منهج حياة، ص ٩.

الشرقية (البيزنطية) ثم بلغت هذه الدولة الإسلامية ذروة لم تبلغ إليها دولة في العصور الوسطى، ولا في العصور القديمة. . »[1].

[٣]

«لا سبيل إلى الموازنة بين محمد رسول الإسلام [ﷺ] وبين عيسى مؤسس النصرانية [عليه السلام] (في رأي النصارى). إن محمداً لم يكن فيه صفة ذاتية غير طبيعية ولا جاء مسيطراً على البشر بقوة خارقة، ولكنه كان مبلغاً لرسالة ربه. ويجب أن نذكر أن هذا الرأي هو الرأي الشرعي العلمي في الإسلام. . من أجل هذا كله نجد المسلمين يأبون أن يسموا (محمديين) بالمعنى الذي يسمى به النصارى (مسيحيين)، وهؤلاء المستشرقون المتأخرون الذين لا يزالون يطلقون هذه التسمية غير المقبولة (الخاطئة) على المسلمين اطلاقاً هينا يجب أن يعلموا أنه لا يحق لهم أن يسمّوا امة باسم لا تحبه. إن المسلم، في اللغة، هو الذي (اسلم نفسه لله) (خضع لارادة الله)، فالإسلام ـ من أجل ذلك ـ ليس دينا محمدياً ولكنه دين التسليم بارادة الله. . »[2].

[٤]

«الشريعة [الإسلامية] لا تفرّق بين ما هو ديني وبين ما هو دنيوي. إنها تنص على صلات الإنسان بالله وعلى واجباته نحو الله وتنظمهّا كما تفعل في شأن صلات الانسان بأخيه الانسان. وجمع اوامر الله ونواهيه ـ فيما يتعلق بالأمور الدينية والمدنية وسواها ـ مثبتة في القرآن. وفي القرآن ستة آلاف آية أو تزيد يتعلق نحو ألف آية منها بالتشريع. . »[3].

[٥]

«الفقه يمكن أن ينظر إليه على أنه علمٌ إسلامي خالص. وهو ـ بخلاف عدد كبير من العلوم كالرياضيات والطب والفلسفة ـ كله نتاج البيئة الإسلامية نفسها. ثم أننا

---

(١) نفسه، ص ١٠.
(٢) نفسه، ص ٥٣.
(٣) نفسه، ص ٩٥ ـ ٩٦.

لا نكاد نلحظ في تطوره أثراً من الفكر الهندي الايراني أو الفكر الهندي الاوروبي. ومؤسس علم الفقه في الإسلام لم يلتفت إلى الاستعانة بالقانون الروماني ولا بالفلسفة اليونانية. . »(١).

عامر علي داود

[١]

«. . بفضل دراستي الحرّة البعيدة عن كل تعصّب مقيت أصبح إيماني بهذا الدين [الإسلام] قوياً راسخاً. لقد آمنت برسالة القرآن، وأحسست أن الإسلام هو دين الفطرة والكمال، انزله الله على قلب آخر الانبياء وخاتمهم محمد ﷺ. لقد اكتشفت أن الإسلام يخاطب الناس مباشرة ودون أية واسطة من أي نوع. من أجل ذلك كان هذا الدين متمشياً مع الفطرة البشرية»(٢).

[٢]

«إن الإسـلام يخاطب الانسـان الكامل. وهكذا أيقنت أن هذا الدين هو خير الاديان جميعـا. لقـد شرعت في التحـدث عن معتقداتي الجديدة، حول الإسلام والنصرانية وصـارحت بها العديد من العلماء والمرموقين والقسس المعروفين، وكنت صريحاً وصادقاً في مناقشاتي معهم. لقد سألت القسس لماذا يخدعون الناس باخفاء الحقيقة ولا يخبرونهم بوضوح وصدق أن محمداً ﷺ هو رسول الله؟ ولما سمعوا مني ذلك غضبوا ولكنهم لم يستطيعوا أن يحيروا جواباً»(٣).

اميـل درمنغـم

[١]

«إن الذي أدى إلى تنافر الإسلام والنصرانية وتغلّب الإسلام على النصرانية هو ما كانت عليه النصرانية من الفساد في القرن السابع من الميلاد، وفرق النصرانية الضالة

---

(١) نفسه، ص ١٠٠ ـ ١٠١.
(٢) رجال ونساء أسلموا، ١١٨/٧.
(٣) نفسه، ١١٨/٧ ـ ١١٩.

هي التي كان محمد [ﷺ] شاهداً عليها، وهو الذي لم يعرف غيرها، والمسائل المشكوك فيها الكثيرة التي مصدرها ما أدخله اليهود إلى التلمود وغيره . . »[1] .

[٢]

«كان للدعوة المحمدية في جزيرة العرب أثر عظيم ثابت في تقدم الأسرة والمجتمع وفي تقدم الصحة أيضاً، فقد حسن بها مصير المرأة، وحرّم بها الزنا والمتعة وحياة الغرام، ومنع بها اكراه القيان على البغاء لاثراء سادتهن. والإسلام، وان أباح الرق، نظم أحكامه فعدّ فك الرقاب من الحسنات ومكفرا لبعض السيآت . . »[2].

[٣]

« . . تُعارض الآداب الإسلامية بالنسك النصراني احياناً معارضة مصنوعة فالإسلام وان بدا أكثر تسامحاً في الميل الجنسي، لم يكلف نفساً إلا وسعها ويرى كمال العبادة في نيل الجسم حقه الشرعي، ولكن زهد الصوفية المسلمين يعدل زهد نساك جميع الأديان، ولكن الإسلام حرم الخمر وفرض الصوم الصارم الذي لم تعرف مثله ديانة أخرى، ولكن المسلمات ملزمات بهندام وزي يبتعد بهما كثيراً عن الأزياء الاوروبية العصرية، فمن العبث اذن أن يزعم وجود فروق كبيرة بين الأدبين مع اختلاف في النظر والعمل وتباين في النظريات نفسها . . »[3] .

[٤]

«كان كثير من المسلمين يكثرون من التوبة والاستغفار والصلاة والصوم، فرأى محمد [ﷺ] أن القصد اولى من الافراط. فأشار بالاعتدال في التقشف وبترك كل ما يميت النفس، وحدث ان بعضهم قادوا أنفسهم إلى الحج بربط أنوفهم بأرسان الجمال فقطع محمد [ﷺ] هذه الارسان لأن الله ليست له حاجة بجدع الانوف»[4] .

---

(١) حياة محمد، ص ١٣٧ .
(٢) نفسه، ص ٢٩٠ .
(٣) نفسه، ص ٢٩٢ .
(٤) نفسه، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

[٥]

«على ما تراه في دعوة النبي [ﷺ] من المبادىء الاخروية لم يأل النبي جهداً في تنظيم المجتمع الإسلامي تنظيماً عملياً، فكان القرآن كتاب شريعة كما كان مثل كتاب الزبور»(١).

م. ح. درواني

[١]

«أكثر ما استهواني إلى الإسلام كان ولا يزال جوانبه العملية. فإذا أردت أن تشاهد علاقة الحب الحقيقية التي تقول (أحبب جارك مثلما تحب نفسك) فستجدها في أخوة الإسلام لا في الكنسية حيث يسعى البابا والمطارنة والأساقفة وغيرهم وراء السلطة مستخدمين اسم الله كمبرر لما يفعلون»(٢).

[٢]

«الإسلام لديه كلًّا من النظام والقانون فالطقوس الدينية المفروضة على الاشخاص لها هدف خلقي.. فهي تهدف إلى تنظيم الفرد خلقياً وروحياً بطريقة معقولة، كما تهدف إلى تطهير عقله وتنقيته وكذلك تقويته كي يؤدي واجباته تجاه الآخرين الذين يعيشون معه. فالإسلام هو الدين الوحيد من حيث أنه نظرياً وعملياً لا يطلب من المرء أن يؤمن بمبادىء هامدة وأسرار غامضة كما هو الحال في الديانة النصرانية. إذ أن الإسلام يتقبل جوانب الحياة الروحية والمادية على حدّ سواء، ويضع كلا في موضعه اللائق به، ويقيم فلسفته على أساس أن تغطي كافة جوانب السلوك الانساني»(٣).

[٣]

«.. الإسلام، بادىء ذي بدء، يركز أعظم تركيز على النظافة الشخصية والصحية لا نظافة المناسبات والمراسيم، فالاستحمام الإسلامي كما هو معروف، يختلف كثيراً

(١) نفسه، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨.
(٢) رجال ونساء أسلموا، ٣١/٤.
(٣) نفسه، ٣٣/٤.

عن الاستحمام لدى الآخرين والمسلمون يمتنعون عن أطعمة معينة تبعاً لأثرها الضار باخلاق الناس، ويحرم الإسلام المشروبات المسكرة لأنها تحيل الانسان إلى وحش. والصلوات الخمس اليومية تنأى بالمرء عن الخبث والأثام. ثم هناك شهر للصوم يمتنع المسلم فيه عن الطعام والشراب وحتى التدخين طوال النهار، وهو دورة رائعة للنظام يتدرب فيه المسلم ويقوي نفسه للصمود في وجه الشدائد. . ويصير سيداً لشهواته ونزواته، فالرجل الذي تعلم أن ينتصر على شهواته ورغباته وان يقود نفسه هو رجل قوي . . »[1].

[٤]

«على صعيد القانون، في مجال العدل والانسانية، وفي مجال الحكمة والشفقة، فإن قانون الإسلام لا مثيل له بين أديان العالم. فهو يحدد واجبات الفرد تجاه أقاربه وذويه وجيرانه وعائلته وتجاه المجتمع والأمة التي ينتمي إليها. والقانون في الإسلام واسع اتساعا لا سبيل معه إلى شرحه في بضعة سطور. وسأكتفي بابراز صفتين من صفاته تحققان الغرض المطلوب في هذه العجالة. فالدعامة الأولى للقانون الإسلامي تتمثل في أنه يقوم على أساس من المساواة والضمير الحيّ وليس على أي اعتبارات عقلية غريبة عليه. وهذا يعني تناسبه وانسجامه مع تغير الزمان وصلاحيته لكل وقت. وهذه صفة كامنة فيه وبذلك فهو جديد وحديث لا يبلى بمرور الزمان ولا يمكن أن يصبح قديماً أو أن يعفي عليه الدهر. وأما الصفة الثانية فهي أن القانون الإسلامي لا يقيم وزناً للأشخاص والذوات الشخصية، ولا يعترف بأية امتيازات أو طبقات أو تمييز بسبب المولد أو الغنى أو المكانة. فالملك والفلاح والسائل والعريض الثراء، كل هؤلاء يقفون على قدم المساواة أمام القانون الإسلامي. وهنا أيضاً لا يوجد أي قانون حتى في القرن العشرين يمكن أن يضاهي القانون الإسلامي. فهناك مئات الشواهد التي يزخر بها التاريخ الإسلامي والتي تذكر لنا كيف كان الملوك المسلمون يأتون مذعنين لأوامر القضاة. . والوقوف مع خصومهم جنبا إلى جنب للدفاع عن أنفسهم في قضايا شتى. حتى أن النبي الكريم نفسه ﷺ أعلنها ذات مرة بقوله: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»[2].

---

(١) نفسه، ٤/٣٣-٣٤.

(٢) نفسه، ٤/٣٤-٣٥.

دافيد دي سانتيلانا

[١]

«ذلكم هو شكل النظام الجديد الذي دعا إليه محمد [ﷺ] . . ونحن نجد في ظله أن قيمة الفرد بدأت تتضح وكينونته البشرية أخذت تبرز إلى عالم الوجود فصار يستمد حقوقه وواجباته من إيمانه ويستقيها من معين دينه لا من روابطة الاجتماعية والعرفية . فمن جماعة المؤمنين هؤلاء تكون المجتمع الإسلامي»[١] .

[٢]

« . . إن أساس الوحدة الاجتماعية يمثله (الله) في الإسلام . فالله هو الاسم الذي يطلق على السلطة العاملة في حقل المصلحة العامة . وعلى هذا المنوال يكون بيت المال هو (بيت مال الله) ، والجند هم (جند الله) ، حتى الموظفون العموميون هم (عمال الله) وليست العلاقة بين الله والمؤمن بأقل قوة من ذلك ولا يوجد بين المؤمن وربه (وسيط) ، وما دام الإسلام لا يقرّ بسلطان كنسيٍّ وكهنوتي ولا يعترف بأسرار كنسية مقدسة ، فأي فائدة ترتجى من الوسيط بين الانسان وبين خالقه الذي كان يعرفه قبل أن يبدعه والذي هو ﴿أقرب إليه من حبل الوريد﴾[٢] . إن الله بعد أن أرسل إلى البشر خاتمة انبيائه وكلمته النهائية ، لم يعد ثم من ينطق بلسانه أو يعرب عن ارادته . الانسان وحده ماثل أمام الله في حياته وموته وله أن يخاطبه رأساً بلا وسيط ، أو شفاعة أو (اجراءات) . . والانسان من فجر حياته حتى موته تحت انظار الله وهو وحده يمثل أمام الله يوم الحشر . . إن أشد المذاهب البروتستانتية صرامة إنما تكاد تكون مذهبا كهنوتياً صرفاً إذا ما قورنت بعقيدة التوحيد الراسخة التي لا تلين ولا تتزعزع ولا تسمح بالتدخل بين الخالق والمخلوق . . »[٣] .

[٣]

«إن مبادىء [الإسلام] القانونية على تعدد أشكالها ، تؤول إلى غاية واحدة هي

---

(١) تراث الإسلام ، (اشراف سيرتوما ارنولد) ، ص ٤٠٦ .

(٢) سورة ق ، الآية ٦ .

(٣) تراث الإسلام ، ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

الرفاه العام (المصلحة). لذلك فليس لهذا القانون: الاهي مصدراً والبشري هدفا، إلّا سعادة البشر ورفاهه. والعين النافذة لا يمكن ان تخطىء رؤية هذه الغاية وان شق عليها أن تتوضحها لأول وهلة. لأن الله لا يمكن أن يعمل شيئا لا تتجلى فيه الحكمة والرأفة اللتان هما باعثاه الأساسيان. لما كان البشر من روح وجسد فلابد وأن يكون للمرء اتجاهات في الحياة: اتجاه روحي واتجاه جسدي (مادي ومعنوي) وعلى هذا الأساس أخت القواعد (الحدود) الالهية التي وضعها الله لتدبير البشر منقسمة إلى قسمين: ما يتعلق منها بالروح وما يختص منها بالجسد. فالدين والقانون هما نظامان متباينان لكنهما متلاحمان يتم أحدهما الآخر باتحادهما في المصدر والغرض وهو سعادة البشر ورفاهه»[1].

[٤]

«عبثاً نحاول أن نجد أصولاً واحدة تلتقي فيها الشريعتان الشرقية والغربية (الإسلامية والرومانية) كما استقر الرأي على ذلك. إن الشريعة الإسلامية ذات الحدود المرسومة والمبادىء الثابتة لا يمكن ارجاعها أو نسبتها إلى شرائعنا وقوانيننا لأنها شريعة دينية تغاير افكارنا أصلاً. . »[2].

«لما كان الشرع الإسلامي يستهدف منفعة المجموع، فهو بجوهره شريعة تطورية غير جامدة خلافاً لشريعتنا من بعض الوجوه. ثم أنها علم ما دامت تعتمد على المنطق الجدلي. . وتستند إلى اللغة. . إنها ليست جامدة، ولا تستند إلى مجرد العرف والعادة، ومدارسها الفقهية العظيمة تتفق كلها على هذا الرأي. فيقول اتباع المذهب الحنفي أن القاعدة القانونية ليست بالشيء الجامد الذي لا يقبل التغيير. إنها لا تشبه قواعد النحو والمنطق. ففيها يتمثل كل ما يحدث في المجتمع بصورة عامة. . إن المنفعة هي مبدأ الفقهاء والمشترعين، ولقد أردك العرب بوضوح تام سرّ هذه المرونة وهو الاستعمال بلا ريب. . أن هذا التفاعل المستمر [للفقه] في الحياة يمكن تتبعه في مسالك التاريخ الإسلامي . . »[3].

---

(١) تراث الإسلام، ص ٤١٣ ـ ٤١٤ .
(٢) نفسه، ص ٤٣١ .
(٣) نفسه، ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤ .

هـنري دي كاسـتري

[١]

« . . وجعلتُ أشاهد حركات المصلين وأسمعهم يكررون بصوت مرتفع الله أكبر، الله أكبر، فكان هذا الاسم الالهي يأخذ من ذهني مأخذاً لم يوجده فيه درس الموحدين ومطالعة كتب المتكلمين . . وكنت أشعر بأنهم في صلاتهم [تلك] أرفع مني مقاما واعزّ نفسـاً . . وهم يكـررون إلى ربهم صلوات خاشعـة تصدر عن قلوب ملئت صدقاً وايمانـاً . . فاحسست أنني منجـذب بحـلاوة الإسـلام كأنها أول مرة شاهـدت في الصحراء قوماً يعبدون خالق الاكوان . . »[1].

[٢]

« . . (لا إله إلا الله) ذلك هو أصل الاعتقاد باله فرد ورب صمد منزه عن النقائص يكاد العقل يتصوره وهو اعتقاد قوي يؤمن به المسلمون على الدوام ويمتازون به على غيرهم من القبائل والشعوب، أولئك حقاهم المؤمنون . . ولقد يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي [ﷺ] من مطالعته التوراة والإنجيل، إذ لو قرأ تلك الكتب لردّها لاحتوائها على مذهب التثليث وهو مناقض لفطرته مخالف لوجدانه، فظهور هذا الاعتقـاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته وهو بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته وأمانته في نبوته»[2].

[٣]

«إن دين الانبياء [عليهم السلام] كان كله واحدا فهم متحدون في المذهب منذ آدم إلى محمـد [عليهما السلام] وقد نزلت ثلاثة كتب سماوية وهي الزبور والتوراة والقرآن. والقرآن بالنسبة إلى التوراة كالتوراة بالنسبة إلى الزبور وأن محمد [ﷺ] بالنظر إلى عيسى كعيسى بالنظر إلى موسى [عليهما السلام] ولكن الأمر الذي تهم معرفته هو أن القرآن آخر كتاب سماوي ينزل للناس وصاحبه خاتم الرسل فلا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد [ﷺ] ولن تجد بعده لكلمات الله تبديلا. إذا تقرر هذا لم يعد

---

(١) الإسلام: خواطر وسوانح، ص ٢ ـ ٣ . (٢) نفسه، ص ١٧ ـ ١٨ .

هنالك وجه للاستغراب من وجود بعض التشابه بين القرآن والتوراة، فمحمد [ﷺ] كعيسى [عليه السلام] قال أنه بعث ليتم رسالة من قبله لا ليبيدها فلم يكن من أمره الابتعاد عمن تقدمه ولذلك كان يصرح على الدوام بأنه يعيد على الناس ما نزل على الانبياء من قبله.. على أن بعض المشابهات لا تحتاج إلى مثل هذا التفسير إذ نفس محمد [ﷺ] كانت متأثرة بما تأثرت به نفوس الانبياء من بني إسرائيل، وكان يعبد الله الذي عبدوه فلا عجب أن تشابهت الفاظ التضرّعات وتجانست اصوات الدعاء»[1].

[٤]

«لقد كان فكر النبي [ﷺ] في الالوهية من أرفع الافكار واسماها، ولكنه تسامع للناس كثيراً في رغباتهم وما كانوا إليه يميلون. نعم يجب على الرجل أن يعتقد ويعبد الله، ولكن لا يجب عليه أن يحارب نفسه ويعذبها العذاب الآليم ليقهرها.. ومع ذلك فمن الشهوات ما نهى النبي [ﷺ] عنه وأمر بمجاهدة النفس فيه. فقد حرم على المسلمين شرب الخمر وكل شراب يؤثر مثله، وقد بالغ المسلمون في العمل بهذا النهي، فكان من وراء ذلك أن نجت الأمم الإسلامية من مرض المسكرات وهي الداهية التي تفجع اليوم أمماً كثيرة من المسيحيين، وكانت احدى الأسباب في اضطراب المجتمع الانساني وظهور مذهب الفوضويين مما تجهله الأمم الإسلامية هكذا جذب الإسلام قسماً عظيما من العالم بما أودع فيه من اعلاء شأن النفس بتصور الذات الالهية على صفات فوق صفات البشر تذكرها خمس مرات في كل يوم، وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر حيث اتاح للناس شيئاً مما يشتهون»[2].

[٥]

«.. إن الروابط عند المسلمين هي أشد قوة منها لدى غيرهم من الأمم التي تدين بدين واحد، لأن القرآن شريعة دينية وقانون مدني وسياسي..»[3].

---

(١) نفسه، ص ٢٣ ـ ٢٤ .

(٢) نفسه، ص ١٣ .

(٣) نفسه، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

ايتيــن دينيــه

[١]

«. . إن الأمم الإسـلامية على اختـلاف جنسياتها وبلدانها قد طبعها الإسلام بطابعه الواضح المحسوس. بل أن آثاره لا تزال باقية في أهل أسبانيا وإن كانوا قد ارتدوا عنه منذ خمسة قرون»[1].

[٢]

«إن الإسلام [هو] عقيدة التوحيد الالهية العليا، وله تلك المبادىء السامية التي تقوم عليها تلك العقيدة. . [ونحن نطلب] من خصومنا أن يدلونا عليها في الانجيل أو في كتاب مقدس آخر إن كانوا صادقين»[2].

[٣]

«. . إن الإسلام منذ البداية في أيامه الأولى قد أخذ في محاربة الخرافات والبدع، وهو نفس العمل الذي يقوم به العلم إلى يومنا هذا»[3].

[٤]

«كما أن الإسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والاجناس فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات وجميع درجات المدنيات. . وبينما تجد الإسلام يهيج من نفس الرجل العملي في أسواق لندن حيث مبدأ القوم (الوقت من ذهب) إذ هو يأخذ بلب ذلك الفيلسوف الروحاني، وكما يتقبله عن رضا ذلك الشرقي ذو التأملات. . إذ يهواه ذلك الغربي الذي افناه الفن وتملكه الشعر»[4].

[٥]

«عندما رفع الله إليه مؤسس الإسلام [ﷺ] كان هذا الدين القويم قد تمّ تنظيمة نهائياً، وبكل دقة، حتى في أقل تفاصيله شأنا»[5].

---

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص ١٥ .
(٢) نفسه، ص ١٥ .
(٣) نفسه، ص ١٨ .
(٤) نفسه، ص ٣٨ .
(٥) نفسه، ص ٣١٥ .

ول ديورانت

[١]

«تلك بلا مراء عقيدة نبيلة سامية الفت بين الأمم المتباينة المنتشرة في قارات الأرض فجعلت منها شعباً واحداً، وهي لعمري أعظم معجزة للمسيحية والإسلام»[١].

[٢]

«.. إن الذين يجهلون الإسلام هم وحدهم الذين يظنون أنه دين سهل من الوجهة الأخلاقية.. وليس في التاريخ دين غير دين الإسلام يدعو أتباعه على الدوام إلى أن يكونوا أقوياء، ولم يفلح في هذه الدعوة دين آخر بقدر ما أفلح فيها الإسلام..»[٢].

[٣]

«.. كانت مبادىء [المسلمين] الأخلاقية، وشريعتهم، وحكومتهم، قائمة كلها على أساس الدين. والإسلام أبسط الأديان كلها وأوضحها، وأساسه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..»[٣].

[٤]

«.. أُحلّ للمسلمين أن يستمتعوا بالحلال من طيبات الحياة على شريطة الاّ يسرفوا فيها. ولكن الإسلام كغيره من الأديان يدعوا المسلمين إلى الصوم ليقوي بذلك إرادتهم من جهة، ولتصحّ به أجسامهم من جهة أخرى..»[٤].

[٥]

«لفريضة [الحج] العظيمة أغراض وفوائد كثيرة. فهي تقوي إيمان المسلمين واستمساكهم بدينهم، وتمكن الصلة بهذا العمل العاطفي الجماعي بين المسلم ودينه

---

(١) قصة الحضارة، ٦٦/١٣.

(٢) نفسه، ٦٧/١٣-٦٨.

(٣) نفسه، ١١٦/١٣.

(٤) نفسه، ١٢٣/١٣.

وبينه وبين اخوانه المؤمنين . . فالحج وما ينطوي عليه من مناسك التقى والورع يجمع بين [ابنـاء] الشعـوب الإسلامية كافة، يرتدون كلهـم ثياباً بسيطة واحدة، ويتلون كلهم أدعية واحدة بلغة واحدة وهي اللغة العربية، ولعل هذا هو السبب في ضعف حدة الفوارق العنصرية في الإسلام . . »[1].

رامـوني[2]

[١]

«لم يكن لي خيار من المقارنة بين مبدأ توحيد الله في التصور القرآني وبين اعتقادي في الثالوث كمسيحي . فوجدت أن المبدأ الأخير أدنى بكثير من المبدأ الإسلامي . ومن تلك البقعة بالذات بدأت أفقد الثقة في الديانة المسيحية على اعتبار أن الإيمان بالله هو أول وأهم مبدأ في أي دين من الأديان فإذا كان إيماني بالله خاطئاً بالمفهوم الديني الصحيح ، فمعنى ذلك أن كل نشاط آخر يصبح عبثا لا جدوى منه ولا معنى له»[3].

[٢]

« . . إنني على يقين تام من أن الإسلام يعزز مبادئه وتعاليمه بالحجج المنطقية على النقيض من الأديان الأخرى. وهكذا فعلى الرغم من الجهود الضخمة التي تبذلها الأديان المختلفة الأخرى فقد عجزت تماماً عن منافسة الإسلام ، ناهيك عن سبقه إلى قلوب النـاس . . كما أن الملاحظ أن جميع الدعوات الأخرى في انحسار دائم أمام عظمة الإسلام»[4].

---

(١) نفسه، ١٣/ ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٢) ناجيمو رامـوني Najimu Ramoni

من غانا، بافريقية الغربية، ولد لأبوين مسيحيين، عضوين في كنيسة البعثة المعمدانية، وتلقى تعليمه في المدارس التبشيرية، ولما بلغ العشرين بدأ مهمته كمبشر متحمسّ، لكنه عثر يوماً على كتاب عن الإسلام قدمه إليه أحد أصدقائه فاهتزّت قناعاته بالنصرانية أمام صدق الإسلام ووضوحه ودقته المعجزة، واستمر في طريق البحث عن الحق حتى خريف عام ١٩٦٣ حيث أعلن اسلامه .

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٩/ ٥٤ ـ ٥٥ .

(٤) نفسه، ٩/ ٥٧ .

[٣]

«إن الإسلام هو أعظم الأديان ملاءمة لجيلنا المتحضر ولكل جيل. فالإسلام لا يفصل بين الدين والدنيا بحيث تتحول الحياة إلى طريقين مختلفين تماماً، وهذا يشكل خلاصة الأزمة المعاصرة للانسان. لقد اعتنقت الإسلام لأنه دين طبقات الناس جميعا، كبيرها وصغيرها، غنيها وفقيرها، دين الأحرار والعبيد، والسادة والمسودين»[١].

ركــويل[٢]

[١]

«لقد جذبني إلى الإسلام عوامل كثيرة لا أستطيع حصرها أو الوقوف عليها جميعاً، لأن منها الظاهر الجليّ الذي لا يماري فيه إنسان، ومنها الباطن الخفي الذي يغوص في أعماق الروح ويكمن في خبايا الضمير. لقد قرأت عن الإسلام وقرأت عن القرآن وشيئاً من سيرة محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام فلفت نظري الشيء الكثير. لفت نظري بساطة العقيدة الإسلامية وسهولتها، فليست هناك أسرارٌ ولا الغاز تؤمن بها ولا تناقشها، بل مردّ الإيمان إلى العقل والنظر في ملكوت الله، وما في الكون من نظام بديع يهدي ضرورة إلى وجود إله معترف له الخلق والأمر»[٣].

[٢]

«.. إذا عرفت الله وآمنت بوجوده فالإسلام يقول لك أن الله أقرب إليك من حبل الوريد.. فلا ضرورة إذن للوسيط بينك وبين خالقك، ولا حاجة إلى كاهن تعترف له فيقبل التوبة منك، أو هيكل لا تتم العبادة إلاّ فيه..»[٤].

---

(١) نفسه، ٩/٥٧ـ٥٨.

(٢) دونالد ركويل: محمد عبدالله D. Rikwell

من مواليد تيلور فيل، بالولايات المتحدة الأمريكية، تلقى تعليمه في مدرسة سبرنج فيلد العليا بواشنطن، ثم أتم دراساته في جامعات واشنطن وكولومبيا، حيث نال جوائز علمية كثيرة. وهو شاعر، وناقد أدبي، وكاتب صحفي، أعتنق الإسلام بعد أن لم تقنعه عقيدته النصرانية.

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٧/٩.

(٤) نفسه، ٧/٩ـ١٠.

[٣]

« . . أن الجانب الانساني في الإسلام واضح ملموس، فالناس سواء أمام الله، وإن اختلفوا في حظوظ الدنيا ومتاعها، لا فضل لأحد على أحد إلاّ بالتقوى . . »[١].

رودريـك[٢]

[١]

« . . لم يمض وقت طويل حتى أيقنت أن هذا الدين ـ الإسلام ـ هو الدين الحق بالمقارنة بكافة الأديان الأخرى»[٣].

[٢]

« . . الاعتقاد الإسلامي بوحدانية الله، وهو حجر الزاوية بالنسبة للإسلام، أقرب إلى العقل والمنطق من مبدأ التثليث مثلاً. إذ أن فطرتي استساغت الإيمان بالله الواحد . . »[٤].

[٣]

« . . لقد أعجبني كثيراً موقف الإسلام من الأديان الأخرى [حيث] نجد أن الإسلام ينظر إلى الأديان الكبرى في العالم بأن لها أصل سماوي واحد، وهذا نوع من الاعتراف والتقدير للأديان الأخرى، وهو أقرب إلى المنطق والتسامح من الموقف النصراني الذي يصف كافة الديانات الأخرى غير النصرانية بالوثنية . . »[٥].

---

(١) نفسه، ١٠/٧ .

(٢) بيجي رودريك Peggy Raderik
شاب هندي، نشأ في ظل الاستعمار البريطاني للهند، وكان نصرانياً فأسلم في منتصف الاربعينات رغم التربية التبشيرية التي تلقاها على يد النصارى الذين كانوا منتشرين في شبه القارة الهندية.

(٣) رجال ونساء أسلموا، ١١٢/٦ .

(٤) نفسه، ١١٢/٦ .

(٥) نفسه، ١١٢/٦ـ١١٣ .

[٤]

«[إن تعاليم الإسلام الخلقية تحقق امتزاجاً تاما بين المثالية والواقعية، فيستطيع الإنسان بفضلها أن يتعرف إلى الله، ويصبح ربانياً، بينما يكون منهمكاً في شؤون حياته اليومية. . وليس في الإسلام أي فصل بين الدين والسياسة، فمن واجب الدولة المسلمة أن تراعي معاملاتها نفس المبادىء الخلقية المفروضة على الافراد. فالسياسة في الإسلام اخلاق أولاً وقبل كل شيء. وهذا ينعكس بالطبع على موقف الدولة المسلمة الحقة من الناس جميعاً ومن الدول الأخرى من حولها وهكذا فليس في الإسلام أي مجال للظلم أو الاستغلال من أي نوع، كما أنه لا سبيل إلى قيام شيء يشبه الاستعمار أو الرأسمالية أو الاغترار بالقوة الباغية ولا مجال لقيام صراع طبقي أو حرب جائرة معتدية. . »[1].

[٥]

«لقد تأثرت أعظم التأثر بمبدأ الأخوة في الإسلام الذي يشمل كافة بني البشر بصرف النظر عن اللون أو العنصر أو المعتقد. فالإسلام هو الدين الوحيد الذي استطاع أن يحقق هذا المبدأ العظيم في الواقع العملي، فالناس جميعا متساوون ومبدأ الأخوة مقدم على كل اعتبار آخر»[2].

مكسيم رودنس

[١]

«أصبح الناس - في الوقت الذي نتكلم عنه - يستطيعون رؤية الدين الذي كان ينافس المسيحية بنظرة محايدة، بل بشيء من التعاطف، ولعلهم كانوا يبحثون فيه بصورة لا شعورية (ويجدون فيه بالطبع) نفس قيم الاتجاه العقلاني الجديد الذي كان مخالفاً للمسيحية. ففي القرن السابع عشر أنبرى كثير من الكتاب للدفاع عن الإسلام ضد الاجحاف الذي ناله في العصور الوسطى وضد مجادلات المنتقصين من قدره، وأثبتوا قيمة واخلاص التقوى الإسلامية. . وانتقل الجيل التالي من الموضوعية

(١) نفسه، ٦/١١٤.

(٢) نفسه، ٦/١١٦.

إلى مرحلة الاعجاب. . فكان ينظر إلى الإسلام كدين عقلاني بعيد كل البعد عن العقائد المسيحية المخالفة للعقل. . ثم أنه وفق بين الدعوة إلى حياة اخلاقية وبين حاجات الجسد والحواس والحياة في المجتمع. وخلاصة القول فهو كدين كان قريباً جداً من الدين الطبيعي الذي كان يعتقد به معظم (رجال عصر التنوير). . »[1].

[٢]

« . . ظهر الإسلام لبعض أولئك [اليساريين الاوربيين] على أنه في جوهره عامل (تقدمي) بطبيعته، بل أعتنق بعضهم ذلك الدين الإسلامي. . »[2].

[٣]

«في أكتوبر ١٩٦٥ أشاد مجلس الفاتيكان المسكوني (بالحقائق) التي جاء بها الإسلام والتي تتعلق بالله وقدرته ويسوع ومريم والانبياء والمرسلين [عليهم السلام]. . ولقد أعجب بعض المسيحيين بالقيمة الروحية الدينية الإسلامية وأزعجتهم مواقف الظلم التاريخية التي وقفتها شعوبهم من الإسلام. . »[3].

فرانز روزنثال

[١]

«عندما ظهر الرسول [ﷺ] كانت اليهودية والنصرانية منتشرتين في الجزيرة ولهما آراء متشابهة في التفسير التاريخي للحياة الإنسانية غير أن الدين الإسلامي الذي بشر به الرسول [ﷺ] كان يتميز بالوضوح والقدرة على تفهم أسس هذا الوجود بصورة واضحة جداً ومن غير تعسّف. والواقع أن مفاهيم الإسلام أوضح وأقل جموداً من ناحية العقيدة، ومن مفاهيم اليهود والنصارى الدينية»[4].

---

(١) تراث الإسلام (تصنيف شاخت وبوزوث)، ١/٦٤ ـ ٦٦ .

(٢) نفسه، ١/٩٤ .

(٣) نفسه، ١/٩٥ .

(٤) علم التاريخ عند المسلمين، ص ٣٩ .

جـاك ريسـلر

[١]

«. . إن هذا الكتاب يمكن أن يتيح لمن يتصفحونه أن يدركوا على أفضل وجه ما الـروح الإسـلامية، وكيف صيغت هذه الروح على مر العصور. لقد وقف الرجل الغربي تجاه العالم العربي في حيرة وكأنه أمام سرّ غامض، فلم يك مألوف له رد أي فعل من ردود الفعل الإسلامية، ولم يدرك كل نهج في وجود هذه الروح وفي الاحساس بها وفي قوتها الدافقة»[1].

[٢]

«في سعي الإسلام إلى (المطلق) نبذ، لشدة عنايته بوحدة الله ووحدانيته عقيدة الثـالـوث المقـدس مبتعداً في ذلك عن المسيحية التي كان يتهمها بنوع من الشرك لاعتقادها في الوهية ثلاثة أشخاص. ولقد احترم الإسلام احتراماً نادر المثال تاريخ الأديان فاعـترف بأن الكتب المقـدسـة لليهـود والنصـارى منـزلـة [قبل أن يمسها التحـريف]. . وقد أشار النبي [ﷺ] للدلالة على صدق رسالته إلى ما بين القرآن والكتاب المقدس من توافق وحَثَّ بكل تسامح وقوة أدراك في الوقت نفسه، اليهود على اطاعة شريعتهم، والمسيحيين على اطاعة أناجيلهم، وعلى أن يرتضوا القرآن، خاتم الكتب المقدسة والدين الإسلامي خاتم الأديان المنزلة»[2]

[٣]

«كـانت الزكاة قبل كل شيء عملاً تعاونياً حراً وادارياً ينظر إليه على أنه فضيلة كبرى. وفي تنظيم جماعة (المدينة) اعتد النبي [ﷺ] هذا العمل الخير كضريبة شرعية اجبارية لصالح الفقراء والعوزين. وسيتحول فيها بعد هذا النظام وسيتولد عنه هيئة من موظفين وبيت مال. . لكن إذا كانت الدولة قد صنعت هذا العمل الخيّر مصدراً لمواردها، فإن مبدأ الزكاة ظل ـ بفضل القرآن ـ فضيلة مارسها المسلمون تلقائياً بوصفه واجباً دينيا. وينبغي أن نزجي الثناء لمحمد [ﷺ] فقد كان أول من شرع ضريبة تجبى من الاغنياء للفقراء، هكذا أوجد القرآن الرحمة الاجبارية»[3].

(١) الحضارة العربية، ص ١ (مقدمة الكتاب). (٢) نفسه، ص ٧ ـ ٨.

(٣) نفسه، ص ٣٤.

[٤]

« . . الدين الإسلامي ليست له قرابين مقدسة ولا طقوس، والصلاة صلته المباشرة بين الله والمؤمنين. . وفي المسجد ينبض قلب الإسلام. . وفي ارجائه يحس المرء احساساً حياً أنه بحضرة الله. الحق أنه لا شيء في المسجد إلا البساطة. . والجمال والتجانس. . »[1].

[٥]

« . . على الرغم من تنوع الاجناس والشعوب التي تشكل الإسلام، كان المسلمون يبينون سلفاً عن خصائص متشابهة، وعلى الرغم من كل ما يمكن أن يفرّق بين حضر وبدو، أغنياء وفقراء، كانوا يسلكون تقريباً مسلكاً واحداً. ذلك أن أية عقيدة تقوم على أسس ثابتة تحدث ردود فعل مماثلة عند أقوام متفاوتة. وقد وضع روح القرآن قواعد التصرفات اليومية للناس، وخلق الجو المعنوي للحياة، حتى تغلغل شيئاً فشيئاً في الافكار فانتهى بتشكيل متناسق للعقليات والاخلاق. كما كان تأثير الدين عظيماً بسبب انتشار اللغة، وبسبب نتائج السياسة الخارجية المشتركة، وكذلك بسبب نتائج نظام اجتماعي معمّم»[2].

[٦]

« . . إن اسم الإسلام يمكن أن يؤخذ على ثلاثة معان مختلفة: المعنى الأول دين، والثاني دولة، والثالث ثقافة، وبالاختصار حضارة فريدة»[3].

جورج سارتون

[١]

« . . [ثمة] حادثة واحدة من أخصب الحوادث نتائج في تاريخ الإنسانية ألا وهي ظهور الإسلام. . »[4].

---

(١) نفسه، ص ٣٦ .

(٢) نفسه، ص ٥٠ .

(٣) نفسه، ص ٦٧ .

(٤) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ص ٢٨ .

[٢]

«كانت الهجرة حداً فاصلاً في حياة الرسول [ﷺ]، وفي تاريخ الدين الجديد. انها البدء الرسمي للإسلام كدين ودولة معاً. . »[1].

[٣]

«ليس في أركان الإسلام [الخمسة] شيء ينفر منه غير المسلم وعلى الرغم من بساطة هذه الفروض وقلة عددها فإنه لم يكن بالامكان أدخال أصلاح ما عليها يقود إلى أن تثبت العقيدة الإسلامية في نفس كل مسلم أو تقوى بعد ثبوتها ثم يسهل انتشارها فوق ما ثبتت وقويت وانتشرت فعلاً. إن القيمة العملية للعقيدة الإسلامية لها دليل ذاتي من قوتها ورسوخها وانتشارها. . »[2].

[٤]

« . . إن فرض الصيام في كل نهار من مطلع الفجر إلى غياب الشمس شهراً كاملاً كان امتحاناً قاسياً لكل مسلم. . ولكنه كان وسيلة بارعة لسبر غور الإيمان في صدور كل مسلم ولتثبيت ذلك الإيمان أيضاً. . ولقد أدرك الإسلام الحاجة إلى تنظيم شديد كيما يقوى إيمان المسلمين وتتطهر قلوبهم. من أجل ذلك كان شهر الصيام والحج من التمارين التي تحمل على هذا التنظيم وتقوم به أحسن قيام، إن كثيراً من كنائسنا نحن قد ضعفت إلى درجة التفه لتساهلها ولفقدان التنظيم فيها ولقلة ما تفرضه على اتباعها. إن اتباع هذه الكنائس إذا دفعوا اشتراكاتهم (بدل جلوسهم على مقاعد الكنيسة) عدوا من المؤمنين حقاً. إن مثل هذه الكنائس قد تكون غنية، ومع ذلك فإنها، من حيث التأثير، في حكم المفقودة. فإذا كنتم تريدون أتباع كنائس ذوي إيمان فعليكم أن تفرضوا عليهم نظاماً شديداً وان تتطلبوا منهم تضحيات حقيقة. ولقد عرف محمد [ﷺ] ذلك جيداً، وهذه علامة [اخرى] من علامات عبقرية النبوة فيه»[3].

---

(١) نفسه، ص ٣٠.
(٢) نفسه، ص ٣٢.
(٣) نفسه، ص ٤٠ ـ ٤٢.

[٥]

« . . [ما تميز به الإسلام] من السماحة والبساطة والاعتدال، يسرّ لأي إنسان في أي موطن، أن يتقبله وينفذ إلى روحه وجوهره منذ اللحظة الأولى . . »(١).

[٦]

« . . كان النبي محمد [ﷺ] أشمل في دعوته وأعمق من كل من سواه من الأنبياء»(٢).

[٧]

« . . حرم الإسلام الخمر في مطلع دعوته، وها نحن اليوم بعد أنتشرت الخمور وزادت نسبة الكحول فيها إلى درجة فتاكة ندرك حكمة الإسلام وبعد نظره . . »(٣).

يوجينا ستشيجفسكا

[١]

«ليس معنى الإيمان بالقضاء والقدر أن يترك المسلم العمل لأن القرآن والنبي ﷺ أمرا بالعمل والاجتهاد في كل شيء . وقال الله تعالى: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**(٤) . . »(٥).

[٢]

«فرض الله سبحانه وتعالى على المسلم خمس صلوات في اليوم ليكون دائم الاتصال بالله، وقبل أن يدخل المسلم الصلاة لابدّ أن يكون طاهراً ونظيفاً فالإسلام دين النظافة»(٦).

---

(١) الشرق الأدنى: مجتمعه وثقافته (باشراف كويلر يونغ)، ص ١٤٠ .

(٢) نفسه، ص ١٤٠ .

(٣) نفسه، ص ١٤٠ .

(٤) سورة التوبة، الآية ١٠٥ .

(٥) تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، ص ١٩ .

(٦) نفسه، ص ٢٠ .

[٣]

«كان تاريخ التشريع في عهد الخلفاء الراشدين [رضي الله عنهم] يعتمد على الشورى، واساسها قول الله تعالى: ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾[١]، وكذلك فعل الرسول [ﷺ] مع أصحابه، فقد كان يستشيرهم في الأمور التي لم ينزل فيها عليه وحي»[٢].

[٤]

«كان الفقه مدار سياستهم وروح حياتهم وبه تدبير ملكهم. وكانت حركة الإسلام سريعة الانتشار حتى عمت المشارق والمغارب لأن الإسلام يأمر أهله بالوقوف عند حدود الشريعة وبصيانة حقوق الخلق اجمعين سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين. فكان للفقه (علم التشريع) زمان الخلفاء مكانة أعظم مما عليه علم الحقوق الآن عند الأمم المتمدنة، وكان الفقهاء هم أرباب الشريعة والشورى (نواب الأمة) وبيدهم تدبير كل أمر ولا يصدر عمل عظيم أو حقير إلّا وفاقاً للتشريع وعلى مقتضى الحق»[٣].

[٥]

«كان للآمة الحرية المطلقة والرقابة على أعمال الخلفاء الراشدين [رضي الله عنهم] ومدى موافقتها لنصوص الشريعة وخضوعها لآراء الفقهاء، وسيرهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء. ولم ينقل أحد من المؤرخين سواء كانوا عربا أم غيرهم انتقاداً للخلفاء بظلم أو سوء تصرف، بل أعترف الكل بأن عدلهم وحسن سلوكهم وصراحة طريقتهم قد حببت فيهم غيرهم من الشعوب، حتى أسقطوا عروش ملوكهم وخربوا دولهم وأسسوا بدلا منها دولة الإسلام الذي عشقوه لعدل قوانينه، ونزاهة حكامه وعفتهم ورفقهم وسيرهم وراء شرعهم لا يتعدونه، وكانت نصوص الشريعة واضحة لم يدخلها تأويل ولا شبهات»[٤].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩ .

(٢) تاريخ الدول الإسلامية وتشريعها، ص ٣٩ .

(٣) نفسه، ص ٦٧ .

(٤) نفسه، ص ٦٨ .

ســتودارد[1]

[١]

«كاد يكون نبأ نشوء الإسلام النبأ الأعجب الذي دوّن في تاريخ الإنسان. ظهر الإسلام في أمة كانت من قبل ذلك العهد متضعضعة الكيان، وبلاد منمطة الشأن، فلم يمضي على ظهوره عشرة عقود حتى انتشر في نصف الأرض ممزقا ممالك عالية الذرى مترامية الأطراف، وهادماً أدياناً قديمة كرت عليها الحقب والاجيال، ومغيراً ما بنفوس الأمم والأقوام، وبانياً عالما حديثاً متراص الأركان، هو عالم الإسلام»[2].

[٢]

«كلما زدنـا استقصاء باحثين في سرّ تقدم الإسلام وتعاليه، زادنا ذلك العجب العجاب بهراً فارتددنا عنه باطراف حاسرة عرفنا أن سائر الأديان العظمى إنما نشأت ثم انشأت تسير في سبيلها سيراً بطيئاً ملاقية كل صعب، حتى كان ان قيض الله لكل دين منها ما اراده له من ملك ناصر وسلطان قاهر انتحل ذلك الدين ثم أخذ في تأييده والذب عنه حتى رسخت أركانه. . إنما ليس الأمر كذلك في الإسلام الذي نشأ في بلاد صحراوية تجوب فيافيها شتى القبائل الرحالة التي لم تكن من قبل رفيعة المكانة والمنزلة في التاريخ، فلسرعان ما شرع يتدفق وينتشر وتتسع رقعته في جهات الأرض مجتازاً أفدح الخطوب وأصعب العقبات دون أن يكون له من الأمم الأخرى عون يذكر ولا ازر مشدود. وعلى شدة هذه المكاره فقد نصر الإسلام نصراً مبيناً عجيباً، إذ لم يكد يمضي على ظهوره أكثر من قرنين، حتى باتت راية الإسلام خفاقة من (البرانس) حتى (هملايا) ومن صحاري أواسط آسيا حتى صحاري أواسط افريقيا»[3].

---

(١) لوثـروب ستودارد Lothrop Stoddard

مؤلف أمريكي يتميز بسعة أطلاعه على معطيات العالم الإسلامي الحديث. ويعد كتابه: (حاضر العالم الإسلامي) من أهم المؤلفات الحديثة التي عالجت قضايا هذا العالم ومجريات أحداثه عبر النصف الأول من هذا القرن. وقد زادته قيمة علمية، التعليقات والاضافات الخصبة التي ألحقها الأمير شكيب ارسلان بطبعته العربية.

(٢) حاضر العالم الإسلامي، ١/١.	(٣) نفسه، ١/١-٢.

[٣]

«الجامعة الإسلامية بمعناها الشامل ومفهومها العام إنما هي الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى لا انفصام لها في جميع المؤمنين في المعمور الإسلامي. وهي قديمة بأصلها ومنشئها منذ عهد صاحب الرسالة [ﷺ] أي منذ شرع الرسول يجاهد فالتف حوله المهاجرون والانصار معتصبين معه بعصبة الإسلام لقتال المشتركين. وقد أدرك محمد [ﷺ] خطورة الجامعة وعلو منزلتها في المسلمين حق الادارك، وعلم كل العلم ما لها من عظم الشأن.. فغرس غريستها بيديه في نفوسهم، فنمت وتغلغلت وامتدت جذورها وبسقت أغصانها.. فقد كرّ عليها أكثر من ثلاثة عشر قرناً فما أوهن كرور هذه القرون من الجامعة الإسلامية جانبا ولا ضعضع لها كيانا، بل كلما تقادم عليها العهد ازدادات شدة وقوة ومنعة واعتزازاً. حقا أن الجامعة اليوم بين المسلم والمسلم لأقوى منها بين النصراني والنصراني.. ومن احب ان يقف حق الوقوف على ما اراده الإسلام من غرض الجامعة وغايتها فلينظر إلى حال المسلمين اليوم وإلى تيار هذا التعاطف والتشاكي يعلم سرّ الجامعة ومكانتها في نفوس المسلمين وفي الواقع ليس من دين في الدنيا جامع لابنائه بعضهم مع بعض موحد لشعورهم دافع بهم نحو الجامعة العامة والاستمساك بعروقها كدين الإسلام..»[(١)].

[٤]

«الإسلام في عهده الأول، إنما كان شمس الحرية مشرقة وهاجة، وديناً تجلت فيه المنازع الحرة الشريفة، وليس ما طرأ على العالم الإسلامي فيما بعد من الوهن والتدني بحاجب المنصف عن جوهر الإسلام وحقيقة صفائه، فالشريعة الإسلامية كما قال العلامة ليسبار: (إنما هي ديمقراطية شوروية جوهراً وأصلاً، وعدو شديد للاستبداد). وقد أجمل قامباري هذه الحقيقة في شأن الإسلام بقوله: (ليس الإسلام ولا تعاليمه السبب المفضي بآسيا الغربية إلى هذه الحالة المشهودة من التضعضع واختلال الشؤون، ولكن السبب كل السبب في ذلك إنما هو استبداد امراء المسلمين وحكامهم الذين التووا عن الصراط المستقيم.. وتنكبوا عن طريق صاحب الرسالة والخلفاء الراشدين.. وناصبوا المذاهب الشورية والأصول الحرة العداء)..»[(٢)].

---

(١) نفسه، ١/٢٨٧-٢٨٨.   (٢) نفسه، ٤/٤٣-٤٤.

[٥]

« . . ليست الولادة في البلاد ولا التجنسّ على الأصول الرسمية شرطاً لمن يريد ان يكون فردا من أفراد الأمة الإسلامية في قطر من الاقطار، متمتعاً حق التمتع بحقوق الجنسية الإسلامية. فوطن المسلم هو العالم الإسلامي من اقصاه إلى اقصاه لذلك يستطيع الهابط أية بلاد اسلامية ان ينال للحال أي وقتا شاء حقوق الوطني المكرم ذي المقام والمنزلة بين ظهراني القوم. فالعبارة (مصر للمصريين) مثلا لا تعني ذلك المعنى بعينه الذي نتصوره نحن في الجاري المعتاد. فإذا ما أقام مسلم جزائري او دمشقي في القاهرة فليس هناك من حائل يحول دون تصرفه وسلوكه واعتباره (مصريا وطنيا حرا) بصحيح معنى العبارة. والسبب في ذلك أن من منازع الإسلام على الدوام صيانة الوحدة بين المسلمين والوحدة الدينية والجغرافية الاقليمية. فجميع الاقطار والممالك والبلدان الإسلامية معروفة عند المسلمين (بدور الاسلام) وضدها (دار الحرب) وهي المواطن التي يقطنها مسلمون يجب عليهم باعتبارهم أمة واحدة متحدة، الذب عن سياجها والذياد عن حياضها، وهذا هو السبب في أننا نرى أنه كلما أصاب اعتداء اجنبي طرفا من العالم الإسلامي، هاج الطرف الآخر واضطرب وقام وقعد، على غير أن يكون هناك اشتراك في المصلحة المادية يحمله على ذلك، كأنما المعمور الإسلامي جسم واحد باعتلال عضو منه تتأثر وتعتل سائر الاعضاء»[1].

ستوك[2]

[١]

« . . إن المبادىء الإسلامية التي استوقفت نظري واستقطبت جل اهتمامي أكثر من غيرها. . حين اقبلت على الإسلام، هي أن المسيحية كثيراً ما تترك جوانب (باهتة) غامضة في التصور الاعتقادي يملؤها الشك والريب. نقاط سكت عنها الدين

---

(١) نفسه، ٤/١٢٢ .

(٢) فرانك ستوك F. Stock

شاب كاثوليكي، أمريكي، من اندیانا، أتيح له الاحتكاك بأفراد الجالية الإسلامية، بنيويورك، وانديانا، فشرح الله صدره للإسلام بعد أن أستوعب مذاهب النصرانية استيعابا جيدا، وكان كاثوليكيا متعصبا، وكان انتهاؤه للإسلام عام ١٩٦٧م، عمل على أثره أميناً لسرّ الدائرة الإسلامية في جامعة انديانا.

المسيحي ولم أكن أدري ماذا أفعـل تجاهها أما الإسـلام فكل شيء فيه واضح لا لبس فيه ولا غموض، وهو يستغرق كافة جوانب الحياة الإنسانية، ويشملها فلا أحس بأدنى شك أو ارتياب، كما لا أشعر في ظله أنني تائه أو ضال بل اعتقد من صميم قلبي أن الإسـلام منهج كامل للحياة يغاير المسيحية والحق أن الإسلام هو الدين الكـامل الوحيد. كما أن الإسلام يستقطب العقل والقلب فليس فيه أية أسرار أو طلاسم لا سبيل إلى استيعابها بل كل شيء معروض للاستفسار والسؤال عن حكمته وعلة تحريمه أو تشريعه وكل شيء يعتبر محلاً لأعمال الفكر وانعام النظر قبل اعتناق الإسلام. كما أن فكرة الإسلام عن التوحيد اقرب إلى المنطق والفطرة السليمة من مبدأ التثليث عنـد النصـارى لأن مبدأ التثليث يسهل دحضه وأثبات بطلانه بقليل من التأمل وسعة الأفق. كما أن الإسلام لا يسمح بفصل الدين عن الدنيا، وإنما يزود المرء المسلم بهداية شاملة كاملة تملأ حياته الدنيا وتعده بالأمان والفوز بالجنة في الدار الآخرة»[1].

نصري سـلهب

[١]

«انطلاقاً من وجوب قول الحقيقة، أرى لزاماً عليّ أن أعلن أننا، نحن المسيحيين بصورة عامة، نجهل الإسلام كل الجهل، ديناً وحضارة»[2].

[٢]

«ليس كالاسم دين يكرم الأنبياء والرسل الذين سبقوا النبي العربي [ﷺ]، وهو يفرض على المؤمنين به اكرام هؤلاء والايمان بهم، وليس كالاسلام دين يحترم الأديان الأخرى المنزلة الموحى بها التي سبقته في النزول والوحي . . »[3].

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ٣/٧٩ ـ ٨٠ .

(٢) لقاء المسيحية والإسلام، ص ٢٠ .

(٣) نفسه، ص ٢٨ .

[٣]

«أولى الآيات البيّنات. . كانت تلك الدعوة الرائعة إلى المعرفة، إلى العلم عبر القراءة. . (اقرأ). . وقول الله هذا لم يكن لمحمد [ﷺ] فحسب، بل لجميع الناس، ليوضح لهم، منذ الخطوة الأولى، بل منذ الكلمة الأولى أن الإسلام جاء يمحو الجهل وينشر العلم والمعرفة. . »(١).

[٤]

«الإسلام دين الأزمنة جميعها، وقد أعدّ لجميع الشعوب. فهو ليس للمسلمين فحسب، ولا لعرب الجزيرة الذين عايشوا النبي [ﷺ] وعاصروه فحسب، وليس النبي نفسه، ﷺ نبي العرب والمسلمين فحسب، بل هو نبي كل مؤمن بالله واليوم الآخر والنبيين والكتب المنزلة»(٢).

[٥]

«في الدين الإسلامي من الشمول والرحب ما يجعله يفتح ذراعيه لجميع البشر دون أن يؤثر في قوميتهم وولائهم لأمة إليها ينتسبون ودون أن يؤثر في إيمانهم وولائهم لدين يعتنقون»(٣).

سمث(٤)

[١]

«. . كل إنسان ذو أخلاقية حرة، وهو مسئول أمام الله عن أفكاره وأحكامه وأعماله. . والله يرشد الإنسان عن طريق الوحي إلى مبادىء أخلاقية عامة منبعثة عن أرادته الابدية المقدسة. إلا أن في الانسان قوة كامنة، إذ أن في استطاعته أن يتقبل

---

(١) نفسه، ص ٩٢.
(٢) نفسه، ص ٤٠٣.
(٣) نفسه، ص ٤٠٣.
(٤) د. هارولد ب. سمث Harold B. Smith
أستاذ، ونائب رئيس قسم الديانات بكلية (ووستر)، بولاية اوهايو، وكان رئيساً لقسم الفلسفة والأخلاق (بالجامعة الأمريكية) بالقاهرة.

هدى الله أو يتحـول عنـه. وهنـاك آية هامة: ﴿**انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبـال فأبـين أن يحملنهـا وأشفقن منهـا وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا**﴾[1]. لا يتحقق معناها إلا على أساس التسليم بالحرية الانسانية، فقد عرض الله على جميع مخلوقاته مسئولية المحافظة على الإيمان، وادارة العالم باسم الله، فقبل الإنسان أن يحمل هذا العبء، على حين رفضته سائر المخلوقات خوفاً واشفاقاً. ومع أن الانسان لم يرع ذلك الايمان، ولم يدر العالم ادارة ذات قيمة، وسلك مسلك الظلم والجهل، فإن في هذا سر عظمته وخطيئته جميعا. فلو لم يكن الانسان حراً ما ارتكب الخطيئة، ولم لم يكن حرا ما ساغ ان يحمل الأمانة»[2].

[٢]

«.. لما تطور التشريع، وجد مبدأ يمكن أن يكون له القدرة على اخماد النزعات الاستبـدادية لبعض الحكـام أو الفقهاء، ذلك هو مبدأ الاجماع الذي يعتبر مظهراً للارادة العامة. وعلى الرغم من أن الاجماع، في نظر الدقة الفقهية، مقصور على ذوي الدراية من الفقهاء، إنه يحمل في طواياه بذرة مبدأ ديمقراطي، وكان له احيانا عند التطبيق.. أثر كبير في التعبير عن اجماع أعم من أجماع صفوة قليلة. أما ما يقع من الأفـراد من اسـاءة استعـمال للقوانين، أو من عثرات اخلاقية، فإن الارادة العامة تقومه، أو من شأنها أن تقومه مع مرور الزمن»[3].

[٣]

«يعد الفرد [في الإسلام] مهماً لأنه وحدة من القوة الأخلاقية وفي العرف الإسلامي تصور آخر يتعلق بالفرد في الجماعة ويمنح الناس وسيلة للترابط، واحساساً بالاتحاد لا يوجد أحياناً في التصورات الغربية الحديثة للانسان. هذه الشخصية المتحدة يعمل على تكوينها التصور الخاص (بدار الإسلام) أي تآخي المؤمنين. وليس هذا التصور مجرد تفكـير نظري أنـه واقـع غير محسـوس يضفي على كل مسلم شعوراً بالترابط الوجداني في سمع كل مسلم آخر، كما يهبه احساساً بالأمن. فهو ينتمي إلى كل يعلو

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

(٢) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، ص ٦٠-٦١.

(٣) نفسه، ص ٦٣.

على فروق اللون، والطبقة، والجنسية (بالمعنى الغربي للكلمة)، ونظم الدولة. أنه يستطيع أن يحس بأنه في داره في أرض شاسعة متناثرة من الساحل الأطلنطي لأفريقيا إلى قلب المحيط الهادي، حيثما كان الإسلام هو الدين السائد والثقافة الغالبة. كل هذا يخلق، أو هو قادر على أن يخلق، روحاً جماعياً، ووحدة بين شعوب لها أهمية بالغة.. وينبغي أن نذكر أن هذه الأخوة تظهر أقوى ما تظهر عندما يهدد العالم الإسلامي، أو أي قسم من أقسامه، مصدر غير إسلامي.. إن هذه الرابطة قوة حقيقة وفي الامكان أن تصبح عامل تقوية في العالم الإسلامي كله»[1].

[٤]

«أن الإسلام لا يمكن أطلاقاً أن يتفق والجبرية الاقتصادية أو التفسير المادي للتاريخ.. فالانسان لا تتحكم فيه المادة أو القوى الاقتصادية، إذ أنه في جوهره موجود روحي، ذو صلة بالله، ومن ثم كان كائنا اخلاقيا حرا. وان الله ـ لا المادة ـ هو المتصرف في الحركات التاريخية»[2].

[٥]

«إن في التصور الإسلامي للانسان اتجاها جمعيا. فادراك الانسان أنه ينتمي إلى كل أكبر، وارتباطه بغيره ممن ينتمون إلى نفس الجماعة التي تؤمن إيمانه، يهيئان للحياة الفردية وضعاً اجتماعياً ليس له في الغالب وجود في الغرب الذي ينزع إلى الفردية. فالاخوة في الإسلام تهب قوة، وأمناً ومجالاً من الوعي المشترك قد ينتج عنها ذلك النوع من الترابط الذي يتجاوز حدود الاوطان والاجناس، والذي يعمل الناس متلهفين في سبيل تحقيقه في سائر بلاد العالم..»[3].

(١) نفسه، ص ٦٣ ـ ٦٤.
(٢) نفسه، ص ٧٥.
(٣) نفسه، ص ٧٥.

سميث[1]

[١]

«.. أنه ما من دين أستطاع أن يوحي إلى المتديّن به شعوراً بالعزة كالشعور الذي يخامر المسلم في غير تكلف ولا اصطناع، وأن الفخر بالعربية قد يمازج هذا الشعور أحياناً.. ولكن اعتزاز المسلم بدينه يعم المسلمين على اختلاف القومية واللغة، وكون الانسان مسلماً باعث من بواعث الحمد تسمعه من جميع المسلمين»[2].

[٢]

«.. إن الغربي لا يفهم الإسلام حق فهمه إلا إذا أدرك أنه أسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهراً وباطناً وليس مجرد أفكار أو عقائد يناقشها بفكره أو يتقبلها بغير مناقشة، فليس التفكير بنافع شيئاً إن لم يكن مصحوباً بتطور المعيشة وتطور أسلوب الحياة الظاهر والباطن في المجتمع الإسلامي..»[3].

سورديل[4]

[١]

«الإسلام، هو دين التوحيد الذي بشر به محمد بن عبدالله [ﷺ] في الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، ثم انتشر عبر العصور في جميع أقطار المعمورة. والمسلمون هم الذين يدينون بهذا الدين، والحضارة الإسلامية هي الحضارة التي انبثقت عنه»[5].

---

(١) ولفريد كانتويل سميث W. C. Smith
أستاذ الدراسات الإسلامية، بجامعة مونتريال، وقد أقام زمناً في باكستان، وساح في بلاد الشرق الأوسط، وبعض البلاد الإسلامية، في القارتين الأسيوية والأفريقية، ومن أشهر مؤلفاته: (الإسلام في التاريخ الحديث).

(٢) الإسلام في التاريخ الحديث، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٧٨.

(٣) نفسه، ص ٧٩.

(٤) دومينيك سورديل D. Sourdel
ولد عام ١٩٢١، حقق الكثير من النصوص العربية، كان أبرزها (الاعلاق الخطيرة)، لابن شداد، فضلاً عن عدد من الأبحاث في المجلات المعروفة.

(٥) الإسلام، ص ٥.

[٢]

«الله واحـد ازلي ليس كمثله شيء وقـادر على كل شيء . ويؤكـد القـرآن هذه الوحدانية في آيات عدة، لكنها تظهر بصورة أوضح في السورة (١١٢) الشهيرة التي كثيراً ما أعتبرت أقدم السور: ﴿**قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كُفُواً أحد**﴾. . والإيمان باله واحد هو ما يميز في أعين المسلمين دينهم عن الديانات الأخرى تمييزاً جذرياً، حتى عن المسيحية التي يعتبر اعتقادها بالثالوث مساً بالوحدانية ويصبغها بصبغة الشرك»[١].

[٣]

«لا سبيل إلى انكار كون الإسلام قد مارس فضائل حقيقية، لا سيما الفضائل ذات القيمة الاجتماعية. وهي تتجاوب مع دعوة من القرآن نستطيع أن نجد فيها عناه (اوامر)، وتبدو امتداداً للتقوى كما تحددها الآية (١٧٧) من سورة البقرة. فالتعاون وحسن الضيافـة والكـرم والـوفـاء بالعهود مع أفراد الأمة، والاعتدال في الرغائب والقناعة، تلك هي الفضائل التي تميز المسلمين حتى يومنا هذا. . »[٢].

[٤]

«. . ظلت الشريعـة دائـماً المصدر الرئيسي لتنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية. لذلك نستطيع القول بأن الإسلام، وأن كان دينا، فهو في الآن ذاته أمة تحدد فيها الصلة الدينية لكل فرد ولجميع الأفراد معاً شروط الحياة وقواعدها والخير المباشر للحياة الأرضية، والخير المباشر لكل مؤمن في الحياة الآخرة، كل ذلك يشكل وحدة، إن لم يكن الإسلام قد أوجدها في جميع تفاصيلها، فإن الإسلام قد تسرب إليها ونفح الحياة في جميع تفاصيلها»[٣].

---

(١) نفسه، ص ٣٣ ـ ٣٤ .
(٢) نفسه، ص ٥٤ .
(٣) نفسه، ص ٦٨ .

أحمد سوسة

[١]

«. . على المرء الذي وقف على حقيقة الإسلام أن يعترف بأن الإسلام هو في الحقيقة دين الحرية والفطرة بعيداً عن قيود الكنيسة واستبدادها في المسيحية وغريبا عن العصبية وتقاليدها الثقيلة في اليهودية . . »[١].

«. . أن المرء الذي تغلغل في أعماق الحضارة [الغربية] وأدرك منطوياتها ومحصها تمحيصاً دقيقاً نظرياً وعمليا لابد له من الانقياد بقوة نفسية كمينة إلى منهل العقيدة الإسلامية ليروي غليله منها . . »[٢].

[٢]

«. . ما أعظم سروري الآن حين جاء الاستدلال العلمي الصحيح مؤيداً للميل الفطري فانتميت إلى الدين الإسلامي بدافع طبيعي غريزي وبتأييد علمي تمحيصيّ فأصبحت بذلك مسلماً شعوراً وموطناً ودينا»[٣].

[٣]

«جاء الإسلام بعد الديانتين التوحيديتين منقحاً موضحاً للحقيقة، معترفاً بجوهر الديانتين السابقتين، مشيراً إلى التحوير والأخطاء التي طرأت عليهما . . مضيفاً كثيراً من الارشادات والتعاليم الروحية التي أرادها الله لعباده المؤمنين . . [واضعاً] شريعة تحتوي على كل ما يتعلق بالمجتمع من أمور اجتماعية دينية اقتصادية سياسية. ومن ذلك يتضح أن الإسلام لم يظهر لهداية القبائل الوثنية فحسب وإنما جاء أيضاً لتوحيد الأديان ورفع الشكوك والارتباكات التي انطوت عليها الديانتان اليهودية والمسيحية وأرشاد أتباعهما إلى الدين الجديد. ولكن تأصل جذور الديانتين ونفوذ الاحبار والساسة والعصبية اليهودية بصورة خاصة كل هذه كانت من العوامل التي حالت دون تحقيق التوحيد المنشود. ولو أن هؤلاء كانوا من المهتدين إلى [الإسلام]

---

(١) في طريقي إلى الإسلام، ١/٥٢ .
(٢) نفسه، ١/٥٢-٥٣ .
(٣) نفسه، ١/٥٥ .

دين الحقيقة لكان أنقشع ضباب الضلال والكراهية والارتباك وانبثق نور السعادة على البشرية جمعاء في جو مشبع بالصفاء والولاء»(1).

«الواقع أنه ليس من دين من أديان العالم البشري حافظ على جوهره وقاعدة تعاليمه كالدين الإسلامي، وهذا ما يمتاز به الإسلام عن الديانتين اليهودية والمسيحية . . »(2).

« . . إذا كان يصح ما يقال بأن خير الأمور أوسطها، فإن الديانة الإسلامية هي التي تستحق أن تحتل المكانة السامية بين الديانات العالمية لأنها جاءت مشبعة بروح الطبيعة والفطرة معتدلة في طقوسها . . متوسطة في مسلكها . . فهي الشريعة الوسط التي تدعو إلى العمل للدنيا والآخرة في آن واحد . . »(3).

« . . إن الإسلام هو الدين الصافي الذي أراده الله إلى الانسانية، صفي بمصفاة وحيه الألهي ليكون دينا صالحاً لكل انسان ولكل زمان ومكان . . »(4).

[٤]

«لو أدرك هذا العالم التائه جوهر المبادىء الإسلامية لوجد فيها خير كفيل لحلّ معظم الادواء البشرية الحالية ولما احتاج إلى عصبة أمم أو نظائرها من الاتجاهات لنشر مبادىء السلم والتعاون لأن الإسلام يضم بين تعاليمه أنبل مبدأ وأمتن أساس لتوطيد عرى العلاقات السلمية بين الأمم . . »(5).

لويس سيديو

[١]

«من شأن مبدأ التوحيد الجليل، الذي نشر بين قوم وثنيين، أن يضرم الحمية في النفس المتحمسة العالية، ويسود هذا المبدأ القرآن، وإليه يعود ابداعه، ويجعل محمد [ﷺ] هذا المبدأ أساس دينه، وإليه يرجع سبب سموّه على جميع الأديان. ويبدو هذا التوحيد المحض جازماً تجاه علم اللاهوت الذي تورّط في الفرق النصرانية بعد أن زاد

(1) نفسه، ١/٧١-٧٢ .
(2) نفسه، ١/٧٤-٧٥ .
(3) نفسه، ١/٧٧ .
(4) نفسه، ١/٨٠ .
(5) نفسه، ١/٦٩ .

عددها بفعل البدع، ولا مراء في أن عظمة الله العلي وقدرته وحكمته وعدله وحلمه أمور تستوقف أنظار ذوي النفوس المثقلة بالاباطيل، و(أحد، أحد) كان وغى المسلمين ببدر، ولا تخلو سورة في القرآن من قول: . . بالتوحيد»[1].

[٢]

«. . إن المبدأ الذي يحتويه [القرآن] لم يكن من نوع قضاء القدماء، ولا من نوع قدر بعض المذاهب الحديثة، فليس في القدر الإسلامي ما يميت شجاعة المسلم أو يؤدي إلى فتور همته، فهذا القدر مرادف لسنة الكون التي تهيمن على جميع الناس وتضع حداً لاعمالنا. . وهنالك من المبادىء ما يؤدي إلى اسوأ النتائج عند سوء فهمها، فما أعظم الفرق بين تأثير مبدأ القضاء والقدر في قوم حطهم الاستعباد وتأثيره في قوم حمس مقاديم لا يبتغون غير الحرب والفتوح»[2].

[٣]

«. . الصلاة تمسك الإسلام بغير هياكل وتضمن دوامه بغير كهّان»[3].

[٤]

«. . لا ترى [في الإسلام] سلسلة مراتب ولا طوائف كهنوتية ولا طبقات ذات امتيازات»[4].

[٥]

«. . اختار [المسلمون بعد وفاة محمد ﷺ] زعيماً ليحمل الناس على احترام الشريعة فأبدعوا سلطانا سامياً خضع له العرب بلا جدال. ولا يعني هذا أن العرب أحدثوا نظاماً استبدادياً يقوم به فرد، وإنما أقاموا حكومة شعبية مستندة إلى شريعة الهية يديرها ولي أمر منتخب مقيد في سلطته، فحُصر عمل ولي الأمر هذا في وضع نظم للامن ولوظائف الدولة وواجباتها ولشؤون الحرب دون سنّ القوانين ما دام القرآن قد قيد امراء المسلمين بربطه النظام الاجتماعي بالدين»[5].

---

(١) تاريخ العرب العام، ص ٨٨ .
(٢) نفسه، ص ٩٢ .
(٣) نفسه، ص ١٠٤ .
(٤) نفسه، ص ١١٧ .
(٥) نفسه، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

شـاخت[1]

[١]

«من أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضّر قانونه الديني الذي يسمى (بالشريعة) والشريعـة الإسلامية تختلف اختلافاً واضحاً عن جميع أشكال القانون إلى حدّ أن دراستها أمرٌ لا غنى عنه لكي نقدر المدى الكامل للأمور القانونية تقديراً كافياً. . إن الشريعة الإسلامية شيء فريد في بابه، وهي جملة الأوامر الألهية التي تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها، وهي تشتمل على أحكام خاصة بالعبادات والشعائر الدينية كما تشتمل على قواعد سياسية وقانونية. . »[2].

[٢]

«تعتبر الشريعة الإسلامية مثالاً له مغزاه على نحو خاص لما يمكن أن يسمى قانونا دينياً. بل أن التشريعين المقدسين الآخرين اللذين يعتبران نماذج من القانون الديني، واللذين هما أقـرب ما يكـونـان إلى الشريعـة الإسـلامية من النـاحيتـين التـاريخية والجغرافية، وهما الشريعة اليهودية والقانون الكنسي، يختلفان عن الشريعة الإسلامية اختلافاً ملموساً. ذلك لأن الشريعة الإسلامية أكثر تنوعاً في صورتها مما في التشريعين المذكورين، لأنها جاءت نتيجة نظر وتدقيق من الناحية الدينية في موضوعات للقانون كانت بعيدة عن أن تتخذ صورة واحدة. . »[3].

---

(١) جوزيف شـاخت J. S. Shacht

ولد عام ١٩٠٢، وتخرج من جامعتيْ برسلاو وليبزج، وعين أستاذاً في عدد من الجامعات الألمانية (١٩٢٧ - ١٩٣٤)، وفي الجامعة المصرية (١٩٣٤)، ومحاضراً للدراسات الإسلامية في جامعة اكسفورد (١٩٤٨)، وليدن (١٩٥٤)، وكولومبيا (١٩٥٧ - ١٩٥٨)، وانتخب عضواً في عدد من المجامع والجمعيات العلمية. وقد أشتهر بدراسة التشريع الإسلامي وبيان نشأته وتطوره.

من آثاره: حقق العديد من النصوص الفقهية، وألف عدداً من المصنفات مثل: (دين الإسلام) (١٩٣١)، و(نشأة الفقه في الإسلام) (١٩٥٠)، و(خلاصة تاريخ الفقه الإسلامي) (١٩٥٢).

(٢) تراث الإسلام (تصنيف شاخت وبوزورث)، ٣/ ٩ .

(٣) نفسه، ٣/ ١٠ .

[٣]

«. . في الطرف المقابل من البحر المتوسط نجد التشريع الإسلامي قد أثّر تأثيراً عميقاً في جميع فروع القانون. . وهناك تأثير التشريع الإسلامي على قوانين أهل الديانات الأخرى من اليهود والنصارى الذين شملهم تسامح الإسلام وعاشوا في الدولة الإسلامية. . وليس هناك شك في أن الفرعين الكبير للكنيسة المسيحية الشرقية وهما اليعاقبة والنسطوريون لم يترددوا في الاقتباس بحرية عن قواعد التشريع الإسلامي وهذا الاقتباس كان في كل تلك الموضوعات التي يمكن أن يتصور المرء أنها تدخل في نظر القاضي المسلم. . »[١].

[٤]

«في منتصف القرن الثاني للهجرة تقريباً أخذ القانون الديني الإسلامي شكله الجوهري وقد أصبح على ما هو عليه الآن ليس مجرد تلك الطريقة الآلية في ادخال اعتبارات مادية ذات صفة خلقية أو دينية في ميدان القانون ولكن بعدّه عملية اخرى الطف وأدق، وهي تنظيم هذا الميدان وترتيبه بعدّه جزءا من الواجبات الدينية للمسلمين. وتحوي الشريعة مبدءا موحدا فرض نظاماً تركيبياً عقلياً على مختلف المواد الأولية التي بني منها، غير أن هذا المبدأ غير شكلي أو مستقل، أنه هو مادي إسلامي»[٢].

صديق[٣]

[١]

«. . إن شكل الصلاة [الإسلامية] هي التي جعلتني أفكر في الإسلام، فقد أردت أن أعرف لماذا يقوم هؤلاء الناس بالصلاة بهذه الكيفية، فاستنتجت أنها خير سبيل يختاره الانسان لعبادة خالقه، فبدأت وأنا مازلت بروتسانتينياً في أداء الصلاة بالكيفية

(١) نفسه، ٣/٢٧ ـ ٢٩.

(٢) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، (تحرير كرونبادم)، ص ١٠٧

(٣) محمد صدّيق M. Siddiq

ولد عام ١٩٤٤، في برلين، بألمانيا الغربية، انهى دراسته الثانوية، وعمل كاتباً في أحد المصارف، أعتنق الإسلام عام ١٩٦٢.

الإسلامية. . كنت أبحث عن الحقيقة والمعرفة، فبدأت أدرس الأديان بصفة عامة والإسلام على وجه الخصوص، فأيقنت في غضون دراستي أن دنيا تفكيري وإحساسي أقرب للإسلام منها للمسيحية، وبالتدريج أكتشفت أن الإسلام كمنهج حياة كان ينسجم من كافة الوجوه مع فطرتي البشرية. وأستطيع هنا أن أضرب مثالاً نظرياً وآخر عملياً. فمثلاً عندما درست نصوص الشريعة الإسلامية حول النبي عيسى عليه السلام عرفت أنني لم يحدث قط أن آمنت بأن عيسى عليه السلام ابن الله، كما عرفت فيما بعد من أستاذ بروتستانتي أن عدداً كبيراً من المسيحيين - حوالي ٨٠٪ منهم - أقرب إلى الإسلام منهم إلى المسيحية في هذه الناحية على الأقل من عقيدتهم. أما من الناحية العملية فحتى قبل اسلامي كنت انفر من الخمور والرقص وما شابه ذلك من الأمور التي عرفت فيما بعد أنها محرمة في الإسلام. وهكذا كان الإسلام بالنسبة لي كعملية اكتشافي لفطرتي ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾[1]. . »[2].

لورافيشيا فاغليري

[١]

«نشأ الإسلام، مثل ينبوع من الماء الصافي النمير، وسط شعب همجي يحيا في بلاد منعزلة جرداء بعيدة عن ملتقى طرق الحضارة والفكر الإنساني. وكان ذلك الينبوع غزيراً إلى درجة جعلته يتحول، وشيكاً، إلى جدول، ثم إلى نهر، ليفيض آخر الأمر فتتفرع منه آلاف القنوات تتدفق في البلاد. وفي تلك المواطن التي ذاق فيها القوم طعم تلك المياه الاعجوبية سويت المنازعات وجمع شمل الجماعات المتناحرة. وبدلاً من الثأر الذي كان هو القانون الأعلى والذي كان يشد العشائر المنحدرة من أصل واحد في رابطة متينة، ظهرت عاطفة جديدة، هي عاطفة الاخوة بين أناس تشد بعضهم إلى بعض مثل عليا مشتركة من الأخلاق والدين. وما أن أمسى هذا الينبوع نهراً لا سبيل إلى مقاومته حتى طوق تياره الصافي العنيف ممالك جبارة تمثل حضارات قديمة.

---

(١) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ١/ ٢٤ - ٢٥.

وقبـل أن توفق شعوب تلك الممالك إلى ادراك مغزى الحدث الحقيقي داهمها ذلك التيار، قاهراً البلاد، محطماً الحواجز، موقظاً بصخبه عقولاً وسنى منشئاً من أكبر عدد من الشعوب المتباينة، مجتمعاً موحداً»[1].

[٢]

«أن الآية القرآنية التي تشير إلى عالمية الإسلام بوصفه الدين الذي أنزله الله على نبيه [ﷺ] (رحمة للعالمين)[2] هي نداء مباشر للعالم كله. وهذا دليل ساطع على أن الرسول [ﷺ] شعر في يقين كلّي أن رسالته مقدر لها أن تعدو حدود الأمة العربية وأن عليه أن يبلغ (الكلمة) الجديدة إلى شعوب تنتسب إلى اجناس مختلفة، وتتكلم لغات مختلفة..»[3].

[٣]

«بفضـل الإسـلام هزمت الوثنية في مختلف أشكالها. لقد حرّر مفهوم الكون، وشعائر الدين، واعراف الحياة الاجتماعية من جميع الهولات أو المسوخ التي كانت تحط من قدرهـا، وحررت العقول الانسانية من الهوى. لقد أدرك الإنسان آخر الأمر، مكانته الرفيعة.. لقد حررت الروح من الهوى، واطلقت ارادة الانسان من القيود التي طالما أبقته موثقاً إلى ارادة أناس آخرين، أو إلى ارادة قوى أخرى يدعونها خفية. لقـد هوى الكهـان، وحفظة الالغاز المقدسة الزائفون، وسماسرة الخلاص، وجميع أولئـك الـذين تظاهـروا بأنهم وسطاء بين الله والانسان والذين أعتقدوا بالتالي أن سلطتهم فوق ارادات الآخرين، لقد هوى هؤلاء كلهم عن عروشهم. إن الإنسان أمسى خادم الله وحده، ولم تعد تشده إلى الآخرين من الناس غير التزامات الانسان الحرّ نحو الانسان الحرّ. وبينا قاسى الناس في ما مضى مظالم الفروق الاجتماعية، أعلن الإسلام المساواة بين البشر، لقد جُعل التفاضل بين المسلمين، لا على أساس من المحتد أو أي عامل آخر غير شخصية المرء، ولكن على أساس من خوفه الله، وأعماله الصالحات، وصفاته الخلقية والفكرية ليس غير..»[4].

---

(١) دفاع عن الإسلام، ص ٢١ ـ ٢٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧، وانظر سورة يوسف، الآية ١٠٤، سورة ص، الآية ٨٧، سورة القلم، الآية ٥٢، سورة التكوير، الآية ٢٧.

(٣) دفاع عن الإسلام، ص ٢٤ ـ ٢٥.

(٤) نفسه، ص ٤٥ ـ ٤٧.

ليوبولد فايس

[١]

«. . إن أي أنسان لديه قسط من العلم ـ حتى ولو كان سطحياً يسيراً ـ عن تعاليم الإسلام، يعرف أن هذه التعاليم لا تقف عند حد تنظيم العلاقة بين الانسان وخالقه، ولكنها تتعدى ذلك إلى وضع نظام محدد للسلوك الاجتماعي يجب على المسلم اتباعه كأثر من آثار تلك العلاقة وكنتيجة لها. .»(١).

[٢]

«إن علينا ألّا ننسى أبداً أن رسالة الإسلام رسالة خالدة، كما أننا كلما ازدادت ثقافتنا وانداحت دائرة علومنا استطعنا أن نفهم بصورة أوضح من ذي قبل كنوز الحكمة التي ينطوي عليها القرآن الكريم وأسوة الرسول ﷺ. ولذلك فإن حقنا في الاجتهاد المستقل على ضوء القرآن والسنة ليس مسموحاً به فحسب بل نحن منتدبون لادائه في كل الأمور. التي اكتفت الشريعة بوضع مبادىء عامة لها»(٢).

[٣]

«. . إن الإسلام دعوة خالدة إلى التقدم المطرد في كل نواحي الحياة الفكرية والروحية والسياسية على حد سواء»(٣).

[٤]

«إن دفع الظلم عن الناس وإقامة معالم العدل في الأرض هي الغاية النهائية التي تستهدفها رسالة الإسلام الاجتماعية. وعلى هذا المثل الأعلى للعدالة ـ مع المسلمين وغير المسلمين على حد سواء ـ يتوقف قيام الدولة الإسلامية وسقوطها، هذه الدولة التي ليست هي في الحقيقة سوى الجهاز السياسي لتحقيق هذا المثل الأعلى»(٤).

---

(١) منهاج الإسلام في الحكم، ص ١٧ .

(٢) نفسه، ص ٦٠ ـ ٦١ .

(٣) نفسه، ص ٦٣ ـ ٦٤ .

(٤) نفسه، ص ٧٢ .

[٥]

«.. من الأرض اليباب الميتة، من وسط الوديان الرملية والتلال الجرداء انبثق أعظم دين مؤكد للحياة في تاريخ الانسان»[1].

سيدني فيشر

[١]

«إن الوحدانية المنزهة هي أجل مطالب الإيمان عند النبي [ﷺ] ويوصف الاله مع الوحدانية بصفات العلم المحيط والقدرة المحيطة والرحمة والكرم والغفران.. إن توكيد صفات البأس والجبروت في كتاب الإسلام إنما تقدم في أوائل الدعوة التي واجه بها النبي [ﷺ] جماعة الكفار الملحدين من الملأ المكي المتغطرس المستطيل بالجاه والعزة، ولكن المسلم يعلم من صفات الله أنه واسع الرحمة، وأنه أقرب إلى الانسان من حبل وريده، وأنه هو نور السماوات والأرض، وهي الصفة.. التي كان لها أبعد الأثر في اجتذاب العقول إلى معانيه الخفية»[2].

[٢]

«.. إننا إذا نظرنا إلى مجال الإسلام الواسع في شئون العقائد الدينية والواجبات الدينية والفضائل الدينية، لم يكن في وسع أحد إلّا أن يحب محمداً [عليه السلام] نبياً مفلحاً جداً ومصلحاً موفقاً لأنه كما قال بعض الكتاب وجد مكة بلدة مادية تجارية تغلب عليها شهوة الكسب المباح وغير المباح ويمتلىء فراغ أهلها بمعاقرة الخمر والمقامرة والفحشاء، ويعامل فيها الأرامل واليتامى وسائر الضعفاء كأنهم من سقط

---

(١) نفسه، ص ٤٠٠.
ونكتفي بهذا القدر من أقوال (ليوبولدفايس) عن الإسلام، تجاوزاً لتضخم المادة، فكتاب: (الطريق إلى مكة) كلّه يعد بمثابة واحدة من أكثر الشهادات الغربية عمقاً وأصالة في ادراك الإسلام، ويستحسن أن نحيل القارىء إلى صفحات اخرى تضمنت المزيد من المعطيات عن الموضوع وهي: ١٩ ـ ٢٠، ١٢٣، ١٦٨ ـ ١٧١، ١٧٨، ١٨٤ ـ ١٨٥، ٢٣٥ ـ ٢٣٦، ٣٠٦، ٣١٢ ـ ٣١٥، ٣١٨، ٣٢١ ـ ٣٢٣، ٣٢٥ ـ ٣٢٦، ٣٤٩ ـ ٣٥٠، ٣٨١ ـ ٣٨٢، ٣٩٦ ـ ٤٠٢.

(٢) الشرق الأوسط في العصر الإسلامي، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٥٤.

المتـاع. فإذا بمحمد ـ عليه السلام ـ وهو فقير من كل ما يعتز به الملأ قد جاءهم بالهداية إلى الله وإلى سبل الخلاص، وغيّر مقاييس الاخلاق والأداب في أرجاء البلاد العربية»[1].

فيلـويـز[2]

[١]

«.. الإسلام يحقق الانسجام التام مع الحياة في هذا العالم. فهو دين سهل لا التواء فيه ولا تعقيد، مباشر، مجرد من كافة الافتراضات التي لا سبيل إلى الإيمان بها. وأشكال العبادة في الإسلام تعكس كل صدق وأخلاص وأمانة»[3].

[٢]

«.. [إن] المنجزات العلمية تتفق تماماً مع مبادىء الإسلام، لأن الإسلام هو دين العلم»[4].

[٣]

«.. أصبحت مسلماً لأن الإسلام هو الدين الحق الوحيد نظرياً وعمليا ومن كافة الوجوه. وسرعان ما تتبدد الشكوك والشبهات دفعة واحدة عندما تجيش نفسي بشعور قوي يتملكها وهو أن الإسلام هو الصراط المستقيم»[5].

---

(١) نفسه، ص ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) ح. ف. فيلـويـز F. Filweas
ضابط بحـرية بريطاني، شارك في الحربين العالميتين الأولى والثانية، نشأ في بيئة نصرانية، تأصلت فيها التقاليد المسيحية بشكل عميق، ومع ذلك فقد هداه الله إلى الإسلام بعد أن اطلع على القرآن الكريم وقرأ عدداً من المؤلفات الإسلامية، وذلك عام ١٩٢٤.

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٥٤/٦.

(٤) نفسه، ٦١/٦.

(٥) نفسه، ٦٢/٦.

قــرار[1]

[١]

«. . تأثرت كثيراً بدافع المساواة بين المسلمين، كما أعجبني أن يكون الإسلام ديناً عالمياً، فقد وجدت في الإسلام ديناً يوحد جميع الأديان والألوان في ظل نظام ديني فريد. فهناك أخوة حقيقية بين المسلمين لا ولم يعرف مثلها المجتمع المادي الغربي على الاطلاق، كما لا تستطيع العبارات الجوفاء كالشيوعية مثلاً أن تقدم مثلها أبداً»[2].

[٢]

«. . شعــرت أنني كمسلمــة يمكنني أن أحيا حياة كاملة جديرة بالحياة، وأن الإسلام يجعل المرء يشبع حاجاته الروحية والمادية على حد سواء في توازن يضمن تطور عقلية ثقافية مبدعة، ويحقق أجتهاداً دائباً لتحسين الوضع المادي للانسان على أساس من العلاج لا للانسان وحده بل لجميع الخلائق»[3].

[٣]

«. . أن الإسلام قد أحدث تغييراً في حياتي كلها، إذ حرّرني من اليأس العنيد والتذمر والاستسلام وهي نتائج نجمت عن النظرة المادية التي تهيمن على كثير من الناس في المجتمعات الغربية. . »[4].

---

(١) جميلة قــرار Jamila Qarar
ولدت في النمسا، عام ١٩٤٩، لأبوين ملحدين، وحاولت أن تكون مسيحية إلاّ أن النصرانية لم تستطع أقناعها، فيممت شطر الإسلام وسمعت وقرأت عنه، وما لبثت أن أعتنقته وهي في العشرين من عمرها.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٤/١٠٦ـ١٠٧ . (٣) نفسه، ٤/١٠٧ .

(٤) نفسه، ٤/١٠٧ .

قـــرة العـــين[1]

[١]

«. . كنت مهتمـة بدراسـة الأديان، فلمست السـماحـة والمنـطق في الـدين الإسلامي . . ووجدت أن اهتمامي بالإسلام تجاوز مرحلة مجرد الاطلاع أو القراءة أو الاستماع إلى مرحلة الارتباط بهذا الدين. ووجدت نفسي سعيدة لأنني أخيراً وجدت الدين الذي يمكنني من التعامل مع نفسي وربي أولاً على أساس سليم مما ينعكس في تعامل صحي واخلاقي مع باقي أفراد المجتمع»[2].

[٢]

«كنت أشعر أن شيئاً ما فيها اقرأ يقنعني عقلياً ويملأ فراغاً روحياً من قلبي كذلك، كنت أشعـر والحمد لله بأنني اقرأ عن دين جديد وليس بجديد على نفسي. كانت القراءة تجيب بالمنطق والحجة على تساؤلات كثيرة كانت تدور داخلي من قبل ولم أكن أجد لها أجابة. باختصار وجدت في الإسلام الرضا الذي كنت أنشده من قبل عندما كنت مسيحية أبحث عن الحقيقة فلا اهتدي إليها»[3].

[٣]

«. . الإسلام [هو] دين العقل والاقناع»[4].

---

(١) قـرّة العين — Q. Al-Aine

سيدة أميركية، تنحدر من أسرة مسيحية متدينة، وفي نيويورك مدينة ناطحات السحاب والمادية والجريمة كان الردّ: هو الإسلام. وقد تسّمت بأسمها الجديد بعد اسلامها، تخرجت من جامعة بنسلفانيا، وكانت لديها رغبة جارفة للقراءة والبحث، وبخاصة في مجال الأديان حيث وجدت الجواب على تساؤلاتها كافة في الإسلام.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ١٠/١١٠.

(٣) نفسه، ١٠/١١١.

(٤) نفسه، ١٠/١١٤.

توماس كارلايل

[١]

«لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب وأن محمداً [ﷺ، وحاشاه] خدّاع مزور، وأن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول [ﷺ] مازالت السراج المنير مدة أثني عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا. أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والاحصاء، كذبة وخدعة؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول، فما الناس إلّا بله ومجانين وما الحياة إلّا سخف وعبث واضلولة كان الاولى بها ألاّ تخلق»[1].

[٢]

« . . (لا إله إلا الله، وحده لا شريك له) هو الحق، وكل ما خلاه باطل، خلقنا ويرزقنا . . إن الإسلام هو أن نسلم الامر لله، ونذعن له، ونسكن إليه، ونتوكل عليه، وأن القوة كل القوة هي في الاستقامة لحكمته، والرضا بقسمته أيا كانت في هذه الدنيا وفي الآخرة، ومهما يصبنا به الله ولو كان الموت الزؤام فلنتلقه بوجه مبسوط ونفس مغتبطة راضية ونعلم أنه الخير وأن لا خير إلا هو. ولقد قال شاعر الالمان (غيته): (إذا كان ذلك هو الإسلام فكلنا أذن مسلمون). نعم كل من كان فاضلاً شريف الخلق فهو متخلق بأخلاق الإسلام، وأن لم يكن مسلماً . . إن من السخف أن يجعل الانسان من دماغه الضئيل ميزانا للعالم وأحواله. بل عليه أن يعتقد أن للكون قانونا عادلاً، وأن غاب عن ادراكه، وأن الخير هو أساس الكون والصلاح روح الوجود. . عليه أن يعرف ذلك ويعتقده ويتبعه في سكون وتقوى. . »[2].

---

(١) الأبطال، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٢) نفسه، ص ٥٣ ـ ٥٤ .

[٣]

«في الإسلام خلّة اراها من أشرف الخلال وأجلّها وهي التسوية بين الناس. وهذا يدل على أصدق النظر وأصوب الرأي. فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الأرض، والناس في الإسلام سواء. والإسلام لا يكتفي بجعل الصدقة سنة محبوبة بل يجعلها فرضاً حتماً على كل مسلم، وقاعدة من قواعد الإسلام ثم يقدرها بالنسبة إلى ثروة الرجل.. جميل والله هذا، وما هو إلا صوت الانسانية، صوت الرحمة والاخاء والمساواة..»[1].

[٤]

«.. هذا الدين [الإسلام] فيه للمبصرين أشرف معاني الروحانية واعلاها، فاعرفوا له قدره ولا تبخسوه حقه. ولقد مضى عليه مئتان وألف عام وهو الدين القويم والصراط المستقيم لخمس العالم. ومازال فوق ذلك ديناً يؤمن به أهله من حبّات أفئدتهم. ولا احسب أن أمة من النصارى اعتصموا بدينهم اعتصام المسلمين باسلامهم، إذ يوقنون به كل اليقين ويواجهون به الدهر والأبد.. وأن كلمة التوحيد والتكبير والتهليل لترنّ آناء الليل وأطراف النهار في ارواء تلك الملايين الكثيفة. وأن الفقهاء ذوي الغيرة في الله والتفاني في حبه ليأتون شعوب الوثنية بالهند والصين والمالاي [ماليزيا] فيهدمون اضاليلهم ويشيدون مكانها قواعد الإسلام، ونعم ما يفعلون»[2].

[٥]

«لقد أخرج الله العرب بالاسلام من الظلمات إلى النور واحيا به من العرب أمة هامدة.. وهل كانت إلّا فئة من جوالة الاعراب خاملة فقيرة تجوب الفلاة منذ بدء العالم لا يسمع لها صوت ولا تحس منها حركة فارسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه ورسالة من قبله فإذا الخمول قد استحال شهرة والغموض نباهة والضعة رفعة والضعف قوة والشرارة حريقاً، ووسع نوره الانحاء.. وعقد شعاعه الشمال بالجنوب والمشرق بالمغرب، وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل

---

(١) نفسه، ص ٦٥.
(٢) نفسه، ص ٦٦.

في الهند ورجل في الأندلس، وأشرقت دولة الإسلام حقباً عديدة ودهوراً مديدة بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة، ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة. وكـذاك الإيمان عظيم وهـو مبعث الحياة ومنبـع القـوة، ومازال للأمة رقي في درج الفضل.. مادام مذهبها اليقين ومنهاجها الإيمان..»[1].

كـارودي[2]

[١]

«إن الإسـلام لم يعد ذلك (الكافر) في زمن الصليبيين أو الـ (ارهابي) في حرب التحرير الجزائرية، ولم يعد ذلك الأثر في المتحف الذي يتفحصه المستشرق بعين العالم الاختصاصي بعاديات الحضارات، انطلاقاً من الحكم السبقي بامتيازية الغرب.. بل لم يعد أكثر من هذا، ذلك الانفجار العلمي المذهل الذي كان، عند الخروج من العصور الوسطى قد فتح الطريق ببساطة لعلومنا (الحديثة).. إنما الإسلام هو تلك الرؤية لله، وللعالم وللانسان التي تنيط بالعلوم وبالفنون وبكل انسان وبكل مجتمع مشروع بناء عالم إلهي وانساني لا انفصام فيه باقتضاء البعدين الأعظمين، المفارقة والجماعة، التسامي والأمة»[3].

[٢]

«أن الله أكبر من أعظم الملوك، وإليه وحده يدان بالاجلال المطلق، فها هنا المبدأ

---

(١) نفسه، ص ٦٦ ـ ٦٧.

(٢) روجيـه كـارودي Roger Garandy

المفكـر الفـرنسي المعـروف، وأحـد كبـار زعماء الحزب الشيوعي الفرنسي، سابقاً، تتميز ثقافته بالعمق والشمولية، والرغبة الجادة في البحث عن الحق مهما كان الثمن الذي يكلفه. أتيح له منذ مطلع الأربعينات أن يحتـك بالفكر الإسلامي والحياة الإسلامية. وأزاداد هذا الاحتكاك بمرور الوقت، وتمخض عن اهتزاز قناعاته المادية وتحوله بالتدريج إلى خط الإيمان، الأمر الذي انتهى به إلى فصله من الحزب الشيوعي الفرنسي، كما قاده في نهاية الأمر (أواخر السبعينات) إلى اعتناق الإسلام، حيث تسمى بـ (رجاء كارودي).

كتب العديد من المؤلفات منها: (حوار الحضارات)، (منعطف الاشتراكية الكبير)، (البديل)، (واقعية بلا ضفاف)، وبعد أسلامه انجز سيرة ذاتية خصبة وعدداً من المؤلفات، أبرزها: (وعود الاسلام)، فضلاً عن العديد من المحاضرات التي ألقاها في أكثر من بلد.

(٣) دعوة الإسلام، ص ٢٢.

بحق لا يجوز التصرف فيه، بالصمود في وجه كل طغيان وبمعارضة كل سلطة، الأساس الالهي للمساواة بين جميع الناس من وراء أي تسلسل في المراتب الاجتماعية . . »[1].

[٣]

«سوف يكون غريباً اعتبار عقيدة قادت المسلمين في غضون ثلاثة أرباع القرن، إلى تجديد أربع حضارات كبرى وإلى الاشعاع على نصف العالم، عقيدة قدرية، منقادة. هذه الدينامية في الفكر والعمل هي عكس القدرية: لقد اقتادت ملايين الناس إلى التأكد من أنه كان يمكنهم أن يعيشوا على نحو آخر»[2].

[٤]

« . . بفضل مبدأيْ الإسلام الأساسيين: مبدأ السلطة لله وحده وهو الذي يجعل كل سيادة اجتماعية نسبية، ومبدأ الشورى الذي يستبعد أية وساطة بين الله والشعب، يزال، في آن واحد، أي استبداد مطلق يضفي القداسة على السلطة، ويصبو إلى أن يجعل من القائد إلهاً على الأرض . . »[3].

[٥]

«أن الجهاد الأكبر [في الإسلام] هو كفاح ضد الذات، ضد الميول التي تجذب الانسان بعيداً عن مركزه. وهو ما يقوده، باجتذابه نحو رغبات جزئية، إلى أن يصطنع لنفسه (أوثاناً) وبالنتيجة يمنعه عن الاعتراف بوحدانية الله. والانتصار على هذه (الوثنية) الداخلية أصعب كثيراً أيضاً من الانتصار على المشركين في الخارج. ومازلنا نجد اليوم في هذا درساً عظيماً لكثير من (الثوريين) الذي يطمعون بتغيير كل شيء إلّا أنفسهم. كما كان، فيما مضى، شأن الكثير من (الصليبيين)، الذين كانوا في القدس وفي أسبانيا (المراد استردادها)، أو ضد هنود أمريكا، يريدون أن يفرضوا على الآخرين مسيحية يهزأون منها بكل عمل من أعمالهم»[4].

---

(١) نفسه، ص ٣١ .
(٢) نفسه، ص ٣٠ ـ ٣٣ .
(٣) نفسه، ص ٣٦ .
(٤) نفسه، ص ٤٥ .

كالغـــرلي[1]

[١]

«يفصل كثير من الناس، بتأثير ميراثهم الثقافي وظروفهم الاجتماعية وتعليمهم، بين الدين والدولة، ويأخذ البروتستانت الغربيون هذا الفصل قضية مسلمة. ولكن الواقع أن هذا الفصل بين الدين والدولة أمراً جديد في المسيحية ابتدعته فيها أقلية مذهبية، ولم يعرف الإسلام أو سواه من الأديان العالمية مبدأ الفصل. . »[2].

[٢]

«لنضرب مثلاً على الدراسة [النزيهة] بمقال كتبه الأستاذ ارثر جيفري Arthur Jef-fery في مجلة العالم الإسلامي، عدد يناير، سنة ١٩٤٠، يعرض فيه [أحدى] الترجمات الانجليزية للقـرآن. . فقد أعترف اعترافاً صريحاً بالقيم الروحية الممتازة في دين لا يدين هو به. . »[3].

كلـود كاهـن

[١]

« . . تملي شريعة الإسلام فرائض على الناس تجاه خالقهم، وتجاه بعضهم بعضاً. فهي إذن ـ على حد تعبـيرنـا الحديث ـ شريعة دينية اجتماعية، والتمييز بين الدين والـدنيا أمـرٌ غريب على الإسلام. على أن أهم فريضة تجاه الخالق هي الإيمان به

---

(١) ادوين كالغـــرلي E. Calverley

ولد عام ١٨٨٢م، تخرج باللغات الشرقية من جامعة برنستون، وعين عضواً في البعثة العربية التي نظمتها الكنيســة في الولايات المتحدة (١٩٠٩ ـ ١٩٣٠)، ومحاضرا في مدرسة كنيدي للبعثات (١٩٣٠ ـ ١٩٣٢) وأستاذ للعربية والإسلاميات فيها (١٩٣٢ ـ ١٩٥١) ومحررا لمجلة عالم الإسلام، (١٩٤٧ ـ ١٩٥٢) وأستاذاً زائراً في الجامعة الأمريكية بالقاهرة (١٩٤٤ ـ ١٩٤٥).

من آثــاره: (القــرآن) (١٩٢٤)، (العبـادة في الإســلام) (١٩٢٥)، (محمـد) (١٩٣٦)، (الإســلام) (١٩٣٨). . الخ.

(٢) الشرق الأدنى: مجتمعة وثقافية (باشراف كويلر يونغ)، ص ١٧٣.

(٣) نفسه، ص ١٨٦.

والاذعـان لمشيئتـه وذلـك هو المقصود من كلمة (الإسلام). والمسلم هو من يدين بالاسلام. كذلك أوجب على الناس أعمالاً محددة لا قيمة لها إلاّ بالنية الحسنة . . »[1].

[٢]

«من المقتضيات الأسـاسية للمجتمع الإسلامي إنشاء نظام اجتماعي يقوم على أساس مستمد من الشريعة الالهية . . بمعنى أن الإسلام لم يعهد مبدئياً ذلك المفهوم الروماني ـ الذي قبلت به المسيحية ـ قبولاً جزئياً ـ والذي يعترف بشرعية دولة قائمة بحدّ ذاتها تملك القدرة على التشريع تشريعاً قيماً مقبولاً ـ ولو تحت إشراف من الاله ـ دون اللجوء في كل حالة من الحالات إلى توجيه الهي. فالقاعدة الثابتة ـ من حيث المبدأ ـ هي الشرع الحنيف الذي أوحي به للناس دفعة واحدة ولابد من وضعه موضع التنفيذ. بل أن الخليفة لا يملك سلطة معنوية إلاّ بقصد تطبيق هذا الشرع . . »[2].

[٣]

« . . قد ندعو [علماء الكلام المسلمين] بعلماء الدين مع تحفظ واحد وهو أن ندرك أن الإيمان عند المسلم ـ ومن الناحية المبدئية ـ أمرٌ عقلي صرف، فلم يوجد إذن نظرياً انفصام يباعد بين الإيمان والعقل على نحو ما عهدته مثلاً الفلسفة المسيحية»[3].

[٤]

«إن الإسلام لا يعترف بأي تمييز بين الأفراد. ولا يخص المدينة ـ بوصفها مجموعة ـ بأي خاصة نوعية، كما لا يقر أي نظام لسكانها (البورجوازيين). . »[4].

[٥]

«نشـأ الرسول [ﷺ] في مجتمع بلا دولة، فكان، على نحو لا تتبينه إلا العقول العصرية مبشراً بدين، ومنظماً لمجتمع دنيوي. ونتج عن ذلك أن القانون الاجتماعي جزءاً متماسكاً مع القانون الديني، كما كان احترام القانون الاجتماعي جزءاً مكملا

(١) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ١/ ١٩.
(٢) نفسه، ١/ ٩١.
(٣) نفسه، ١/ ١٠٤.
(٤) نفسه، ١/ ١٨٨.

لطاعة الله تعالى. كان الوحي بذاته ـ إذن ـ هو الأساس المشترك للعقيدة وللتنظيم الزمني. فكان المجتمع نفسه هو الدولة والدين، ولم يتسنّ لأحدهما أن يبقى وحده نظاماً قائماً بذاته. . لقد كان هذا التوجيه حاسماً، ولم تستطع العقول أن تتخلى عنه إلى مدة غير قصيرة، وكان من نتائجه في العصور الآتية أن الرجل المسلم أصبح يطلب من نظامه السياسي أن يكون على جانب من الكمال، فإن فقد ذلك فقد أيضاً مبدأ الطاعة المحتمة عليه أزاء هذا النظام. . »[1].

هاملتون كب

[١]

«كانت التعاليم الاجتماعية التي جاء بها محمد [ﷺ] في أساسها، إعادة لاحقاق المبادىء الاخلاقية التي تشترك فيها ديانات التوحيد، فازداد ترسيخ معنى الأخوة بين جميع أفراد الجماعة الإسلامية، وأنهم سواسية من حيث القيمة الشخصية الفطرية دون نظر إلى ما في مكانتهم الدنيوية ووظائفهم وثرواتهم من تباين واختلاف. وتعمقت جميع العلائق والواجبات المتبادلة التي تستتبعها هذه المبادىء. وقد تم ترسيخ ذلك كله وتعميقه حين وضعه الإسلام على أساس من الولاء الخفي والخضوع العلني لاله واحد. . وكانت لتعاليم الرسول [ﷺ] نتائج اجتماعية ملموسة تحدّدت صيغتها كما هو الحال في جميع الحركات الدينية بما تركته من آثار في البيئة التاريخية الواقعية»[2].

«منذ البداية نشأ تيار [فقهي] يعارض بعض مظاهر المفهوم الرسمي، ويعارض سيطرة الدولة على الأمور الدينية، كما تجلى أصرار الفقهاء على أن الفقيه مسئول تجاه نفسه فقط. وقد وقع النزاع علناً عندما قام المأمون وخلفاؤه يحاولون فرض المبادىء ذات الصبغة اليونانية التي نادى بها فريق المعتزلة (مذهباً رسمياً)، ويضطهدون زعماء السنة المعارضين. وانتهى الصراع بانتصار السنة، وكان برهاناً قاطعاً على استقلال النظام الديني الإسلامي عن الخلافة وغيرها من المؤسسات السياسية، وعلى أن الحكام السياسيين لا يستطيعون الاشراف على مصادر سلطان الدين لأنها ملك للجماعة ولا

---

(١) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (تحرير كرونباوم)، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(٢) دراسات في حضارة الإسلام، ص ٦ .

علاقـة لأحد بها، وأن الخلافة ذاتها نابعة من ذلك السلطان وأنها رمز سياسي له. وكانت هذه الأحداث ذات أهمية أساسية في مستقبل الإسلام كله، ذلك أنها حاولت دون أن يرتبط بأي نظام سياسي، وأمدت النظام الديني والجماعة معه بالحرية اللازمة للتطور على أسس ما يحويه الإسلام من طبيعة ومنطق ذاتيين. . »[1].

[٢]

«أن الفكـر الإسـلامي يأبى أن يقيد بقيود الصيغ الخارجية. ويظل هذا الفكر يحدث ضغطاً مستمراً يظهر أثره في تجديد التشكيل للنظرية على نحو هادىء، وهذا التشكيل المتجدد، تحت ذلك الظاهر المتشدد، هو الذي يميز كل ضروب النشاط التأملي في الإسلام، حيث ظل الإسلام بناء دايناميا حياً»[2].

[٣]

«ومظهر [آخر] بارز يميز التشريع الإسلامي، وهو أن مهمة التعريف والتصنيف استغرقت، خلال القرون الثلاثة الأولى، الطاقات الفكرية لدى الأمة الإسلامية. إلى حد لا نظير له. إذ لم يكن المسهمون في هذا الميدان هم علماء الكلام والمحدثين والاداريين فحسب، بل أن علماء اللغة والمؤرخين والادباء أسهموا بأنصبة في هذه المجمـوعـة من المؤلفـات التشريعية، وفي مناقشة القضايا التشريعية، وقلما تغلغل الشرع في حياة أمة وفي فكرها هذا التغلغل العميق مثلما فعل في الادوار الأولى من المدنية الإسلامية»[3].

[٤]

«. . أن المبـدأ المحوري في القرآن هو ـ يقيناً ـ مبدأ وحدة لا هوادة فيها، وهو يرفض فكرة وجود وسطاء بين الله والانسان، على الأقل في هذا العالم. فالإسلام حين وضـع الانسـان أمـام الله دون عنـاصر وسـائطية روحية كانت أول شخصية أكد بالضرورة مدى التباين بين الله والانسان. وعلى الرغم من وجود آيات قرآنية ذات

---

(١) نفسه، ص ١٥ .
(٢) نفسه، ص ١٩٥ .
(٣) نفسه، ص ٢٦٣ .

حدس روحي، فإن العنصر العقائدي المستمد من القرآن لا يستطيع إلا أن يصدر من افتراض التعارض بين الالوهية والانسانية ومن تساوي الناس جميعا (وهذه نتيجة ضرورية للموقف الأول) في علاقتهم بالله من حيث أنهم مخلوقات. وفي هذه المفارقة الكلية يقع التوتر الديني الذي يمثل - في الواقع - المظهر الاصيل المميز للإسلام»[1].

[٥]

«جدير بالقول أن الإسلام . . يتمتع بخاصة جوهرية هامة، وهي تسامحه في وجود وجهات مختلفة ضمن الطائفة، بل أنه يستمد من ذلك مجده وفخره. وأبرز مثل على هذا التسامح هو وجود المدارس المذهبية باسم فقهاء القرنين الثاني والثالث الهجريين . . »[2].

كـروبنـاوم[3]

[١]

«جعل [الإسلام] الفرد مسؤولا عن مصيره في الدار الآخرة، فاكمل مجرى حركة الفردية الشرعية والخلقية أو قدمها تقدماً خطيراً. وفضلاً عن ذلك فقد جعل الإسلام كل لحظة في حياة المؤمن ذات أهمية كبرى مستديمة، فالجهد الذي يبذله للفوز بالنجاة لا ينبغي أن يتراخى»[4].

[٢]

«أن الإسلام بتأكيده: أن لا غنى عن الجماعة للقيام ببعض الفرائض الأساسية المطلوبة من الفرد المسلم أكد ضرورة التنظيم السياسي. وبينما كان العربي في الجاهلية

---

(١) نفسه، ص ٢٧٠ . (٢) نفسه، ص ٤٠ .

(٣) الدكتور كوستاف فون كروبنام G. E. Von Grunebaum

نمسوي الأصل، تخرج من جامعتي فينّا، وبرلين، وعين أستاذاً مساعداً للدراسات العربية والإسلامية، في جامعة نيويورك (١٩٣٨ - ١٩٤٢)، وفي جامعة شيكاغو (١٩٤٣ - ١٩٤٩) وأستاذاً فيها (١٩٤٩ - ١٩٥٧)، وأستاذاً لتاريخ الشرق الأدنى في جامعة كاليفورنيا (١٩٥٧)، ثم رئيساً لقسم دراسات الشرق الأدنى فيها.

من آثاره: (الشعر العربي) (١٩٣٥)، (دراسات عربية) (١٩٣٧)، (التفسير الحديث للإسلام) (١٩٤٧)، (الإسلام في العصر الوسيط) (١٩٤٥)، والعديد من الأبحاث في المجلات المعروفة.

(٤) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (تحرير كروبناوم)، ص ٣٥ .

يفكر بمفاهيم العشيرة والقبيلة فإن المسلم أصبح يفكر بمفاهيم المجتمع السياسي القائم من منطقة الإيمان، ولهذا كان مقدرا في آخر الأمر أن يسيطر على العالم. فلم يعد البشر منقسمين إلى قبائل مختلفة بل إلى مؤمنين وكفار، وكان لابد لهذا الأنقسام أن يستمر حتى بعد الموت»[1].

[٣]

«أن النجـاح المحـدود الذي صادفته المحاولات السابقة للاسلام لتأسيس دولة يرجع في بعضه في الاقل إلى فقدان (الايديولوجي) الذي ينبغي أن تمثله أو تحققه الدولة المقترحة. أما الدولة الإسلامية فكان عليها ـ مقابل ذلك ـ أن تطبق تعاليم الدين وتيسر الظروف المملكنة والضمانات الكافية للقيام بها في مواعيدها. ولذا كان تنظيمها وسياستها معتمدين على اعتبارات دينية في شكلها المثالي»[2].

[٤]

«أن ما حققه الإسلام من تغيير الثقافة العربية المتوارثة عن السلف يمكن تلخيصه في أربع تغييرات أساسية:

أ ـ توسيع المشاعر الانسانية وتنقيتها.

ب ـ توسيع نطاق العالم الفكري والوسائل التي تمكن الانسان من السيطرة عليه.

جـ ـ ابداع نظام سياسي لم يسبق إليه في محل نشأته، مقبول من الوجهة الخلقية وفعال في الوقت نفسه.

د ـ تصوير أسلوب جديد (مقرر) للحياة، ومعنى ذلك إيجاد مثل أعلى جديد للبشر ونموذج مفصل لتحقيقه في حياة نموذجية تمتد من الحمل إلى ما بعد يوم القيامة..»[3].

[٥]

«.. أن الهوّة الموجودة في حضارتنا (الغربية) بين الميادين السياسية والميادين الدينية لا توجد إلى هذا الحدّ أبداً في العالم الإسلامي..»[4].

---

(١) نفسه، ص ٣٥ ـ ٣٦.
(٢) نفسه، ص ٣٦.
(٣) نفسه، ص ٣٧.
(٤) نفسه، ص ٦٩ ـ ٧٠.

كـلايتـون[1]

[١]

« . . بعد أن نفهم حقيقة الإسلام يسهل علينا أن نعرف السبب الذي يجذب الانسان للانضواء تحت لوائه . فكل مسلم يعرف أن الإسلام معناه الخضوع والاذعان الكامل لمشيئة الله . فعندما نولد نكون مسلمين . ولكننا بعذ ذلك نترك سبيل الله ونتبع السبـل المضلّة المفرّقة ، والإسلام دين الفطرة . وكل مولود يولد على الفطرة قبل أن يشب عن الطوق لنفرض عليه عقيدة أخرى تتنافى وارادة الله . ويمكن القول بأن الصخور والشجر مسلمة لأنها تخضع لسنة الله في الخلق . ومن ذلك نعلم أننا إذا سعينا إلى صرف المسلم عن عقيدته ودينه وشدّه إلى أية ملّة أخرى فمعنى ذلك أننا نتدخل ضد سنة الله الفطرية . ولابد للفطرة ان تنتقم **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**[2] . . »[3] .

[٢]

«كان الناس يخلعون أحذيتهم أو نعالهم وينتظمون في صفوف طويلة الواحد منها وراء الآخر . وقد أثار دهشتنا ونحن نرقبهم في صمت أنه لا توجد فوارق من أي نوع بين أفـراد هذا الاجتـماع . فلقـد كان البيض والصفـر والسود ، إلى جانب الفقراء والأغنياء والشحاذين والتجار يقفون جنباً إلى جنب دون أدنى التفات إلى العنصر أو المكانة الاجتماعية في الحياة . . ان روح الأخوة التي تجلت في ذلك الجمع المتباين من الناس قد تركت انطباعا لا يمكن أن يمحي من نفسي ما حييت . . »[4] .

---

(١) توماس محمد كلايتون — Thomas M. Clayton
مسيحي أمريكي لم تمنحه المسيحية القناعات الكافية فانشق عليها ،وحدث وان عثر يوماً على ترجمة لمعاني القرآن الكريم ، ففتحت أمامه الطريق إلى الحقيقة ، فازداد انكباباً على دراسة المؤلفات الإسلامية والاتصال بعدد من الدعاة ، الأمر الذي انتهى به إلى اعتناق الإسلام عام ١٩٤٧ .

(٢) سورة الروم ، الآية ٣٠ .

(٣) رجال ونساء أسلموا ، ٣/١٠١ .

(٤) نفسه ، ٣/١٠٣ .

ايفلين كوبولد

[١]

«سألني كثيرون كيف ومتى أسلمت؟ وجوابي على ذلك أنه يصعب عليّ تعيين الوقت الذي سطعت فيه حقيقة الإسلام أمامي فارتضيت الإسلام ديناً. ويغلب على ظني أنني مسلمة منذ نشأتي الأولى. وليس هذا غريباً إذا ما راح المرء يفكر بأن الإسلام هو الدين الطبيعي الذي يتقبله المرء في ما لو ترك لنفسه ولم يفرض عليه أبواه الدين الذي يعتنقاه فرضا. ألم يصف أحد مشاهير النقاد في أوروبا: (بأنه دين العقل والانسانية)؟»[1].

[٢]

«الإسلام كلمة تعني التسليم لله، وهي تعني السلام أيضاً، ويعرف المسلم بأنه الرجل الذي يسير في حياته وفاقاً لمشيئة خالقه واوامره والذي يعيش بسلام مع الله وعباده. ولعل أجمل ما في الإسلام ما يضطرب فيه من وحدانية الهية، وأخوة انسانية، وخلوه عن التقاليد والبدع والتصاقه اللصوق كله بما في الحياة من أمور عملية.. والإيمان في القرآن إنما يقوم على العمل الصالح وليس هناك في الإسلام إيمان دون ما عمل صالح أبداً..»[2].

«من فوائد الحج أنه يوطد الوحدة الإسلامية ويغذي الأخوة التي أنشأها محمد [ﷺ] وهو يدعوا المسلمين في كل عام مرة واحدة إلى التعارف والتقارب والتحدث إلى بعضهم بعضا.. فالحج والحالة هذه ليس فرضا دينياً فحسب، وإنما هو إلى ذلك كله، جمعية أمم عظمى. ولقد أشار إلى هذه الظاهرة الخطيرة الأستاذ سنوك [هيروغرنجه المستشرق الهولندي] فقال: (لقد سبق الإسلام الحكومات الأوروبية في الوحيد بين الأمم والتقارب بين الشعوب بما أقره من وجوب الحج على كل مسلم يستطيع إلى الحج سبيلا، ولعمري أن هذه الديمقراطية والأخوة التي أقرها الإسلام وجعلها عامة بين أتباعه لما يخجل الجماعات الأخرى التي لم تفطن لها ولا دعت إليها»[3].

---

(١) البحث عن الله، ص ٩.
(٢) نفسه، ص ١٢.
(٣) نفسه، ص ١٣.

[٣]

«من المعلوم أنه لا كهنوت في الإسلام، وليس هناك واسطة بين المسلم وربّه . . »[١].

[٤]

« . . إذا لم يكن في الإسلام إلا هذه الأخوة التي قتلت التفرقة وجعلت من الانسانية شخصاً واحداً لا يعلو واحدها على رفيقه إلا بالتقوى والعمل الصالح، لكفى ولكان الإسلام خير الأديان وأقربها إلى الله وأرفعها درجات. ولقد أشار المستر بيكتول الكاتب الانكليزي، إلى هذه الظاهرة الغريبة الفذة في تاريخ الانسانية، وراح يضرب الامثال بهذا الاختلاف العظيم يعمّ الغرب من اقصاه إلى اقصاه ويتصل بين المرء وولده وشقيقه ونسيبه وجاره، وكيف أن الإسلام يقف وحيداً في هذه الظاهرة حيث تقوم الاخوة الإسلامية فيه مقام العصبية والجوار وغيرها من الصلات . . »[٢].

[٥]

« . . أن الإسلام دين حي، حي في قلوب أتباعه ومريديه، وهو دين كلما تقدمت به الأيام زادت حيويته وقوي أمره وتبسط سلطانه وفشت دعوته ولولا ذلك لما أمكنه أن يعيش وأن يظل محتفظاً بقوته وتأثيره وحب اتباعه له»[٣].

[٦]

«أن روحانية الإسلام قوية شديدة، فهي أبداً تدفع المسلمين بعضهم إلى بعض وتجعل منهم قوة انسانية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مما لا يوجد مثله في العالم الحاضر»[٤].

---

(١) نفسه، ص ١٣ .
(٢) نفسه، ص ١٣ .
(٣) نفسه، ص ١٣ .
(٤) نفسه، ص ١٣ .

كولد تسيهر

[١]

«علينا إن أردنا أن نكون عادلين بالنسبة إلى الإسلام، أن نوافق على أنه يوجد في تعاليمه قوة فعالة متجهة نحو الخير، وأن الحياة طبقاً لتعاليم هذه القوة يمكن أن تكون حياة طيبة لا غبار عليها من الوجهة الأخلاقية. هذه التعاليم تتطلب رحمة جميع خلق الله، والأمانة في علاقات الناس بعضهم ببعض، والمحبة والأخلاص، وقمع غرائز الاثرة، كما تتطلب سائر الفضائل التي أخذها الإسلام عن الاديان السابقة، والتي يعترف محمد [ﷺ] بانبيائها [عليهم السلام] أساتذة له، ونتيجة هذا كله أن المسلم الصالح يحيا حياة متفقة مع أدق ما تتطلبه الأخلاق»[١].

[٢]

«وقد اقتنع هؤلاء الرجال [الفقهاء] العمليون من أول الأمر بأنهم جميعاً على الحق، وأنهم يخدمون مبدءا واحداً، وعلى هذا الأساس كانوا يتبادلون الاحترام الواجب.. ولم يظهر التعصب المذهبي إلا عندما ازداد العجب عند الفقهاء، الأمر الذي كان موضع لوم أهل الجد منهم.. وقد بقي إلى يومنا هذا الاعتقاد السائد بأن الأعمال المتخالفة للمذاهب الفقهية يجب الاعتراف بأنها كلها مستحقة للتصديق على التساوي ما دامت ترجع إلى تعاليم الأئمة وأعمالهم، أولئك الذين أجمع المسلمون على الاعتراف بأمامتهم وحدها..»[٢].

[٣]

«وسنلاحظ حقاً أن هذا المبدأ [الفقهي وهو الاجماع] بالنسبة للإسلام يحمل في طياته بذور التحرر والتطورات المستطاعة، فهو يقدم، ضد ديكتاتورية الجمود وقتل الشخصية، قوة للتعادل، وقد حقق على الأقل في الماضي كعامل مهم مطابقة الإسلام للعصر وقتئذ، فماذا عسى يمكن أن يكون باستعماله في المستقبل؟ وفي الحق أن هذا المبدأ المتبع ملحوظ عند مجددي الإسلام في عصرنا، فهو الباب الذي يجب بواسطته أن تنفذ إلى بناية الإسلام عوامل القوى الشابة»[٣].

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ٢٩ . (٢) نفسه، ص ٥٩ .

(٣) نفسه، ص ٦٣ .

[٤]

«والحياة في الفقه ليست مقصورة على أمور العبادات وحدها، فالفقه الإسلامي ضمّ فروع الحياة والحقوق المدنية والسياسية والعقوبات. ولا يفلت فصل من فصول الفقه من أن يدخل تحت قاعدة مبنية على أساس ديني، وكل الأمور المتعلقة بالحياة الشخصية أو العامة داخلة في الواجبات الدينية وبواسطة هذا يعتقد الفقهاء أن كل حياة المؤمنين موافقة لطلبات الدين»(١).

[٥]

«ومعرفة الأقوال المتفرعة الكثيرة في دائرة الفقه الإسلامي، من الادلة التي يسوقها أصحاب المذهب لتأييد مذاهبهم عند الاختلاف في الرأي أو العمل في مذهب آخر، وكذلك نقد هذه الأدلة من وجهة نظر المذهب نفسه، كل ذلك يصور لنا فراغاً عالياً من الفقه في الإسلام، ويقدم فرصة دائمة لمعرفة الذكاء العلمي في هذه الدائرة التي هي للإسلام في أوطانه ذات فائدة وأهمية خاصة، نظراً لأهمية هذه الأبحاث، في هذه الدائرة، قد ظهرت فيها منذ العصور القديمة للمدارس الفقهية كتب كثيرة»(٢).

عبد الله كويليام

[١]

«. . أنه ليس بين الأديان أقرب للفهم من الدين الإسلامي للذين يفقهونه، كما أنه ليس بينها اثبت ولا أرفق منه. فهو بقاعدتيه: وحدانية الله والجزاء الآجل، يمنح القلوب حقوقها من السكينة والارتياح ويذهب بالارادة المذهب الذي يلائمها وتحتاج إليه بدون أن تسوم العقل قيود هو بالطبع يأباها. وليس في الاكتشافات العلمية الحديثة، ولا في المسائل التي انتهى حلها والتي تحت الحلّ ما يغاير مثل هذه الحقائق الإسلامية الوضاءة والسهلة المأخذ. ولهذا فإن التوفيق الذي نبذل كل جهدنا معاشر

---

(١) نفسه، ص ٦٥ .
(٢) نفسه، ص ٦٦ .

المسيحيين لايجاده بين العقل والاعتقاد في ديننا المسيحي هو سابق موجود في الديانة الإسلامية. وانني بكلامي هذا عن الدين المسيحي إنما أشير إلى تلك الزيادات الموافقة وغير الموافقة التي أدخلت على نصرانية الانجيل التي هي في الحقيقة كاسلام القرآن»[1].

[٢]

«.. أن الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعاً في احكامها، من أعظم ملك إلى أقلّ صعلوك فهي شريعة حيكت بأحكم وأعلم منوال شرعي لا يوجد مثله قط في العالم»[2].

[٣]

«إن الأساس المهم والمبدأ العظيم في الإسلام هو الاعتقاد باله واحد في وحدانيته ونبذ الخرافات بأي وجه كانت..».

[٤]

«.. مهما ارتقى العقل في درجات الكمال فليرتقي فإنه لا يخرج عن حدّ تلك الأحكام الجليلة، أعني الأحكام التي انطوت عليها الشريعة الإسلامية فاتباعها في كل زمان ضروري لا محيص للعقل عنه»[3].

كوينج[4]

[١]

«يحدثنا القرآن الكريم عن الانسان ومحاولته الوصول إلى خالقه في هذه الآيات البينات **﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري**

(١) نفسه، ص ٦٢، (عن لوازون في خطبته المذكورة).
(٢) نفسه، ص ١٢٣، (عن كتاب شكوى وارن هاستنج، لادماند بورك).
(١) نفسه، ص ١٢٩ ـ ٣٠.
(٤) **الكاردينال كوينج** Quenge
رئيس أساقفة النمسا.

في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيهـا من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب والمسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾[1]، ويحدثنا الكتاب المقدس عن هذا المعنى في هذه العبارة: (أن قدرة الله الازلية والوهيته منذ خلق العالم، تتجلى في مخلوقاته بنور الفكر الانساني) . . »[2].

[٢]

« . . أن تاريخ الدين بوجه عام وتاريخ التوحيد على وجه خاص يظهرنا على أن الإيمان بالله وحـده هو الجـواب الشـافي الـوحيد عن كل سؤال عن أصـل الكون والانسانية والغاية من وجودهما فلا يمكن أن يكون للحياة الانسانية من هدف إلا الله وحـده وكل تدّين في الانسان مرده في الاصل ـ عن ادراك أو بغير ادراك واع ـ إلى الإيمان باله واحد، ولقد كان هناك توحيد حين ظهر الإسلام واتخذ الإسلام التوحيد سبيلا لاتباعه المؤمنين. ولا شك أن الغزالي على حق حين يقرر أن الإيمان بالله وحده هو المقصد الاسمى للقرآن الكريم . . »[3].

[٣]

« . . لنقلها اذن في صراحة ووضوح: أن التوحيد عدو لكل من نصب نفسه معياراً للحـياة الإنســانية في هذه الأرض، وهــذه الحقيقــة هي التي ترسم لنــا حدود مسؤولياتنا. . وليكن همنا في هذه الأيام العصيبة أن نعين الناس على أن يستجيبوا لأمر الله فيقيسوا حياتهم وفق أمره ومشيئته وفي هذه الاستجابة لنداء الفطرة (كما يدعوها المسلمون) المستكنة في قلب كل بشر، جوهر الإيمان بالله الحق المبين. ولعلنا بذلك نخطو الخطوة الحاسمة في اقرار التوحيد بين البشر»[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٦٤ .
(٢) عقيدة التوحيد في العالم المعاصر، ص ١٠ .
(٣) نفسه، ص ١٥ ـ ١٦ .
(٤) نفسه، ص ١٧ .

كيبــون[1]

[١]

«أن ما يثير دهشتنا هو ثبات الإسلام لا انتشاره، فإن نفس الطابع النقي الكامل، الذي كان له في مكة والمدينة، مازالت تجيش به صدور المسلمين في الهند وأفريقيا وتركيا»[2].

[٢]

«أن في عبقـرية النبي العـربي [ﷺ]، وفي خلال أمتـه وفي روح دينه، أسباب انحلال الدولة [الرومانية] الشرقية وسقوطها، وأن ابصارنا لتتجه دهشة إلى ثورة من أعظم الثورات التي طبعت أمم الأرض بطابع خالد»[3].

كــيمن[4]

[١]

«.. حينما أكتشفت أوروبا مرة أخرى فكرة الفصل بين الكنيسة والدولة وجدت قوّتها، لم يستطع الإسلام أن يقوم بعمل من هذا القبيل، لأن ذلك غير معروف في تاريخه مطلقاً»[5].

---

(١) ادوارد كيبون (١٧٣٧ - ١٧٩٤) Edward Gibbon
ولد في بلدة بتني بجنوب انكلترا، من أسرة غنية، كان أبوه عضواً في البرلمان الانكليزي، درس في جامعة اكسفورد، وفي لوزان بسويسرا سافر إلى أكثر من بلد، وفاز بمقعد في مجلس العموم البريطاني. يعد كتابه: (اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها) الذي صدر في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، واحداً من أهم الأسفار التاريخية. وقد أعيد طبعه مراراً، وترجم إلى معظم اللغات الأوروبية.

(٢) أضمحلال الامبراطورية الرومانية، (عن محمد عبدالله عنان: مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ص ١١).

(٣) نفسه، ص ١٢.

(٤) جـاك دوشين كيمن J. Duchessne Gnillemin
ولد عام ١٩١١ متخصص بالدراسات الايرانية، وأستاذ في جامعة ليينج، وله مباحث في أسماء الاعلام الايرانية وفي دين زرادشت.

(٥) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (تحرير كرونباوم)، ص ١٨.

[٢]

«.. أن الفقهاء في العهد العباسي لم يكتبوا مؤلفاتهم وهم بمعزل تام عن محيطهم، ولا شك في أنهم اشتغلوا بتكوين الآراء النظرية، كما فعل المشرعون الأوروبيون، ولكنها كانت نظريات دعا إليها الواقع بحيث أن أصحاب المذاهب المختلفة استطاعوا مثلاً أن يؤلفوا رسائل في القانون العام تكاد تكون متطابقة تماماً»[١].

كـين[٢]

[١]

«.. كنت انطوي على نفسي وأقرأ في شغف وفهم كل ما تصل إليه يدي من كتب الأديان المختلفة، واتعمق في هذه القراءات التي استمرت عشر سنوات كاملة. وأخيراً وصلت إلى نتيجة هامة وبلغت الحقيقة التي ظللت أبحث عنها طويلا، وهي أنني سأعتنق الإسلام وأكون مسلما.. لقد انتهيت في يقين إلى أن الدين الإسلامي هو دين العقل والمنطق، وهو دين الحياة الدنيا والآخرة، وهو أيضاً دين المادة والروح معاً»[٣].

[٢]

«.. لقد بحثت طويلاً في سرّ الوجود وتعمقت في أبحاثي بحكم دراساتي للفلسفة وعلم النفس، ورأيت أن الإسلام هو أقرب الأديان إلى السماء وإلى النفس الإنسانية فتأكد يقيني بأنه الدين الكريم الذي أرتضيه وأؤمن به..»[٤].

---

(١) نفسه، ص ١٨ - ١٩.

(٢) الدكتور آرثر كين: علي عمر كيم — Dr. A. Keen
فيلسوف أميركي، اشتغل بالصحافة، ثم اتجه إلى الكتابات الاجتماعية، والفلسفية، ثم تفرغ للتأليف، فألف عدة كتب في علم النفس العلاجي وشن هجمات مركزة ضد التدخين والخمور، قرأ كثيراً، وانتهى إلى أن الإسلام هو الطريق الوحيد، فأعلن إسلامه عام ١٩٦١ بمدينة نيويورك، وزار القاهرة، وأعلن شهادته مرة أخرى أمام شيخ الجامع الأزهر محمود شلتوت - رحمه الله - وحينذاك «امتلأت نفسه بالطمأنينة والراحة» و«أصبح الإسلام جزءا لا يتجزأ من حياته».

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٩/١٥٥.

(٤) نفسه، ٩/١٥٥-١٥٦.

لامير[1]

[١]

«لقد جاءني الإسلام كما يأتي النبع الدافئ إلى الأرض الباردة بعد الشتاء المظلم، فادفأ روحي وسربلني بثوب من تعاليمه القشيبة. فما أوضح تعاليم الإسلام وأعذبها، وما أعظم منطقها!»[2].

[٢]

«لا أستطيع أن أسجل مدى فرحتي بهذا الدين الذي أخذ ينفرج أمام نظري، فقد أحسست أن هذا هو الدين الذي كنت انتظره وأنه الدين الذي آمنت به. لقد كان أعلان دخولي في الإسلام ترجمة ظاهرة لصوت ضميري. فهل يمكن أن يكون هناك أي شيء أعظم حجة من العقيدة الإسلامية»[3].

[٣]

«أن الإسلام هو أقدم وأول الأديان جميعا، وهو بتصوره الشامل للحياة قد أثر في ثقافة جل بلاد العالم بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وبصفة كلية أو جزئية. وسبب ذلك أنه دين يساير الفطرة»[4].

[٤]

«في الوقت الذي تهاوت فيه تعاليم الأديان الأخرى ومبادؤها أمام جبروت العلم أخذ علماء الدنيا في الوقت الحاضر يتطلعون إلى الإسلام طالبين السلوى، لأن تعاليمه أقرب إلى العلم من أي دين آخر. بل أن الإسلام يحض على العلم. وهو دين تقدمي يناسب كافة المناخات والبلاد، كما يصلح لجميع العصور»[5].

---

(١) فاطمة سي لامير F. Lamear
المانيّة، لم تقنعها الديانة النصرانية، فأخذت تتصل منذ مطلع عام ١٩٥١، عن طريق المراسلة، بعدد من المسلمين الذين شرحوا لها مبادئ الإسلام، فانشرح صدرها له وانتمت إليه.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٩٣/٣.

(٣) نفسه، ٩٥/٣.

(٤) نفسه، ٩٥/٣.

(٥) نفسه، ٩٥/٣-٩٦.

[٥]

«أنه دين زاخر بالحياة والحركة. وأنه من واجب جميع المثقفين أن يملأوا الفراغ الروحي بالإسلام. . أن الإسلام لديه رسالة لابدّ أن يقدمها للعالم. أنه نور بوسعه أن ينير العالم أجمع. . »[١].

روم لانـدو

[١]

«. . حين يكون صيام رمضان في البلاد العربية الحارة صيفاً، يصبح الامتناع عن الطعام والشراب خلال ساعات النهار الطويلة امتحاناً حقيقياً للإيمان. . أن الصوم ولدّ ضبطاً ذاتياً عند شعب كان بطبيعته انفعالياً شديد العناد»[٢].

[٢]

«. . أن التـوكيد النصراني التـاريخي على الالم واماتة الجسد يكاد يكون مفقوداً بالكلية في الإسلام. والثنائية المسيحية، ثنائية الجسد والروح، هي في نظر المسلم شيء غير معقول، أو في احسن الأحوال شيء غير واقعي. . »[٣].

[٣]

«الإسلام في أساسه دين عملي. فالقواعد والأنظمة التي ينصّ عليها القرآن ليست جامدة، ولقد كيّفت وفقاً لما قضت به الأحوال والظروف. وهذه السياسة إنما يؤيدها كثير من المسلمين عندما يستشهدون بالآية القرآنية التي مفادها أن الله يريد ان ييسّر السبيل للنـاس. ان المسلم ليجـد أن في ميسوره التزام احكام دينه، وهكذا ينعم بالأمن وطمـأنينـة النفس. . أن هدف النصرانية الممعن في الروحية، ذلك الهدف الذي هو الانتصار على ضعف الجسد، يكاد يكون متعذر التحقيق في هذه الحياة، ولولا محبة الله اذن لكان خليقاً بحياة المسيحي أن تكون سلسلة من ضروب الاخفاق

(١) نفسه، ٩٦/٣ .
(٢) الإسلام والعرب، ص ٤٩ .
(٣) نفسه، ص ٥١ .

والخيبة التي لا سبيل إلى التغلب عليها. إن في امكان المسلم أن يبلغ مثل دينه الأعلى هنا على سطح الأرض، ولكن النصراني يتطلع إلى الاتحاد بالمسيح [عليه السلام] في المستقبل بوصفه غاية الغايات في حياته الدينية»[1].

[٤]

«. . في الإسلام لم يول كل من الدين والعلم ظهره للآخر ويتخذ طريقاً معاكسة لا، والواقع أن الأول كان باعثاً من البواعث الرئيسية للثاني»[2].

[٥]

«العلم الإسلامي لم ينفصل عن الدين قط. والواقع أن الدين كان هو ملهمه وقوته الدافعة الرئيسية. ففي الإسلام ظهرت الفلسفة والعلم معا إلى الوجود لا ليحلا محل الوهية الدين (البدائية) ولكن لتفسيرها عقليا، لاقامة الدليل عليها وتمجيدها. . إن المسلمين وفقوا، طوال خمسة قرون كاملة، إلى القيام بخطوات حاسمة في مختلف العلوم من غير أن يديروا ظهورهم للدين وحقائق وأنهم وجدوا في ذلك الانصهار عامل تسريع وانجاح لا عامل تعويق واحباط»[3].

لايتـز

[١]

«كل مسلم قيم ومهيمن على دينه مباح له التكلم بخصوص الأمور الدينية فليس هو رقيق للمشايخ. يعبد الله وحده لا يحتاج إلى وسيط، وإنما كان متى ادركته أوقات الصلاة فهنالك محل لعبادته، ولعلماء المسلمين الحرية التامة للاحتراف والاشتغال ولكن أكثر علمائهم يتعاطون تعليم الدين للناس. وأي مسلم يستطيع أن يقول: (أني بتلسيم نفسي لارادة الله) نائب عن الدين الذي علمه محمد [ﷺ]. والحق يقال بأن كافة المسلمين في الدنيا مرشدون بهذا الهدى الاجماعي. . »[4].

---

(١) نفسه، ص ٥٢ .
(٢) نفسه، ص ٢٤٦ .
(٣) نفسه، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .
(٤) دين الإسلام، ص ٦ .

[٢]

«. . الصلاة عمادها الطهارة والنظافة، ومعلوم أن النظافة من الإيمان والوضوء والصلاة لهما أعمال دقيقة جداً وليس بأمكان أحد القسّيسين أن يقول بحق أحد النصارى بأننا نستطيع تعلمها من أي مسلم نصادفه. وأما الزكاة فيحق لها أن تدعى (الصلاة النقدية). . ولكي تكون مقبولة عند الله فمن الواجب على المزكين أن يبيّنوا ملكيتهم لما وهبوه شرعاً ولا يجوز أن يكون فيه ما حرم كسبه. . وكل من يعطي فوق فريضة الزكاة فاجره على الله. والحج إلى مكة (المشرفة) مهم جداً لأنه يتكون منه اجتماع المسلمين من كافة أقطار العالم ويتأتى عنه التعارف والاتحاد، وهذا شيء ليس للنصارى فيه من نصيب. وفوق هذا فإنه من أقوى العوامل والأسباب على نشر العلم والآداب. . أما الصوم فهو تمرين يعتاده الانسان وله نفع عظيم، كما أن الطهارة والنظافة معقولان، كذلك الصوم المتممّ للاحوال الصحية التي يطلبها الطبيب»[١].

[٣]

«. . إنا نرى الاغبياءِ من النصارى يؤاخذون دين الإسلام كأنه هو الذي قد سنّ الاسترقاق، مع أن محمد [ﷺ] قد حضّ على عتق الرقاب وهذه اسمى واسطة لابطاله حقيقة»[٢].

[٤]

«الحق يقال أن الامتناع عن أكل لحم الخنزير وشرب المسكر واللحم الذي يحسن ذبحه، وإزالة كل مضرّ، وغير ذلك من الاشياء التي نهى عنها الإسلام، لمن أعظم الأمور النافعة للعاملين بها وليست لا تعابهم»[٣].

[٥]

«في المساجد ترى المساواة التامة بين المصلين فلا يوجد فيها مقاعد خاصة بأحد، وأي أمام يمكنه أن يؤم المصلين. ولا يوجد منظر أبهج من منظر جماعة المسلمين يصلون وهم خاشعون صامتون»[٤].

---

(١) نفسه، ص ٧ ـ ٨.
(٢) نفسه، ص ٧.
(٣) نفسه، ص ٨.
(٤) نفسه، ص ٩.

كوستاف لوبون

[١]

«. . أن الإسلام يختلف عن النصرانية في كثير من الأصول، ولا سيّما في التوحيد المطلق الذي هو أصل أساسي، وذلك أن الاله الواحد الذي دعا إليه الإسلام مهيمن على كل شيء ولا تحفّ به الملائكة والقديسون وغيرهم ممن يفرض تقديسه وللاسلام وحده أن يباهي بأنه أول دين أدخل التوحيد إلى العالم. أن سهولة الإسلام العظيمة تشتق من التوحيد المحض، وفي هذه السهولة سرّ قوة الإسلام، والإسلام، وادراكه سهل، خال مما نراه في الاديان الاخرى ويأباه الذوق السليم، غالباً، من المتناقضات والغوامض، ولا شيء أكثر وضوحاً وأقل غموضاً من أصول الإسلام القائلة بوجود اله واحد، وبمساواة جميع الناس أمام الله . . وانك، إذا ما اجتمعت بأي مسلم من أية طبقة، رأيته يعرف ما يجب عليه أن يعتقد ويسرد لك أصول الإسلام في بضع كلمات بسهولة، وهو بذلك عكس النصراني الذي لا يستطيع حديثاً عن التثليث والاستحالة وما ماثلهما من الغوامض من غير أن يكون من علماء اللاهوت . . »[1].

[٢]

«. . الإسلام [يعدّ] من أشد الأديان تأثيراً في الناس، وهو مع مماثلته لأكثر الاديان في الأمر بالعدل والاحسان والصلاة . . الخ، يعلّم هذه الأمور بسهولة يستمرئها الجميع، وهو يعرف، فضلاً عن ذلك، أن يصبّ في النفوس ايماناً ثابتاً لا تزعزعه الشبهات»[2].

[٣]

«الإسلام من أكثر الاديان ملاءمة لاكتشافات العلم، ومن أعظمها تهذيباً للنفوس وحملاً على العدل والاحسان والتسامح . . »[3].

---

(١) حضارة العرب، ص ١٢٥ .

(٢) نفسه، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٣) نفسه، ص ١٢٦ .

[٤]

«تأثير دين محمد [ﷺ] في النفوس أعظم من تأثير أي دين آخر، ولا تزال العروق المختلفة التي اتخذت القرآن مرشداً لها تعمل باحكامه كما كانت تفعل منذ ثلاثة عشر قرنا. . »[١].

[٥]

«ليس المسلمون اجانب في نظر بعضهم إلى بعض مهما اختلفت الشعوب التي ينتسبون إليها، ولا فرق في دار الإسلام بين الصيني المسلم والعربي المسلم في التمتع بجميع الحقوق، وبهذا تختلف الحقوق الإسلامية عن الحقوق الأوروبية اختلافاً أساسياً»[٢].

نظمي لوقا

[١]

«ما أرى شريعة أدعى للانصاف، ولا انفى للاجحاف والعصبية من شريعة تقول: ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على الّا تعدلوا !**﴾[٣]، فأي إنسان بعد هذا يكرم نفسه وهو يدينها بمبدأ دون هذا المبدأ، أو يأخذها بدين أقل منه تسامياً واستقامة؟»[٤].

[٢]

«عقيدة [الإسلام] عقيدة واحدة بسيطة يقطع الإيمان بها الطريق على كل حيرة وخوف، ويبعث الطمأنينة في كل نفس. وباب هذه العقيدة مفتوح لكل انسان، لا يصدّ عنها أحد بسبب جنسه أو لونه. . وهكذا يجد كل انسان له مكاناً في ظل هذه العقيدة الالهية على أساس من المساواة العادلة، التي لا تفاضل معها إلا بالتقوى، تقوى الله رب (العالمين). . »[٥].

---

(١) نفسه، ص ٤١٧ .
(٢) نفسه، ص ٣٨٩ .
(٣) سورة المائدة، الآية ٨ .
(٤) محمد الرسالة والرسول، ص ٢٦ .
(٥) نفسه، ص ٧٢ ـ ٧٣ .

[٣]

«كان لا بدّ من عقيدة ترفع عن كاهل البشر لعنة [الخطيئة الاولى]، وتطمئنهم إلى العدالة التي لا تأخذ البرىء بالمجرم، أو تزر الولد بوزر الوالد، وتجعل للبشرية كرامة مضمونة. ويحسم القرآن هذا الأمر. . حين يجعل المسئولية أساس الكرامة الانسانية، وأساس كل حرية، وكل اخلاق ممكنة. وهذا ما قطع به الإسلام ووضع به حجر الأساس لكرامة بني آدم. . والحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الاولى الموروثة إلّا من نشأ في ظل تلك الفكرة القاتمة، التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال المرء، فيمضي في حياته مضيّ المريب المتردّد، ولا يقبل عليها اقبال الواثق بسبب ما انقض ظهره من الوزر الموروث. إن تلك الفكرة القاسية تسمّم ينابيع الحياة كلها. ورفعها عن كاهل الانسان منّة عظمى، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه، بل هو ولادة جديدة حقاً، وردّ اعتبار لا شك فيه. إنه تمزيق صحيفة السوابق، ووضع زمام كل انسان بيد نفسه. .»[1].

[٤]

«هكذا يكون الإنسان [في الإسلام] متكامل الجوانب، لا يشكو [فصام] الروح والجسد، ذلك الفصام الذي عانى منه الكثيرون. ولا يعرف (الفصم إلا يكابده، وبهذا يكون الإنسان سيد الأرض حقا، لا ينظر إلى طيّباتها نظرة الحسير، ولا يمشي في جنباتها مشية الأسير، ولا يثقل كاهله الخزي من نوازعه، في يده زمام نفسه. وقد احل له ما لم يرد فيه تحريم، تقرّ به عينة في غير حرج ولا غضاضة»[2].

[٥]

«نظام واحد يمسك الدين والدنيا، ويسلك المعاش والعبادة والمعاد، ولهذا قلما يرد ذكر الصلاة في القرآن من غير آثارها العملية. . إن الصلاة التي تتكرر في اليوم جملة مرات، لا يلهي عنها بيع ولا شراء، سبب قوي بين الانسان والله. . ولكن أين تكون تلك الصلاة؟ هل لا بدّ فيها من وساطة رجال الدين؟ هنا تبرز خصوصية الإسلام. .

---

(١) نفسه، ص ٧٦ ـ ٧٨. (٢) نفسه، ص ٨٤.

فكل مكان في أرض الله الطاهرة يصلح مسجداً ومحراباً لا هياكل ولا كهانة ولا وسطاء بين الله والانسان بعد اليوم! ولا وصاية على ضمائر الناس! فكلهم أمام الرحمن سواء. والصلة بينهم وبين ربهم صلة مباشرة لا أمت فيها ولا التواء.. وليس من حق كائن من كان أن يتدخل بين المرء وربه، أو يدعي لنفسه القوامة على ضميره وعقيدته..»[1].

لويس[2]

[١]

«لم تنشأ أمام محمد [ﷺ] وأصحابه مشكلة الاختيار بين الله وقيصر، أعني ذلك الفتح الذي لم يقع المسيح [عليه السلام] به وأن وقع في حبائله الكثير من المسيحيين. ففي الإسلام لا يوجد (قيصر) بل يوجد الله وحده، وكان محمد [ﷺ] رسوله الذي يعلم ويحكم باسمه. فكانت السلطة نفسها، الصادرة عن المصدر نفسه، تدعم الرسول [ﷺ] في كلا المهمتين (مهمة الدين والدولة) وكان الوحي ذاته يقدم محتوى المهمة الأولى وأساس الثانية. وعندما توفى محمد [ﷺ] كانت مهمته الروحية والنبوية - وهي نشر رسالة الله - قد تمت، وبقي عمله الديني، ومعه العمل السياسي. وكان قوام هذا العمل هو نشر شريعة الله بين البشر وذلك عن طريق توسيع عضوية وسلطة الجماعة التي تعترف بذلك القانون وتؤيده. وكان لابد من وكيل أو خلف للرسول [ﷺ] لقيادة هذه الجماعة. وتجمع الكلمة العربية (الخليفة) بين المعنيين»[3].

---

(١) نفسه، ص ١٤٧ - ١٤٩ .

(٢) برنارد لويس B. Lewis

ولد عام ١٩١٦، وتخرج من جامعتيْ لندن وباريس، وعين معيداً للتاريخ الإسلامي في جامعة لندن [١٩٣٨)، والتحق بوزارة الخارجية (١٩٤١ - ١٩٥٤)، وعمل أستاذاً لتاريخ الشرقين الأدنى والأوسط في جامعتي لندن (١٩٤٩)، وكاليفورنيا (١٩٥٥ - ١٩٥٦).

من آثاره: (أصول الاسماعيليين والاسماعيلية) (١٩٤٠)، و(تاريخ اهتمام الانكليز بالعلوم العربية) (١٩٤١)، و(العرب في التاريخ) (١٩٥٠)، و(وثائق في المحفوظات التركية) (١٩٥٢). كما نشر العديد من الأبحاث في المجلات الاستشراقية المعروفة.

(٣) تراث الإسلام، (تصنيف شاخت وبوزورث) ١/ ٢٣٠ .

[٢]

«أصبح من التجديدات الشائعة حديثاً التمييز بين (نظام الحكم) و(النظام الديني) في الإسلام. ولكن مهما كان مدى انطباق هذا التمييز على الامبراطورية الإسلامية اللاحقة ـ وحتى هذا كان موضع تساؤل ـ فإنه لم يكن على الاطلاق منطبقاً على صدر الإسلام. ففي عهد الخلفاء الراشدين [رضي الله عنهم] نجد أن الحكومة هي المؤسسة الدينية ولا يوجد غيرها. . والواقع أنه لم يكن يوجد في المفهوم الإسلامي مقابل حقيقي لمثل تلك الاضداد: ديني ودنيوي، روحي وزمني، كهنوتي وعلماني، وحتى المقدس المدنّس، ولم يظهر مثل هذا التضاد إلا بعد وقت طويل جداً، حيث استحدثت كلمات جديدة للتعبير عن مفاهيم جديدة، أما في العهد الأول للإسلام فلم تكن الثنائية التي تدل عليها تلك الكلمات معروفة لذا لم يكن هنالك من كلمات للتعبير عنها. ولقد قيل أن الخليفة يجمع في آن واحد بين شخصيتي البابا والامبراطور، على أن التشبيه مضللّ. فلم تكن للخليفة وظائف بابوية أو حتى كهنوتية، ولم يكن يتلقى التعليم الرسمي لرجال الدين من العلماء. ولم يكن واجبه عرض الدين ولا تفسيره بل كان واجبه هو دعمه وحمايته، وايجاد الظروف التي من شأنها أن تمكن الناس من العيش حياة إسلامية صالحة في هذه الدنيا وبذلك يعدون أنفسهم ضمن حدود الإسلام، وأن يدافع عن هذه الحدود ضد الهجمات الخارجية. وكان من واجبه ـ ما أمكنه ذلك ـ توسيع تلك الحدود، حتى يصل العالم كله، عندما يحين الوقت، إلى أعتناق الإسلام»[١].

[٣]

«رغم زوال الخلافة وتجزئة عالم الإسلام إلى عدد كبير من الكيانات السياسية المستقلة المنفصلة والمتحاربة في كثير الاحيان، فقد بقي الشعور بالهوية والتماسك، وبأن المسلمين (أمة واحدة من دون الناس) قويا وفعالا. . »[٢].

(١) نفسه، ١/٢٣٢ ـ ٢٣٣.
(٢) نفسه، ١/٢٥٢.

السر لينحتنستادتر

[١]

«. . أن تاريخ الحكم الإسلامي يدحض ظنون [بعض الغربيين من أن الإسلام لا يصلح لاقامة دولة تساس فيها الأمور على قواعد المصلحة الاجتماعية وحسن العشرة بين المسلمين وغير المسلمين]، وأن مفكري الإسلام في جميع العصور بحثوا قواعد الحكم والعرف من الوجهة الفلسفية وأخرجوا لأممهم مذاهب في السياسة والولاية تسمو إلى الطبقة العليا . .»[١].

ليــون[٢]

[١]

«من روائع الإسلام أنه يقوم على العقل وأنه لا يطالب أتباعه أبداً بالغاء هذه الملكة الربانية الحيوية. فهو على النقيض من الاديان الأخرى التي تصرّ على أتباعها أن يتقبلوا مبادىء معينة دون تفكير ولا تساؤل حرّ، وإنما تفرض هذه المبادىء فرضا بسلطان الكنيسة. أما الإسلام فإنه يعشق البحث والاستفسار ويدعو اتباعه إلى الدراسة والتنقيب والنظر قبل الإيمان. . أن الإسلام يؤيد الحكمة القائلة: برهن على صحة كل شيء ثم تمسّك بالخير. وليس هذا غريباً، إذ أن الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو أحق الناس بها. فالإسلام دين العقل والمنطق. . لذلك نجد أن أول كلمة نزلت على النبي محمد ﷺ كلمة اقرأ، كما نجد أن شعار الإسلام هو الدعوة إلى النظر والتفكر قبل الإيمان. . فالإسلام هو الحق وسلاحه العلم، وعدوه اللدود هو الجهل. .»[٣].

---

(١) الإسلام والعصر الحديث، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٢٣ ـ ٢٤ .

(٢) **البروفسور هارون مصطفى ليون** **P. H. M. Lyon**
انكليزي، اعتنق الإسلام عام ١٨٨٢، وكان زميلاً وعضواً فخرياً في العديد من الجمعيات الدينية في أوروبا وأميركا، وكان أستاذاً قديراً في علم اللغويات، وهو عالم جيولوجيا له مكانته، وقد تلقى العديد من الاوسمة الفخرية، أحدها من السلطان عبدالحميد الثاني ـ رحمه الله ـ.

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٦/٧ ـ ٧ .

[٢]

«. . أن كلمـة اسلام ترادف كلمة (حق) وكلمة (حقيقة)، وأنه في ظل شمس الإسلام الرائعة الدائمة الاشراق والتي تستضيىء بنور العقل والمعرفة يتم التوصل إلى الحق، ولكن لا بدّ لتحقيق ذلك من أن يستخدم الانسان فكرة ويقدم زناد عقله الذي وهبه الله أياه. [وهكذا] فإن من أهم مصادر التشريع في الإسلام: الاجتهاد الذي يعتمد على النظر والدراسة وأعمال الفكر. .»[١].

مارسيه[٢]

[١]

«. . أن الحج المتوجب على كل مسلم يستطيع إليه سبيلا أن يؤديه مرّة في حياته، لا يقـل أهمية عن المبادلات التجارية في ترابط أبعد اجزاء العالم الإسلامي. . أما الصلاة، وهي فعل العبادة وخضوع الإنسان لخالقه، فيؤديها المؤمن خمس مرات يومياً وفي ساعات معينة بعد أن يطهر نفسه بالوضوء، متوجهاً نحو مكة المكرمة، حيث الكعبة المشرفة، مردداً الصيغ الدينية، وهو يقوم بحركات السجود والركوع المنتظمة بدقة. ويمكن تأدية الصلاة بصورة منفردة وفي أي مكان يجد المرء نفسه فيه، على أن تكون الأرض بعيدة عن كل نجاسة، على أن صلاة الجماعة هي المستحبة. . وتكون الصلاة المشتركة في المسجد، والمسجد أساساً هو بيت الصلاة، ومخطط بنائه منسجم مع ممارسة العبادة، فمن أجل الصلاة يقف المسلمون جنباً إلى جنب يؤلفون جبهة عريضة وتنتظم خلف هذا الصف صفوف اخرى بنفس النظام، ويقف الأمام الذي يؤم الصلاة في مقدمة المصلين، وقد ادار ظهره لهم ووجهته ووجهة المصلين، الذين يقومون بنفس الحركات التي يقوم بها ويرددون التلاوات نفسها، هي القبلة، أي اتجاه مكة، حيث الكعبة قطب الإسلام وبيت الله على الأرض»[٣].

---

(١) نفسه، ٨/٧.

(٢) جورج مارسيه (١٩٠٥ ـ ١٩٤٦) G. Marcy

مستشرق فرنسي، كتب العديد من الدراسات والأبحاث في الشريعة واللغة، نشرها في عدد من المجلات الشهيرة مثل (المجلة الجزائرية)، و(المجلة الأفريقية)، و(حولية معهد الدراسات الشرقية)، وغيرها.

(٣) الفن الإسلامي، ص ١٢ ـ ١٣.

[٢]

« . . على أية حال، يكاد لا يوجد في البلاد الإسلامية منشآت عامة أو خاصة لا تحمل طابع الدين. فلقد تغلغل الإسلام في الحياة البيتية كما دخل حياة المجتمع وصاغت الطبائع التي نشرها شكل البيوت والنفوس. . »[١].

[٣]

« . . أن العقيدة الأساسية في الإسلام هي الوحدانية المطلقة، فلا اله إلّا الله ولقد ظهرت تعاليم الرسول محمد [ﷺ] كرد فعل قوي ضد تعدّد الارباب والانصاب التي كان يقدسها العالم العربي، وضد الوثنية الاغريقية الرومانية ولمجابهة الثالوث الذي يؤمن به المسيحيون ليس لله شريك ولم يلد ولم يولد، لا يمكن أن يشبه بأي مظهر انساني، ولئن كان القرآن قد حرم عبادة الأصنام بجمال، فإن الحديث الشريف (السنّة) فعّل ذلك وتوسّع فيه. . وليس من الممكن أن ننكر أن هذا المنع احتفظ بكل قوته في تزيينات العمارة الدينية ولوازم العبادة، وأنه أثر على تطور الفن الإسلامي بأسره. . وهكذا فإن الإسلام وضع طابعه على اطار الحياة اليومية. وحتى عندما يكون الفن مطبقاً في أمور دنيوية فإن من البلاد الإسلامية يبقى فنّاً مسلماً»[٢].

هنري ماسيه

[١]

«في القرآن يظهر إبراهيم [عليه السلام] عدة مرات مع عنوان الحنيف، ويبدو أن هذه العبارة السابقة لعصر محمد [ﷺ] كانت تدل على أناس لا يعتنقون المسيحية ولا اليهودية، ويتطلعون بغموض إلى دين أكثر تجرداً من العقائد والمذاهب، إلى توحيد كامل. . [ولكن محمد ﷺ] سينتهي إلى التوحيد، إلى دين أساسي وفطري ليست الأديان الأخرى سوى دلالات عليه، توحيد يبلور نهائياً أحلام الحلفاء الغامضين، بحيث يجب أن نرى بهم مبشرين بمحمد [ﷺ]»[٣].

(١) نفسه، ص ١٥ .
(٢) نفسه، ص ١٦ ـ ١٧ .
(٣) الإسلام، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

[٢]

«تضاعفت فجأة أهمية النصوص المقدسة لأن دراستها لم تكن قضية تديّن فقط بل قضية تطبيق عملي. وبدأ الفقه يتنظم ولكن بوفاق تام مع القانون السماوي . . »[١].

متز[٢]

[١]

«جرت العادة منذ العصر الأول للإسلام بألّا يسمى العبيد عبيداً، بل يسمى العبد فتى والأمة فتاة؛ وقد نسب هذا ـ كما نسب كثير غيره إلى أمر النبي [ﷺ]. وكان من التقوى وشرف النفس ألّا يضرب الرجل عبده، ويروى عن النبي [ﷺ] أنه قال: «شر الناس من أكل وحده ومنع رفده وضرب عبده». وهذا الشعور نبيل عبر عنه أبو الليث السمرقندي (المتوفى سنة ٣٨٧هـ ـ ٩٩٧م) بروايته هذا الحديث. وفي القرن الرابع الهجري اتخذ بعضهم من قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون اخوة﴾[٣]. نقدا يوجهونه لمن يضرب عبده . . »[٤].

[٢]

«كان في الإسلام مبدأ في مصلحة الرقيق، وذلك أن الواحد منهم كان يستطيع أن يشتري حريته بدفع قدر من المال، وقد كان العبد أو الجارية الحق في أن يشتغل مستقلاً بالعمل الذي يريده . . وكذلك كان من البر والعادات المحمودة أن يوصي الإنسان قبل مماته بعتق بعض العبيد الذين يملكهم»[٥].

---

(١) نفسه، ص ١٢٣ .

(٢) آدم متز (١٨٦٩ ـ ١٩١٧) A. Metz.
تخرج من جامعات المانيا، وعين أستاذاً للغات السامية، في جامعة بازل بسويسرا، وقد تخصص بالأدب العربي في العصر العباسي.
من آثاره: (أبو القاسم وتقاليد بغداد في عصره) (١٩٠٢)، (نهضة الإسلام في القرن الرابع الهجري) (١٩٢٢)، وقد ترجم إلى العربية بعنوان: (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري).

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٠ .

(٤) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١/٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

(٥) نفسه، ١/٢٩٠ .

[٣]

«كان المسلم يستطيع أن يرتحل في داخل حدود المملكة (الإسلامية) في ظل دينه وتحت رايته، وفيها يجد الناس يعبدون الاله الواحد الذي يعبده، ويصلون كما يصلي، وكذلك يجد شريعة واحدة عرفا واحدا، وعادات واحدة. وكان يوجد في هذه المملكة الإسلامية قانون عملي يضمن للمسلم حق المواطن، بحيث يكون آمناً على حريته الشخصية أن يمسّها احد، وبحيث لا يستطيع أحد أن يسترقّه على أي صورة من الصور. وقد طوّف (الرحالة المعروف) ناصر خسرو في هذه البلاد كلها في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) دون أن يلاقي من المضايقات ما كان يلاقيه الالماني الذي كان ينتقل في المانيا في القرن الثامن عشر للميلاد»[١].

فنساي مونتاي

[١]

« . . إذا اعتنق الإنسان الإسلام، فإنه يكون قد اختار ديناً، أعني اختار طريقاً فيه تجاوز للذات، أي أنه أتخذ لنفسه تصوراً للكون ومنهجاً للحياة، والتحق بصفة واضحة بأمة توحدها عقيدة . . »[٢].

[٢]

«في الوقت الذي نرى فيه العالم المعاصر يجعل من التقنية غاية تبرر الواسطة، ويا للأسف، فإن الالتجاء إلى الإسلام يجعل المرء يرفض هذا المفهوم ويتمسك بقيم اسمى . . إن انتمائي للإسلام يمثل بالنسبة لي تحقيق ما في أعماق نفسي ونهاية المطاف المنطقية لوجودي . . »[٣].

---

(١) نفسه، ١/٤ .

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٥/٤١ .

(٣) نفسه، ٥/٤١-٤٢ .

[٣]

«إن الإسلام لم يناد بالخطيئة الأولى. . وبناءً عليه فإننا لا نجد في الإسلام أي شعور بالذنب في مفهومه الانكلوسكسوني وهو مصدر العصاب المسيحي حسب تعبير الدكتور صولينياك الطبيب الكاثوليكي. ومن جهة أخرى فإن الصفة والزهد في نظر الإسلام ليسا مثلاً بعيدة المنال بالنسبة للبشر. . »[1].

[٤]

« . . تجوّلت في الأرض [الإسلامية] فوجدت نفس المنهج في الحياة ونفس العقيدة وقد حق للكاتب الفرنسي لوي ماسنيون أن يسمي الإسلام (تيوقراطية المساواة) وكان يرى في المجتمع الإسلامي مجتمع الشجاعة والبساطة وعدم الكلفة دون افراط في الزهد»[2].

[٥]

« . . أركان الإسلام الخمسة تتمثل، بالاضافة إلى الالتزام الشخصي، تضامناً في الشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج. . »[3].

مونتـــه

[١]

«أن الديانة الإسلامية كعقيدة توحيد، ليس فيها شيء مجهول في ديانات التوحيد الأخرى إلا أن ظهورها في جزيرة العرب بروح عربية عالية جعل لها طابعاً جديداً باهراً. وقد [سميت] الإسلام اشارة إلى تمام الأنقياد لارادة الله، وهي في هذه العقيدة مشابهة للمسيحية إلا أنها تتجلى في القرآن بقوة لا تعرفها النصرانية. . ولقد منع القرآن الذبائح البشرية، ووأد البنات والخمر والميسر، وكان لهذه الاصلاحات تأثير غير متناه في الخلق بحيث ينبغي أن يعدّ محمد [ﷺ] في صف أعاظم المحسنين للبشرية. أن

---

(١) نفسه، ٥/٤٦-٤٧.
(٢) نفسه، ٥/٥٠.
(٣) نفسه، ٥/٥٠.

حكمة الصلاة خمس مرات في اليوم هي ابقاء الانسان من الصباح إلى المساء تحت تأثير الديانة، ليكون دائماً بعيداً عن الشر، وحكمة الصيام تعويد المؤمن غلبة شهوات الجسم وزيادة القوة الروحية في الانسان، وحكمة الحج هي توطيد الاخاء بين المؤمنين وتمكين الوحدة العربية. فهذا هو البناء العظيم الذي وضع محمد [ﷺ] أساسه، وثبت ولا يزال ثابتاً بازاء عواصف الدهور»[1].

[٢]

«لما كان الإسلام ديناً من الأديان أصبح قوة أدبية عظيمة جداً جديرة بالاحترام من وراء الغاية، ولذا تقضي الحال بأن تقوم الصلات مع أهله على أساس الأخاء والحب، وأهم الشروط في هذه الروابط الحسنة احترام الإسلام احتراماً مطلقاً. وأن هذا الدين بفضل ما نشره بعض الباحثين من العلماء المجردين عن الاغراض، وما وقف عليه بعض أرباب الرحلات قد أصبح معروفاً في أوروبا معرفة تامة، وغداً يقدر قدره أكثر من قبل»[2].

ميليما[3]

[١]

«. . أن الإسلام ليس فقط مجموعة من الشرائع والقوانين. . بل أن الفضائل الخلقية تأتي أولاً، وأن العلم لابد أن يؤدي إلى الإيمان»[4].

[٢]

«ما هو جمال الإسلام في نظري، وما الذي شدني بالذات إلى هذا الدين؟ لقد أحببت الإسلام لأنه يؤمن باله خالق واحد من اليسير على كل انسان الإيمان به. الله

(١) محمد والقرآن، ص ٢٢، (عن ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ١/٣٢ - ٣٣).
(٢) الإسلام، (عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية ١/٧٢).
(٣) الدكتور ر. ل. ميليما — Dr. R.L. Mileama
رئيس القسم الإسلامي في المتحف الاستوائي بامستردام في هولندا، وهو مؤلف عدد من الكتب الإسلامية بالهولندية ومتضلع في العديد من اللغات. انتمى للإسلام عام ١٩٥٥ خلال رحلة له إلى باكستان بعد تأمل وبحث طويلين.
(٤) رجال ونساء أسلموا، ٦/١٢١.

الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد. الله الحكيم، القوي، الجميل الـذي لا تحد احسانه ورحمته حدود. . وهناك تلك العلاقة المباشرة بين خالق هذا الكون وبين مخلوقاته وخاصة الانسان الذي سخر له الله كل ما في الأرض جميعا منه. فالمؤمن ليس بحـاجة إلى وسيط، لأن الإسلام لا يعترف بالقسس ورجال الدين، والاتصال بالله في الإسلام يعتمد على الانسان نفسه. . وهو مسؤول عن عمله، ولا يمكن التكفير عن خطاياه بتضحية بديلة يتقدم بها إنسان آخر. . »[1].

[٣]

« . . المسلم مأمور أن يبحث عن الحقيقة في كل مكان، وحيثما وجدها فهو أحق النـاس بها، وهو مدعو للاعراب عن تقديره واحترامه للخصائص الطيبة الخيرة في الاديان الأخرى»[2].

[٤]

« . . أن مبدأ الأخوة الإسلامية الذي يضم تحت جناحه كافة البشر بصرف النظر عن اللون أو الجنس أو المعتقد، هذا المبدأ هو الذي جعل الإسلام الدين الوحيد القادر على تطبيق الاخوة في حيز الواقع لا في المجال النظري فحسب. فالمسلمون في كل مكان من العالم يعرفون أنهم جميعاً اخوة في الله. . »[3].

[٥]

« . . لقـد أعجبني اهتـمام الإسلام بالمادة والروح باعتبارهما قيمتين أساسيتين، فالتطور العقلي والروحي للانسان مرتبط في الإسلام وفي الفطرة على السواء ارتباطاً وثيقاً لا سبيل إلى فصله بحاجات الجسد، وعلى المرء أن يتصرف بطريقة تجعل المادة تحت سلطان الروح والعقل فيه. . أن أعظم العبادات في الإسلام هي ما يكون في خضم الحياة. . »[6].

---

(١) نفسه، ١٢١/٦.
(٢) نفسه، ١٢٣/٦.
(٣) نفسه، ١٢٤/٦.
(٤) نفسه، ١٢٤/٦ ـ ١٢٥.

جواهر لال نهرو

[١]

«أن الإسلام هو الباعث والفكرة لليقظة العربية بما بثه في اتباعه من ثقة ونشاط . . [ولقد] كانت ثقة العرب وإيمانهم عظيمين. وقد اضاف الإسلام إليهما رسالة الاخوة والمساواة والعدل بين جميع المسلمين. وهكذا ولد في العالم مبدأ ديمقراطي جديد. و[أية] مقارنة بين رسالة الاخوة الإسلامية وحالة النصرانية المنحلّة تجعل المرء [يدرك] مقدار سحر هذه الرسالة وتأثيرها لا على العرب وحدهم ولكن على جميع شعوب البلدان التي وصل إليها العرب!»[١].

[٢]

«. . كان للدين الذي بشر به محمد [ﷺ]، بما فيه من سهولة وصراحة واخاء ومساواة، تجاوب لدى الناس في البلدان المجاورة، لأنهم ذاقوا الظلم على يد الملوك الاوتوقراطيين والقساوسة المستبدين. لقد تعب الناس من النظام القديم وتاقوا إلى نظام جديد فكان الإسلام فرصتهم الذهبية لأنه أصلح الكثير من أحوالهم ورفع عنهم كابوس الضيم والظلم»[٢].

هاريس[٣]

[١]

«أن المسيحية والإسلام في عالم العقيدة هما الديانتان الجديرتان بالعناية، وكل ما عداهما فهو بربرية»[٤].

---

(١) لمحات من تاريخ العالم، ص ٢٤، ٢٦.   (٢) نفسه، ص ٢٧.

(٣) **الدكتور لينـدون هاريـس** **L. Haris**

علم من أعلام التبشير في القارة الافريقية. مؤلف كتاب (الإسلام في أفريقيا الشرقية) والذي يتناول فيه أحوال الإسلام والمسلمين في هذه المنطقة لغرض أطلاع العاملين في التبشير على حقيقة الموقف للاستعداد لها بما يصلح من أساليب العمل.

(٤) الإسلام في أفريقيا الشرقية، عن: العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٦٥. والعبارة المذكورة اقتبسها المبشر هاريس عن الحكيم الانكليزي الدكتور صمويل جونسون.

هاملتون[1]

[١]

«لقد ظل جمال الإسلام ونقاؤه البسيط يشدّني إليه دائماً منذ أن بلغت سن الرشد. . »[2].

[٢]

«يعترف الإسلام بالعبقرية والنبوغ والتميز الشخصي. فهو دين بناء وعمارة لا دين تخريب. فإن كان هناك على سبيل المثال رجل يملك ارضاً وهو على جانب من الثراء فلا يحتاج إلى فلاحة أرضه وقد تركها بوراً فإذا انقضت مدة معينة على ذلك الحال تنتقل ملكيتها بصورة طبيعية إلى الأراضي العامة، وتنص الشريعة الإسلامية على أن ملكيتها تنتقل إلى يد أول رجل يقوم بزراعتها»[3].

[٣]

«الإسـلام يحظر على معتنقيه لعب الميسر والانخراط في أية صفقة من صفقات اليانصيب كما يحرم كافة المشروبات الروحية ويمنع الربا الذي كان في حالات كثيرة سبباً في الشقاء الذي أصاب بني الإنسان. لذلك فالإسلام يحول دون أي نوع من الاستغلال الديني قد يقترفه أحد الناس ضد التعساء»[4].

[٤]

«بينما نجد أن الإسلام يهدي البشرية في حياتها العملية اليومية، فإن ما يسمى بالنصرانية المعاصرة تعلم أتباعها بصفة غير مباشرة وفي مجال الواقع أن يعبدوا الله في أيام الآحاد فحسب وأن يفترسوا عباده ومخلوقاته في بقية أيام الأسبوع»[5].

---

(١) **عبدالله ارشيبالد هاملتون** **A. A. Hamilton**
عرف قبل أسلامه بلقب سير شارلز ادوارد ارشيبالد، أعتنق الإسلام عام ١٩٢٣، وكان سياسياً انكليزيا معروفاً.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٢/ ٧٩.

(٣) نفسه، ٢/ ٨٠.

(٤) نفسه، ٢/ ٨١.

(٥) نفسه، ٢/ ٨٢.

هـــاو[1]

[١]

«لقد وجدت في الدين الإسلامي الاجابات الشافية [عن معضلة الروح والمادة]، فعلمت أن للجسـد حقـاً علينا كالروح تماماً. وأن الحاجات الجسّدية هي في نظر الإسلام غرائز طبيعية تستحق الاشباع وليست أموراً شريرة مستقذرة، بل لا بدّ من أشباعها من أجل أن يعيش الإنسان قوياً منتجاً فعالا. إلا أن الإسلام قد وضع قواعد أساسية لاشباع هذه الحاجات على أسس سليمة تحقق الرضا للنفس وتلتزم بأوامر الله. فالزواج في الإسلام مثلا هو الطريقة الوحيدة المشروعة لاشباع الغريزة الجنسية، والصلاة والصوم والتعبد والإيمان بالله هي الأخرى وسائل لاشباع الجانب الروحي من الانسان، وبذلك يتحقق التوازن الذي لا بدّ منه لحياة انسانية كريمة»[2].

[٢]

«. . [لقد] أردت أن أكون مسلمة بعد أن اقتنعت تماماً بالدين الإسلامي. وأحب أن أضيف هنا أنه في ممارسة تعاليم الدين الإسلامي يكتشف الإنسان طبيعته البشرية وشخصيته الانسانية الحقيقية، ويعرف ذاته. إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي قدم لي الاجابات المقنعة على أسئلتي الحائرة»[3].

---

(١) روز ماري : مريم هاو — R. Mary Howe

صحفية انكليزية، نشأت في عائلة نصرانية متدّينة، لكنها مع بلوغها مرحلة الوعي بدأت تفقد قناعاتها الدينية السابقة وتتطلع إلى دين يمنحها الجواب المقبول. وفي عام ١٩٧٧ أعلنت اسلامها، وهي تعمل الآن في صحيفة (الاراب تايمز) اليومية الكويتية التي تصدر بالانكليزية.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٨/١٩ ـ ٢٠ .

(٣) نفسه، ٨/٢٢ .

هـونكـه[1]

[١]

«لقد أوصى محمد [ﷺ] كل مؤمن رجلاً كان أو امرأة بطلب العلم، وجعل من ذلك واجباً دينياً. وكان يرى في تعمق اتباعه في دراسة المخلوقات وعجائبها وسيلة التعرف على قدرة الخالق. وكان يرى أن المعرفة تنير طريق الإيمان.. ويلفت انظارهم إلى علوم كل الشعوب، فالعلم يخدم الدين والمعرفة من الله وترجع إليه، لذلك فمن واجبهم أن يصلوا إليها وينالوها أيا كان مصدرها ولو نطق بالعلم كافر. وعلى النقيض تماماً يتساءل بولس الرسول Paulus مقراً: (ألم يصف الرب المعرفة الدنيوية بالغباوة)؟ مفهومان مختلفان، بل عالمان منفصلان تماما، حدّدا بهذا طريقين متناقضين للعلم والفكر في الشرق والغرب وبهذا اتسعت الهوة بين الحضارة العربية الشامخة والمعرفة السطحية المعاصرة في أوروبا حيث لا قيمة لمعرفة الدنيا كلها..»[2].

[٢]

«لم تلبث الديانة [الإسلامية] الفتية السائرة في طريقها بعزم وثبات، أن اصطدمت بالديانات الأخرى في كل مكان. فهنا يقف رجال المذاهب المسيحية وجهاً لوجه أمام رجال المذاهب الإسلامية على أتم استعداد للمجادلة، وهنا تقسم هذه المجادلات واختلاف وجهات النظر، المسلمين أنفسهم إلى مدارس ومذاهب، وكان من الممكن أن يؤدي هذا إلى نهاية النهضة العربية الإسلامية وهي في مهدها. ولكن ما حدث كان على خلاف ذلك تماماً، فإن اكراه الإسلام للفتى على أن يجرب قواه الفكرية مع ديانات وفلسفات اخرى في محاجات فكرية وفلسفية قد أفاده أكبر أفادة واكسبه خبرة ومرانا»[3].

---

(١) **دكتورة زيغريد هونكه** **Dr. Sigrid Hunke**

مستشرقة ألمانية معاصرة، وهي زوجة الدكتور شولتزا، المستشرق الألماني المعروف الذي تعمق في دراسة أداب العرب والاطلاع على آثارهم ومآثرهم. وقد قضت هونكه مع زوجها عامين اثنين في مراكش، كما قامت بعدد من الزيارات للبلدان العربية دراسة فاحصة.

من آثارها: (أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية) وهو أطروحة تقدمت بها لنيل الدكتوراه من جامعة برلين، و(الرجل والمرأة) وهو يتناول جانباً من الحضارة الإسلامية (١٩٥٥)، و(شمس الله تسطع على الغرب) الذي ترجم بعنوان: (شمس العرب تسطع على الغرب)، وهو ثمرة سنين طويلة من البحث والدراسة.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٣٦٩. (٣) نفسه، ص ٣٧٢.

[٣]

«الإسلام لا يعرف وسيطاً بين العبد والرب. . ولم يكن لديه طبقة من الكهنة. . وعلى العموم فإن مجال حرية الرأي كان أوسع [مما هو عليه الحال في الديانات الاخرى. .]. . »[١].

[٤]

«. . لم تكن المساجد مجرد أماكن تؤدى فيها الصلوات فحسب، بل كانت منبراً للعلوم والمعارف، كما ارتفعت فيها كلمات الرسول [ﷺ] فوق مجد التديّن الاعمى. ألم يقل [ﷺ] اقوالاً، كان يكفي لأن يقولها في روما حتى يحاكم عليها بتهمة الهرطقة؟ أو ليس هو القائل بأن حبر الطالب اقدس من دم الشهيد؟»[٢].

[٥]

«. . لم يكن المسجد تقليداً للكنيسة بالمرة، حتى ولو ارتفعت سقوفه فوق عمد، كانت يوما ما، تحمل سقف كنيسة. فمفهوم المسجد يختلف عند المسلمين تمام الاختلاف منذ البداية عن مفهوم المسيحيين للكنيسة. فليس المسجد بيت الله المقدس الذي يتقرب فيه المؤمن من الله عن طريق وساطة الكاهن. فمن قبيل التبرك، أصبح بناء الكنيسة يرمز حرفياً، وليس معنوياً، إلى مملكة السماء التي يحكمها المسيح [عليه السلام] وإلى البيت المقدس الذي هبط من السماء إلى الأرض. وظلت الكنيسة تحمل هذا المعنى على مر العصور. . أما المسجد فقد تحرر من تلك الأفكار، وكان هدفه بسيطاً واقعياً. فالعالم كله مسجد كبير بني لله. . ولم يفرض عليه الإسلام ضرورة الصلاة في مسجد أو معبد. وعبادته ليست مرتبطة بوجود كاهن مبارك يمثل دور الوسيط بينه وبين ربّه، فكل انسان في نظره عبد لله قادر على أن يؤم المصلين في المسجد. . فالجامع هو الذي يجمع المسلمين. وهو ليس بالمكان الخاص الذي يرتفع ببركاته وقدسيته، كالكنيسة، على بقية منازل الناس ومساكنهم. ولهذا لم يهتمّ المسلمون كثيراً بمظهر المساجد الخارجي والصلاة للجميع على قدم المساواة فيقف العالم بجوار السقاء وقائد الجيش بجوار الجندي، والأمام بملابسه العادية لا يميزه

(١) نفسه، ص ٣٧٣.   (٢) نفسه، ص ٣٩٦.

شيء عن الآخــرين. . فالكـل سواسية كاسنـان المشط. وقـد كان هذا الأسـاس الديمقراطي للاسلام هو الذي جعل المساجد تتسع ولا ترتفع لتضم مزيداً من الاروقه للمؤمنـين المتسـاوين في الحقوق والواجبات. . والمسجد لا يحاول التأثير على الفرد موضوعياً أو حسّيا فهو بيت الله، والله واحد لا شريك له ولم يكن له كفواً أحد»[1].

عائشة برجت هوني

[١]

« . . الإسلام في تصوري وكما يراه أحد الأوربيين المسلمين كمثل نموذج هندسي بديع كامـل يكمل كل جزء من اجزائه بقية الاجزاء الأخرى ويكمن سرّ جماله في انسجـام هذه الاجزاء وتلاؤمها. وهذه الخاصية الإسلامية هي التي تمارس تأثيرها العميق في النفس الإنسـانية. فإذا تأملنـا تصـور الإسـلام العميق لعموم الأشياء والأهداف والدوافع والأفعال وتفسيراتها للحكمة الإسلامية فإن ذلك يثير دهشتنا. وإذا نظرت إلى أحكام الإسلام وتفصيلاته وجدت فيها خير هاد لحياة اجتماعية نظيفة تنبثق من قيم خلقية صحيحة. فالمسلم مثلاً يذكر أسم الله في مبدأ كل عمل. ومن هنا يتمّ الترابط بين حياته اليومية ودينه فتتزن الحياة وتنسجم»[2].

هـيمز[3]

[١]

« . . الحقيقة الأساسية في الإسلام هي الوحدانية، الله واحد ومحمد رسول الله، أما الشرك فقد وضع جانباً. فلا أب ولا ابن ولا فصل بين ما هو مقدس وما هو دنيوي وما هو شرقي وما هو غربي. فهناك عالم واحد ودين واحد انسانية واحدة. لهذا تجد تركيزاً شديداً على اخوة الانسان في الإسلام. وليس هذا من الامثلة التي لم تحقق بعد،

---

(١) نفسه، ص ٤٧٧ ـ ٤٧٩.
(٢) رجال ونساء أسلموا، ١/ ٦٠.
(٣) ميخائيل هيمز Heimes
انكليزي، قادته نقاط الجذب والاشعاع في الإسلام إلى انتمائه إليه بعد فترة طويلة مع انحرافات النصرانية.

بل هو حقيقة واقعة مشهودة. ولا سبيل إلى التفرقة العنصرية في ظل هذه الاخوة وسواء كانت بشرة الانسان بيضاء أو صفراء أو حمراء أو برونزية أو سوداء، فليس لذلك أدنى اعتبار أو وزن. . »[1].

[٢]

« . . المسئولية الكاملة [في الإسلام] تقع على عاتق الفرد. . دون ادنى وساطة من قسّيس بينه وبين الله. . »[2].

[٣]

«هذه بعض الأمور التي تجذبني إلى الإسلام: فهناك فكرة التوحيد بأن الله واحد لا يشبهه شيء، والاعتراف بالانبياء السابقين كموسى وعيسى [عليهم السلام] الذين جاءوا بالدين نفسه، وعدم وجود رجال الدين أو صور وهي أمور تخلق فجوة مصطنعة بين السماء والأرض، وهناك توكيد على نظام محدّد للاخلاق. . »[3].

[٤]

« . . الإسلام يعلم الناس أن من واجبهم أن يجعلوا الدنيا مكاناً أفضل لحياتهم بدلاً من أن يطالبهم بهجر الدنيا والانزواء في ركن منها وفي عيونهم الدموع. وهذا هو الجهاد الحق، ومعناه الحق ضد الأنانية والجهل والالم. فإذا قيل أن الإسلام ليس مجرد دين بل هو بالاضافة إلى ذلك نظام اجتماعي وسياسي واقتصادي هذا القول ليس انتقاداً للاسلام بل هو اعتراف بفكرة التوحيد فيه. فنحن نقرأ في القرآن الكريم أن الله حكيم عليم (له مقاليد السماوات والأرض) فكيف اذن نفصل جزءا من الحياة عن الجزء الآخر ونقول أن الدين يتعلق فقط بأزمنة وامكنة»[4].

[٥]

« . . أن الإسلام يشدني إليه ـ كذلك ـ لأنه يقدم لنا فلسفة كاملة للحياة»[5].

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ٤/ ٥٥.
(٢) نفسه، ٤/ ٥٦.
(٣) نفسه، ٤/ ٦٠.
(٤) نفسه، ٤/ ٥٩ ـ ٦٠.
(٥) نفسه، ٤/ ٦٠ ـ ٦١.

مونتكومري وات

[١]

«أن فكرة (الأمة) كما جاء بها الإسلام هي الفكرة البديعة التي لم يسبق إليها ولم تزل إلى هذا الزمن ينبوعاً لكل فيض من فيوض الايمان يدفع بالمسلمين إلى (الوحدة) في (أمة) واحدة تختفي فيها حواجز الأجناس واللغات وعصبيات النسب والسلالة. وقد تفرد الإسلام بخلق هذه الوحدة بين أتباعه فأشتملت امته على اقوام من العرب والفرس والهنود والصينيين والمغول والبربر والسود والبيض على تباعد الاقطار وتفاوت المصالح، ولم يخرج من حظيرة هذه الأمة احد لينشق عليها ويقطع الصلة بينه وبينها، بل كان المنشقّون عنها يعتقدون أنهم أقرب ممن يخالفونهم إلى تعزيز وحدتها ولمّ شملها ونفي الغرباء عنها»[1].

[٢]

«أن عقيدة الإسلام تزوّد ابناءه في كل عصر (بالصورة المحركة) التي ينظرون إليها ويترسّمونها (Dynamic Image) أي الطيف أو المثال الذي يحفز السائر إلى الحركة والتقدم ويهوّن عليه مشقّة الطريق.. وسرّ هذه القوّة في العقيدة الإسلامية أنها منحت الفرد مقياساً للحياة أرفع وأسلم من مقياس العصبية والمنعة وهو مقياس الضمير المستقل عن أصحاب السيادة، وانها ـ مع هذا الاستقلال الفردي ـ لم تترك الجماعة بغير وجهة تصمد عليها، فابدعت لها فكرة (الأمة) وحررت هذه الفكرة من ربقة العصبية وحدود الوراثة، فأصبح معنى (الأمة) قابلا للتطور مع الحوادث و(الظروف)..»[2].

---

(١) الإسلام والجماعة المتحدة، عن: العقاد، ما يقال عن الإسلام، ص ١٨٣.

(٢) نفسه، ص ١٨٤.

واجـــنر [(١)]

[١]

« . . ﴿أن الـدين عنـد الله الإسلام﴾[(٢)]، ﴿وما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيراً ونذيرا﴾[(٣)]، لقد تركت هذه الآيات العظيمة أثراً بالغاً في نفسي لأن فيها دليلاً على ذلـك الـطابـع العـالمي الـذي يتميز به الإسـلام، فضـلاً عما يمتاز به من النظم والتشريعات الأخرى، وبيانه الكامل لحقيقة سيدنا عيسى عليه السلام. فهل هناك أقـوى وأصدق من تلك التعاليم المتحررة التي توصينا باحترام كل ما جاء به جميع الرسل والانبياء؟ لا شك أن الدين الإسلامي هو دين الحق والصدق والبرهان»[(٤)].

[٢]

« . . الإسلام دين العلم ويكفي أن أول آية في القرآن أنزلت على محمد ﷺ، هي قوله تعالى: ﴿اقرأ﴾. . وهذا اتجاه فريد يصعب وجوده في تاريخ الكنائس والأديان الأخرى. ولهذا تجدني وصلت من خلال الدراسات الإسلامية وما قرأته في كتاب الله تعالى الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلّا احصاها، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصلت إلى ما ابغيه لنفسي من الاستقرار والأمان. . »[(٥)].

[٣]

« . . هل هناك اهدى من هذا الكتاب [القرآن الكريم] الذي يشتمل على حلّ لكل مشاكل الحياة بكل ما تشتمل عليه من نظم دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية؟ إن من يقف على تلك التعاليم السامية يجزم بأنها بمثابة روح الحياة ونعيمها وأنها بعينها الحقيقـة الخالدة التي لا مواربة فيها ولا التواء. ولهذا جاء اقتناعي بهذا الدين بعد الدراسة والبحث والتأمل والتفكير. . »[(٦)].

---

(١) واجـــنر م. (فيصل محمد) Wagner M. (Faisal Muhammed)
شاب هولندي، أشهر اسلامه في كانون الأول من عام ١٩٥٢، بعد دراسة مستفيضة شغلت كل وقته وتفكيره. وهو دائم الاطلاع على المؤلفات الإسلامية، كما أنه يقوم بتأليف بعض الكتب التي تفندّ اضاليل الغربيين عن الإسلام فضلاً عن المحاضرات التي يتحدث فيها عن مزايا الإسلام.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٣) سورة سبأ، الآية ٢٨.

(٤) رجال ونساء أسلموا، ٥/٣٦.

(٥) نفسه، ٥/٣٧.

(٦) نفسه، ٥/٣٧-٣٨.

هـ . ج . ولـز

[١]

«. . ناهض الإسلام مسيحية القرن السابع الفاسدة، وتقاليد المجوس الزرادشت المنحلّة . . فلا مجال هناك لانكار أن الإسلام يتميز بصفات كثيرة نبيلة»[1] .

[٢]

«هذا الالحاح على الرفق والرعاية في الحياة اليومية إنما هو واحد من فضائل الإسلام الكبرى بيد أنه ليس الفضيلة الوحيدة فيه . ويعادل هذا في الأهمية التوحيد الذي لا هوادة فيه، والذي يتجرد من كل اعتزال يهودي، وهو توحيد يدعمه القرآن الكريم . وكـان الإسـلام منـذ البداية قوي المقاومة إلى حدّ بعيد لعمليات الصقل والتفاخر اللاهوتية التي اربكت المسيحية وفرقت كلمتها وقضت على روح عيس [عليه السلام] وكان مصدر قوته الثالث في وصفه الدقيق لطرائق الصلاة والعبادة وبيانه الصريح عن المغزى المحدود العرفي للأهمية المنسوبة إلى مكة . وأقفل دون المؤمنين باب كل قربان، ولم يترك سم خياط مفتـوحـا ينفذ منه كاهن القربان في الغفران القديم إلى مسرح العقيدة الجديدة . . ولا يزال للإسلام حتى يومنا هذا فقهاء ومعلمون ووعاظ، ولكن ليس له كهنة ولا قساوسة»[2] .

[٣]

«كان [الإسلام] مليئاً بروح الرفق والسماحة والاخوة، وكان عقيدة سهلة يسيرة الفهم . . وقد وقفت ضده اليهودية وهي التي اتخذت من الرب كنزاً تكتنزه بيمينها، ثم المسيحية، وهي تتكلم وتبشر آنذاك وبلا نهاية بالتثليث والمبادىء والهرطقات التي لم يكن ليستطيع أي رجل عادي أن يميز فيها الرأس من الذنب، كما حاربته المزدكية نحلة المجـوس الزرادشيتين الذين أوحوا بصلب ماني . ولم تكن كتلة الناس الذين جاءتهم دعـوة الإسـلام وتحـديه، يهتمون إلا بشيء واحد هو أن ذلك الرب (الله) [سبحانه]، الذي كان يبشر به الرسول [ﷺ]، كان بشهادة الضمير المنطوية عليه

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية، ٣/ ٦٤٠ .　　(٢) نفسه، ٣/ ٦٤٢ .

قلوبهم، رب صلاح وبرّ وأن القبول الشريف لمبادئه وطريقته يفتح الباب على مصراعيه ـ في عالم تقلقل وخيانة وانقسامات لا تسامح فيها ـ على أخوة عظيمة متزايدة من رجال جديرين بالثقة في الأرض. . وقد أوصل محمد [ﷺ] مبادئه الجذابة إلى سويداء قلوب البشرية، دون أي رمزية مبهمة ودون أي تعتيم للهياكل ولا ترتيل للقسوس»[1].

[٤]

«يحتوي الإسلام . . الشيء الكثير من القوة والالهام. فمن خصائصه التوحيد الـذي لا هوادة فيه، وايمانــه البسيط المتحمسّ بحكم الله للنـاس. . وخلوه من التعقيدات اللاهوتية. ومن خصائصه كذلك أنه منفصل تمام الانفصال عن كاهن القرابين ومعبدها، وهو بمأمن حصين من كل انزلاق نحو القرابين الدموية. والقرآن حين يذكر طبيعة الحج إلى مكة بصورة محددة واضحة الشعائر، إنما يجعلها بمأمن من كل احتمال للنزاع في شأنها. كما أن النبي [ﷺ] اتخذ كل احتياط ليحول دون تأليهه بعد مماته. وثمة عنصر ثالث للقوة يكمن في اصرار الإسلام على أن المؤمنين جميعاً متساوون تماماً أمام الله، مهما اختلفت ألوانهم أو أصولهم أو مراكزهم. هذه هي الأمور التي جعلت الإسلام قوة فعالة في الشئون الانسانية. . »[2].

وليامز[3]

[١]

«إن هذه التقاليد [الإسلامية] تشمل مبادىء المساواة بين الارواح الانسانية أمام الله وتقرر اواصر الاخوة العالمية بين جميع المؤمنين بغير نظر إلى العنصر أو اللون، كما تقرر فريضة الدفاع عن الضعيف وحمايته ممن يجورون عليه، واغاثة المعوزين والمحرومين وبذل الحياة نفسها في سبيل الصراط المستقيم. . »[4].

---

(١) نفسه، ٣/٦٤٢ .

(٢) موجز تاريخ العالم، ص ٢٠٢ .

(٣) البروفيسور رشبروك وليامز **Rushbrook Williams**
صاحب الدراسات الواسعة في شئون الشرق الأوسط وشئون الهند والباكستان. من مؤلفاته (دولة الباكستان).

(٤) دولة الباكستان، عن العقاد : ما يقال عن الإسلام، ص ١٣٧ .

[٢]

«.. أن النظريات [الإسلامية] لا تعارض نظاماً من الأنظمة الدستورية في الأمم الـديمقـراطية، على اختلاف هذه الأنظمة في أساليب الادارة وتوزيع السلطة على طريقة الجمهوريات الرئاسية أو النيابية، وأن الحاكم لا يملك أن يستأثر بالسلطة على أي وجه من الوجوه مستنداً إلى نصوص القرآن»[١].

وود[٢]

[١]

«.. أن الإسلام يحتم على سائر الحكام أن يفعلوا كل ما يدعو إلى حسن توزيع العدل والانصاف في الحكم والتجرد من شوائب الاغراض والحظوظ الشخصية، وفي الحديث النبوي ما يدل على أن في التحليّ بهذه النعوت فخر الدين ورسوخ الملك وحفظ أمـان الأمة.. وهذا شيء معروف وراسخ في الإسلام. وهذه سيرة الخلفاء الراشدين ابي بكر وعمر وعثمان وعلي [رضي الله عنهم] فإن زهدهم بالدنيا وإعراضهم عن اعراضها دليل على أن العمل بالشرع الإسلامي يأتي بالنتائج الحسنة»[٣].

يــول[٤]

[١]

«أن بساطة الإسلام والتأثير القوي للمساجد وجدية المؤمنين المتمسكين به، هذه العوامل هي التي جذبت انتباهي منذ البداية. إلا أنني عندما عزمت على الدخول في

---

(١) نفسه، ص ١٣٨ .

(٢) السر ريشار وود R. Wood

قائد عسكري، ورجل دبلوماسي بريطاني، عمل قنصلاً لدولته في دمشق في ستينات القرن الماضي، ثم نقل إلى تونس لكي يكون وكيل بلاده السياسي هناك، كانت له صلات عديدة بعلماء المسلمين وشيوخهم.

(٣) الإسلام والاصلاح، ص ١٥ - ١٦، ١٦ - ١٧ .

(٤) عـلي يـول Ali Yol

شاب دانماركي، تعرف على الإسلام عام ١٩٧٣ خلال احدى رحلاته إلى المغرب، وبعد عدد من اللقاءات مع بعض المسلمين هناك عبر أكثر من رحلة أعلن انتماءه للاسلام، وهو الآن يعيش في كوبنهاجن العاصمة.

هذا الدين واتباع تعاليمه وجدت أسباباً أكثر عمقاً مما أكد عزمي وشدّ من ازري. فالنظرة الواقعية إلى الحياة، والمشورة الصادقة، والدعوة إلى الاحسان والرحمة والنزعة الانسانية الخيرة العريقة ـ هذه وغيرها من العوامل كانت بالنسبة لي أعظم دليل على صدق هذا الدين. . »[1].

[٢]

«جاءنا النبي محمد ﷺ بنظام ديني يصلح للتطبيق في الحياة العادية ولم يقدم لنا عقيدة عمياء تحميها قوة غيبية بالرغم من اهمالنا الذاتي، فالثقة في الإسلام عبارة عن ثقة في أننا إذا فعلنا كل شيء على أحسن وجه ممكن عندها يمكننا أن نثق فيما يأتي به الارادة الالهية»[2].

[٣]

«. . أن التسامح الواسع الأفق الذي يتسم به الإسلام في معاملة الأديان الأخرى يجعله محبّباً لدى جميع من يحبّون الحرّية. . وهذا موقف كريم بكل تأكيد حقق سبقاً كبيراً على موقف الأديان الأخرى. كما أن تحرر الإسلام الكامل وخلوّه من عبادة الأوثان يعتبر علامة واضحة على قوة العقيدة الإسلامية ونقائها التام»[3].

[٤]

«أن الاعتدال والتوسط في كل شيء هما الفكرة الأساسية للاسلام. . »[4].

[٥]

«. . عندما وقفت في المساجد الرائعة في اسطنبول، دمشق، القدس، القاهرة، الجزائر، طنجة وفارس وغيرها من المدن احسست بشعور قوي بمدى الرفعة التي يحققها الإسلام للبشر دون الاستعانة بأي زخارف أو صور أو تماثيل أو موسيقى أو مراسم وتراتيل. فالمسجد عبارة عن مكان للتأمل الهادىء وانكار الذات أمام الحقيقة

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ٤/١٢٧.
(٢) نفسه، ٤/١٢٧.
(٣) نفسه، ٤/١٢٧ـ١٢٨.
(٤) نفسه، ٤/١٢٨.

الأولى وهي الله الواحد. . والمسلم لا يقبل وساطة أي انسان بينه وبين ربه مهما كان ذلك الانسان»[1].

يونغ[2]

[١]

«. . أن الإسلام قد أسهم بصفة فعالة في تقدم الجماعة الإنسانية، وقد استبدل بالنظام القبلي الذي ورثه ـ والذي يقوم على رابطة الدم ـ نظام الجماعة المشتركة في العقيدة والتي يقوم ترابطها الاجتماعية على أساس من الأخوة والمساواة. . »[3].

[٢]

«أن النظرية القانونية الإسلامية وما جرى عليه العمل في صدر الإسلام يستمد قاعدة الوحدة والنظام من الله لا من (المدينة) ولا من الدولة والمسلم إلى اليوم يحسّ احساساً واضحاً بحكم الله في الحياة اليومية. . »[4].

[٣]

«. . الإسلام يختلف عن المسيحية الرومانية في أنه لا يتخذ لنفسه نظم الكنيسة والقسيسين والقرابين. ولقد تبدو البروتستانتية الخالصة ديناً كهنوتياً إذا وازناها بالإسلام الذي يحرص على التوحيد الخالص والذي لا يحتمل أي تدخل بين الإنسان وخالقه»[5].

---

(١) نفسه، ٤/١٢٨ .

(٢) كويلر يونغ Prof. T. Guyler Young
أستاذ العلاقات الأجنبية بجامعة برنستون، ورئيس قسم اللغات والآداب الشرقية بها، كان مساعد أستاذ اللغات السامية بجامعة تورنتو. من أهم مؤلفاته : Near Eastern Culture and Society, 1951 .

(٣) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، ٢٤٢ ـ ٢٤٣ . (٤) نفسه، ص ٢٤٣ .

(٥) نفسه، ص ٢٤٣ .

[٤]

«. . أن المسلم [يملك] المقـدرة على استعمال طريقة التجربة في كل الاوضاع الممكنة لنموذج ما، ليأخذ من الحياة اقصى ما تستطيع أن تعطيه. . »[١].

يـونـغ[٢]

[١]

«لقد كان ظهور الإسلام في الجزيرة العربية خيراً عظيماً ساقه الله إلى العرب قاطبة. ولكنه لم يشكل انفصالاً عن ماضي هذه الجزيرة. لقد غير في ثقافة معاصريه بشكل فوري، ولكنه لم يطمس تماماً تلك الثقافة»[٣].

[٢]

«فجر الإسلام في العرب طاقات حماس كامنة، وجدت متنفسها في اقامة احدى الامبراطوريات العظمى في العالم»[٤].

[٣]

«بدأ القانون كتطبيق عملي للدين وللعلاقات الاجتماعية التي سنها النبي محمد [ﷺ]، وهي لا تفرق بين موضوعي الدين والدنيا، ودراسة القانون عند المسلمين تعرف بالفقه (حرفياً: الفهم). وتعتمد هذه الدراسة أساساً على القرآن، ثم الحديث (كلام النبي محمد [ﷺ] وافعاله) ويصف السير هاملتون جب[٥] بنيان هذا القانون بأنه (أحد الأبحاث الفذة للفكر البشري). . »[٦].

---

(١) نفسه، ص ٢٥٧.

(٢) د. لويس يونغ Lewis Young
باحث انكليزي، معاصر، وأستاذ جامعي، له العديد من المؤلفات والأبحاث، أبرزها كتاب: (العرب وأوروبا).

(٣) العرب وأوروبا، ص ٢٩ ـ ٣٠.

(٤) نفسه، ص ٣٢.

(٥) Mohammedanism, P. 90 (London, 1953).

(٦) العرب وأوروبا، ص ٣٧ ـ ٣٨.

الفصل الرابـع

أنتشار الاسلام ومعاملة غير المسلمين

«كـان المثل الاعلى الذي يهدف إلى أخوة المؤمنين كافـة في الإسـلام، من العـوامل القوية التي جذبت الناس بقوة نحو هذه العقيدة».

المؤرخ البريطاني توماس ارنولد

سير توماس ارنولد

[١]

«أن الذي دفع المسلمين إلى أن يحملوا رسالة الإسلام معهم إلى شعوب البلاد التي دخلوها، وجعلهم ينشدون لدينهم بحق مكانا بين ما نسميه أديان الرسالة لهي حماسة من ذلك النوع، من أجل صدق عقيدتهم. وليس موضوع هذا الكتاب: (الدعوة إلى الإسلام)، إلا صورة من تاريخ ظهور هذه الحماسة في تبليغ الدعوة ودواعي والوان نشاطها. وأن انتشار مائتي مليون من المسلمين في الوقت الحاضر[١] لهو الشاهد على ما كان لهذه الحماسة من أثر خلال الثلاثة عشر قرنا التي تلت ظهور الإسلام»[٢].

[٢]

«يرجع انتشار هذا الدين في تلك الرقعة الفسيحة من الأرض إلى أسباب شتى: اجتماعية وسياسية ودينية، على أن هنالك عاملاً من أقوى العوامل الفعالة التي أدت إلى هذه النتيجة العظيمة، تلك هي الأعمال المطردة التي قام بها دعاة المسلمين، وقفوا حياتهم على الدعوة إلى الإسلام، متخذين من هدى الرسول [ﷺ] مثلاً أعلى وقدوة صالحة»[٣].

[٣]

«.. أن ما احرزته سيوف المسلمين من نجاح واسع النطاق، منقطع النظير، قد زعزع عقيدة الشعوب المسيحية التي أصبحت تحت حكمهم، ورأت أن هذه الفتوح قد تمت بعون من الله، وأن المسلمين قد جمعوا بين النعيم في الدنيا وبين التوفيق الالهي، وأن [الله] لم يجعل النصر إلاّ في ايدي عباده المختارين. وهكذا ظهر نجاح المسلمين دليلاً على صدق دينهم»[٤].

---

(١) كان ذلك زمن تأليف توماس ارنولد لكتابة (الدعوة إلى الإسلام) في أواخر القرن الماضي، أما الآن فقد زاد هذا العدد إلى أربعة، وربما، خمسة اضعافه.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٥ .

(٣) نفسه، ص ٢٧ .

(٤) الدعوة إلى الإسلام، ص ٩٤ .

[٤]

«كـان المثل الأعلى الذي يهدف إلى اخوة المؤمنين كافة في الإسلام من العوامل القوية التي جذبت الناس بقوة نحو هذه العقيدة. .»[١].

[٥]

«. . لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لارغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي. ولو اختار الخلفاء تنفيذ احدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي اقصى بها فرود وايزابـلا دين الإسـلام من أسبـانيا، أو التي جعـل بها لويس الرابع عشر المذهب البروتستانتي مذهباً يعاقب عليه متّبعوه في فرنسا أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين عن انكلترا مدة خمسين وثلاثمائة سنة. وكانت الكنائس الشرقية في آسيا قد انعزلت انعزالاً تاماً عن سائر العالم المسيحي الذي لم يوجد في جميع انحائه أحد يقف إلى جانبهم باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين. ولهذا فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن ليحمـل في طياتـه الدليل القوي على ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من تسامح نحوهم»[٢].

الدومييـلي[٣]

[١]

«في عصر الانحطاط العميق بالبلدان التي كانت من قبل تعد قسماً من امبراطورية دقلديانوس القديمة، نهض فجأة في قلب الصحاري العربية خصم من الخصوم تابع

---

(١) نفسه، ص ٩٤.   (٢) نفسه، ص ٩٨ ـ ٩٩.

(٣) الـدومييـلي A. Mieli

مستشرق فرنسي، تفرغ لتاريخ العلوم. تولى وكالة المجمع الدولي لتاريخ العلوم وأسس مجلة (اركيون) التي تسجل نشاطه.

من آثاره: (تاريخ العلوم) (باريس ١٩٣٥)، (العلم العربي وأثره في التطوير العلمي العالمي) (١٩٣٨)، (علم الفلك في العالم الإسلامي) (١٩٤١)، علم النبات عند العرب) (١٩٤١)، (علم الجغرافيين العرب) (٤١)، (العلم الإسلامي) (١٩٤٢)، (الرياضيات العربية) (١٩٤٢)، (التشريح العربي) (١٩٤٢). وغيرها.

تلك الامبراطوية العجوز المترنحة، كما هو من الدّ خصوم الممالك الجديدة التي كانت ناشئة في الغرب. وظل هذا الخصم يزداد عظمة في مرأى العين، كما لو كانت عناية الله الدائمة هي التي تقود عساكره المخلصين إلى الجهاد والنصر المبين، حتى تلى فتح سورية ومصر بعـد قليل تقوّض امبراطورية الساسانيين، وأصبح اخلاء قسطنطين ـ الذين اقتطعت منهم فعلاً أقاليم كثيرة ـ مهددين بمثل ذلك المصير»[1].

[٢]

« . . بباعث من تلك الدوافع القوية التي تشمل احياناً جميع الناس، وتكاد تبدو متعذرة الفهم للمراقب الخارج عن دائرتها أو الذي لم يشهد مثلها من قبل، فاض أولئـك العرب. . من شبه الجزيرة، التي هي موطنهم الأول فأسسوا الإسلام، أو أقاموا سلطان الاسلام على قسم عظيم من العالم المتحضر القديم، تحدوهم رغبة جدّ عنيفة في الدعوة الدينية. . »[2]

[٣]

« . . أن السكـان الساميين في سوريا ومصر، الذين قاسوا كل صنوف الضغط والهول ـ على الأخص بسبب الضرائب ـ من قبل الحكومات الاجنبية التابعة للدولة البيزنطية أو المملكة الساسانية، لم يستطيعوا أن يروا في العرب إلا محررين مخلصين، كما أن المسيحيين القائلين بوحدة الطبيعة (طبيعة المسيح) [عليه السلام] في الشرق استطاعوا أن يعتمدوا على التسامح الإسلامي، بعد أن كانوا يخشون الاضطهاد من قبل نصارى القسطنطينية. . »[3].

[٤]

« . . كانت شروط الفتح الإسلامي تسمح ببقاء بذور الحضارات [القديمة] عند طوائف كبيرة من الاهالي، الذين واصلوا التمتع بعاداتهم، وقوانينهم، ولغاتهم، على شريطة أن يعطوا بانتظام قيم الجزية المفروضة على من لا يدخل في جماعة المسلمين.

---

(١) العلم عند العرب، ص ٧٤ . (٢) نفسه، ص ٧٥ .

(٣) نفسه، ص ٨١ .

وكان طبيعياً مع ذلك أن تتأسس الروابط والعلاقات بين الفاتحين وأهل البلاد في وقت مبكر، سواء أكان ذلك بسبب الجوار، أم بسبب اعتناق الأهالي كثيراً أو قليلاً للاسلام بوجه خاص . . »(١).

«التسامح العظيم الذي تحلى به الخلفاء الأمويون، وملوك الطوائف . . لم يمتد لواؤه على ما حكموه من شعوب، أو على المسلمين القادمين من افريقية والمشرق فحسب، بل انبسط ظله أيضاً على العلماء المسيحيين الذين أقبلوا مهطعين من أبعد الاقطار لتلقي العلوم في المدن المزدهرة التي لا تحصى، في ذلك القطر الساحر [الأندلس] الآخذ بمجامع الألباب»(٢).

اندرسن(٣)

[١]

«لقد تكررت ملاحظة الآثار العميقة التي احدثها مجيء الإسلام في حياة الزنوج في افريقيا وفي ثقافتهم . وهكذا يذهب (ميك) إلى حد القول: أنه (يعني الإسلام) لم يؤدّ إلى تغييرات عميقة في التركيب الجنسي لهذه الشعوب فحسب، وإنما اتى معه بحضارة جديدة، اعطت الاجناس الزنجية المولدة الطابع الثقافي المميز الذي يحملونه اليوم ومازال مسيطراً على حياتهم السياسية ومؤسساتهم الاجتماعية . . ان الإسلام جاء بالحضارة إلى القبائل البربرية (الهمجية) وحول جماعات منفصلة من الوثنيين إلى أمم أنه جعل الخطوة مع العالم الخارجي ممكنة، انه وسع النظر، ورفع مستوى المعيشة بانشائه جواً اجتماعياً راقياً، واسبغ على اتباعه الوقار، واحترام النفس، واحترام الناس. أن الإسلام أدخل فن القراءة والكتابة، وبفضله تم تحريم تعاطي المسكرات . . والثأر والعادات البربرية الاخرى وجعل من الزنجي السوداني مواطناً عالمياً»(٤).

---

(١) نفسه، ص ١٢٣ .   (٢) نفسه، ص ٤٥٤ .

(٣) ج . ن . د . اندرسن   S. N. D. Anderson

مستشرق بريطاني. من آثاره: (الشرع والفقه الإسلامي)، (صحيح القانون المقارن، ١٩٤٩)، و(جريمة القتل في الإسلام، ١٩٥١). وغيرها.

(٤) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (تحرير كرونباوم)، ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦ عن:

C. K. Meek: the Notyhern Tribes of Nigeria I/I, 4, 5 (London, 1925).

[٢]

«هناك مدارس في كل بلدة مسلمة [في نيجيريا الشمالية] يقوم بها المعلمون (المالام) خاصة فيرسل الوالدون أطفالهم في سن مبكرة جداً. . وفي المراكز الكبرى يحضر الاطفال إلى الصف ساعة في الصباح وساعة في المساء «الاناث يتلقين التعليم ايضاً. .»[1].

بارتولد[2]

[١]

«كانت في بلاد الخلافة الممتدة من رأس سان فنسنت الواقعة جنوبي البرتغال إلى سمرقند مؤسسات مسيحية غنية، قد حافظت على أملاكها غير المنقولة الموقوفة عليها. وكان نصارى بلاد الخلافة يتعاملون مع عالم النصرانية بدون مشقة، ويتمكنون من أن يتلقوا منهم اعانات لمؤسساتهم الدينية وكان في المؤتمر الديني الذي انعقد في القسطنطينية سنة ٦٨٠ ـ ٦٨١م مندوب من القدس أيضاً. ثم أن المسيحيين المقيمين ببلاد الخلافة كانوا مرتبطين بعضهم ببعض ارتباطاً وثيقاً. .»[3].

[٢]

«انتشر الدين الإسلامي في القرن الرابع للهجرة في قبائل الترك الرحل وفي بعض مدن التركستان الصينية بواسطة التجارة وبدون استخدام أي سلاح فكان الأتراك الذين استولوا على البلاد الإسلامية في القرن الرابع الهجري مسلمين»[4].

---

(١) نفسه، ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨، عن المرجع السابق ٢/ ٨.

(٢) ق بارتولد (١٨٧٩ ـ ١٩٣٠) **V. Barghold**

تخرج من جامعة بطرسبرغ (١٨٩١)، وعين أستاذ لتاريخ الشرق الإسلامي فيها (١٩٠١)، فكان أول من درس تاريخ آسيا الوسطى. وعني بالشرق الإسلامي وحقق المصادر العربية المتعلقة به وتخرج عليه عدد من المستشرقين. وقد انتخب عضواً في مجمع العلوم الروسي (١٩١٢) ورئيساً دائماً للجنة المستشرقين فيه بعد الثورة البلشفية حتى وفاته.

تربو آثاره على الاربعمائة، أشهرها: (تركستان عند غزو المغول لها) في مجلدين (١٨٩٨ ـ ١٩٠٩)، (تاريخ دراسة الشرق في أوروبا وآسيا) (١٩١١)، (حضارة الإسلام) (١٩١٨)، (تاريخ تركستان) (١٩٢٢)، (مغول الهند) (١٩٢٨)، (تاريخ اتراك آسيا الوسطى) (١٩٣٤). وغيرها.

(٣) تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٥٤. (٣) نفسه، ص ١٢٢.

بروفنسال[1]

[١]

«أن الهدف الذي نبتغيه هو القاء الضوء على تداخل Interpenetration الإسلام والمسيحية في شبه الجزيرة الايبيرية وهو تداخل حقيقي مستمر في اسبانيا في العصور الوسيطة سواء في داخل الحدود الإسلامية أم في خارجها. وكذلك هو في أن نظهر الأندلس على أنها لم تكن حتى في ذات الوقت الذي تعرف بأنها لا تقهر، لتمتشق الحسام في وجه جيرانها، وإنما كانت هناك سنوات طويلة لهدنات حقيقية أعطت الأندلس خلالها أكثر مما أخذت، كما برهنت في أغلب الأحيان على عقل متسامح ازاء رعاياها المسيحيين لم يعد أحد يماري فيه اليوم»[2].

[٢]

«ما من مكان كانت العلاقات الدائمة ضرورية فيه بين الإسلام والمسيحية، أكثر منها في أسبانيا العربية، فإن معظم سكانها قد احتفظوا، على الأقل في القرن الأول من حكم الإسلام، بالديانة القديمة في دولة الفيزيقوت [القوات الغربيون]، وفيما بعد، حتى عقب اعتناق اعداد غفيرة من الرعايا النصارى أهل الذمة للإسلام، للاستفادة من نظام مالي أفضل، بقيت نسبة ضخمة من الرعايا المسيحيين تشكل في المدن الأندلسية وحدات مزدهرة، لها كنائسها واديرتها ورئيسها المسؤول (Depensar) وجابيها الخاص (Censor) وقاضيها الذي يطبق في محكمته، تحت اشراف الادارة

---

(١) ليفي بروفنسال (١٨٩٤ - ١٩٥٦) F. Lévi - Proven Cal
ولد في الجزائر ونال الليسانس من كلية الآداب فيها (١٩١٣) واشترك في الحرب. وفي سنة ١٩١٩ انتدب للعمل في معهد الدراسات العليا المغربية في الرباط، وعين أستاذاً فيه (١٩٢٠)، ثم مديراً له (١٩٢٦ - ١٩٣٥) وفي تلك الأثناء قدم رسالة دكتوراه. وفي سنة ١٩٢٨ انتدبته كلية الآداب بالجزائر أستاذ لتاريخ العرب والحضارة الإسلامية. كما كان يحاضر في السوربون. وتقلب في الوظائف العلمية والادارية والسياسية، وشارك في الحرب الثانية، وانشأ مجلة ارابيكا Arabica للدراسات العربية عام ١٩٥٤. وقد عد المرجع الأول في الغرب لتاريخ الأندلس، وانتخب عضواً في عدد من المجامع العلمية.
كتب المئات من الأبحاث والدراسات، نشر بعضها في مصنّفات مستقلة، ونشر بعضها الآخر في أشهر المجلات والحوليات الاستشراقية، وانصبّ معظمها على تاريخ وحضارة المغرب والأندلس.

(٢) حضارة العرب في الأندلس، ص ٧٠ - ٧١.

الأموية، القانون القوطي القديم من Liber Judicrum أما الاضطهادات التي عانتها فقد كان يسببها دوماً مسيحيون متهوّسون يرفضون ان يتراجعوا عن القدح في معتقد سادة البلاد. . وكان أمراء الأندلس وخلفاؤها يقرون بصورة دائمة تقريباً اختيار أصحاب الرتب الكهنوتية: مطران طليطلة واسقف قرطبة. حتى أنهم كانوا يستعملون هؤلاء الاحبار في سفارات أو مهمات سياسية سرية في الوقت المناسب. فلم تكن رؤية الايكليريكيين الأسبان يتضلعون في معرفة اللغة العربية وأدابها من الأمور النادرة مطلقاً. وهذا ما يجعلنا نفترض وجود اختلاط ودّي، واثق ومتصل بين مختلف عناصر السكان. بل نملك على هذه الناحية شهادة معاصرة لا نستطيع الارتياب في قيمتها، ذلك لأنها صادرة عن واحد من أنشط أبطال المقاومة ضد الإسلام في شبه الجزيرة في القرن التاسع الا وهو الفار والقرطبي Le Cardouan Alvaro . فبينما يحزن لفتور مسيحي أسبانيا وجهلهم بالاتينية، نراه يمجد بفصاحة نادرة الثقافة الإسلامية الأسبانية التي كانت في طور التكوين. . »[1]

ادوار بـروي

[١]

«بين أوروبا الغربية الآخذة مدنيتها بالقهقرى، وبين العالم الآسيوي الذي يستجمع بعد نشاطه ويسترجع عافيته. . ظهر الإسلام كالشهاب الساطع، فحيّر بفتوحاته السريعة القاصمة، وباتساع رقعة الامبراطورية الجديدة التي أنشأناها نحن أمام شعب كان للأمس الغابر مجهول الاسم، مغمور الذكر، فإذا به يتحدّ ويتضامّ في بوتقة الاسلام، هذا الدين الجديد الذي أنطلق من الجزيرة العربية اكتسحت جيوشه ببضع سنوات، الدولة الساسانية وهدت منها الاركان، ورفرفت بنوده فوق الولايات التابعة للامبراطورية البيزنطية في آسيا وافريقيا ولم تلبث جيوشه أن استولت بعد قليل، على معظم أسبانيا وصقلية، وان تقتطع لأمد من الزمن، يقصر أو يطول، بعض المقاطعات الواقعة في غربي أروربا وجنوبها ودقت جيوشه بعنف شديد أبواب الهند والصين والحبشة والسودان الغربي وهددت فرنسا والقسطنطينية. . وقد تهاوت

(١) نفسه، ص ٧١ ـ ٧٢ .

الدول أمام الدفع العربي الإسلامي كالأكر، وتدحرجت التيجان عن رؤوس الملوك كحبات سبحة انفرط عقدها النظيم وذابت الأديان التي سيطرت على الشعوب والاقوام كما يذوب الشمع أمام النار بعد أن اطلّ على الدنيا دين جديد . . »[1] .

[٢]

«قلما عرف التاريخ والحق يقال، فتوحات كان لها، في المدى القريب، على الأهلين، مثل هذا النزر الصغير من الاضطراب يحدثه الفتح العربي لهذه الأقطار فمن لم يكن عربياً من الأهلين لم يشعر بأي اضطهاد قط. فاليهود والنصارى الذين هم أيضاً من أهل الكتاب، حق لهم أن يتمتعوا بالتساهل وأن لا يضاموا. وكان لا بدّ من الوقوف هذا الموقف نفسه من الزرادشتية والبوذية والصابئة . . وغيرها من الملل والنحل الاخرى. والمطلوب من هؤلاء السكان أن يظهروا الولاء للاسلام ويعترفو بسيادته وسلطانه، وأن يؤدوا له الرسوم المترتبة على أهل الذمة تأديتها . . وفي نطاق هذه التحفظات التي لم يكن لتؤثر كثيراً على الحياة العادية، تمتع الزمن بكافة حرياتهم . . »[2] .

[٣]

«انتظمت العلاقات بين الدولة وسكان البلاد الأصليين بسهولة كلية وفقاً لروح القانون المعمول به في البلاد . . وبقيت كل ملة أو طائفة محتفظة بقانونها الخاص وبالموظفين الذين يسهرون على الشؤون الدينية عندها باستثناء ما كان منها تابعاً للحق العام . . ونلاحظ تطوراً ملحوظاً يطرأ على وضع النصارى بعد أن أحتفظت بيعهم بجانب من ممارسة العدالة في الامم الخاصة . . وهكذا برز البطاركه والاساقفه، الرؤساء الاعلين لطوائفهم تعلو سلطتهم سلطة الموظفين الاداريين المحليين، حتى أن اليهود أنفسهم لم يجدوا بأساً في الاحتفاظ برؤسائهم الدينيين وبربابنتهم وبحاخامهم الأكبر»[3] .

---

(١) تاريخ الحضارات العام، ٣/١٠٩ .

(٢) نفسه، ٣/١١٦ .

(٣) نفسه، ٣/١١٦ .

[٤]

« . . انتشرت، حوالى السنة ١٠٠٠م، عادة القيام بالحج، تزايد السفر إلى الأرض المقدسة لأنه اعتبر أعظم الممارسات [النصرانية] نفعاً للخلاص الابدي، وقلما ضايقه العرب، الذين كانوا متساهلين جدا، كما يبدو من جهة ثانية أن الغزو التركي لم يجعل الدخول إلى معابد فلسطين أكثر صعوبة إلا أن فرسان الغرب، وقد تمكنت منهم فكرة الحرب المقدسة، أخذوا في النصف الثاني من القرن الحادي عشر، يؤدون فريضة الحج جماعات صغيرة مسلحة كما أخذوا بعد عودتهم يبسطون شعورهم بأن الفتح ليس أمراً مستحيلا . . وجاء الاندماج التركي أخيراً يهدد بيزنطية آنذاك تهديداً جديا خطيراً، ففكر الغرب بوجوب وقاية المسيحية من جهة الشرق . . »[١].

[٥]

« . . مما لا بدّ من التنويه به عالياً أن هؤلاء السلاطين [العثمانيين] لم يظهروا أي تحرج أو تعصب تجاه المسيحيين، في وقت وزما كان فيه ديوان التفتيش يبطش بالناس بطشاً وينزل بهم الهلع . . وفي عهد كان اليهود والمسلمون يطردون، دونما رحمة أو شفقة، من أسبانيا . . وبالرغم من اسكان عدد كبير من الجاليات الإسلامية في البلقان، واعتناق بعض الجماعات البلقانية الإسلام فلم يأت العثمانيون شيئاً مهماً ليمنعوا السواد الأكبر من سكان البلاد البلقانية من الاحتفاظ بنصرانيتهم . . »[٢].

مارسيل بوازار

[١]

«لقد أظهرت الرسالة القرآنية وتعاليم النبي [ﷺ] أنها تقدمية بشكل جوهري، وتفسّر هذه الخصائص انتشار الإسلام السريع بصورة خارقة خلال القرون الأولى من تاريخه»[٣].

---

(١) نفسه، ٣/٣١٢ .
(٢) نفسه، ٣/٥٨٩ ـ ٥٩٠ .
(٣) انسانية الإسلام، ص ٧٤ .

[٢]

«فتح الإسلام الباب للتعايش على الصعيد الاجتماعي والعرقي حين اعترف بصدق الرسالات الالهية المنزلة من قبل على بعض الشعوب. . لكنه بدا أنه يرفض الحوار في الوقت ذاته على الصعيد اللاهوتي حين. . ازال من العقيدة كل ما اعتبر زيفاً مخالفاً للتوحيد بالمعنى الدقيق للكلمة. وأتاح منطق تعاليمه القوي وبساطة عقيدته وما يرافقها من تسامح، أتاح كل هذا للشعوب التي فتح بلادها حرية دينية تفوق بكثير تلك التي اتاحتها الدول المسيحية نفسها. .»[١].

[٣]

«. . لقد تألفت (أمم) من نوع معين، واتحدت، وخضعت لنظامها الديني الخاص وانخرطت في البنية الاجتماعية الفوقية للمجتمع الإسلامي الذي يحميها»[٢].

[٤]

«. . حاول الإسلام منذ القرن السابع للميلاد أن يقدم حلاً لمشكلة الاقليات فريداً في نوعه. وتستحق جماعة غير المسلمين على أرض الإسلام أن تتناول بالتحليل، لأنه ثبت أنها نهج لا مثيل له، في الوقت الذي كان فيه الغرب على اهبة الخروج من العصور الوسطى وادراك ضرورة وضع الأنظمة المحدودة للعلاقات مع الغرباء»[٣].

«. . منذ بدء الفتح العربي الإسلامي، كان المحاربون المسلمون قد فرضوا على أنفسهم روحا من التسامح مع غير المسلمين ومع الشعوب المغلوبة. وفي زمن لم يكن فيه العنف يعرف شرعا ولا عاطفة، اصدر أبو بكر [رضي الله عنه]: أول خليفة للنبي [ﷺ] إلى جنوده التعليمات المشهورة المرنة كثيراً التي تختصر الروح الخلقي للقانون الإسلامي. .»[٤].

---

(١) نفسه، ص ١٨٤ .
(٢) نفسه، ص ١٨٦ .
(٣) نفسه، ص ١٨٧ .
(٤) نفسه، ص ٢٧٨ .

ترند[1]

[١]

« . . في القرن العاشر [الميلادي] تردّى معظم أوروبا في همجية ووحشية مريعة، على حين أن المسلمين في أسبانيا ضربوا مثلاً رائعاً بما كفلوه لغيرهم من ذوي العقائد المخالفة لمذهبهم من سعة العيش والتسامح . . »[2].

[٢]

«آثر الغزاة المسلمون أن يشتروا من السكان المسيحيين بقرطبة جانباً من الكاتدرائية القديمة. ورأوا أن ذلك خير لهم من أخذها عنوة واغتصابا، وهذا شاهد ينطق بما اشتهروا به من التسامح مع أصحاب العقائد المخالفة لعقيدتهم»[3].

[٣]

« . . أن العرب المتنصرين التعساء المعروفين بالموريسكو Moriscos لقوا من المسيحيين من المعاملة السيئة مالا يقابله إلّا ما لقيه المسيحيون من المسلمين من التسامح في مرحلة سابقة من تاريخ أسبانيا الإسلامية والمسئول عن كل ذلك الأمر من بدايته إلى نهايته هم رجال الكنيسة . . »[4].

---

(١) **جون براند ترند (١٨٨٧ ـ ١٩٥٨)** **J. Brand Trend**
رائد من رواد تاريخ أسبانيا. أستاذ في جامعة كمبردج. قام بعدة رحلات في أسبانيا والبرتغال ومراكش ومكسيكو واشتغل في معهد الدراسات الشرقية بلندن.
من آثاره: (صورة لأسبانيا الحديثة) (١٩٢١)، (موسيقى تاريخ أسبانيا) (١٩٢٥)، (لغة اسبانيا وتاريخها) (١٩٥٣)، وكثير من الكتب الأخرى في هذا المجال.

(٢) تاريخ العالم (نشره السير جون. أ. هامرتن)، المجلد الخامس، ص ٢٩ .

(٣) نفسه، ٥/٧٣٧ .

(٤) نفسه، ٥/٧٥٥ .

تريتون[1]

[١]

«أما النواحي الشرقية القصوى من الدولة الإسلامية فان الشعوب المحكومة كانت تعامل معاملة تنطوي على مثل هذا العطف [الذي حظيت به في النواحي الأخرى]. . »[2].

[٢]

«ولما تدانى اجل (عمر بن الخطاب) أوصى من بعده وعو على فراش الموت بقوله: (أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرا، وان يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، والاّ يكلفهم فوق طاقتهم)[3] وفي الاخبار النصرانية شهادة تؤيد هذا القول، وهي شهادة (عيشويابه) الذي تولى كرسي البطريركية من سنة ٦٤٧ إلى ٦٥٧م إذ كتب يقول: (أن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون، أنهم ليسوا بأعداء للنصرانية بل يمتدحون ملتّنا ويوقرون قسيسينا وقدّيسينا، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا واديرتنا). والظاهر أن الاتفاق الذي تم بين (عيشويابه) وبين العرب كان من صالح النصارى، فقد نصّ على وجوب حمايتهم من اعدائهم، والا يحملوا قسراً على الحرب من اجل العرب، وألاّ يؤذوا من اجل الاحتفاظ بعاداتهم وممارسة شعائرهم، وألا تزيد الجزيرة المجباة من الفقير على أربعة دراهم، وأن يؤخذ من التاجر والغني اثنا عشر درهما، وإذا كانت أمة نصرانية في خدمة مسلم فإنه لا يحق لسيدها أن يجبرها على ترك دينها أو اهمال صلاتها والتخلي عن صيامها»[4].

---

(١) آرثر ستانلي تريتون A. S. Tritton

ولد عام ١٨٨١ وتعلم في عدد من الكليات البريطانية وعين مساعد أستاذ للعربية في ادنبرا (١٩١١) وكلاسكو (١٩١٩) وأستاذ في عليكرة في الهند (١٩٢١) ومدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بلندن (١٩٣١ ـ ٣٨ ـ ٤٧) وقد وجه جل اهتمامه إلى الفقه وطوّف في عدد من البلدان العربية.

من آثاره: (ائمة الزيدية بصنعاء واليمن) (١٩٢٥)، (الخلفاء ورعاياهم من غير المسلمين) (١٩٣٠)، (علم الكلام في الإسلام) (١٩٤٧)، الإسلام ايمان وشعائر) (١٩٥٠)، (مواد في التربية الإسلامية) (١٩٥٧). كما نشر عدداً من الأبحاث في المجلات الاستشراقية وبخاصة (مجلة الجمعية الملكية الآسيوية).

(٢) أهل الذمة في الإسلام، ص ٤٣.

(٣) يحيى بن آدم: كتاب الخراج، ص ٥٤.

(٤) أهل الذمة في الإسلام، ص ١٥٨ ـ ١٥٩.

[٣]

«كان العرب في أيامهم الأولى يلتزمون جادة الصبر والأناة، إذ كثيراً ما نقرأ عن مدن استسلمت بشروط، ثم ثارت وتمردت على العرب، ثم استسلمت مرة اخرى فاعادوا لها عهودها الأولى»[١].

[٤]

«ومن الأدلة الطيبة على ما كانت تسترشد به الحكومة الإسلامية في معاملتها الذميين ما جاء في الأمر الذي وجد بين أوراق البردي اليونانية المحفوظة في (المتحف البريطاني)، وعلى الرغم من فساد قسم منه فقد جاء في الباقي «خوفاً من الله، وحفظاً للعدالة والحق في توزيع القدر المفروض عليهم.. ولكن تجب معاملة الجميع بالعدل، واخذ الشيء من كل منهم بقدر طاقته..»[٢].

ارنولد توينبي

[١]

«في القرن السابع الميلادي حرّر العرب المسلمون سلسلة من الدول الشرقية من سطوة اغريقية ـ رومانية مسيحية: من سوريا شرقاً إلى أسبانيا غرباً عبر شمال أفريقيا، وكانت هذه الدول تحت حكم يوناني أو روماني مدة ألف عام تقريباً. بعد ذلك، وبالتحديد ما بين القرنين الحادي عشر والسادس عشر [الميلاديين] استمر الفتح الإسلامي متدرجا فشمل تقريباً جميع بلاد الهند وانتشر الإسلام بصورة سليمة في مناطق أبعد وأوسع، في اندونيسيا والصين شرقاً، وفي أفريقيا الاستوائية شرقاً وجنوباً، وكذلك روسيا خضعت، وقتياً، في أواخر القرون الوسطى الذين دخلوا في الإسلام، وكل ما تبقى من العالم المسيحي الارثوذكسي الشرقي في آسيا الوسطى وجنوب شرقي أوروبا خضع في القرنين الرابع والخامس عشر [الميلاديين لحكم المسلمين العثمانيين، وحاصر الاتراك فينا للمرة الثانية في أواخر القرن السابع عشر (١٦٨٢ ـ ١٦٨٣م)،

---

(١) نفسه، ص ١٦٠.   (٢) نفسه، ص ١٦٣ ـ ١٦٤.

ورغماً عن أن فشل هذا الحصار ارّخ بداية تحول في التيار لمصلحة الغرب وسواجهته للدولة العثمانية الغازية، فقد بقي علم (الهلال) يرفرف فوق السواحل الشرقية (لبحر الادرياتيك) مقابل (كعب) ايطاليا حتى عام ١٩١٢م»[1].

[٢]

«. . أصبحت يثرب بعد انقضاء ثلاثين سنة على الهجرة، عاصمة امبراطورية شملت لا مجرد الممتلكات الرومانية في سوريا ومصر، بل ضمت كذلك أملاك الامبراطورية الساسانية بأسرها. . وتستمد يثرب حقها في بقائها مقر الحكومة إلى كونها النواة التي انبثقت منها امبراطورية العالم العربي في اندفاع جارف يوحي حقاً بأنه من الافعال الربانية. . »[2].

[٣]

«ثمة حالة. . نابهة الذكر لهذا التسامح المنشود، يفرضها نبيٌّ على أتباعه وهو في موضعه الجليل. فإن محمد [ﷺ] قد أمر أتباعه بالتسامح الديني تجاه اليهود والمسيحيين الذين خضعوا سياسياً للحكم الإسلامي. فقدم محمد [ﷺ] بذلك لقاعدة التسامح، تفسيراً قوامه أن افراد هاتين الجماعتين الدينيتين غير المسلمتين، هم أهل كتاب كالمسلمين أنفسهم. وليس أدل على روح التسامح التي بعثت الحياة في الإسلام منذ بدايته، من أن المسلمين قد طبقوا مبدأ التسامح الديني على أتباع زرادشت الذي خضعوا للحكم الإسلامي وأن لم يقل بذلك الرسول الكريم نفسه»[3].

[٤]

«. . لم يكن الاختيار بين الإسلام أو القتل، ولكن بين الإسلام أو الحرية وتلك سياسة مستنيرة، اجمعت الآراء على امتداحها. . لقد [سلك] الإسلام طريقة بين

---

(١) الإسلام والغرب والمستقبل، ص ١٦ ـ ١٧ . (٢) مختصر دراسة التاريخ، ٣/٧٣ ـ ٧٤ .
(٣) نفسه، ٣/٤٢ .

رعايا الخلافة غير العرب، مستنداً على مزاياه وفضائله الذاتية، وكان انتشاراً بطيئاً، لكنه كان مؤكدا. . ويحتمل أن الهداية إلى الإسلام بصورة جماعية لم تبدأ قبل القرن التاسع الميلادي - أو تصل نهايتها - حتى حلول فترة اضمحلال الامبراطورية العباسية من القرن الثالث عشر. ويمكن القول بالتأكيد، أن هذه الغلات التي حصدت من حقل التبشير الإسلامي، كانت حصيلة حركة شعبية تلقائية، ولم تنجم قط عن ضغط سياسي. . »[1].

[٥]

«أن المسلمين قد سبقوا بناة الامبراطورية من الاسبانيين والبرتغاليين في اظهار اخلاصهم لمعتقداتهم الدينية. فإن المسلمين قد تزاوجوا منذ البداية مع من تولوا هدايتهم إلى دينهم، دون اعتبار لاختلاف الجنس. بل أنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك. فإن المجتمع الإسلامي قد ورث عن نص وارد في القرآن، اقراراً بطائفة من الأديان (عدا الإسلام) هي - رغم ما بها من قصور اديان سماوية أصيلة، نزل بها الوحي، وهذا الاقرار، أسبغ على اليهود والمسيحيين اولاً، ثم اتسع فشمل بعد ذلك الزرادشيتين والهندوس. . »[2].

فيليب حتي

[١]

«. . من المدهش حقاً أن دولة تدعو إلى دين غريب تظهر في شبه جزيرة العرب التي كانت مغمورة في التاريخ، استطاعت ان تجرد احدى الامبراطوريات العالميتين من اغنى مقاطعاتها في أسية وافريقيا، وان تقضي على الأخرى، قضاء مبرما، في مدى عشر سنين. . أما كيف اتفق هذا الحدث المذهل ولماذا اتفق، فذلك لأن وراءه قصة من اروع القصص في العصور الوسطى كلّها»[3].

---

(١) نفسه، ٢/٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧.

(٢) نفسه، ٣/٤١٨.

(٣) الإسلام منهج حياة، ص ١٥٣ - ١٥٤.

[٢]

«[أن] أبـرز ما يلفت النـظر في الفتوح العربية ليس تلك السرعة وذلك النظام اللذين تمت بهما - بغير دمار لا مبرر له إلا قليلا - ولكن تلك السهولة التي انتقلت بها البلاد المفتوحة من حال الحرب إلى حال السلم، ومن التغلّب إلى الادارة. . »(١).

جورج حنا

[١]

« . . أن المسلمين العرب لم يعرف عنهم القسوة والجور في معاملتهم للمسيحيين بل كانوا يتركون لأهل الكتاب حرية العبادة وممارسة طقوسهم الدينية، مكتفين بأخذ الجزية منهم . . »(٢).

[٢]

« . . لم يرو المؤرخـون المسيحيون أنفسهم مثـل هذه الـوحشية [التي مارسهـا الصليبيون] عن المسلمـين. لم يكن هؤلاء وحشيين في معـاملة الأسرى الاهلين المسيحيين. فإذا انتصروا كانوا يكتفون بضرب الجزية على اعدائهم ولا يفظّعون بهم. بعد معركة طبرية التي انتصر فيها صلاح الدين الايوبي على خصمه الملك (غي ده لوسينيان). . عف صلاح الدين عن التفظيع بالأسرى الذين نجوا من الموت المريع أثناء المعركة، وجردهم من السلاح، وضرب عليهم الجزية وأطلق سراحهم مع قائدهم الملك (غي). وليست هذه الحادثة وحدها هي الدليل على الفرق الكبير بين معاملة الغزاة لأعدائهم، وبين معاملة أعدائهم .. هي واحدة من المئات التي جاءت في كتب التاريخ عن الحروب الصليبية ومعظمها المؤرخين مسيحيين من الفرنج بالذات»(٣).

---

(١) نفسه، ص ١٦٢ .

(٢) قصة الإنسان، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٣) نفسه، ص ٩٢-٩٣ .

اميل درمنغم

[١]

«. . كانت الفتوح الإسلامية جزاءً مقدرا وخزيا كبيراً على النصرانية الشرقية المتفرقة المنحطة. . وكان سلطان العرب غلاّ اكرهت به أوروبا على الصواب، فكان ظهور العرب ووعيدهم حافزين للنصرانية إلى سلوك سبيل الاصلاح والترقي»[1].

[٢]

«لم يشرع الجهاد لهداية الناس بالسيف، ففي القرآن: ﴿**لا اكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغيّ**﴾[2]، والقرآن يأمر المسلمين بالاعتدال وبألا يبدأوا بالاعتداء. .»[3].

[٣]

«كتب الفوز للعرب لأنهم كانوا أهلاً للفوز، وتمّ النصر للإسلام لأنه عنوان رسالة كان الشرق كثير الاحتياج إليها، واحتمل المسلمون ضروب العذاب قبل الهجرة ولم يستطيعوا لها ردا، فلما كانت الهجرة وكان ما ابدوه من المقاومة، والنصر، اتخذوا التسامح الواسع دستوراً لهم. اجل لم يبق للمشركين مقام في دار الاسلام، ولكنه أصبح لأهل الكتاب من اليهود والنصارى فيها حق الحماية وحرية العبادة وما إليهما وصاروا من المجتمع إذا ما اعطوا الجزية. قال النبي [ﷺ]: (من آذى ذميا فأنا خصمه)، وما أكثر ما في القرآن والحديث من الأمر بالتسامح، وما أكثر عمل فاتحي الإسلام بذلك ولم يرو التاريخ أن المسلمين قتلوا شعباً، وما دخول الناس افواجاً في الإسلام إلاّ عن رغبة فيه، وهنا نذكر أن عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] لما دخل القدس فاتحاً أمر بألاّ يمسّ النصارى بسوء وبأن تترك لهم كنائسهم، وشمل البطرك بكل رعاية ورفض الصلاة في الكنيسة خوفا من أن يتخذ المسلمين ذلك ذريعة لتحويلها إلى مسجد. وهنا نقول ما أعظم الفرق بين دخول المسلمين القدس فاتحين

---

(١) حياة محمد، ص ١٤٤ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٦ .

(٣) حياة محمد، ص ١٩٦ .

ودخول الصليبيين الذين ضربوا رقاب المسلمين فسار فرسانهم في نهر من الدماء التي كانت من الغزاة ما بلغت به ركبهم. وعقد النية على قتل المسلمين الذين تفلتوا من المذبحة الأولى»[1].

هنري دي كاستري

[١]

«أن [اتباع] محمد [ﷺ] هم وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم وهذه المحبة هي التي دفعت العرب في طريق الفتح وهو سبب لا حرج فيه، فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشه المظفرة إذ اغاروا على الشام وساروا سير الصواعق إلى أفريقيا الشمالية من البحر الأحمر إلى المحيط الاطلانطي ولم يتركوا أثراً للعسف في طريقهم إلا ما كان لا بدّ منه في كل حرب وقتال، فلم يقتلوا أمة ابت الإسلام.. فكلما التقى المسلمون بأمة خيروها بين واحد من ثلاث الإسلام أو الجزية أو تحكيم الحرب حتى تضع أوزارها. هكذا كانت الأوامر التي زود بها أبو بكر الصديق خالد بن الوليد [رضي الله عنهما] من انفذه إلى الشام»[2].

[٢]

«إذا انتقلنا من الفتح الأول للإسلام إلى استقرار حكومته استقراراً منظماً رأيناه أكثر محاسنة وانعم ملمساً بين مسيحي الشرق على الاطلاق. فما عارض العرب ابداً شعائر الدين المسيحي بل بقيت روما نفسها حرّة في المراسلات مع الاساقفة الذين مازالوا يرعون الأمة الخالية.. وكان الوئام مستحكماً بين المسلمين والمسيحيين.. ومع هذه المسالمة العظيمة من جانب المنتصر مع المغلوب، ضعفت الديانة النصرانية جداً ثم زالت بالمرة من شمال أفريقيا.. ولم يكره احد على الإسلام بالسيف ولا باللسان بل دخل القلوب عن شوق واختيار وكان نتيجة ما اودع في القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالألباب. نعم قد اعتنق الإسلام قوم مشوا وراء منافعهم ولكنهم قليلون

---

(١) نفسه، ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠، وانظر المرجع نفسه ص ٣٧٠، هامش رقم ١ .

(٢) الإسلام : خواطر وسوانح، ص ٣٥ـ٣٦ .

بجانب من اسلم عن اعتقاد صادق وميل صحيح . . وصار من اللازم أن يثبت الإسلام لمن اراده على يد القاضي ويحرر بذلك محضر يذكر فيه أن المسيحي اعتنق الإسلام عن اعتقاد تام غير خائف ولا مكره، إذ لا يجوز أن يكره أحد على تغيير دينه»[1].

[٣]

« . . قرأت التاريخ وكان رأيي بعد ذلك أن معاملة المسلمين للمسيحيين تدل على ترفع في المعاشرة عن الغلظة وعلى حسن مسايرة ولطف مجاملة وهو احساس لم يشاهد في غير المسلمين آن ذاك . . »[2].

[٤]

« . . أن الدين الإسلامي لم ينتشر بالعنف والقوة بل الاقرب للصواب أن يقال أن كثرة مسالمة المسلمين ولين جانبهم كانا سبباً في سقوط المملكة العربية . ومن المظنون أن المسلمين لو عاملوا الاندلسيين مثل ما فعل المسيحيون بالامم الساكسونية، لأخلدت إلى الإسلام واستقرت عليه، لأنها مع تمتعها بحرية دينها المسيحي كانت كثيرة الانشقاق والاحزاب . وما لنا ولهذه الظنون والتخمينات وامامنا أمر واحد ينبغي الوقوف عنده وهو أن ديانة القرآن تمكنت من قلوب جميع الأمم اليهودية والمسيحية والوثنية في افريقيا الشمالية وفي قسم عظيم من آسيا حتى أنه وجد في بلاد الأندلس من المسيحيين المتنورين من تركوا دينهم حبا في الإسلام كل هذا بغير اكراه، إلا ما كان من لوازم الحروب وسيادة حكومة الفاتحين ومن دون أن يكون للاسلام دعاة وقوّام مخصوصون وهو ما يقنعنا بأن الإسلام جاذبية وقوة انتشار . . لأنه لا يزال ينتشر حتى الآن . . »[3].

[٥]

« . . أننا نعتقد أن استطلاع حال هذا الدين في العصر الحاضر لا يبقي أثراً لما زعموه من أنه إنما انتشر بحدّ الحسام . ولو كان دين محمد [ﷺ] انتشر بالعنف

(١) نفسه، ص ٣٩ ـ ٤٠ .
(٢) نفسه، ص ٤٤ .
(٣) نفسه، ص ٨٦ .

والاجبار للزم أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين مع أننا لا نزال نرى القرآن يبسط جناحيه في جميع أرجاء المسكونة . . »[1].

اتيين دينيه

[١]

« . . من الحقائق التاريخية أن النبي [ﷺ] أعطى أهل (نجران) المسيحيين نصف مسجده ليقيموا فيه شعائرهم الدينية. وها نحن أولا نرى المسلمين إذا بشروا بدينهم فانهم لا يفعلون مثل ما يفعل المسيحيين في الدعوى إلى دينهم، ولا يتبعون تلك الطرق المستغربة التي لا تتحملها النفس والتي يحبها الذوق السليم. وقد انصف القس ميثون الحقيقة في كتابة (سياحة دينية في الشرق) حيث يقول: أنه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيين عن المسلمين روح التسامح وفضائل حسن المعاملة وهما أقدس قواعد الرحمة والاحسان عند الشعوب والأمم»[2]

[٢]

«ليس من فخار المسيحية أن تضم في تعدادها أولئك الذين يباعون لها من ولدان العبيد ولا أولئك اليتامى الذين ينشأون في مهادهم نشأة دينية مسيحية أما الذين يعتنقون الإسلام في وقتنا هذا من المسيحيين وغيرهم فانما هم الخاصة سواء كانوا من الهيآت الاجتماعية الاوروبية أو الأمريكية، كما أن اخلاصهم في ذلك لا شك فيه لأنهم أبعد ما يكونون عن الأغراض المادية»[3].

[٣]

« . . أن الإسلام بلغ من تماسك بنائه، ومن حرارة إيمان أهله، ما جعله يبهر العالم بوثبته الهائلة التي لا نظن أن لها في سجلات التاريخ مثيلا، ففي أقل من مائة عام، ورغم قلة عددهم، استطاع العرب الامجاد وقد اندفعوا لأول مرة في تاريخهم، خارج

(١) نفسه، ص ٤٨ ـ ٥٠ .
(٢) اشعة خاصة بنور الإسلام، ص ١٨ ـ ١٩ .
(٣) نفسه، ص ٣٩ .

حدود جزيرتهم. . أن يستولوا على أغلب بقاع العالم المتحضر القديم: من الهند إلى الأندلس»[1].

[٤]

«المسلمون، على عكس ما يعتقده الكثيرون، لم يستخدموا القوة أبداً خارج حدود الحجاز.. لاكراه غيرهم على الإسلام .وأن وجود المسيحيين في اسبانيا لدليل واضح على ذلك، فقد ظلوا آمنين على دينهم طوال القرون الثمانية التي ملك فيها المسلمين بلادهم وكان لبعضهم مناصب رفيعة في بلاط قرطبة. ثم إذا بهؤلاء المسيحيين انفسهم يصبحون أصحاب السلطان في هذه البلاد فكان أول هم لهم أن يقضوا قضاء تاماً على المسلمين»[2].

[٥]

«أن القدوة الحسنة التي لا تقترن بمحاولة التبشير المتعصبة، لهي اقوى أثراً في النفوس التقية من مضايقات القسس المبشرين. ولقد اضطر العالم (دوزي) ـ رغم تعصبه ضد الإسلام ـ إلى الاعتراف بان الكثير من المسيحيين الذين كانوا في اسبانيا (اعتنقوا الإسلام عن عقيدة). . »[3].

«القاعدة التي يجري عليها المسلم في علاقاته بأصحاب الديانات الأخرى هي تلك التي حددها القرآن في الآية التالية ﴿**لكم دينكم ولي دين**﴾[4] وكيف لا يكون المسلم متسامحاً وهو يجل الانبياء الذين يجلهمّ اليهود والنصارى فموسى بالنسبة إليه (كليم الله) وعيسى (روح الله) يجب تبجيل كما تبجيله محمد (حبيب الله): ﴿**لا نفرق بين أحد من رسله**﴾[5]. . »[6].

---

(١) محمد رسول الله، ص ٣١٥ .
(٢) نفسه، ص ٣٣٢ .
(٣) نفسه، ص ٣٣٣ .
(٤) سورة الكافرون، الآية ٦ .
(٥) محمد رسول الله، ص ٣٣٣ .
(٦) سورة البقرة، الآية ٢٨٥ .

ول ديورانت

[١]

«. . الحق أن حادث [الفتوحات] الجلل الذي تمخضت عنه جزيرة العرب، والذي أعقبه استيلاؤها على نصف عالم البحر المتوسط ونشر دينها الجديد في ربوعه، لهو أعجب الظواهر الاجتماعية في العصور الوسطى»[١].

[٢]

«. . كان أهل الذمة المسيحيون، والزردشتيون، واليهود، والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد نظيراً لها في المسيحية في هذه الأيام. فلقد كانوا احراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم. . وكانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم وقضاتهم وقوانينهم. . »[٢].

[٣]

«على الرغم من خطة التسامح الديني التي كان ينتهجها المسلمون الأولون أو بسبب هذه الخطة، أعتنق الدين الجديد معظم المسيحيين، وجميع الزردشتيون والوثنيين إلا عدداً قليلاً جداً منهم، وكثيرون من اليهود. . وحيث عجزت الهلينية عن أن تثبت قواعدها بعد سيادة دامت ألف عام، وحيث تركت الجيوش الرومانية الآلهة الوطنية ولم تغلبها على أمرها، وفي البلاد التي نشأت فيها مذاهب مسيحية خارجة على مذهب الدولة البيزنطية الرسمي، فإن هذه الأقاليم كلها انتشرت العقائد والعبادات الإسلامية، وآمن السكان بالدين الجديد واخلصوا له، واستمسكوا بأصوله اخلاصاً واستمساكاً انسياهم بعد وقت قصير ألهتهم القدامى، واستحوذ الدين الإسلامي على قلوب مئات الشعوب في البلاد الممتدة من الصين وحتى الأندلس، وتملك خيالي وسيطر على اخلاقهم، وصاغ حياتهم، وبعث فيهم أمالاً تخفف عنهم بؤس الحياة ومتاعبها، وأوحى إليهم العزة والأنفة، حتى بلغ عدد من يعتنقونه ويعتزون به في هذه

---

(١) قصة الحضارة، ١٣/٧/. (٢) نفسه، ٣/١٣٠ـ١٣١.

الأيام [مئات الملايين] من الانفس، يوحد هذا الدين بينهم، ويؤلف قلوبهم مهما يكن بينهم من الاختلافات والفروق السياسية»[1].

[٤]

«. . في وسعنا أن نحكم على ما كان للدين الإسلامي من جاذبية للمسيحيين من رسالة كتبت في عام ١٣١١م تقدر عدد سكان غرناطة المسلمين في ذلك الوقت بمائتي ألف، كلهم ما عدا ٥٠٠ منهم من أبناء المسيحيين الذين أعتنقوا الإسلام. وكثيراً ما كان المسيحيون يفضلون حكم المسلمين على حكم المسيحيين»[2].

[٥]

«. . أن المسلمين ـ كما يلوح ـ كانوا رجالاً أكمل من المسيحيين، فقد كانوا احفظ منهم للعهد، وأكثر منهم رحمة بالمغلوبين، وقلما ارتكبوا في تاريخهم من الوحشية ما ارتكبه المسيحيون عندما استولوا على بيت المقدس في عام ١٠٩٩م. . »[3].

بيجي رودريك

[١]

«. . انظر إلى أي مدى يحترم الإسلام ويوقر الأديان الأخرى ويسمح في ظل الدولة المسلمة بممارسة كافة الشعائر الدينية. . فالنصارى واليهودي هم أهل ذمة عند المسلمين ما لم يحاربوهم، وقد تمتعوا عبر التاريخ الإسلامي الطويل بكافة امتيازات المواطنين ولم يحدث أن سمعوا كلمة تيسيء إليهم»[4].

[٢]

«. . ما أن كان الإسلام يدخل بلدا من البلدان المفتوحة حتى يقبل أهلها جميعاً على اعتناقه ويعاملون معاملة الفاتحين سواء بسواء، ومن احتفظ منهم بدينه لقي أكرم معاملة. فمصر وشمال أفريقيا والصومال وبلاد أخرى كثيرة هي أمثلة على البلاد التي

---

(١) نفسه، ١٣/١٣٣ .
(٢) نفسه، ١٣/٢٩٧ .
(٣) نفسه، ١٣/٣٨٣ .
(٤) رجال ونساء أسلموا، ٦/١١٣ ـ ١١٤ .

فتحها المسلمون العرب فاسلم أهلها وحملوا الإسلام إلى غيرهم وعاشوا اعزة مكرمين في ظل دولـة إسـلامية مئـات من السنـين. فلا مجال إذن للمقارنة بين الفتوحات الإسلامية وبين الاستعمار البغيض الذي يسلب الشعوب كل شيء . . »[1].

[٣]

« . . قوانين الحرب في الإسلام تعتبر أكثر القوانين انسانية ورأفة، فهي تضمن السـلامة التامة للنساء والولدان والشيوخ وجميع غير المحاربين فليس هناك في نظر الإسـلام أبشـع من جريمة قصف المستشفيات والمدارس وأماكن العبادة ومساكن المدنيين في المنطقة المعادية. وإنما يجعل الإسلام لهذه المرافق الانسانية قدسيتها ويحذر من المساس بها فهذه هي الوصية التي كان يوصي بها رسول الله ﷺ قادة المسلمين، وكذلك كان موقف الخلفاء الراشدين من بعده [رضي الله عنهم] بل لقد ظلت هذه سمة بارزة في جميع الحروب الإسلامية على مر العصور. . »[2].

[٤]

«الإسـلام أذن لرسوله بالجهاد لرفع الظلم والاضطهاد. . ولازالة العقبات التي تقف في وجه الدعوة للاسلام، تلك الدعوة التي لا تكره أحداً على الدخول في هذا الدين وإنما تدعو الناس إليه وتترك لهم الحرية الكاملة للاختيار. ولذلك ما أن يدخل الناس في الإسلام حتى يتمسكوا به، ويستميتوا في الدفاع عنه. . إن الإسلام هو دين السلام، السلام مع الله والسلام مع الناس جميعاً»[3].

جـاك ريسـلر

[١]

«قـامت الانتصـارات المدوية للعرب على أسباب متنوعة يتجلى أهمها في الخلق السامي الذي كان قد تشرّبه العرب عن الدين الجديد، فقد طبعهم هذا الخلق على جرأة واحتقار للموت، جعلهم لا يغلبون. . »[4].

---

(١) نفسه، ٦/١١٤-١١٥ .
(٢) نفسه، ٦/١١٥ .
(٣) نفسه، ٦/١١٦ .
(٤) الحضارة العربية، ص ٣٩ .

[٢]

«. . كان الفتح العربي يملك الرضا الضمني من السكان الذين كانوا يكرهون الاغريق والفرس ويكرهون استبدادهم الديني والسياسي، ونظام ضرائبهم الفادحة ولم يعد الوطنيون قادرين على أن يتحملوا أخيراً هذا الاستبداد المتغطرس من حكام أصبح تفوقهم ضرباً من الذكريات. تلك هي الأسباب التي من أجلها استقبل هذه الشعوب المتاخمة جيرانها ذوي التاريخ الطويل كأنهم ذوو قربى قد اقبل لتحريرهم من ظلم الغاصبين الاجانب الممقوت. . »[١].

[٣]

«لا نزاع في أن اللغة والدين اللذين انتشرا معاً قاما بدور خطير في هذا العمر الضخم لتقريب هذه الامبراطورية الشاسعة وتحويل أبنائها إلى الإسلام. وحطمت هاتان القوتان الحواجز التي كانت تفرق بين الفاتحين وأهل البلاد وحولوا بعض الاجانب إلى عقيدتهم أكثر مما كان لروما في العصر القديم في هذا الميدان والانجلو ساكسون في الفترة المعاصرة. فالذي كان يدين بالإسلام وكان يتحدث ويكتب اللغة، يسمح له أن يعد عربيا، وهذا حدث خطير في تاريخ الحضارة الإسلامية. ولقد الغت تلك القوة الموحدة بهذا الأسلوب الحدود السياسية، ومنحت بنحو ما شكلاً موحدا لبلاد مترامية الأطراف في ثلاث قارات وأصبحت فيها بعد خالية من القيود. وكان المسلم يجد في كل مكان نفس الدين ونفس الصلوات، ونفس الشرائع.

[٤]

«. . أن المنتصرين سيعتنقون دين المغلوبين الذين نهكوهم، وسوف يجعل من أنفسهم مدافعين بحماسة عن هذا الدين. وتثير هذه الظاهرة العجب، لكنها ليست من الندرة في تاريخ العالم الإسلامي. لقد كان هذا بالنسبة للاتراك السلجوقيين ثم بالنسبة لابناء عمومتهم المغول بعد ذلك في القرن الثالث عشر [الميلادي] وأخيراً بالنسبة للأتراك العثمانيين في القرن الرابع عشر، وسيظفر الدين الإسلامي بالمع انتصار طيلة الازمنة الممعنة في ظلال الفشل والغزو. . »[٢].

---

(١) نفسه، ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) نفسه، ص ٢٤١.

[٥]

«كانت جميع الأديان لها حق الممارسة المطلقة في عبادتها، وكان اليهود المطارد لديهم مطلق الحرية في اقتناء الثروات ووصلوا احياناً إلى مراكز سامية، واختلط المسيحيون مع المسلمين.. وحدث أنهم احتفلوا بأعيادهم معاً في المسجد وفي الكنيسة، ونتيجة لهذه الحرية البالغة اقصى حد شوهد بعض المسيحيين يتخذون لأنفسهم أكثر من زوج على الرغم من تحريم الكنيسة..»(١).

جورج سارتون

[١]

«.. أن الفاتحين العرب كانوا بلا ريب أميين، ولكنهم كانوا موحدين تماماً، وكان يعمر قلوبهم ايمان وطيد. وفي هذه أيضاً انتصر النبي [ﷺ] انتصاراً بيّناً. أن الفتوح العربية لم تكن نتيجة صراع بين برابرة جياع وبين سكان مدن أخذوا يتقهقرون في سلّم المدنية، بل كان في الاكثر صراعاً بين دين جديد وثقافة جديدة ناشئة في المحل الأول، ثم بين ثقافات منحلة متعادية قلقة في المحل الثاني..»(٢).

[٢]

«أن تفاصيل تلك الجهود المدهشة في الفتح الإسلامي تهم المؤرخين السياسيين ولكن الحالة النفسية للأسس التي تقوم عليها تلك الفتوح فيما يتعلق بالجانبين (بالعرب ثم بالروم والفرس) هي ذات أهمية كبرى لمؤرخي العلم. لقد سبق للايمان المسيحي أن تزلزل بالمنازعات اللاهوتية التي امتدت قرونا عديدة، والحرمانات المتبادلة، فقاد ذلك إلى أن استقبل النصارى في الشرق الأوسط جيوش الفاتحين المسلمين على أنها منقذة لهم من استبداد الكنيسة الارثوذكسية ثم أن الإسلام.. كان لا يزال غضاً موحداً، كما أن المجاهدين المسلمين كانت تملك عليهم لبّهم آمال عظام.. وكان الإيمان في الإسلام بسيطاً، كريماً ومعتدلا، ومن ذلك فقد كان بالامكان أن تشيع فيه الحماسة حين البأس إلى حد بعيد فينقلب المجاهدون حينئذ ذوي

(١) نفسه، ص ١٥٤.
(٢) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ص ٤٦.

حمية إما أن يبلغوا بها الظفر أو أن يسقطوا دونه شهداء. لقد كان الظفر والاستشهاد عندهم سِيّين. . »[1].

وبمساعدة هذه المؤثرات العجيبة، كان يشعر في كل مكان بأنه في بلده، سواء أكان في رحلاته خارج الحدود أم في معاملاته مع تجار البلاد الأجنبية»[2].

لوثروب ستودارد

[١]

«كان لنصر الإسلام هذا النصر الخارق عوامل ساعدت عليه، اكبرها اخلاق العرب، وماهية تعاليم صاحب الرسالة [ﷺ] وشريعته والحالة العامة التي كان عليها الشرق المعاصر في ذلك العهد. . لقد استطاع محمد، وهو يبشر بالوحدانية تبشيراً عارياً عن زخارف الطقوس والأباطيل أن يستثير حق الاستثارة من نفوس العرب الغيرة الدينية الكامنة. . وإذ هبوا لنصرة دعوة ابن عبدالله، من بعد ما ذهبت من صدورهم الاحن المزمنة والعداوات الشديدة التي كان من شأنها من قبل الذهاب بحولهم وقوتهم وانضم بعضهم إلى بعض كالبنيان المرصوص تحت لواء الرسالة في رأسها نور للناس وهدى للعالمين، اخذوا يتدفقون تدفق السيل من صحاريهم في شبه الجزيرة ليفتحوا بلاد الاله الواحد. . »[3].

[٢]

« . . لم يمض سوي اليسير من الزمن حتى كان السواد الأعظم من الأمم المغلوبة قد دخل في دين النبي العربي افواجا، ايثاراً له. . على ذينك الدينيين الذين صارا غاية في الانحطاط والتدنّي. . ولم يكن العرب قط أمةً تحب اراقة الدماء وترغب في الاستلاب والتدمير، بل كانوا، على الضدّ من ذلك، أمة موهوبة جليلة الاخلاق والسجايا. . »[4].

[٣]

« . . كان الخليفة عمر [رضي الله عنه] يرعى حرمة الأماكن المقدسة النصرانية ايما رعاية، وقد سار خلفاؤه من بعده على اثاره، فلا ضيّقوا على النصارى ولا نالوا بمساءة

(١) نفسه، ص ٤٧ .
(٢) حاضر العالم الإسلامي، ١/ ٢ .
(٣) نفسه، ص ٤٧ .
(٤) نفسه، ١/ ٣-٤ .

طوائف الحجاج الوافدين كل عام إلى بيت المقدس من كل فج من افجاج العالم النصراني . . »[1].

[٤]

« لا شيء ادل على هذه النهضة الإسلامية الحديثة الكبرى من هذه اليقظة الروحانية الدينية التبشيرية، الناشئة والمنتشرة خلال مئة السنة الاخيرة ولا غرابة في ذلك فقد كان الإسلام على الدوام دين هداية الناس واخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، هذا التاريخ شاهد حق على ما قام به المبشرون المسلمون في أول عهد الإسلام من الاعمال الجليلة التي يقم بمثلها غيرهم من المبشرين. ولا ننسى أن روح التبشير ونشر الدعوة في سبيل الرسالة لم تبرح حية على الدوام، على انحطاط المالك الإسلامية وتدنيها . فلذلك ما انفك الإسلام طيلة القرون الوسطى ينتشر في الهند والصين، وبينما كانت الرسالة المحمدية تنتشر في نائي تلك الاصقاع، كان الترك ينشرونها ويرفعون اعلامها في شبه جزيرة البلقان، وبين القرنين الرابع عشر والسادس عشر كان المبشرون المسلمون يفتحون بلاد غربي افريقيا، وجزائر الهند الهولندية، وجزائر الفيلبين فتحاً دينياً مبيناً»[2].

[٥]

« . . عند اعتبار شأن انتشار الإسلام هذا الانتشار يجب أن تعلم العلم اليقين أن كل مسلم هو بغريزته وفطرته مبشر بدينه، ناشر له بين الشعوب غير المسلمة ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وعلى ذلك أن نشر الرسالة المحمدية لم يقم به رجال التبشير وحدهم . . بل شاركهم فيه جماعات عديدة من السياح والتجار والحجاج على اختلاف الاجناس. ولا يؤخذن من هذا أن لم يقم في المسلمين مبشرون ارتشفوا كؤوس الحمام في سبيل الدعوة الإسلامية فعديد المبشرين الذين هم على هذا الطراز كثير، وذلك ظاهر بين في امر الطرق الدينية مما لا يحتاج إلى برهان . . وهذه الأعمال التي قام بها المبشرون المسلمون في غربي افريقية واوسطها خلال القرن التاسع عشر إلى اليوم لعجيب من العجائب الكبرى، وقد اعترف عدد كبير من الغربيين بهذا الأمر. فقد قال احد الانكليز. في هذا الصدد منذ عشرين سنة (أن الإسلام ليفوز في

(١) نفسه، ١/١٣ـ١٤ .
(٢) نفسه، ١/٣٠٠ـ٣٠١ .

اواسط افريقية فوزاً عظيماً حيث الوثنية تختفي من أمامه اختفاء الظلام من فلول الصباح، وحيث الدعوة النصرانية باتت كأنها خرافة من الخرافات). وقال مبشر بروتستنتي فرنسي (ما برح الإسلام [يتقدم] منذ نشوئه حتى اليوم فلم يعثر في سبيله إلا القليل، وما زال يسير في جهات الأرض حتى بلغ قلب افريقية مذلّلا اشق المصاعب ومجتازا أشد الصعاب، غير واهن العزم فالاسلام حقاً لا يرهب في سبيله شيئا، وهو لا ينظر إلى النصرانية، منازعته الشديدة، نظرة المقت والازدراء، فلهذا هو حقيق بالظفر والنصر، إذ بينما كان النصارى يحلمون بفتح افريقية في نومهم، فتح المسلمون جميع بقاع القارة في يقظتهم). . »[1].

نصري سلهب

[١]

« . . أن المسيح [عليه السلام] وأمه والمسيحيين يحتلون في آيات القرآن الكريم منزلة فريدة [وبالتالي] في نفوس المسلمين وقلوبهم. ذلك أن المسلمين يحفظون كلام الله في كتابه ويؤمنون به كل الايمان، وربما كانوا في ايمانهم العميق هذا أكثر تكريماً للمسيح ولأمه من بعض المسيحيين أنفسهم، وإذا كان التاريخ قد سجل في صفحاته نزاعات وحروبا مؤسفة وقعت بين مسيحيين ومسلمين، فليس من المحتوم أن تكون الأسباب العميقة والخفية لتلك الحروب ذوات طابع ديني. . ومهما يكن من أمر فان حروبا أخرى أوسع نطاقاً وأعمق أثراً وأكثر عددا وأبلغ ضرراً قد وقعت بين مسيحيين ومسيحيين، وهي، كما لا نجهل افظع الحروف على اطلاقها واكثرها هولاً . . »[2].

[٢]

« . . خاضت المسيحية الحروب الصليبية ضد الإسلام لانقاذ الاماكن المقدسة كما يحلو للمؤرخين أن يرددوا، والحروب الصليبية هذه كانت احدى الاخطاء التاريخية العظمى. . فالاماكن المقدسة لم تكن في خطر ولم يحاول واحد من الحكام المسلمين

---

(١) نفسه، ١/٣٠١-٣٠٢.

(٢) لقاء المسيحية والإسلام، ص ٤١.

أن يمحوها أو أن يزيلها من الوجود. بل على العكس من ذلك فقد تجنب الخليفة عمر [رضي الله عنه]، في فجر الإسلام، الصلاة في كنيسة القيامة بغية الحفاظ على طابعها المسيحي. وكذلك فعل الآخرون، على مرّ الزمن»[1].

[٣]

«العهدة العمرية [التي منحها ابن الخطاب رضي الله عنه لأهل بيت المقدس] هل تعد لها عهدة في التاريخ نبلاً وعدلاً وتسامحاً: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما اعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين اهل القدس من أمان: اعطاهم اماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم.. لا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم..). أي خاسر حربا من حروب التاريخ حظي بمثل هذه العهدة من غالب منتصر؟.. ويبقى المسلمون في الشرق، وفي فلسطين بالذات، ثلاثمائة سنة وألفاً، فلا يمس فيها للمسيحي أثر، بل تستمر الكنائس والأماكن المقدسة في حرمة ومنعة..»[2].

أحمد سوسه

[١]

«.. يستحسن باتباع موسى وعيسى [عليهما السلام] أن يراجعوا التاريخ الإسلامي ليقفوا على ما يأمر به الإسلام بشأن الرفق بالأطفال والنساء والشيوخ وغير المقاتلين بصورة عامة. ويثبت لنا التاريخ عدا ذلك أن المسلمين ساروا وفق شريعتهم القاضية بوجوب عدم مس الأطفال والنساء والشيوخ بكل أمانة وحرص حتى في الظروف التي كان فيها العدو المقابل يقتل الأطفال والنساء وغير المحاربين من المسلمين..»[3].

---

(١) نفسه، ص ٥٤.
(٢) نفسه، ص ٣٣١.
(٣) في طريقي إلى الإسلام، ١/ ٩٤.

[٢]

« . . وجد اليهود تحت راية الإسلام أمناً وعدلاً اتقوا به شر الاضطهاد والاعتداء، وقد مضت عليهم قرون عديدة وهم في خير وثراء . . »(١).

[٣]

« . . من جملة ما حمله [الصليبيون إلى بلادهم] تلك الخلة [الإسلامية] الشريفة، خلة احترام الأديان واطلاق الحرية لأهل الدين في تأدية فرائضهم مع احترام ما يجلّونه من العادات والتعاليم الروحية . . »(٢).

[٣]

« . . أن الإسلام شريعة العدل والانسانية وأنه ينطوي على مبادىء تفوق السيف في قوتها واستقامتها، وأن منهج اللطف في دعوته إلى حقيقة التوحيد يجتذب القلوب ويسحر العقول ويأسر الناس بلا سيف ولا قتال»(٣).

بشير أحمد شاد

[١]

« . . السؤال الذي كان يقلقني هو أننا نحن النصارى نزعم أن الإسلام . . انتشر بحدّ السيف. فقلت لنفسي: فلماذا تقبل الناس الإسلام ولا يزالون يعتنقونه في كل ركن من العالم؟ لماذا يهتدي الناس في كل بلد إلى هذا الدين كل يوم دون أكراه أو جبر من أي نوع؟»(٤).

[٢]

«لم يحدث قط في حياتي أن لقيت أو سمعت عن رجل واحد من غير المسلمين اكره على الدخول في الإسلام قسراً. وهذا ينطبق على الناس في الهند وباكستان وفي بقية

---

(١) نفسه، ١/١٣٠ .
(٢) نفسه، ١/١٣٣ .
(٣) نفسه، ٢/٣٨ .
(٤) رجال ونساء أسلموا، ٧/١٧ ـ ١٨ .

اجزاء العالم. ففي الهند مثلاً ظل الحكام المسلمون سادة القارة وحكامها لعدة قرون ورغم ذلك بقي الهندوس يشكلون دائماً أغلبية السكان. فقد سمح لهم، كما سمح لكافة الطوائف الأخرى بممارسة شعائرها الدينية بكل حرية في ظل الحكم الإسلامي. كما لم يحدث قط أن نزل جندي مسلم واحد على أرض اندونيسيا أو ماليزيا.. ومع ذلك فالغالبية العظمى من الشعب الاندونيسي هم من المسلمين. واكثر من نصف سكان [ماليزيا] مسلمون. فكيف يزعمون أن الإسلام قد انتشر بالسيف؟ لقد وجدت، على العكس من ذلك، أن الإسلام هو دين الرحمة والحب والتعاطف الانساني. وهذه كلها اتهامات جائرة ومفتريات لا أساس لها من الصحة. وهذه نقطة اخرى من أجلها اعتنقت الإسلام»[١].

شبولر[٢]

[١]

«أن المسيحية والإسلام يقفان موقفين مختلفين في موضوع الاقليات الدينية. أن المسيحية لم تسمح بوجود الاديان الغريبة في اراضيها (باستثناء الدين اليهودي) أما في الإسلام فكان يوجد تبادل ثقافي بين المسلمين وغير المسلمين.. وهذا الفرق الملحوظ يمكن تفسيره بأن المسيحية شهدت قيام دين منافس لها (وهو الإسلام الذي كان ظهوره، إذا تكلمنا من الناحية الواقعية مناقضاً لادعاء المسيحية بأنها آخر وحي منزل). أما الإسلام فقد اعترف نظامه الديني منذ البداية بالعقائد الأخرى التي كانت تعيش معه جنباً إلى جنب.. وبهذه الطريقة أصبح من الممكن أن ينقل النساطرة الثقافة الكلاسيكية وأن يقوم اليهود بدورهم في بلاد الأندلس الإسلامي»[٣].

---

(١) نفسه، ٧/٢١ـ٢٢.

(٢) بارتولد شبولر B. Spuler

تخرج من الجامعات الالمانية، وعين معيداً للدراسات الإسلامية دفعة لغات الشرق الأدنى (١٩٣٩) في جامعة جوتنجن، واستاذ كرسي في جامعة ميونخ (١٩٤٢) وعدد من الجامعات الأخرى كما عمل استاذاً زائراً في جامعتيْ انقرة واستانبول (١٩٥٥ ـ ١٩٥٦) يجيد العديد من اللغات، وتخرج عليه عدد من المتخصصين من البلدان الإسلامية.

من آثاره: (مغول إيران) (١٩٣٩) و(المغول في روسيا) (١٩٤٣) و(تاريخ البلدان الإسلامية) ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣).

(٣) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (تحرير كرونباوم)، ص ٢٣٩.

لورافيشيا فاغليري

[١]

«أن التـاريخ لم يشهد، قط، ظاهرة مثل [ظاهرة الفتوحات] هذه من قبل ومن العسير على المرء أن يقدر السرعة التي حقق بها الإسلام فتوحه، والتي تحوّل بها من دين يعتنقه بضعة نفر من المتحمسين إلى دين يؤمن به ملايين الناس. ولا يزال العقل البشري يقف ذاهلاً دون اكتشاف القوى السرّية التي مكنت جماعة من المحاربين. . من الانتصـار على شعـوب متفوقة عليه تفوقاً كبيراً في الحضارة، والثروة، والخبرة، والقدرة على شن الحرب. ومن ادعى الامور إلى الدهش أن نلاحظ كيف استطاع أولئك الناس أن يحتلوا تلك المناطق كلها، وأن يثبتوا بعد ذلك فتوحهم على نحو جعل حتى الحروب المتعاقبة قرناً بعد قرن عاجزة عن اخراجهم منها، وكيف استطاعوا أن يلهبـوا نفوس أتباعهم بتلك الحماسة الفائقة لمثلهم العليا، وأن يحتفظوا بحيوية نابضة لم تعرفها الأديان الأخرى حتى بعد انقضاء عشرة قرون على وفاة محمد [ﷺ]، وأن يفرغوا في عقول أتباعهم، على الرغم من انتسابهم إلى عصر وثقافة مختلفين كل الاختلاف عن عصر المسلمين الاولين وثقافتهم ايماناً متقداً لا يحجم عن القيام بايما تضحية مهما غلت»[1].

[٢]

«. . لقـد تحرك الجيش [الإسلامي] في سرعة، وتتابعت المعارك، وبدا النجاح وكأنه قد جعل الأقدام الفاتحين اجنحة: فقد ترددت في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان [رضي الله عنهم] اصـداء الانباء البهيجة الحاملة بشائر الانتصارات الرائعة. وقد اتبعت هذه الانتصارات بتنظيم البلدان المفتوحة وتوطيد اقدام العرب فيها. ولم يكن هذا الصنيع أقل اعجازاً من الفتوح نفسها. لقد قوضت حضارتان وزعزع دينان، فإذا بفيض جديد من حياة عارمة يتدفق في عروق تلك الشعوب الحائرة القوى. لقد تجلى أمام عيون العالم المندهش دين جديد، بسيط، سهل، يخاطب القلب والعقل جميعاً، واقيم شكل جديد من اشكال الحكومة كان اسمى إلى حد بعيد ـ في خصائصه

(١) دفاع عن الإسلام، ص ٢٢ .

ومبادئه الاخلاقية ـ من تلك المعروفة في ذلك العصر. وبدأ الذهب الذي كان مخبوءاً في صناديق السراة ينتقل إلى ايدي الفقراء، مستهلاً نظاماً من التداول السليم كرة اخرى وفي ظل من حكومة تسيّرها مثل عليا ديمقراطية أمينة وجد الرجال المثقفون البارعون، الأذكياء تشجيعاً من النظام الجديد، فاستطاعوا أن يبلغوا اسمى المناصب العامة. ومن الممكن القول، في اطمئنان، أن البلاد المفتوحة عرفت ـ على الرغم من بعض الحالات المحتومة النادرة التي تجاوز فيها الجند حدودهم اثناء الفتح ـ عهداً من الرخاء والازدهار، وشهدت غنى لم تشهده أسية منذ قرون طويلة. وإلى هذا فقد نعمت حياة الشعوب المغلوبة وحقوق المدنية وأموالها بدرجة من الحماية تقارب تلك التي نعم بها المسلمون أنفسهم»(1).

[٣]

«ازعج التحول السياسي والديني العميق [الذي احدثته الفتوحات] طائفة من الناس فراحوا يتساءلون ما الذي أدى إلى حدوثه، ولكن كثيراً منهم كان عميا، أو كانوا يغمضون أعينهم عمدا هائمين طويلا وعلى نحو يائس في متاهة التخمينات الخاطئة. أنهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن القوة الالهية وحدها كان في ميسورها أن تقدم الحافز الأول لمثل هذه الحركة الواسعة. انهم لم يريدوا أن يعتقدوا أن حكمة الله وحدها كانت مسؤولة عن رسالة محمد [ﷺ]، آخر الانبياء الكبار حملة الشرائع [عليهم السلام] والنبي الذي ختم سلسلتهم إلى الأبد. أن مثل هذه الرسالة كان يتعين عليها أن تكون رسالة عالمية لجميع أفراد الجنس البشري من غير تمييز وعلى اختلاف الجنسيات والاوطان والاعراق. لقد كان أولئك اما عمياً وأما غير راغبين في أن يروا..»(2).

[٤]

«.. كان العرب المنتصرون مستعدين دائماً ـ حتى وهم في أوج قوتهم وانتصارهم ـ لأن يقولوا لاعدائهم: (القوا السلاح وادفعوا جزية يسيرة نسبغ عليكم حماية كاملة.

---

(1) نفسه، ص ٢٦ ـ ٢٨.
(2) نفسه، ص ٢٨.

أو اتخذوا الإسلام ديناً وادخلوا في ملتنا تتمتعوا بالحقوق نفسها التي نتمتع بها نحن).
وإذا نظرنا إلى ما أوحي إلى محمد [ﷺ] أو إلى الفتوح الإسلامية الأولى سهل علينا أن نرى مدى الخطأ الذي ينطوي عليه الاتهام القائل بأن الإسلام فرض بالسيف وان انتشاره السريع الواسع لا يمكن تفسيره إلّا بهذه الوسيلة»[1].

[٥]

«كان المسلمون لا يكادون يعقدون الاتفاقات مع الشعوب حتى يتركوا لها حرية المعتقد، وحتى يحجموا على اكراه احد من ابنائها على الدخول في الدين الجديد والجيوش الإسلامية ما كانت تتبع بحشد من المبشرين الملحاحين غير المرغوب فيهم، وما كانت تضع المبشرين في مراكز محاطة بضروب الامتياز لكي ينشروا عقيدتهم أو يدافعوا عنها. ليس هذا فحسب. بل لقد فرض المسلمون، في فترة من الفترات، على كل راغب في الدخول في الإسلام، أن يسلك مسلكاً لا يساعد من غير ريب على تيسير انتشار الإسلام. ذلك أنهم طلبوا إلى الراغبين في اعتناق الدين الجديد أن يمثلوا أمام القاضي ويعلنوا أن اسلامهم لم يكن نتيجة لأي ضغط، وأنهم لا يهدفون من وراء ذلك إلى أي كسب دنيوي والواقع أن اليهود والنصارى لم يمنحوا حرية المعتقد الديني فحسب، بل عهد إليهم في تولّ المناصب الحكومية حين كانت مؤهلاتهم الشخصية من القوة بحيث تلفت انتباه الحاكمين..»[2].

روجيه كارودي

[١]

«أسطورة اخرى ينبغي القضاء عليها: تللك التي اراد الاستعمار الفرنسي فرضها حين صوّر التوسع العربي بدءً من القرن الميلادي الثامن على أنه تدفق (الهمجية الآسيوية) على الغرب»[3].

(١) نفسه، ص ٣٢. (٢) نفسه، ص ٣٥-٣٦.
(٣) حوار الحضارات، ص ٩٦.

[٢]

«أن ما يطلقون عليه اسم (غزو اسبانية) لم يكن غزوا عسكرياً. لقد كان عدد سكان اسبانية في ذلك الحين زهاء عشرة ملايين نسمة ولم يزد عدد الفرسان العرب في الأراضي الاسبانية البتة على سبعين الفاً وانما لعب التفوق الحضاري دوراً حاسماً»[1].

[٣]

«أن ما حققه العرب في اسبانية يجعلنا نفكر في الحرب الثورية التي نهض بها ماو [في الصين] فقد جلبوا معهم نظاماً اجتماعيا اعلى جدا من النظام الراهن، وسرعان ما ظهروا بمظهر محررين. أولاً بانقاد الاقنان من وصاية ملوك [القوط] في عصر انحطاطهم. ثم بعدم امتلاكهم الاراضي ـ والقرآن يمنع ذلك ـ ولكن بالاكتفاء بالخراج»[2].

[٤]

«.. لماذا هبّ هذا «الاعصار» القادم من الشرق وانتشر بمثل هذه السرعة العظمى من بحر الصين إلى المحيط الاطلسي؟ إن العامل الحاسم هو أن (العربي) قد جلب معه اشكالاً اعلى في مجالات التنظيم الاجتماعية وحتى الاقتصادي، ولذا نجده يحظى بقبول الجماهير في عالم يقر نظام الرق وهو في حالة تفسّخ تام»[3].

[٥]

«.. حدثني مبشر في [كميرون] وهو يائس فقال: (ان بعثاتنا تقدم المسيحية على نحو كما لو أن الله لم يظهر في صورة انسان وإنما ظهر في صورة غربي). فكيف ندهش أمام تقدم الإسلام المذهل في افريقية السوداء في عصر الاستقلال إعراباً عن رفض المستعمر؟»[4].

---

(١) نفسه، ص ٩٧ .
(٢) نفسه، ص ٩٧ .
(٣) نفسه، ص ١٠١ .
(٤) نفسه، ص ٢٦٧ .

ادوين كالغرلي

[١]

« . . لم يحمل المسلمون أثناء غزواتهم المنتصرة احداً مكن المسيحيين أو اليهود على اعتناق الإسلام. فقد أقر الإسلام لأهل الكتاب بحرية ممارسة شعائر دينهم بشرط دفع الجزية. وكل ما طالبهم به هو أن يسلموا للدين الجديد بالسيادة المدنية والسياسية التي تمثلت في الدولة الإسلامية . . »[١].

[٢]

« . . احتفظ المسلمون للاقليات غير المسلمة في البلاد [التي فتحوها] بحقوقهم وامتيازاتهم الدينية . . »[٢].

[٣]

« . . في القرآن آية كريمة تفيض بالصدق والحكمة يعرفها المسلمون جميعاً ويجب أن يعرفها غيرهم، وهي تقول بأن: ﴿لا اكراه في الدين﴾[٣] . . »[٤].

كلود كاهن

[١]

«يبدو لنا نشوء الإسلام مع فتوحاته الخاطفة وكأنها من الامور الخارقة ثمة شعب خامل الذكر ـ حتى تلك الفترة من الزمن ـ استطاع أن يجمع كلمته بدافع عقيدة جديدة. وما هي إلا سنوات حتى بسط سلطانه على الامبراطورية الساسانية قاطبة وكذلك على جميع الاقاليم الآسيوية والافريقية التابعة للدولة البيزنطية باستثناء غربي آسيا الصغرى، ثم لم يلبث أن ضمّ إليه الجزء الأكبر من اسبانيا بالاضافة إلى جزيرة

---

(١) الشرق الأدنى : مجتمعه وثقافته (باشراف كويلر يونغ)، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .
(٢) نفسه، ص ١٦٤ .
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٦ .
(٤) الشرق الأدنى، ص ١٨٢ .

صقلية، واستولى مؤقتاً على مواقع اخرى في قارة أوربا. وهو في الوقت نفسه قد طرق أبـواب الهنـد والصين والحبشة والسودان الغربي وبلاد غالية ومدينة القسطنطينية. فتـداعت أمـامـه أعرق الدول، وخضعت لهذا الدين الجديد جميع الديانات التي استقرت في البلاد المترامية الأطراف من نهر سيحون حتى السنغال»[1].

[٢]

«.. حافظت الأقوام المغلوبة على حرية إقامة شعائرها لا يحدّها في ذلك سوى الامتناع عن تلك التظاهرات العامة التي تؤذي المسلمين في المناطق الآهلة بهم. كما حافظت تلك الاقوام على شرائعها الخاصة.. ورأى المسلمون في اداء الضريبة لهم اعترافاً بالسيادة العليا للأمة الإسلامية ولقاء ذلك استبقى الاهالي ما يملكون من عقـارات ونـزل العرب خارج ممتلكاتهم.. وكان على المغلوبين ايضاً واجب الوفاء والاخـلاص للفـاتحـين، وبخـاصـة في فترات الحروب كايواء المسلمين وتزويدهم بالاخبار والامتناع عن افشاء المعلومات للعدو..»[2].

[٣]

«حقيق بنا أن نبدد بعض الاخطاء التي دامت قرونا عديدة. فقد قاتل الصليبيون الاتراك في العهود اللاحقة ونظمت في الغرب الدعوة لمكافحتها فاستنتجوا من ذلك أن النظام السياسي [السلجوقي] الجديد قد وصم بتعصب من نوع خاص، وهذا أمرٌ باطل.. [لأن] الاضطهاد الوحيد الذي سجله التاريخ وقتئذ هو ذلك الذي أمر به الخليفـة (الحـاكم) في مصر. وهو حادث شاذ تم خارج الامبراطورية التركية وقبل قيامها. ولم يمح المؤرخون الغربيون بين آسيا الصغرى (وفيها كان التركمان سببا في قيام الاضطراب..) وبين كافة العالم السلجوقي. وبين ايدينا العديد من الشهادات والقرائن التي تنهض دليلاً على أن المسيحيين من أهل البلاد كانوا على العكس من ذلك قد هلّلوا فرحاً لحكومة السادة الجدد عقب عودة النظام [بمجيء السلاجقة] ولم يخطر لهم مطلقاً أن يستنجدوا بالغرب لينقذوهم»[3].

---

(١) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ١/٥-٦. (٢) نفسه، ١/٢٨.
(٣) نفسه، ١/٣٥٥.

[٤]

«لا تعني السمة الإسلامية الواضحة للدول السلجوقية أنها تضم فقط الرعايا المسلمين، كما لا تعني أن الذميين قد ضاقوا بها ذرعا. وحقيق بنا ـ هنا ايضاً أن نبدد كثيراً من الاخطاء الصادرة احيانا عن نية حسنة. قلنا أن الفتح التركماني كان قاسيا وانه ادى في بعض الظروف إلى كوارث فاجعة. لكن الوضع القانوني للنصارى المحليين لم يختلف عما كان عليه في الدول الإسلامية العريقة بعد أن استقر النظام السياسي في البلاد، ولو أن المناوشات استمرت على الحدود بصورة متقطعة، بل غالباً ما كان وضعهم في آسيا الصغرى أفضل من الناحية الفعلية بحكم غالبيتهم العددية الثابتة. وهكذا تقدم لنا الدولة السلجوقية تداخلاً لعناصر متباينة جداً، ولا نرى فيها أناساً متذمرين حقا، أو أناساً يعاودهم الحنين فعلاً إلى استرجاع الماضى أو أستعادة السيادة البيزنطية مثلاً، وهي لم تترك في أذهان الناس ذكريات سعيدة فقط في مجال الفدائية والمنازعات الطائفية . . »[1].

[٥]

«استطاع الإسلام أن يعوض عن الخسائر التي تكبدها في البحر المتوسط بمكاسب حصل عليها في افريقيا السوداء وآسيا الجنوبية الشرقية. ففي السودان كانت القوافل المغربية قد نشرت الإسلام منذ زمن بعيد. . أما الزعماء الزنوج المحليون فقد وجدوا في الإسلام مبادىء وتعاليم تساعدهم على انشاء مؤسسات سياسية ارسخ بنياناً من تلك التي عهدوها قديماً في بلادهم. وامتدت سيادة امبراطورية (مالي) (القرن الرابع عشر)مع حاضرتها (تومبوكتو) في المركز، وكذلك سيادة امبراطورية (غاوا التي خلفتها في القرن الخامس عشر من الغابات العذراء حتى الواحات الصحراوية المغربية. وانتشرت الثقافة الإسلامية في تلك البقاع على يد العلماء المغاربة ومختلف النازحين (الاندلسيين). وفي بلاد (تشاد) التقت تأثيرات مغربية ومصرية. ثم لم يلبث أن قدم النخاسون الاوربيون فاوقفوا هذا القدم الثقافي الذي احدثه الإسلام ـ ولو من بعض الوجوه ـ قبل مجيء الغربيين بأمد بعيد»[2].

---

(١) نفسه، ١/٣٦٧.

(٢) نفسه، ١/٤٠٤.

هاملتون كب

[١]

«انبثق الإسلام انبثاقاً مفاجئاً في بلاد العرب، وأقام بسرعة تكاد تعزّ على التصديق، في أقل من قرن من الزمن، امبراطورية جديدة في غربي آسيا وشواطىء البحر المتوسط الجنوبية والغربية»[١].

[٢]

لقد تمت الفتوحات [الإسلامية] دون أن تزعزع اقتصاديات البلاد المفتوحة، وعلى أثرها أقام الفاتحون توّاً سلطة مركزية منظمة»[٢].

[٣]

«في التاريخ أمثلة على توسّع الدول لا سبيل إلى تعليلها، لكن ليست هناك سوى أمثلة قليلة جداً على دولة تكونت على هذا النحو واستطاعت أن تبلغ ما بلغته الدولة الإسلامية من استمرار واستقرار نسبيين»[٣].

[٤]

«لنأخذ بعين الاعتبار المظاهر الخارجية للحيوية التي برهن عليها الإسلام خلال الحقبة [التالية] من الزمن مثل قيام الامبراطورية العثمانية في الشرق الأدنى وامبراطورية المغول في الهند. . ازدهار اندونيسيا، ماليزيا، ازدياد عدد المسلمين في الصين، طرد الاسبانيين والبرتغاليين من مراكش، امتداد المنطقة الإسلامية في افريقيا الغربية والشرقية. كان من السهل واليسير على المؤرخين القدامى ان ينظروا إلى جميع هذه الأحداث أو أغلبها نظرتهم إلى حركات عسكرية صرفة. ولا يمكن بالطبع أن يغيب عن الذهن هذا العنصر المتعلق بالقوة العسكرية الغازية التي وضعها الإسلام بتلك الفترة. ومع ذلك فإن أية عقدية غازية تنمو وتمتد هي عقيدة حية. انها تبين منذ

---

(١) دراسات في حضارة الإسلام، ص ٤ .　　(٢) نفسه، ص ٨ .

(٣) نفسه، ص ٤٥ .

ذلـك الوقت أنها أكثر من مجموعة من المعتقدات والتطبيقات الجافة. نحن كذلك نعرف في الوقت الحاضر أكثر من أي وقت مضى الايمان الذي تلعبه هذه العقيدة الحية التي مهـدت الـطريق قبـل كل شيء لهذه القوة العسكرية وساعدتها بعد ذلك على التشكـل وتكييف التركيب الداخلي وتنظيم الامبراطورية، كما ساعدت على ترميم التخريبات الناتجة عن الحروب، وإعادة تنظيم التركيب الاجتماعي..»[1].

كـرامـرز[2]

[١]

«لو رسمنا خريطة تبين الاحوال السياسية الاوربية والافريقية وغربي آسيا في حوالي منتصف القرن العاشر [الميلادي] لوجدنا أن القسم الأعظم من العالم المسكون. كان مسكوناً بامم تخضع للحكم الإسلامي وتسودها الحضارة الإسلامية. انها لم تكن في ذلك الزمن وحدة سياسية متينة العرى، بل كانت مرتبطة فيما بينها برباط قوي من الـدين والحضـارة، حتى أن سكانها ـ مع أنهم لم يكونوا من المسلمين فقط ـ كانوا يشعـرون بأنهم رعـايا دولـة إسلامية مترامية الاطراف مركزها الديني مكة ومحورها السياسي بغداد. هذه الامبراطورية العظيمة نمت وبلغت أشدها في القرون الثلاثة الاولى من تاريخ الإسـلام، بسلسلة من الفتوحات ابتدأت بالمدينة المنورة، وكان ميدانها ومـركز ثقلها شبه جزيرة العرب.. ومع أن الاقاليم [التي فتحها الإسلام] تختلف إذا قورنت بالبـلاد التي يسكنها المسلمون الآن فضلاً عن أنها أوسع رقعة، فالحقيقة التي لا يمكن دحضها أنها كانت تؤلف كتلة دينية واحدة فضلاً عن وحدة سياسية متينة العرى متراصة البنيان جمعت بينها قوة السلاح وجعلت سكانها يقفون في العالم كأعظم قوة مركزية متحدة عرفها البشر..»[3].

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) البروفيسور جي. م. ج كرامرز Prof. J. H. Kramers

ولد بهولندة، سنة ١٨٩١، وكان أستاذ للتركية والفارسية في جامعة ليدن حتى سنة ١٩٣٩، اشتغل من ١٩١٥ حتى ١٩٢١ مترجماً للسفارة الهولندية في الاستانة. كان أحد المساهمين في كتابة كثير من الموضوعات في دائرة المعارف الإسلامية، وألف كتاب: (فن التاريخ عند الاتراك العثمانيين) (١٩٤٤).

(٣) تراث الإسلام، (اشراف سيرتوماس ارنولد)، ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

[٢]

«. . أن اورشليم [القدس] المركز الديني الاسمى لاوربا النصرانية دخلت منذ السنة ٦٣٨م في حوزة الإسلام. إلا أن الفتح الإسلامي لم يمنع من زيارة القبر المقدس أو يحل بين الاوربيين المسيحيين وبين انجاز هذه الفريضة الدينية. . »[١].

جوليفيه كستلو

[١]

«. . ما كان الحكم التركي الذي امتد ظله إلى المجر ظالماً ولا قاسيا، فقد كان العثمانيون يرعون اديان الشعوب المحكومة ويحترمون عاداتها وظلت تركية متمسكة بهذه القاعدة إلى القرن العشرين، وما تعمدت قط أن تتمثل العناصر بل اكتفت بفرض الضرائب عليهم. وقد رأينا الشعوب التي خضعت لحكم السلطنة اضاعت قوميتها وكانت مع هذا أيام استعبادها أسعد حالاً من العصور المضطربة المحاربة أيام استقلالها، وربما لم تربح إلى اليوم من هذا التبدل في الحكم. . »[٢].

كمبل[٣]

[١]

«. . لا يقتصر نفور [الافريقي] من السير على المنهاج الغربي، بل يتعداه إلى وجوب البحث عن منهاج آخر أوفق للعقل الافريقي والظروف الافريقية، مع تفضيل الإسلام ـ لتسليمه بمواطن الضعف الانساني وإغضائه عن فوارق الالوان ـ على المسيحية بما تدعوا إليه من الدقة وتشتمل عليه من الكهنوتية المعقدة والاعتراف بالفوارق الكثيرة، فضلاً عن الارتباط بين وجودها ووجود الطبقات الحاكمة. . . »[٤].

---

(١) نفسه، ص ١٢٩ .

(٢) قانون التاريخ، (عن محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية)، ٢/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧ .

(٣) جورج كمبل G. Kimble
رئيس قسم الجغرافية بجامعة انديانا الامريكية، مؤلف كتاب (افريقية الاستوائية) في مجلدين.

(٤) افريقية الاستوائية، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام ص ١١٢ ـ ١١٣ .

ايفلين كوبولد

[١]

«. . إن الإسلام لا يعرض لمعتنقي الأديان الأخرى بسوء وهو لا يحملهم على قبول دينه والنزول تحت شرعته. . كما أنه لم يحارب الذين لم يعتنقوا دينه، ولا عمل على قتلهم وحرقهم وتعذيبهم كما فعل غيره سواه وآية القرآن الكريم ظاهرة بينه ﴿**لا اكره في الدين**﴾[١] . .»[٢].

[٢]

«هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل بيت المقدس فاتحاً ظافراً. . ادركت الصلاة وكان في داخل كنيسة القيامة، فخرج منها وصلى خارجها. ولما سأله البطريرك عن سبب ذلك قال له: اخشى أن يتخذ المسلمون بعدي من صلاتي هذه في الكنيسة حجة لقلبها إلى مسجد فيخرقون المعاهدة بذلك. . وبذلك حفظ الفاروق للمسيحية كنيستهم الأولى. .»[٣].

[٣]

لما استرجع السلطان صلاح الدين بيت المقدس بعد معارك عديدة، وطرد الصليبيين من البلاد أظهر في حروبه ومعاركه كل الوان الرفق والرحمة والعطف والعفو عند المقدرة، وقد حفظ له كثير من كتاب الغرب هذه الصفات، ولم يتأخروا من المجاهرة بها والاقرار بأنه كان أشرف الاعداء وأطهر الفاتحين»[٤].

[٤]

«مما يجدر ذكره أن صلاح الدين لما افتتح القدس وكانت أفعال الصليبيين الدامية بأهلها لا تزال ملء السمع والبصر، وابى أن يعامل المغلوبين إلا بالحسنى والرفق ورفض الانتقام من الذين اساءوا واحرقوا ودمروا وزاد ندى فسمح لجميع المسيحيين بمغادرة المدينة تحت رعاية رجاله ومحافظة قواده»[٥].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٢) البحث عن الله، ص ٩٣.

(٣) نفسه، ص ٩٤.

(٤) نفسه، ص ٩٥.

(٥) نفسه، ص ٩٥-٩٦.

كولدتسيهر

[١]

« . . أنه مما لا يمكن انكاره أن الاوامر القديمة التي وضعت للمسلمين الفاتحين ازاء أهل الكتاب الخاضعين لهم، اثناء هذه المرحلة الاولى من التطور الفقهي كانت قائمة على روح (التسامح) وعدم التعصب. وأن ما يشاهد اليوم مما يشبه أن يكون تسامحاً دينياً في علاقات الحكومات الإسلامية، ونجد ظواهر هذا التشريع في الإسلام في كتب الرحالة في القرن الثامن عشر، يرجع إلى ما كان في النصف الأول من القرن السابع من مبادىء الحرية الدينية التي منحت لأهل الكتاب في مباشرة أعمالهم الدينية»[١].

[٢]

«روح التســامح في الإسـلام قديماً، تلك الـروح التي اعـترف بها المسيحيون المعاصرون أيضاً، كان لها اصلها في القرآن: ﴿**لا اكراه في ادين**﴾[٢] . . ، وقد جاءت الاخبار عن السنين العشر الاولى للاسلام بمثل للتسامح الديني للخلفاء، إزاء أهل الأديان القديمة، وكثيراً ما كانوا يوصون في وصاياهم للفاتحين بالتعاليم الحكيمة، ومن المثل لذلك عهد النبي [ﷺ] مع نصارى نجران، الذي حوى احترام منشآت النصارى، ثم هذه القواعد التي اعطاها لمعاذ بن جبل عند ذهابه إلى اليمن (لا يزعج يهودي في يهوديته). وفي هذه الدائرة العالية كانت أيضاً عهود الصلح التي اعطيت للنصارى الخاضعين للدولة البيزنطية التي اندمجت في الإسلام وبموجبها كانوا ـ في مقابل دفع الجزية ـ يستطيعون مباشرة شئونهم الدينية من غير ازعاج لهم . . »[٣].

[٣]

«وكما أن مبدأ التسامح كان جاريا في الأعمال الدينية، كذلك من جهة اخرى كان يراعى فقهياً، فيما يتعلق بالمعاملات المدنية والاقتصادية بالنسبة لأهل الكتاب مبدأ

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ٤٥ . (٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٦ .

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ٤٦ .

الرعاية والتساهل، فظلم أهل الذمة، وهم اولئك المحتمون بحمى الإسلام من غير المسلمين، كان يحكم عليه بالمعصية وتعدي الشريعة. ففي بعض المرات عامل حاكم اقليم لبنان الشعب بقسوة عندما ثار ضد ظلم احد عمال الضرائب، فحكم عليه بما قاله الرسول [ﷺ]: (من ظلم معاهدا، وكلفه فوق طاقته فانا حجيجه يوم القيامة). وفي عصر أحدث من هذا ما رواه بورتر Porter في كتابه (خمس سنين في دمشق) من أنه رأى بالقرب من بصري (بيت اليهود) وحكمت أنه كان في هذا الموضع مسجد هدمه عمر [رضي الله عنه] لأن الحاكم قد اغتصبه من يهودي ليبني عليه هذا المسجد»[1].

عبد الله كويليام

[١]

«إن سرعة انتشار الإسلام [في العصر الحديث] يرجع إلى عدم الخلط والخبط في أصوله وبنيانه الأمر الذي جعل له مكاناً ثابتاً في قلوب أهله وكل من تدين به بخلاف النصرانية فانها مزعزعة الاركان قل ما يكون لها ثبات عند الانسان لما فيها من التبديل والتغيير والتحريف والتحوير. لقد افاد الإسلام التمدن أكثر من النصرانية ونشر راية المساواة والاخوة، وهذه الادلة نذكرها نقلا عن تقارير الموظفين من الانكليز. وعن ما كتبه أغلب السوّاح عن النتائج الحسنة التي نتجت من الدين الإسلامي، فإنه عندما تتدين به أمة من الأمم السودانية [الافريقية] تختفي من بينها في الحال عبادة الاوثان واتباع الشيطان والشرك، وتحرم أكل لحم الانسان وقتل الرجال ووأد الأطفال وتضرب عن الكهانة ويأخذ أهلها في أسباب الاصلاح وحبّ الطهارة واجتناب الخبائث والرجس والسعي نحو احراز المعالي وشرف النفس، ويصبح عندهم قرى الضيف من الواجبات الدينية وشرب الخمر ولعب الميسر محرمة، والرقص القبيح ومخالطة النساء دون تمييز منعدمة، يحسبون عفة المرأة من الفضائل ويتمسكون بحسن الشمائل»[2].

---

(١) نفسه، ص ٤٦ ـ ٤٧.

(٢) العقيدة الإسلامية، ص ١٥ ـ ١٧ عن: (كانن اسحق تيلي في خطبة له بمؤتمر الكنيسة الانكليزية بتاريخ ٧ أكتوبر سنة ١٨٨٧، نشرت بجريدة التايمس في اليوم التالي).

[٢]

«[زعم عدد من الكتـاب الغربيين] أن الإسلام في شرقي أفريقيا قائمة قواعده الأساسية على التجارة في الرقيق وجميع وسائل القسوة والانحطاط أن روايات كهذه مجردة بالمـرة عن الحقيقة، لا يمكن تصديقها وتصور وقوعها واني بدون تردد أثبت وأقول عن سعة خبرة واطلاع عن شرقي افريقيا واواسطها بما ليس في امكان [اولئك الكتاب] أن يأتوا بمثله: أنه لو كان للنخاسة وجود في هذه البقاع فما ذلك إلا لأن الإسلام لم يدخل فيها وبرهان ذلك أن الإسلام من خصائصه أبطال النخاسة ابطالا دائماً» (١).

[٣]

«لنزدلف الآن إلى غربي افريقيا والسودان الاوسط ـ حيث أتاحت لي الفرص زيارة هذه الجهات ـ فأقول أننا إذا قلبنا الطرق واجلنا النظر نجد الاسلام كجسم قوي تدب فيه روح الحياة والنشاط وتتحرك فيه عوامل الحماسة والاقدام كما كان في أيامه الأولى. فترى الناس تدخل فيه افواجا افواجا وتقبل عليه باقبال عجيب يشبه أيامه السالفة.. وأن دعاة الدين المسيحي يحاولون قلب الحقائق والقاء تبعة آثام النخاسة على عاتق الإسلام.. وتراهم لقصورهم عن أدراك مزايا هذا الدين المبين يصفون انتشاره بداهية دهماء على الافريقيين ويقولون ـ كما لقن إليهم في حداثتهم ـ بأن دين محمد [ﷺ] لم تقم له قائمة إلا بقوة النار [والسيف].. هذه هي التخيلات المطبوعة في اذهانهم والتي يشيعونها عن انتشار الإسلام، وهي على ما أظن تصورات توارثوها جيلا فجيل»(٢).

[٤]

«.. على هذا المنوال انغرست بذور المدنية بين عدة قبائل همجية [في افريقيا] ونما فيه الإسلام نمواً هائلاً إلى حد رنّ فيه صدى هذه البلاد وملأ الأفاق، وها هو يقام

---

(١) نفسه، ص ٢٦ ـ ٢٧ عن: (المستر جوزيف تومبس J. Tompson الرحالة الانكليزي الشهير، جريدة التايمس، ١٤ نوفمبر ١٨٨٧).

(٢) نفسه، ص ٢٩ ـ ٣٠ (عن مقال تومبسن المذكور).

فيها في الصباح والظهر وما يلي ذلك من الاوقات كلمة المناداة في الإسلام ـ الأذان ـ فبعد ما كان الناس يسجدون للأشجار ويعبدون الاحجار صاروا يسجدون الآن لله الواحد القهار. . »[١].

جاك كيمن

[١]

«إن الشريعة الإسلامية، امتزجت بعناصر وطنية افريقية، تؤلف عاملاً من عوامل التوحيد. ولما كانت الوثنية بين زنوج افريقيا تتميز في جوهرها بالشعور الاقليمي الضيّق كان لا بدّ من اتساع نطاق الإسلام في هذا العصر الذي تزايدت فيه المواصلات، وتضاعفت الاتصالات. وقد احتفظ الإسلام في المناطق التي نفذ إليها قبل المسيحية والاوربيين، بتأثيره الموحد. أما في غير ذلك من الأماكن فقد ظل منافساً للمسيحية لأنه أسهل اعتناقاً أن الإسلام قد رفع مستوى الحضارة لدى الزنوج. . »[٢].

روم لاندو

[١]

«في عصر كان (السلب والنهب) هو القاعدة التي يتبعها كل جيش منتصر لدن دخوله مدينة ما، يبدو العهد الذي اعطاه خالد بن الوليد [رضي الله عنه] لأهل دمشق انسانياً إلى أبعد الحدود ومعتدلاً إلى أبعد الحدود. ويبدو جليا، في الواقع، أن الكتائب العربية اعتبرت نفسها محررة للشعب المضطهد وحاملة رسالة الإسلام إليه في آن معاً. وقد اتخذ من شروط الاستسلام هذه نموذج احتذي في ما بعد عند فتح المدن السورية والفلسطينية الأخرى»[٣].

---

(١) نفسه، ص ٣٢ ـ ٣٣ (عن مقال تومبسن المذكور).

(٢) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (تحرير كرونباوم)، ص ٢٦ .

(٣) الإسلام والعرب، ص ٦٠ .

[٢]

«إذا اعتبرت القرون الوسطى عصر إيمان وحرب فالحروب الصليبية هي اكمل تعبير عنها واشنعه. والذي لا ريب فيه أن العقل الاوربي الوسيطي Medieval قد اعتبر الحروب الصليبية حروباً مقدسة من اجل قضية مقدسة. ففي الإسلام لم يعلن أي (جهاد) عام ضد الصليبيين، ولم يوجّه الخليفة، دفّة هذه الحروب. أما في الغرب فقد فني البابا في تلك القضية واعتبرها قضيته الذاتية. والواقع أن الحروب الصليبية، كحركة دينية كشفت ـ من طريق التعصب والتطرف الدينيين ـ عن اسوأ مظاهر النصرانية الوسيطية كلها. لقد نجحت الحروب المقدسة في خلق شقة واسعة تفصل ما بين الشرق والغرب بدلاً من أن يعيد تدعيم الجسر الرابط ما بين ثقافتين تجمع ما بينهما في نهاية المطاف مفاهيم ايمانية مشتركة، ومصالح ثقافية تمتنع على الاحصاء..»[1].

[٣]

«على نقيض الامبراطورية النصرانية التي حاولت أن تفرض المسيحية على جميع رعاياه فرضاً، اعترف العرب الاقليات الدينية وقبلوا بوجودها. كان النصارى واليهود والزرادشتيون يعرفون عندهم بـ (أهل الذمة)، أو الشعوب المتمتعة بالحماية. لقد ضمنت حرية العبادة لهم من طريق الجزية.. التي امست تدفع بدلاً من الخدمة العسكرية. وكانت هذه الضريبة مضافاً إليها الخراج، أقل في مجموعها من الضرائب التي كانت مفروضة في ظل الحكم البيزنطي. كانت كل فرقة من الفرق التي تعامل كملّة، أي كطائفة نصف مستقلة استقلالاً ذاتيا ضمن الدولة. وكانت كل ملّة تخضع لرئيسها الديني..»[2].

[٤]

«من وجهة نظر منطقية وعقلانية نستطيع أن نفترض أنه كان خليقا بالنصارى أن يتحالفوا مع المسلمين النزّاعين إلى الوفاء بالمعاهدات لكي يدفعوا عن الانسانية بلاء

---

(١) نفسه، ص ١١٥.

(٢) نفسه، ص ١١٩.

المغول. والواقع أنه كان في ميسورهم أن ينهجوا هذا النهج ومع ذلك فنحن نجد أن ما حدث كان هو العكس تقريباً. فقد وجه زعيم العالم المسيحي، البابا انوسنت الرابع، بعثتين إلى منغوليا. وكان القديس لويس الورع، قد ابى على نحو موصول ان يتفاوض مع المسلمين بأية حال، ومع ذلك فإنه لم يجد أية غضاضة على معتقداته الدينية أن يوجه موفدين لمفاوضات المغول الوثنيين»[1].

[٥]

«كان الاسبان قد نعموا، في ظل الحكم الإسلامي، بمعاملة متسامحة تحررية، ولكنهم لم يكونوا الآن [بعد انتصارهم النهائي] في وضع نفسي يساعدهم على تبني السياسية المتمدينة نفسها فراحوا يحنثون، في حرارة دينية متعصبة، بالعهود الغليظة التي اخذوا على أنفسهم باحترام الدين الإسلامي والممتلكات الإسلامية. فإذا بهم يحرقون الكتب العربية ويتلقون معظم الآثار التي كانت عنوان تفوق الثقافة الإسلامية. وفي عام ١٤٩٩م دشن الكاردينال كزمينز برنامجاً للتنصير الاجباري شعاره: أما المعمودية وأما الاخراج من البلاد. ونشطت محاكم التفتيش نشاطا رهيبا. واكره كثير من المسلمين واليهود على مغادرة أسبانية. وعام ١٥٥٦م أجبر الملك فيليب الثاني من بقي من المسلمين في البلاد على التخلي عن لغتهم ودينهم ومؤسساتهم. حتى إذا كانت سنة ١٦٠٩ افضى مرسوم ملكي نهائي إلى ترحيلهم ترحيلا كاملاً. ودون المؤرخون عدد المسلمين الذين ابعدوا أو قتلوا، ما بين سقوط غرناطة ومطلع القرن السابع عشر، بثلاثة ملايين ونيف»[2].

كوستاف لوبون

[١]

«ثبتت أصول شريعة الرسول [ﷺ] وفنون العرب ولغتهم أينما حلت، ولم يدر في خلد أحد من الفاتحين الكثيرين الذين قهروا العرب اقامة حضارة مقام حضارة العرب، وانتحلوا كلهم دين العرب وفنونهم، واتخذ اكثرهم العربية لغة له، وتقهقرت

---

(١) نفسه، ص ١٣٠.

(٢) نفسه، ص ١٨٠.

أمام الإسلام في الهند ديانات قديمة، وجعل الإسلام مصر الفراعنة القديمة، التي لم يكن للفرس واليونان والرومان فيها سوى نفوذ قليل، عربية تامة العروبة، وعرفت أقوام الهند والفرس ومصر وافريقية لهم سادة غير أتباع محمد [ﷺ] فيما مضى ولم يعرفوا لهم سادة غير المسلمين بعد أن رضوا بالاسلام دينا»[1].

[٢]

«ساعد وضوح الإسلام البالغ وما أمر به من العدل والاحسان كل المساعدة على انتشاره في العالم، ونفسر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للاسلام، كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطينية فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام، كما نفسر السبب في عدم تنصّر أي أمة بعد أن رضيت بالاسلام دينا، سواء أكانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة»[2].

[٣]

« . . أن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الاقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل»[3].

[٤]

« . . لو وفق موسى بن نصير [في اجتياز أوربة] لجعل أوربة مسلمة، لحقق للأمم المتمدنة وحدتها الدينية، ولأنقذ أوربة، على ما يحتمل، من دور القرون الوسطى الذي لم تعرفه اسبانية بفضل العرب»[4].

---

(١) حضارة العرب، ص ٢٧ .
(٢) نفسه، ص ١٢٥ .
(٣) نفسه، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .
(٤) نفسه، ص ٢٦٧ .

برنارد لويس

[١]

«الواقع أن الذي غزا أتراك آسيا الوسطى، لم يكن المسلمين بل كان الإسلام ذاته. فقد كان المتصوفون والمبشرون المتجولون.. يتنقلون بين القبائل التي لم يتم اخضاعها فيما وراء النهر، ينشرون الدين البسيط، دين الكفاح الذي أزداد على الحدود بين الإسلام والوثنية»[١].

[٢]

«.. هروب اليهود الاسبان إلى تركيا معروف للجميع، لكنه ليس الحالة الوحيدة على الاطلاق. وعندما انتهى الحكم العثماني في أوروبا، كانت الأمم المسيحية التي حكمها العثمانيون خلال عدة قرون لا تزال هناك، بلغاتها وثقافاتها ودياناتها ـ إلى حد ما ـ بمؤسساتها.. أما أسبانيا وصقلية فليس فيها اليوم مسلمون أو ناطقون باللغة العربية..»[٢].

[٣]

«لم يكن اللاجئون المسلمون واليهود، ولا المسيحيون من ذوي الاراء الدينية والسياسية المنشقة، هم الاوربيين الوحيدين الذين استفادوا من الحكم العثماني إذ أن الفلاحين في المناطق التي غزيت قد تمتعوا ـ بدورهم ـ بتحسّن كبير في اوضاعهم. فقد جلبت الحكومة الامبراطورية العثمانية الوحدة والامن مكان الصراع والفوضى.. [وأصبح] الفلاحون يتمتعون بقدر من الحرية في حقولهم اكبر بكثير من ذي قبل، وكانت الضرائب التي يدفعونها تقدّر بصورة مخففة وتجمع بطريقة انسانية، وذلك بالمقارنة بما كان يجري في أنظمة الحكم السابقة والمجاورة.. فحتى القرن التاسع عشر كان الاوربيون الذين يزورون البلقان يعلقون على اوضاع فلاحي البلقان الحسنة وعلى رضاهم عن هذه الاوضاع، وكانوا يجدونه افضل من الاوضاع السائدة في بعض انحاء اوربا المسيحية. وكان الفرق اوضح بكثير في القرنين الخامس عشر والسادس

---

(١) تراث الإسلام (تصنيف شاخت وبوزورث ١ / ٢٧٩).

(٢) نفسه، ١ /٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

عشر، في عصر حركات التمرد الكبيرة التي كان يقوم بها الفلاحون في اوربا. وحتى عملية الداوشرمة Deushrime وهي عملية الجمع القسرى للاولاد من بين الفلاحين المسيحيين من اجـل تجنيدهم في الجيش العثماني وفي خدمة الدولة لم تخل من نواح ايجـابية. فبهذه الوسيلة كان اقل القرويين شأناً يستطيع أن يرتقي إلى أعلى المراكز وأكثرها نفوذاً وقد ارتقى الكثيرون بالفعل واحضروا اسرهم معهم، وهو شكل من أشكال المرونة الاجتماعية كان مستحيلاً في المجتمعات الارستقراطية للعالم المسيحي المعاصر للعثمانيين»[1].

الس ليختنستادتر

[١]

«لقد جسمت العداوة المسيحية خطر الحرب المقدسة في اخضاع البلاد التي لا تدين بالاسلام للسيطرة الإسلامية، إذ أن القتال لم يكن له كل هذا العمل في انتشار الفتوح حتى في ابان القرن الأول بعد الدعوة، وانما تم معظم هذا الفتوح بالتسليم ومعاهدات الصلح، ووردت في هذه المعاهدات فقرات تبيح لأهل الكتاب من أبناء البلاد المفتوحة أن يحتفظوا بعقائدهم وشعائرهم بشروط ليست على الجملة بالمرهقة. فليست فكـرة النار والمدن بالفكرة الصحيحة التي يؤيدها الواقع، ومن الميسور كما يقول المؤرخ توينبي أن يسقط الدعوة التي شاعت بين جوانب العالم المسيحي غلوّاً في تجسيم أثر الاكراه في الدعوة الإسلامية، إذ لم يكن التخيير ببلاد الروم والفرس بين الإسـلام والسيف وإنما كان تخييراً بين الإسلام والجزية وهي الخطة التي استحقت الثناء لاستنارتها حين اتبعت بعد ذلك في البلاد الانجليزية على عهد الملكة اليصابات. . »[2].

ادم متز

[١]

«أن أكـبر فرق بين الامـبراطـورية الإسلامية وبين أوربا التي كانت كلها على المسيحية في العصـور الـوسـطى وجـود عدد هائل من اهل الديانات الأخرى بين

---

(١) نفسه، ١/٢٨٧ ـ ٢٨٨، وانظر المرجع نفسه ١/٢٨٨.

(٢) الإسلام والعصر الحديث، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٢٢ ـ ٢٣.

المسلمين وأولئك هم (أهل الذمة) الذين كان وجودهم من أول الأمر حائلاً بين شعوب الإسلام وبين تكوين وحدة سياسية. . واستند أهل الذمة إلى ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود وما منحوه من حقوق فلم يرضوا بالاندماج في المسلمين وقد كان وجودهم سبباً لظهور مبادىء التسامح التي ينادي بها المصلحون المحدثين وكانت الحاجة إلى المعيشة المشتركة وما ينبغي أن يكون فيها من وفاق مما أوجد من أول الأمر نوعاً من التسامح الذي لم يكن معروفاً في أوربا في العصور الوسطى ومظهر هذا التسامح نشوء علم مقارنة الأديان، أي دراسة الملل والنحل على اختلافها، والاقبال على هذا العلم بشغف عظيم»[1].

[٢]

«ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال، وكان قدمهم راسخاً في الصنائع التي تدرّ الأرباح الوافرة، فكانوا صيارفة وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء. بل أن أهل الذمة نظموا أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفة والجهابذة في الشام مثلاً يهوداً، على حين كان أكثر الاطباء والكتبة نصارى. وكان رئيس النصارى في بغداد هو طبيب الخليفة، وكان رواد اليهود وجهابذتهم عنده. .»[2].

[٣]

«كانت حياة الذمي عند أبي حنيفة وابن حنبل تكافىء حياة المسلم، ودية المسلم، وهي مسألة مهمة جدا من حيث المبدأ. . ولم تكن الحكومة الإسلامية تتدخل في الشعائر الدينية لأهل الذمة، بل كان يبلغ من بعض الخلفاء أن يحض مواكبهم وأعيادهم ويأمر بصيانتهم. . وكذلك ازدهرت الاديرة بهدوء. .»[3].

[٤]

«ومن الامور التي نعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرّفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية. .»[4].

---

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، ١/٥٧.
(٢) نفسه، ١/٦٨ - ٦٩.
(٣) نفسه، ١/٦٩ - ٧٠.
(٤) نفسه، ١/٨٧.

[٥]

[كان تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى، وهو التسامح الذي لم يسمع، بمثله في العصور الوسطى، سببا في أن لحق بمباحث علم الكلام شيء لم يمكن قط من مظاهر العصور الوسطى، وهو علم مقارنة الملل . . »[1].

جواهر لال نهرو

[١]

«المدهش حقاً أن نلاحظ هذا الشعب العربي الذي ظل منسياً اجيالاً عديدة بعيداً عما يجري حولـه قد استقيظ فجأة ووثب بنشاط فائق أدهش العالم وقلبه رأساً على عقب. وان قصـة انتشار العرب في آسيا واوربا وأفريقيا، والحضارة الراقية والمدنية الزاهرة التي قدّموها للعالم هي اعجوبة من اعجوبات التاريخ»[2].

[٢]

«سار العرب من فتح إلى فتح، وكثيراً ما ربحوا الحروب بدون قتال. وفي غضون خمسة وعشرين عاماً من وفاة الرسول [ﷺ]، فتح العرب جميع بلاد فارس وسوريا وأرمينية وجزءاً من أواسط آسيا الشرقية ومصر وجزءا من شمال افريقيا. وقد سلمت لهم مصر بسهولة لانها كانت قد قاست كثيراً من استبداد الامبراطورية الرومانية ومن الحروب الطائفية . . »[3].

[٣]

« . . أن العرب كانوا في بداية يقظتهم متقدين حماسا لعقيدتهم وانهم كانوا مع ذلك قوما متسامحين لأن دينهم يأمر في مواضع عديدة بالتسامح والصفح. وكان عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] شديد الحرص على التسامح عندما دخل بيت المقدس، أما مسلموا أسبانية فإنهم تركوا للجالية المسيحية الكبيرة هناك حرية العبادة . . والواقع أن

---

(١) نفسه، ١/٣٦٦ .
(٢) لمحات، ص ٢٣ .
(٣) نفسه، ص ٢٧ .

ابرز ما يميز هذه الفترة من التاريخ هو الفرق الشاسع بين العرب المسلمين وتعصب النصارى الاوربيين!»[1].

[٤]

«.. كانت حياة العرب في زمن محمد [ﷺ] غريبة، وكانت عزيمتهم تختلف عن عزيمة الجنود والجيوش التي كان يعتمد عليها الملوك. لقد برز هؤلاء العرب بعقيدة متوقدة قهرت الجبال ونشرت الإسلام في الأفاق كما تنتشر النار في الهشيم.. برزوا شامخين في عالمهم فدانت أمام زحفهم المظفر الجيوش الجرارة كانت الشعوب الأخرى متململة من امرائها، فلاح العرب كبارقة الأمل لهذه القوة التي كانت ترقب الفرج والثورة الاجتماعية»[2].

[٥]

«إذا عدت النظافة عيباً في العرب، فقد اسند إليهم عيب آخر الا وهو التسامح الديني ويكاد المرء لا يصدق أن ذلك هي التهمة الرئيسية الموجهة للعرب في كتاب رئيس اساقفة فالنسيا الذي وضعه في عام ١٦٠٢ بعنوان (الحاد العرب وخياناتهم) وطالب فيه باقصاء العرب عن اسبانيا. وقد قال: (أن العرب يحبذون جدا حرية الضمير في الشؤون المتعلقة بالدين، شأنهم في ذلك شأن الاتراك والمسلمين الذين تركوا لاتباعهم الحرية الدينية). ولعمري ما اجمل هذا المدح الذي قصد به ذم مسلمي أسبانيا الذين يمتازون بتسامحهم الديني في الوقت الذي استرسل فيه المسيحيون الاوربيون في التعصب والغلظة»[3].

ليندون هاريس

[١]

«أن ابن القبيلة الافريقي يلمح نظافة المسلم شخصاً وبزة، كما يلمح المكانة التي يكسبها بأدب (الحشمة) الاجتماعية وتتعلق مكانة الرجل الافريقي بهذه الحشمة

(١) نفسه، ص ٣١.
(٢) نفسه، ص ٣٣.
(٣) نفسه، ص ٤٨.

والمصطلح عليها، وهي مكانت ذات شأن حيث يعيش الناس على مرأى بعضهم من بعض في حيزهم المحدود فلا جرم أن يعتز المسلم بهذه الحشمة فوق اعتزازه بكل شيء لأنها مقياس خلقه وحياته، وبها يستدعي المناظرة ومحاولة التشبه به من انباء البلاد الاصلاء»[1].

زيغريد هونكه

[١]

«لعل من أهم عوامل انتصارات العرب ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية أن هو إلا مجرد اسطورة من نسج الخيال تكذبها آلاف من الادلة القاطعة عن تسامحهم وانسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة. والتاريخ لا يقدم لنا في صفحاته الطوال إلا عدداً ضئيلاً من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعل العرب. وكان لمسلكهم هذا أطيب الأثر مما أتاح للحضارة العربية أن تتغلغل بين تلك الشعوب بنجاح لم تحظ به الحضارة الاغريقية ببريقها الزائف ولا الحضارة الرومانية بعنفها في فرض ارادتها بالقوة»[2].

[٢]

« ﴿لا اكراه في الدين﴾[3] هذا ما أمر به القرآن الكريم، وبناء على ذلك فان العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام. فالمسيحيون والزرادشتيون واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها، سمح لهم جميعاً دون أي عائق يمنعهم، بممارسة شعائر دينهم. وترك لهم المسلمون بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بادنى أذى. او ليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى؟ ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ وبعد فظائع الاسبان واضطهادات

---

(١) الإسلام في أفريقيا الشرقية، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٦٩ ـ ٧٠ .
(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ .
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٦ .

اليهود؟ إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجوا بأنفسهم في شئون تلك الشعوب الداخلية. فبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع [الميلادي] لأخيه بطريرك القسطنطينة عن العرب: (أنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة، وهم لا يستخدمون معنا أي عنف)»[1].

[٣]

«. . أن الإنسانية والتسامح العربي هما اللذان دفعا الشعوب ذات الديانة المختلفة إلى أن تعيش في انسجام مدهش. . وأن تبدأ نموها وتوسعها وازدهارها ولأول مرة يتحرر أصحاب المذاهب المسيحية. . من اضطهاد كنيسة الدولة فتنتشر مذاهبهم بحرية ويسر. . واستطاع العربي بايمانه العميق أن يكون أبلغ سفير وداعية لديانته، لا بالتبشير وايفاد البعثات وانما بخلقه الكريم وسلوكه الحميد. فكسب بذلك لدينه عدداً وفيراً لم تكن أية دعاوة مهما بلغ شأوها لتستطيع أن تكسب مثله»[2].

[٤]

«ان الاديرة المسيحية في سورية، التي كادت أن تنمحي في عصر الحكم المسيحي وصلت إلى ذروة عظمتها في الدولة الإسلامية، أو ليس هذا بغريب؟»[3].

[٥]

«أوليس من العجيب أن نتساءل لماذا نفسر كما يحلو لنا، والعرب المسلمون قد فتحوا فعلاً جزءاً من اوربة هو الأندلس، فلم يقضوا على المسيحية التي يزعمون أن شارمارتل قد حماها، ولم يقضوا على المدنية الغربية التي لم يكن لها وجود؟!. . »[4].

مونتكومري وات

[١]

«لا يعني التأكيد ـ على اخضاع مشركي الجزيرة للاسلام ـ أن الإسلام قد انتشر بحدّ السيف. حقاً أن القبائل الوثنية في الجزيرة العربية كان عليها أن تختار الإسلام

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٣٦٤. (٢) نفسه، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧.
(٣) نفسه، ص ٣٦٨. (٤) نفسه، ص ٥٤٠ ـ ٥٤١.

والسيف، إلا أن تعـامل المسلمين كان مختلفاً تجاه اليهود والمسيحيين والزرادشيتين وغـيرهم ممن اعتـبرت ديانـاتهم شقيقة للاسلام، رغم الدعوى القائلة بأن الاتباع المعـاصرين لتلك الـديانـات قد ابتعـدوا عن جوهـرها. ومهما كان الأمر فقد كان بالامكان قبولهم نوعاً من الحلفاء للمسلمين في معظم الاقطار التي فتحتها العرب. لذلك فإن غرض الجهاد لم يكن يهدف إلى تحويل اولئك السكان نحو الإسلام بقدر ما كان يهدف إلى اعـترافهم بالحكم الإسلامي وبمنزلة اناساً يحميهم الإسلام. وبعامة فانهم (أهل الذمة)، وكانت الطائفة الذمية مجموعة من الناس تعتنق ديانة واحدة لها استقلالها الداخلي برعاية رئيس ديني كالبطريك أو الرابي، وكان على كل فرد من أفراد المجموعة الذمية دفع ضريبة شخصية إلى الحاكم المسلم، اضافة إلى مبـالغ مختلفة اخرى تحدد استناداً إلى شروط الاتفاقية مع المجموعة. وكانت تلك الضرائب احياناً أقل وطأة من الضرائب التي كانت تدفع للحكام السابقين. وكانت حمايتهم بصـورة فعـالة بالنسبة للدولة الإسلامية تمثل كلمة شرف تلتزم بها الدولة وتنفذها ثم أن وضع أهل الذمة لم يكن سيئاً رغم بعض القيود المفروضة عليهم..»[1].

[٢]

«.. كانت هناك مناطق مثل شرق افريقيا وجنوب شرق آسيا انتشر الإسلام فيها نتيجة نشاط رجال الأعمال إذ لم يكن للمسلمين في تلك المناطق الوثنية أية سرية في ممارسـة الصـلاة خمس مرات يومياً، وان اخلاص هؤلاء المسلمين والتزامهم المتزن بالإسلام الحنيف اذهل الوثنيين الذين كانت لهم علاقات تجارية مع المسلمين مما أدى إلى اعتناق الإسلام والاختلاط عن طريق الزواج إلى تكوين مجتمعات إسلامية صغيرة وسط المناطق الوثنية ونمت تلك المجتمعات بصورة تدريجية..»[2].

---

(١) تأثير الإسلام على اوربا في العصور الوسطى، ص ١٣ ـ ١٤.

(٢) نفسه، ص ٣٠.

هـ . ج . ولـز

[١]

«. . انشأ ابوبكر [رضي الله عنه]، بذلك الايمان الراسخ الذي يزحزح الجبال ينصب نفسه في بساطة وحسن تبصّر، لتنظيم اخضاع العالم بأسره لله، بجيوش صغيرة من ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف عربي، بناء على تلك الرسائل التي بعث بها النبي [ﷺ] من المدينة ملوك العالم. . والحملات العسكرية الت بدأت عند ذاك، من المع ما خلد تاريخ العالم. . وكان [المسلمون] في كل مكان يخيرون الناس بين اشياء ثلاثة: فاما أن تدفع الجزية، واما أن تسلم بالله الحق وتنضمّ الينا، واما ان تقاتل. . ولم يحدث في أي مكان شيء اسمه المقاومة الشعبية. . فان فاضل الناس بين البلاط الفارسي وبين العرب، كان العرب اعني عرب السنين العظيمة، انظف الطرفين واطهرهما بشكل ظاهر، وكانوا أكثر عدالة وأوسع رحمة. وانضم العرب المسيحيون دون تردد إلى الغزاة كذلك انضم إليهم كثير من اليهود. وكما كان الحال في الغرب كان كذلك في الشرق إذ استمر الجهاد الإسلامي لنشر الإسلام»[1].

[٢]

«. . استطاع الجنس السامي في بضع سنين باسم الله ورسوله [ﷺ] ان يسترد تقريباً كل الاملاك التي خسرها للفرس الآريين قبل ذلك بألف سنة، وسقطت بيت المقدس مبكرا .. وكان النصارى ينعمون بالتسامح في مقابل دفع الجزية فقط، وتركت الكنائس بأسرها والآثار المقدسة باجمعها في حوزتهم»[2].

[٣]

«. . لقد ساد الإسلام لأنه كان خير نظام اجتماعي وسياسي استطاعت الأيام تقديمه. وهو قد انتشر لأنه كان يجد في كل مكان شعوباً بليدة سياسياً، تسلب وتظلم وتخوّف ولا تعلم ولا تنظم، كذلك وجد حكومات انانية سقيمة لا اتصال بينها وبين

---

(١) معالم تاريخ الانسانية، ٣/٦٤٣، ٦٤٤ ـ ٦٤٥ .

(٢) نفسه، ٣/٦٤٧ .

أي شعب أصالة. كان أوسع واحدث وانظف فكرة سياسية اتخذت سمة النشاط الفعلي في العالم حتى ذلك اليوم، وكان يهب بني الانسان نظاما افضل من أي نظام آخر. وكان النظام الرأسمالي الاسترقاقي في الامبراطورية الرومانية، والأدب والثقافة والتقاليد الاجتماعية في اوربا قد انحلت انحلالاً تاما وانهارت قبل أن ينشأ الإسلام . . »[1].

ريشار وود

[١]

«ميز صاحب الشريعة الإسلامية [ﷺ] بين أهل الكتاب - وهم النصارى واليهود - وبين المشركين من العرب الذين تعرضوا لما انزل الله على رسوله [ﷺ]. وقد وقع بين الخليفة الثاني عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] وبين بطريق بيت المقدس اتفاق يضمن حماية النصارى ومنحهم امتيازات، وفىٰ بها. ثم تولى الامر بعده خلفاؤه إلى زمن السلاطين الآن. وبهذا بقيت طوائف نصرانية متعددة آمنة نامية مترفهة تحت حكم المسلمين، بل كانت في بعض الاحيان تمتاز حالتها الاجتماعية على حالة مواطنيها من المسلمين[2].

[٢]

«أن الذي يبحث بحثاً دقيقاً عن أسباب الفتن التي سفكت فيها الدماء في المشرق يعلم أن الباعث الوحيد على حدوثها هو أصبع السياسية الاجنبية التي تنتهز الفرص لايقاد نار الفتنة بين ذوي الاحقاد، ولم يكن اولئك المفسدون يحسبون أن هذه الفتن تجر إلى القتل والفظائع. ومن هذا القبيل واقعة الدروز والموارنة، وواقعة الصقالية والبلغاريين ، فقد تبين أن الاعتداء إنما كان يبتدىء من جانب النصارى»[3].

---

(١) نفسه، ٣/٦٤٩ .
(٢) الإسلام والاصلاح، ص ١٩ - ٢٠ .
(٣) نفسه، ص ٢٠ .

[٣]

«. . ان القرآن قد سمح للذميين بحرية ممارسة شعائر دينهم، وأوجب مساواتهم في الحقوق المذيلة والجنائية مع سائر الاهالي، ولم يمنع من استشارتهم في مصالح الوطن»[١].

[٤]

«. . ان النصارى [في الدولة العثمانية] متمتعون بالحرية التامة. . ونحن لم ننفرد بهذا القول فان كثيرين من علماء الانكليز والروس الفوا كتباً اكدوا فيها أن أرباب الفلاحة خارج البلاد العثمانية يحسدون البلغار العثمانية على حسن حالهم وأمنهم في منازلهم وبساتينهم الخصبة وما تحت يدهم من الاطيان والمواشي، وصوامع كنائسهم مشرفة على كل الجهات. بل يقول هؤلاء المؤلفون أن البلغار العثمانيين احسن حظاً من المسلمين العثمانيين»[٢].

[٥]

«. . للرؤساء الروحيين والاساقفة [في الدولة العثمانية] أن يتوسطوا لدى رجال الحكومة في حماية ابناء طوائفهم، وهذا زيادة في الاحتياط لكيلا ينال غير المسلمين حيف أو ظلم. . وقد زالت تماما الموانع التي كانت موجودة في سبيل تشييد الكنائس والمجامع اليهودية، وابيح لغير المسلمين من عثمانيين واجانب انشاء ما يشاؤون من المعابد. والواقعَ أن الكنائس كثر عددها جدا وقد اعترف بذلك القسس الاميريكيون. ومما يبرهن على تساهل الحكومة العثمانية في ذلك اعفاؤها كل ما يجيء برسم الكنائس والاديار والمستشفيات وغيرها من الضريبة الجمركية. . وهذا أمر لا نعلم أنه يوجد في بلاد اخرى. وزيادة في عناية الدولة العثمانية بحماية غير المسلمين صدر امرٌ سلطاني ينذر بالعقاب كل من يصدّهم عن عبادتهم. . ولا ريب في أن الدولة العثمانية قد صرفت جهد الطاقة لارضاء رعاياها النصارى واليهود، وازالة الفروق التي كانت موجودة بينهم وبين المسلمين، ومشاركتهم في الادارة العامة، وتقليدهم المناسب الرفيعة، واعلاء شأنهم واثبات حقوقهم. وفوق ذلك كله فهي قد

(١) نفسه، ص ٢١.
(٢) نفسه، ص ٢٢.

أذنت لهم بعقد جمعيات تتفاوض فيما تراه صالحاً لدينهم ودنياهم. . حتى صار النصارى يتعلمون من دولة إسلامية ما يرمي إليه الدين من الحضّ على الرفق واللين والتساهل والصبر. . أما اعتراض المعترضين بأن المساواة بين الطوائف غير كاملة ـ مادام النصارى لم يشتركوا في الجندية العثمانية ـ فجوابنا عليه أن الذنب في ذلك على النصارى أنفسهم لا على الباب العالي، إذا النصارى مع حرصهم على نوال كل الحقوق لم يقبلوا أن يدخلوا تحت ما يقابلها من الواجبات»(١).

لويس يونغ

[١]

«على الرغم من سجل اوربا الطافح بالتزمت الفكري واللاتسامح الديني، على النقيض من المسلمين، فانها ظلت ترفض الاعتراق بما للعرب من يد طولى على حضارتها وتتجاهل دورهم الحضاري وتقلل من شأنه»(٢).

[٢]

« . . أن التسامح الديني الذي مارسه الإسلام في القرون الوسطى، يفوق التسامح الديني الذي مارسته المسيحية في القرون الوسطى، حيث كاد الا يكون هناك أي تساهل ديني مع اليهود أو المسلمين والاخرين الذين خضعوا لسلطان المسيحية»(٣).

[٣]

«في القرنين الحادي عشر والثاني عشر [الميلاديين] نشأ مظهر آخر للتمثيل الدبلوماسي بين العرب واروبا تجلى في منح الامتيازات وحق السكن للاجانب، وليس هذا بغريب على العرب. وكان هؤلاء الاجانب يستثنون من الانظمة والقوانين المعمول بها محليا. كما يسمح لهم بالعيش وفق انظمتهم في بلادهم. يقولون أن

---

(١) نفسه، ص ٢٥ ـ ٢٧ .
(٢) العرب واوربا، ص ٩ .
(٣) نفسه، ص ٥١ .

القانون يطبق على الافراد وليس بحسب وجودهم في الأرض الاسلامية وانما بحسب انتمائهم القومي والديني. فالشريعة الإسلامية تطبق على المسلمين. وهذا ما يفسر التسامح الديني للمسلمين تجاه الاقلية المسيحية واليهودية التي سمح لها بممارسة حياتها الخاصة»[١].

[٤]

«أن اشياء كثيرة لا يزال على الغرب ان يتعلمها من الحضارة الاسلامية منها نظرة العرب المتسامحة وعدم تمييزهم فروق الدين والعرق واللون»[٢].

---

(١) نفسه، ص ١٦١ .

(٢) نفسه، ص ١٠ .

الفصل الخامس
الحضارة الاسلامية

«حضارة الإسلام ـ التي سيطرت على العالم مئات خمسا من السنين ـ كانت وليدة الإيمان، والايمان وحده» .

الباحث والأديب العربي اللبناني نصري سلهب

إبراهيم خليل أحمد

[١]

«كان للفتوحات الإسلامية الأثر البعيد في البلاد التي دخلت تحت لواء الإسلام، وظهر هذا الأثر بوضوح في شمال افريقيا، إذ تحول ومصر باكملها من الحضارة اللاتينية إلى الحضارة العربية . . »[١].

[٢]

«ان أثر العرب والإسلام في تاريخ العصور الوسطى لا يقف عند حدّ التغييرات السياسية التي أحدثوها في أوضاع العالم المعروف، بل يبدو هذا الأثر أشد ما يكون وضوحاً في الميدان الحضاري»[٢].

[٣]

«أن العرب لم يغرقوا في نشاطهم الحضاري بين المسلمين وغير المسلمين بل سمحوا للنصارى واليهود بالتتلمذ عليهم والاستفادة منهم، فاقبل الاوربيون في الأندلس وصقلية، والآسيويون في الشام وغيرها، على دراسة المعارف الإسلامية وترجمتها، مما ساعد على نهضة اوربا في العصور الوسطى»[٣].

سير توماس ارنولد

[١]

«أدخل العرب الظافرون الإسلام في اسبانيا سنة ٧١١م وفي سنة ١٥٠٢م أصدر فردناند وايزابلا مرسوما يقضي بالغاء شعائر الدين الإسلامي في جميع أنحاء البلاد. ولقد كتبت اسبانيا الإسلامية في القرون التي تقع بين هذين التاريخين، صفحة من انقى الصفحات واسطعها في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى. وقد امتد تأثيرها من

---

(١) محمد في التوراة والانجيل والقرآن، ص ٢٠٥ .

(٢) نفسه، ص ٢٠٧ .

(٣) نفسه، ص ٢١١ .

ولاية بروفانس Provance إلى الممالك الاوربية الاخرى، واتت بنهضة جديدة في الشعر والثقافة، ومنها تلقى طلاب العلم المسيحيون من الفلسفة اليونانية والعلوم ما اثار في نفوسهم النشاط العقلي حتى جاء عصر النهضة الحديثة . . »[1].

الدومييلي

[١]

«ان مقام العلم العربي . . لهو بالمكانة الاولى من الاهمية في تاريخ العلوم، لأن هذا العلم العربي يكوّن حلقة الاتصال والاستمرار بين الحضارة القديمة وبين العالم الجديد. وإذا نحن لم نواجه ذلك العلم العربي ولم نتفهمه فسنجد فراغاً يتعذر تفسيره بين الحضارات القديمة وبين حضارتنا الحديثة. واذن ينبغي أن نجتهد في دراسته بعناية . . »[2].

[٢]

«ينبغي ألّا نظن أن العرب لم يضيفوا شيئاً جديداً إلى العلم الذي كانوا اوصياء عليه. بل على النقيض من ذلك، وإذا كانت خطوات التنمية والانتاج التي خطوها في هذا السبيل، كثيراً ما ضاعت وتفرقت في الحشد الكبير من الكتب التي تركوها، فليست تلك الخطوات اقل اصالة وأبعد عن الواقع من اجل ذلك. وليس لأحد أن يقول - كما يقرر ذلك بعض المؤلفين - أن دور العرب ينحصر ببساطة في المزج والنقل لمعارف الاقدمين التي لولاها لذهبت ادراج الرياح (الأمر الذي هو في ذاته عنوان فخر عظيم ، وشرف لا يستهان به) . . »[3].

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، ص ١٥٤ .

وعن انجازات المسلمين في ميدان الفنون انظر: تراث الإسلام (اشراف سير توماس ارنولد)، ص ٢٢٣ - ٢٢٦ .

(٢) العلم عند العرب، ص ١٠ - ١١ .

(٣) نفسه، ص ١٤٤ .

[٣]

«تـرك كتـاب (المناظر) لابن الهيثم تأثيراً عميقاً، بل كان ـ فيما بعد ـ باعثاً إلى البحوث والاعمال التي قام بها روجير بيكون Roger Bacon . . ولعل الأثر الذي تركته مؤلفات هذا العالم العربي في البصريات والذي يبدو في اعمال بيكون. . هو السبب في أن كتب ابن الهيثم لم تنشر مبكرة في عصر النهضة، كما انها بعد ذلك لم تنشر كثيراً . . »[١].

[٤]

«على الرغم من ان البناء على أسس [المعارف اليونانية واللاتينية القديمة] لم يكن أمراً مستحيلاً، وأنه قد حصلت [في الغرب] فعلاً محاولات في هذه النواحي فإن هذا البناء لم يتحقق مع ذلك، لأن العالم الغربي كان في ذلك العصر على اتصال بالعالم العربي بوساطة طرق كثيرة الاختلاف، وكان يستطيع أن يغترف منه المادة العلمية، ويستمد النواة الروحية التي سرعان ما حملت عجيب الثمار»[٢].

[٥]

«ان ذلـك العمل، [أي الترجمة عن العربية] الذي يعد بحقّ نتاجا عظيماً بالغ الأهمية من قبـل المترجمين [الاوروبيين] جعل أصول العلم العربي تنفذ إلى أوساط العالم المسيحي في الغرب، كما لقح العلم الحديث الذي أخذ في التولد والنشوء . . »[٣].

---

(١) نفسه، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ . (٢) نفسه، ص ٤٢٤ .

(٣) نفسه، ص ٤٧٩ ، وعن الترجمة من العربية والتأثيرات العميقة التي احدثتها في الغرب انظر: المرجع نفسه، الصفحات: ٤٥٧ ـ ٤٦٤ ، ٤٦٨ ـ ٤٦٩ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ـ ٤٨٤ . وعن انجازات المسلمين في ميادين العلوم الصرفة والتطبيقية والانسانية انظر: المرجع نفسه: الرياضيات والفلك، ص ١٥٣ ـ ١٥٨ ، ١٦٠ ـ ١٦١ ، ١٦٧ ـ ١٧٠ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ـ ١٩٤ ، ٢٠٩ ـ ٢١٥ ، ٢١٧ ـ ٢٢٣ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ، ٣٥١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٨٣ ـ ٣٨٥ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ـ ٤١٣ ، ٤٥٤ ـ ٤٥٥ ، الكيمياء ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥ ، ٢٧١ ، التطبيقات ص ١٩٤ ـ ١٩٥ ، ٢٠٦ ـ ٢٠٩ ، الميكانيك ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ـ ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ـ ٣١٢ ، ٣١٤ ـ ٣١٥ ، ٣١٧ ـ ٣١٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، الطب والصيدلية والنبات والجغرافية ص ١٥١ ، ١٦٥ ، ١٧١ ـ ١٧٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ـ ٢٤٦ ، ٢٥٠ ـ ٢٥٤ ، ٢٩٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ، ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ، ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ، ٣٨٦ ـ ٣٩٠ ، ٣٩٢ ـ ٣٩٤ ، ٤٠١ ، ٤١٤ ـ ٤١٦ ، ٤١٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ـ ٤٣٥ ، الملاحة ص ٥٣٢ ـ ٥٣٣ ، ٥٤٠ ـ ٥٤٢ ، الآداب والفنون ص ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٦ ـ ٤٤٧ ، ٤٥٣ ـ ٤٥٤ .

ف بارتولد

[١]

«حضارة الإسلام، أو حضارة العرب، اسم لحضارة الشرق في القرون الوسطى ولم يكن العرب وحدهم مبتكري هذه الحضارة ولكن جميع سكان الشرق الأدنى، وقسم من افريقية، الذين ظلوا مدة طويلة منفصلين عن الحضارة الاوربية، آخى بينهم الاسلام، دين الدولة، واللغة العربية، لغة العلم والأدب»(١).

[٢]

«مما هو جدير بالملاحظة أن ابن خلدون وهو عربي، يدعي بأن الحضارة الإسلامية نتيجة مشتركة لجميع العالم الإسلامي، ويجعل الحضارة الإسلامية، وهو جد محق في هذا، فوق ما سبقتها من الحضارات»(٢).

[٣]

«أن القول بأن العالم الإسلامي (كان في نوم عميق) قبل أن يأخذ في النهوض بتأثير اوربا في القرن التاسع عشر، مبالغ فيه كثيراً. وحق أن الظروف الملائمة التي انتجت الحضارة الإسلامية لم تبق. . »(٣).

باركر(٤)

[١]

«. . وصلت حضارة [المسلمين] درجة متقدمة في اسبانيا وصقلية لا بل تسامت إلى الجوزاء، حتى انتقل تأثيرها منهما إلى فرنسا وإيطاليا. وامتدت فلسفة قرطبة وعلى

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٣٥. (٢) نفسه، ص ٩٤.

(٣) نفسه، ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٤) سرارنست باركر (١٨٧٤ ـ ١٩٦٠) Frof. Sir Ernest Barker

من كبار الباحثين، كان أستاذاً للعلوم السياسية في كمبردج ١٩٢٨ ـ ١٩٣٩، وأستاذاً لنفس المادة في جامعة كولون ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨.

من آثاره: (الفكر السياسي لافلاطون وأرسطو) (١٩٠٦)، (الفكر السياسي في انكلترا منذ أيام هربرت سبنسر حتى الآن) (١٩١٥)، (نظرات في الحكم) (١٩٤٢)، (مبادىء النظرية الاجتماعية والسياسية) (١٩٥١)، (التراث الاوربي). . الخ.

رأسها معلمها الأعظم (ابن رشد) حتى دخلت جامعة باريس، وازيّنت بالرموز بمغان: عربية وحفلت بجغرافيين وشعراء عرب أبان حكم ملوكها النورمان. . خصدو القائل أن ثمار الثقافة التي كسبها الغرب من العناصر الإسلامية التي لم تبق طويلا كانت، على الاقل، تعادل بأهميتها التأثير الذي خلفه الشرق في الغرب اثناء الحروب الصليبية. . »[1].

[٢]

« . . علينا أن نذكر ونعيد القول بأن الإسلام قد سبق فثبتت أصوله في الغرب وأستطاع أن يخلف آثاره في أسبانية وصقلية. . وبالامكان أن نرى أن تأثير الإسلام في الغرب المسيحي في قاعدتيه [هاتين] كان أشد مما هو في مراكزه (الموصل وبغداد والقاهرة). . »[2].

[٣]

«الحق يقال أن الغرب ما زال يستخدم مصطلحات عربية في عالم التجارة. . وكذلك ثبتت مصطلحات بحرية ملاحية [واخرى] منزلية. . هذه الكلمات مازالت تستعمل أو انها كانت دارجة الاستعمال فيما مضى. . »[3].

[٤]

«كان عرب أسبانيا. . هم الذين أهدوا إلى الغرب اللاتيني هباتهم النفسية في ميادين العلم والفلسفة. . وكان الطب كالرياضيات ومن مفاخر العلوم العربية واركانها الوطيدة. . »[4].

---

(١) تراث الإسلام (اشراف سير توما ارنولد)، ص ٧٩.
(٢) نفسه، ص ٩١.
(٣) نفسه، ص ٩٧ ـ ٩٨.
(٤) نفسه، ص ١٠٥.

بـانـرث[1]

[١]

«أن العرب لم يخربوا ما وجدوه من عناصر ثقافية، بل اهتموا بها وبذلوا جهدهم لهضمهـا ومن ثم تطويرها. ونرى هنا أن العرب فتحوا باب التعرف على الحضارة اليونانية منذ عصر الأمويين والعباسيين بواسطة المترجمين، وعلى هذه الطريقة تطورت الثقافة تحت حماية الإسلام بالعربية التي هي واسطة ممتازة للتعبير عن الافكار العليا والتي لا تفوقها في هذا لغة من لغات الدنيا. ولا اراني بحاجة إلى ذكر أسماء الفلاسفة الذين فتحوا آفاقاً جديدة لفهم أسرار الطبيعة والوجود، وما يهمنا هنا هو استعداد العـرب لاستعـمال الـطرق العلمية التي تعلموها من ارسطو طاليس. والتي كانت اولاهـا: مراقبة الطبيعة والتجربة، وثانيتها: قواعد المنطق الشديدة. ولا شك أن الحضارة الإسلامية ارتفعت في القرون الوسطى إلى علوّ لم ينته إليه قوم آخرون. ولا يخفى أن هذا الاعتـلاء كان ثمـرة الاجتهـاد في كل نواحي الثقافة وتطبيق الطرق العلمية. وأما الغرب الاوربي فلم يستطع حينئذ فهم الثقافة وتطويرها. وكذلك دولة بيزنـطية فقد تجمدت، والآن نرى كيف تعجبت الاقوام الاوربية من جمال الثقافة العربية التي امتدت من حدود الصين والهند إلى جبال البرانس»[2].

[٢]

«. . كان أول من قلد العـرب في التجربة الراهب (روجر بيكون) في انكلترا. وحتى الآن يشكر علماء الطبيعة في أوروبا العرب على ادخال طريقة التجربة العلمية التي دلّت على التطور الحديث في جميع الميادين. . »[3].

---

(١) ارنست بانـرث E. Baunerth.

ولد في مدينة ليبزج، سنة ١٨٩٥، ودرس اللاتينية واليونانية ثم العربية، كما تعلم الفارسية والتركية، اسره الانكليز في الجبهة سنة ١٩١٧، وانتقل إلى الهند فاستقر فيها حتى عام ١٩٢٥، وتعلم الاردية، ثم عاد إلى المـانيا، فتابع دروسه ونال الدكتوراه في اللغات الإسلامية من جامعة فينا. وعين أستاذاً للفلسفة والتاريخ والآداب الالمانية. وقد تولى مناصب عديدة وطوف في عدد من البلدان.

من آثاره: (الإسلام اليوم وغداً) (١٩٥٨)، (التفاهم بين الشرق والغرب) (بتكليف من اليونسكو)، وله دراسات عن الفلاسفة المسلمين، كما حقق العديد من النصوص، وكتب العديد من الأبحاث في المجلات المختلفة.

(٢) تأثير الفلسفة الإسلامية في تطور الفكر الاوروبي، ص ٨ ـ ٩.

(٣) نفسه، ص ١٠ ـ ١١.

[٣]

«لم يزل العلماء يواصلون الكشف عن العناصر العربية المؤثرة في الفكر الأوربي خلال القرون الوسطى، وفي كل سنة تظهر آثار منشورة تشهد بأننا لا نقدر الآن ما اخذه الاوربيون من العرب»[١].

[٤]

«[انتشرت] في اوروبا الرغبة العظيمة لدراسة اللغة اليونانية منذ تعرفوا على الفلسفة اليونانية بواسطة العرب، وأدى هذا الاهتمام الجديد بالتدريج إلى تلك الحركة الثقافية في أوروبا في القرن الخامس عشر المسماة بحركة احياء العلوم القديمة (Renaissance) ولم يزل الاهتمام في أوروبا بعلوم العرب خلال تلك الدورة، بل لقد أدى إلى الاشتغال بالعربية من جديد في القرن السابع عشر..»[٢].

برنشفك[٣]

[١]

«.. أن تأثير الدين الإسلامي تتجلى قوته.. في عدد كبير من عناصر الثقافة الانسانية: في اللغة والفنون والأدب والاخلاق والسياسة والتركيب الاجتماعي ونشاطه والقانون، بحيث لا نستطيع إذا اخذنا الوضعية كلاً، أن نرفض ملاحظة مدنية مستقلة فيها، لا تتميز (بالعنصر الإسلامي) فحسب، بل (بالعامل) الإسلامي أيضاً»[٤].

[٢]

«.. أصبحت العقيدة الإسلامية خلال القرنين الثاني والثالث [الهجريين] نظاماً نما بصورة واسعة في نواح مختلفة، وكان شديد الرغبة في اظهار تماسكه في كل مدرسة

---

(١) نفسه، ص ١١. (٢) نفسه، ص ١١.

(٣) روبرت برنشفك R. Brunschvig

ولد عام ١٩٠١، استاذ اللغة والحضارة العربيتين بجامعة بوردو ثم في كلية الآداب بجامعة باريس (١٩٥٥)، وتولى مع شاخت الاشراف على مجلة الدراسات الإسلامية Studia Islamica.

نشر عدد من الأبحاث في المجلات الاستشراقية الشهيرة، كما ألف كتاب (بلاد البربر الشرقية تحت حكم الحفصيين) في جزئين (باريس ١٩٤٠).

(٤) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، (تحرير كرونباوم)، ص ٧٤.

أو نزعة تتضح في نطاقه . . وهكذا أخذ الإسلام مكانه عملية قدرت له في عدة ميادين ثقافية، وهو دور المؤثر والمتأثر، وهو مظهر مزدوج لا يصح الفصل بين جزئيه غالباً إلا بطريقة مصطنعة»[1].

[٣]

« . . من الاصحّ دون ريب أن نعتبر العقيدة الإسلامية عاملاً، لا في الحالات التي يحدث أن تستمد منها حلّاً جديداً من مواردها الخاصة بها فحسب، أو تأتي بحلّ جديد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ولكن في كل حالة تستوعب فيها حلا داخلياً أو أجنبياً في نظامه ويلوّنه بطريقته الخاصة وبذلك تساعد على اقتباسه أو الاحتفاظ به. فكم من عمل لم تكن به من ناحية المبدأ صبغة إسلامية، طبعه الإسلام بطابعه إلى الحدّ الذي أصبح فيه عملا مميزاً للاسلام، وذلك بفضل اسناد التربية الإسلامية المأثورة. . ومن الممكن أن الصفة الإسلامية الخاصة لعنصر ثقافي في أكثر من حالة واحدة، لا يدين بشيء إلى الاصل الذي نشأت عنه بل يعبر فقط عن الحقيقة أن الإسلام باقتباسه العنصر المذكور طبعه بطابعه أو أراد اقتباسه وتمثيله»[2].

ميلر بروز

[١]

«في العصر الذهبي للثقافة الإسلامية، حينما كان علماء المسلمين يفهمون أسس العلم الحديث، كان المفكرون من المسلمين والمسيحيين يبحثون معاً معضلاتهم الفلسفية واللاهوتية المشتركة، ويفيد بعضهم من بعض كثيراً من ضروب المعرفة . . »[3].

[٢]

« . . هل يستطيع العلم حقيقة أن يخدم اغراض الدين؟ صحيح أن العلم قد قام بنصيب كبير في اسعاد الانسان، ويظهر هذا أكثر ما يظهر في ذلك العلم الذي خدمه علماء الإسلام خدمة ظاهرة، وهو علم الطب . . »[4].

---

(١) نفسه، ص ٧٩ ـ ٨٠ . (٢) نفسه، ص ٨٠ ـ ٨١ .
(٣) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، ص ٤٢ . (٤) نفسه، ص ٥١ .

ليفي بروفنسال

[١]

«إن تعبير (الغرب الإسلامي) قد لا يجد خصوماً له من أجل تعريفه الخاص فحسب، بل أن له خصوما آخرين، مازالوا كثيرين جداً في أوروبا، حتى بين الاخصائيين المرموقين في دراسات العصور الوسطى. يرون أن افريقيا الصغرى واسبانيا، كليهما، لا يشكلان مطلقاً سوى امتدادات شاسعة وظلال شاحبة للشرق الإسلامي، هذا الشرق الذي يجب الاعتراف بأنهم لا يزالون يجهلونه تمام الجهل ولا يقدرون حق التقدير الدور الراجح الذي لعبه خلال العصور في اقتصاد حوض البحر الابيض المتوسط منذ انهيار العالم القديم حتى الفترة التي شهدت غروب القرون الوسطى واولى تباشير النزعة الانسانية الناشئة. وترى أن الحكم السابق نفسه الذي كان يجعل مؤرخين كثيرين جدا يقدرون بيزنطة (بالمقارنة بذكريات روما المظفرة) يدفع هؤلاء المؤرخين إلى الايروا في المغرب والأندلس، في العصر الوسيط، سوى استمرار هزيل، في انحطاط سياسي عميق، لعصر الإسلام الذهبي في الشرق الذي دونت وقائعه في سوريا ومصر وبلاد ما بين النهرين. ولا يخطر لهؤلاء المؤرخين لحظة واحدة، لا سيما فيما يتعلق باسبانيا، أن يحاولوا اظهار قسطها الهائل في تطور العالم الأوربي الغربي، منذ القرون الحادي عشر، وفي تحسين بعض نواحي الحياة المادية، وبخاصة فيما فرضت عليه رويداً رويداً، من شعور بجمالٍ للحياة جديد، هذه الحياة التي كانت تسيطر عليها حتى ذلك الحين، وفي رهبة المجهول، صوفية ثقيلة التشاؤم»[1].

[٣]

«أن دراسة الاستعارات (اللغوية) التي تنفح القشتالية والبرتغالية والقطالونية وهي اللغات القومية الحالية في شبه الجزيرة عبيراً من العربية جد نفاذ ومدعاة للبحث، هذه الدراسة لا تقدم لنا قيمة في فقه اللغة فحسب بل أنها تكتسي طابع الأهمية الخاصة حالما نتوسع فيها لتشمل وقائع الحضارة التي بردت هذه الاستعارات اللغوية، فهي تقدم الدليل الضمني، ولكن الذي لا جدال فيه، على الأثر العميق الذي مارسته

---

(١) حضارة العرب في الأندلس، ص ٨ ـ ٩ .

الثقافة العربية الأندلسية على السكان المسيحيين في الكتلة الايبيرية بكاملها. . لقد وجد هؤلاء أنفسهم مضطرين لأن يأخذوا عن العربية كل ما كان ينقصهم حتى ذلك الوقت للتعبير عن المفاهيم الجديدة وبخاصة في مضمار المؤسسات والحياة الخاصة. وهذا التحقق هو غني بالمعلومات بصورة فريدة»[1].

[٥]

«على الرغم من أن فرنسا كانت في العصور الوسطى في عزلة عميقة بسبب من وضعها الجغرافي، إلا أن هذا، مع ذلك، لم يحل دون معاناتها من بعض النواحي، عاقبة تلك المؤثرات التي اثرتها حضارة الإسلام في الأندلس على الممالك المسيحية في شمال أسبانيا. . وقد رأينا بأن غالبية الكلمات المشتقة من العربية في اللغة الفرنسية قد دخلت إليها عن طريق الاسبانية. ومن المحتمل أن يكون هذا هو شأن كثير من المؤثرات التي قدرت فرنسا على تقبلها من الإسلام قبل زمن من الحملات الصليبية إلى الشرق أو حتى أثناء هذه الحملات. . وقد اخذ ذهاب [الرهبان الفرنسيين] وأيابهم المتواتر بين اديرتهم وبين طليطلة، يزيد أيضاً في تسهيل التبادل الثقافي بين البلدين»[2].

[٦]

«يجب أن نبادر في الحال إلى استبعاد بعض الاثباتات لأنها نفسها تستحق ذلك إذ أنها لا تعتمد فيما تزعم على مستندات خالية الغرض دائماً، لا سيما وأن لهجتها الخشنة، الحاقدة معاً، تجعلها في محل شبهة إلى حد بعيد منذ البداية. . وهي تصدر من ناحية أخرى عن كتاب ليسوا من الأسبان كما أنهم ليسوا مؤرخين أو مختصين باسبانيا، وأكثر من هذا كله فانهم غير مختصين بالاسلام. فانهم يلقون على المسلمين تبعة (اجداب) اسبانيا و(اخلائها) من السكان وانهم جعلوها (صحراء مثل أفريقيا الشمالية). ويقسم المرء لدى قراءته ما كتبوا على أنهم لم يسمعوا أبداً خرير نوافير الماء

---

(١) نفسه، ص ٨٠ ـ ٨١، وعن حشود المفردات العربية التي اقتبسها الاسبان في مجالات النظم العسكرية والمدنية، وأسماء الامكنة، والانشطة الزراعية والصناعية وغيرها، انظر المرجع نفسه، ص ٨١ ـ ٨٥، وانظر ـ كذلك ـ عبارة المؤلف التي تحمل دلالتها في هذا المجال: «لو امعنّا في هذه الاستقصاءات حتى تشمل مفرادات الحياة اليومية لاصبحت اسهاباً طويلاً، بل ومن المحتمل أن تصبح مملة. . »، نفسه ص ٨٢.

(٢) نفسه، ص ٨٧ ـ ٨٨.

في قصر الحمـراء ولم يستنشقوا أبداً العبير الرقيق، المعطر في الكزار اشبيليه. وهم يرون، وأنـا انقـل هنـا حرفياً رأيهم، بأنه (أقل ما يمكن أن يقال هو أن السيطرة الاسلامية كانت مصابا جسيما حل على اسبانيا). فما من أحد مثقف في اسبانيا اليوم يجرؤ على أن يكون حكماً مفرطاً في المبالغة إلى هذا الحد.. ولكن أسبانيا قد عرفت أن تعيد إلى إسلام الأندلس القابة في مراتب الشرف وادعت وهي مرفوعة الرأس علناً بأنه يعتبر زهرة في تراثها التاريخي والفكري»[1].

[٧]

«كان العالم السياسي الأسباني السيد Cl. Sanchez - Albornoz رئيساً لجامعة مدريد فسفيراً لبلاده ثم وزيراً لشؤونها الخارجية، إلا أنه كان ويبقى، قبل كل شيء، مؤرخاً على مستوى عالٍ.. أنه يعرف، أكثر من أي شخص آخر، كيف أشرف الإسلام على هذه البلاد وماذا كان تراثه الرئيسي فيها: تأثير عميق على الفكر الاسباني لا يمكن انكاره.. لنترك له الكلام ونردد معه كلمة هذا الاعتراف المؤثر العضوي: (المسألة اليوم ليست مسألة ظلمات العصور الوسطى، ولكن علينا أن نرى مقابل أوروبا التي تنمو في التعاسة والانحطاط، حضارة أسبانيا المسلمة الرائعة. فإن أساتذة الدراسات العربية يفتحون لنا كل مرة آفاقاً جديدة عن مدى تألّق هذه الثقافة الاسبانية المغربية وعمقها. فقد ادعوا أن لها مقاماً حاسماً في تكوين الفلسفة والعلم والشعر وجميع ثقافة أوروبـا المسيحية. وبـرهنوا على أن تأثيرها قد بلغ حتى ذرى الفكر الوسيط. بلغ القديس توماس ودانتي. كثيرون ولا شك، في كل ناحية من ناحيتي جبال البيرنيه والبحـر المتوسط الذين ينفرون حتى الآن من الإقرار لها بهذا التفوق وذلك الدور المـوجه. ومع ذلك فإن براهين وافية للغاية تؤكد ذلك منذ الآن. ومن يوم إلى يوم تنبجس اخرى جديدة. وقد انقضت عدة قرون قبل أن تعمل النهضة من جديد على تفجير ينابيع كادت تنضب، كان نهر الحضارة الذي ينهمر في قرطبة يحفظ جوهر الفكر القديم وينقله إلى العالم الجديد»[2].

---

(١) نفسه، ص ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) نفسـه، ص ١٠٢ ـ ١٠٣، وعن الـدور الذي لعبته الترجمة إلى اللغات الاسبانية في نقل مؤثرات الحضارة الإسلامية إلى الغرب، انظر: المرجع نفسه ص ٩٦ ـ ٩٧. وعن انجازات المسلمين في الآداب والفنون انظر المرجع نفسه، ص ٨٨ ـ ٩٠، ٩٧ ـ ٩٨.

ادوار بـروي

[١]

«. . انجلى غبار الفتح [الإسلامي] عن امبراطورية جديدة ولا اوسع، وعن حضارة ولا اسطع، وعن مدنية ولا اروع، عول عليها الغرب في تطوره الصاعد ورقيه البناء، بعد أن نفخ الإسلام في قسم موات من التراث الإنساني القديم روحاً جديدة عادت معه إليه الحياة، فنبض وشع وأسرى. ولهذه الأسباب، كان لا بدّ أن يحتل تاريخ العالم الإسلامي محلاً مرموقاً في ثقافة رجل العصر، كما كان لا بدّ لرجل العصر هذا من أن يفهم جيداً أن المدنية لا يقتصر مدلولها على شعب أو بلد متحيز في الزمان، وأن يعرف جيداً أن قبل توما الاكويني الذي رأى النور في إيطاليا، طلع ابن سينا المولود في احدى مقاطعات التركستان، وأن مساجد دمشق وقرطبة ارتفعت قبابها قبل كاتدرائية نوتردام في باريس بزمان، وألا ينتقص من شأن العالم الإسلامي اليوم في ما يعاني من غمرة ستنقشع بأسرع مما يظن، وألا ينظر إلى التاريخ الإسلامي من خلال مرئيات ألف ليلة وليلة. . بل علينا اعتبار هذا التاريخ قطعة من صميم التاريخ الإنساني المتنوع بتنوع الأزمنة والامكنة، والذي لا يزال، بالرغم من جزئياته وخصوصياته، تاريخ هذه البشرية الواحدة الجمعاء»[1].

[٢]

«في هذا العالم الإسلامي القلق، الجيّاش بعظائم الاحداث. . ليس ما يلفت النظر ويستبد بالخواطر مثل الرواج الذي بلغته الأداب، والازدهار الذي آلت إليه الحركة الفكرية. . واتساع هذه الحركة التي عمت مشارق العالم الإسلامي ومغاربه، فتحت الباب على مصراعيه أمام التنوع لظهور مجار فكرية عامة وتلقيح الافكار والأذهان في كل مكان. . وقد بلغ من غنى التأليف في العالم الإسلامي ما جعل الناس يشعرون بحاجة ماسة لمن ينهض ويعرف به في فهارس علمية. . وقامت في بعض حواضر البلاد الإسلامية الكبرى دور للكتب غصّت بعشرات الالوف من الكتب جرى تصنيفها على نظم فنية خاصة روعي فيها تصنيف العلوم على أبواب

---

(١) تاريخ الحضارات العام، ٣/١٠٩ ـ ١١٠ .

ومطالب، وقام على خدمتها جيش من النساخ والوراقين. . كل هذا كان يفترض عدداً كبيراً من القراء والمطالعين وطائفة كبيرة من الكتاب وحملة الأقلام والمفكرين»[1].

[٣]

«افضت الحملات الصليبية بسرعة اخيراً، باقامة الروابط المتينة مع البلدان المتقدمة ثقافياً، إلى تهذيب اخلاق الفرسان، ونشر استعمال الطرائق والسلع الغريبة وادخال التقنيات الجديدة. . واطلاع رجال الفكر على بعض مظاهر العلم والفلسفة والفن والأداب في العالمين العربي واليوناني: فجاءت هذه الاشكال والمفاهيم والطرائق والعادات، التي حصل عليها احياناً في امارات فلسطين وإيطاليا الجنوبية، وشبه الجزيرة الايبرية، وانتشرت بفضل العائدين من الحج، تنمي التراث الثقافي في أروبا المسيحية. .»[2].

[٤]

«امتدت الثقافة الاسبانية إلى ما وراء حدود السيطرة الإسلامية المنكمشة. ففي صقلية المخصصة للنورمنديين، حيث عومل المسلمون المقيمون بتساهل قل نظيره، تألق مركز أشعاع ثان، دون أسبانيا شأنا، على أنه أعظم أهمية، إلى حد بعيد، من الشرق اللاتيني، انتقلت بواسطته الثقافة الإسلامية إلى الغرب. .»[3].

[٥]

«. . بعد زمن قصير توقفت حركة التطور في البلدان [الافريقية] على أثر العبث الذريع الذي احدثه في تلك الارجاء تجار النخاسة والرق من الاوربيين هذه الحركة التطورية التي بعثها الإسلام في تلك البلاد، قبل أن تطأ أقدام البرتغاليين، بزمن طويل»[4].

---

(١) نفسه، ٣/٢٢٤ ـ ٢٢٥.
(٢) نفسه، ٣/٣١٥.
(٣) نفسه، ٣/٣٣٥.
(٤) نفسه، ٣/٥٦٤. وعن انجازات المسلمين في ميادين العلوم الصرفة والتطبيقية والانسانية، انظر: المرجع نفسه ٣/١٣١ ـ ١٣٢، ١٩٥ ـ ١٩٦، ٢٢٨ ـ ٢٢٩، ٣٢٥ ـ ٣٢٦، ٣٣٤، ٥٦٢ ـ ٥٦٣.

بلسـنر[1]

[١]

«. . لا يكاد يوجد شيء من جهود المسلمين في ميدان العلوم لم يتأثر به الغـرب بطريق أو بآخر»[2].

[٢]

«أصبح تأثير العلوم عند المسلمين على الغرب ممكناً في المقام الأول نتيجة للفتوح العربية في غرب البحر الأبيض المتوسط. فقد ترك وجود العرب حوالي ثمانمائة عام في شبه جزيرة ايبريا علامات لا تمحى على الأرض الايبرية وعلى الفنون، واللغات التي يتكلمهـا النـاس هناك. . وبالرغم من أن فترة حكم العرب في صقلية واجزاء من جنوب إيطاليا كانت قصيرة، وأن استمرار التأثير الثقافي للعرب كان اقصر عمراً، فإن هذا التأثير لم يكن في جملته، أقل شدة مما كان عليه في شبه جزيرة ايبريا. . »[3].

[٣]

«لم تكن علوم المسلمين بطبيعة الحال العامل الوحيد الذي أدى إلى احياء العلم في الغرب، فتقاليد العلوم القديمة لم تتلاشى تماماً وسط الفوضى التي عمّت خلال عصر غزوات الـبرابرة لاروبا. ومع ذلك فمن الصحيح أن علماء المسلمين أعطوا العلم الاوربي قوة دفع جديدة. والاهم من ذلك أن هذا العلم الغربي قد اكتسب مادة ادّت إلى اثرائه بدرجة لا نظير لها بفضل الترجمات العربية عن الاغريق، وكذلك بفضل الانتاج العلمي المستقلّ للمسلمين أنفسهم. . »[4].

---

(١) مارتن بلسـنر — M. Plessner

محاضر في معهد العلوم الشرقية بجامعة فرانكفورت. وقد وقف نشاطه على احصاء ما عرّب من الادب والفلسفة والعلوم الطبيعية لدى اليونان في العصور الوسطى.

من آثـاره: كتب العديد من الدراسات في المجلات الاستشراقية المعروفة ومنها (المخطوطات العربية في استانبول وقونية ودمشق) و(ترجمة العلوم اليونانية إلى العربية) كما كتب العديد من المفردات في دائرة المعارف الإسلامية.

(٢) تراث الإسلام، (تصنيف شاخت وبوزوث)، ٣/٧٩.

(٣) نفسه، ٣/٧٩.

(٤) نفسه، ٣/٨١.

[٤]

«. . أضحت اللغـة العـربية اداة العلم الإسلامي الرئيسية وقامت في المشرق بالدور الذي قامت به اللغة اللاتينية في الغرب. . ولم تحتل اللغة العربية هذه المكانة الرفيعة بذاتها ولكن الموقع المركزي لها بوصفها لغة الدين الإسلامي والادارة هو الذي أدى إلى تطويعها لتلائم المتطلبات العلمية. . »[١].

مـارسـيل بـوازار

[١]

«. . أن الموضوعية التاريخية ـ بل مجرد العدل ـ تدفع إلى التذكير بأن الحضارة التي تعهّدت الثقافة المتوسطية خلال القرون السبعة التي تتألف منها العصور الوسطى، كانت الحضارة الإسلامية ويعترف معظم المؤلفين اليوم بهذا الواقع. . »[٢].

[٢]

«. . ألم يكن العالم الإسلامي هو الذي جمع أعمال العصور القديمة وترجمها وعلّق عليها تاركاً في اثنائها بصمات عبقريته الخاصة، قبل أن ينقلها إلى الغرب المسيحي؟ ألم يكن ابن رشد وابن سينا وغيرهما أساتذة الفكر لعدّة أجيال أوربية؟ ألم تتخلص الفلسفة العبرية على يد الثقافة الإسلامية، من وطأة العقيدة التلمودية التي كانت قد سحقتها زمناً طويلاً؟ . . »[٣].

[٣]

«. . يبـدو الإسـلام واقعـاً سياسيا واجتماعيا متنـاغـماً، وظاهرة تاريخية جديرة بالملاحـظة، وبـالاختصار حضارة قدّمت مفهوماً خاصاً بالفرد، وبيّنت مكانته في المجتمع، ودفعت قدما ببعض المسلّمات التي تنظم اتصال الشعوب بعضها ببعض. ولم يكن من شأن هذه الحضارة، من جهة ثانية، أن أسهمت اسهاماً تاريخياً في الثقافة الكـونية وحسب، بل كان أن طمحت كذلـك، وبحق، إلى تقـديم حلول لأهم المعضلات الفردية والاجتماعية والدولية التي تزعج العالم المعاصر وتقلقه»[٤].

---

(١) نفسه، ٣/٨٢، وعن انجازات المسلمين في ميدان الطب والصيدلة، انظر: المرجع نفسه ٣/١٠٠ ـ ١٠٢، ١١٨ ـ ١١٩، ١٢١ ـ ١٢٨، ١٤١ ـ ١٤٨.

(٢) إنسانية الإسلام، ص١٢.

(٣) نفسه، ص١٢ ـ ١٣.

(٤) نفسه، ص٣٣.

[٤]

«يدل التاريخ على وجود ثابتة مطلقة في الحضارة الإسلامية كانت متمحورة منذ البدء تمحوراً تاماً حول الله، وما تزال كذلك. وهذه الظاهرة التي غالباً ما تخفى على الفكر والتحليل الغربيين الحديثين تضفي على الإسلام طابع الديمومة..»[1].

[٥]

«.. ما كاد الإسلام يستقر، متأثراً بالمبادىء القرآنية الخلقية الجوهرية ومفيدا من الثقافة المرهفة لبعض الشعوب المفتوحة بلادها، حتى ظهر على أنه مشعل حضارة..»[2].

ديبورا بوتر

[١]

«لقد جاء الإسلام بعصر التنوير الحقيقي في المجالات العلمية والثقافية والفنية بصورة لم يسبق لها مثيل في عظمتها إلى يوم الناس هذا.. فبين عام ٧٠٠ و ١٤٠٠ بعد الميلاد وفي الوقت الذي كانت فيه أوروبا تغط في سبات عميق في عصور الظلام المسماة بالعصور الوسطى، كان العلماء المسلمون قد توصلوا إلى المنهج التجريبي في البحث عن حلّ محل المنهج المنطقي العقيم الذي كان سائداً عند الاغريق قبل ذلك.. لقد انتجت هذه الحقبة من الزمان للدنيا رجالاً عظماء.. ساهموا مساهمة عظيمة في تشييد صرح الحضارة الانسانية وكانوا يستلهمون هديهم من القرآن الكريم في جميع نشاطاتهم..»[3].

[٢]

«لقد انتشرت روح الاستفسار والتساؤل الإسلامية وتفشّت في أوروبا.. وأصبحت أسبانيا المركز الفكري لاوروبا كلها، وقدمت للعالم أفضل الأساتذة والمعلمين.. لقد كان الاوروبيون يستخدمون مادة العلم [الإسلامي] في مؤلفاتهم

(١) نفسه، ص ٣٦ ـ ٣٧. (٢) نفسه، ص ٢٥٣.
(٣) رجال ونساء أسلموا، ٨/١٠٨ ـ ١٠٩.

واستفادوا من كثير من الانجازات والاكتشافات الإسلامية ونسبوها لأنفسهم. واليوم نجد المؤرخين ينسبون للمسلمين المزيد مما يسمى بالمخترعات الاوروبية والأعمال الأدبية العظمى . . »[1].

[٣]

«أنه لا روجر بيكون ولا من جاء بعده من الاوربيين له أي فضل في اختراع الطريقة التجريبية. فلم يكن روجر بيكون إلا تلميذاً من الذين نهلوا من العلوم الإسلامية واقتبسوا طريقتها وكانوا رسلها إلى أوروبا المسيحية، وكان لا يفتأ يعلن أن الالمان باللغة العربية والعلوم العربية هو السبيل الوحيد لمعاصريه نحو المعرفة الصحيحة»[2].

موريس بوكاي

[١]

« . . أن الإسلام قد أعتبر دائماً أن الدين والعلم توأمان متلازمان. فمنذ البدء كانت العناية بالعلم جزءاً لا يتجزأ من الواجبات التي أمر بها الإسلام. وأن تطبيق هذا الأمر هو الذي أدى إلى ذلك الازدهار العظيم للعلوم في عصر الحضارة الإسلامية، تلك التي اقتات منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة في أوروبا . . »[3].

[٢]

« . . في الإسلام كان الموقف إزاء العلم مختلفاً [عن المسيحية] إذ ليس هناك أوضح من ذلك الحديث الشهير للنبي ﷺ الذي يقول: «أطلب العلم ولو في الصين». أو ذلك الحديث الآخر الذي يقول: «إن طلب العلم فرض على كل مسلم وكل مسلمة». هناك امرٌ رئيسيّ: القرآن، إلى جانب أنه يدعو إلى المواظبة على الاشتغال

---

(١) نفسه، ٨/١١٠ ـ ١١١.
(٢) نفسه، ٨/١١١.
(٣) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص ١٤.

بالعلم، فإنه يحتوي أيضاً على تأملات عديدة خاصة بالظاهرات الطبيعية وبتفاصيل توضيحية تتفق تماماً مع معطيات العلم الحديث»[1].

[٣]

. . علينا أن نتذكر أنه في عصر عظمة الإسلام، أي بين القرن الثامن والقرن الثاني عشر من العصر المسيحي، وعلى حين كانت تفرض القيود على التطور العلمي في بلداننا المسيحية، انجزت كمية عظيمة من الأبحاث والمكتشفات بالجامعات الإسلامية. في ذلك العصر كان الباحث بهذه الجامعات يجد وسائل ثقافية عظيمة. ففي قرطبة كانت مكتبة الخليفة تحتوي على أربعمائة ألف مجلد. . [وكان] الكثيرون يسافرون من مختلف بلاد أوروبا للدراسة فيها. ولكن كم هي كثيرة تلك المخطوطات القديمة التي وصلت إلينا بواسطة الادباء العرب ناقلة بذلك الثقافة إلى البلاد المفتوحة ولكم نحن مدينون للثقافة العربية في الرياضيات (فالجبر عربي) وعلم الفلك والفيزياء (البصريات) والجيولوجيا وعلم النباتات والطب إلى غير ذلك. لقد اتخذ العلم لأول مرة صفة عالمية في جامعات العصر الوسيط الإسلامية. في ذلك العصر كان الناس أكثر تأثراً بالروح الدينية مما هم عليه في عصرنا، ولكن ذلك لم يمنعهم من أن يكونوا في آن واحد مؤمنين وعلماء. كان العلم الأخ التوأم للدين. لكم كان ينبغي على العلم ألّا يكف عن أن يكون كذلك»[2].

جون براند ترند

[١]

«. . الشيء الذي لا يمكن نكرانه هو أن عرب أسبانيا خلقوا مدنية زاهرة واتقنوا تنظيم الحياة الاقتصادية في الوقت الذي كانت تنوء أغلب اصقاع أوروبا تحت نير الشقاء والاغلال مادية كانت أم روحية. أجل فقد لعب عرب أسبانيا دوراً خطيراً في تقدم الفن والفلسفة والشعر حتى أرتفع تأثيرها إلى أعلى قمم الفكر المسيحي في القرن الثالث عشر بظهور توما الاكويني ودانتي»[3].

(١) نفسه، ص ١٤٠.
(٢) نفسه، ص ١٤٠ ـ ١٤١.
(٣) تراث الإسلام، (اشراف سير توماس ارنولد)، ص ٢٢.

[٢]

«أن قرطبة فاقت كل حواضر أوروبا مدنية أثناء القرن العاشر، كانت في الحقيقة محط أعجاب العالم ودهشته. وكان السياح القادمون من الشمال يسمعون بما هو أشبه بالخشوع والرهبة عن تلك المدينة التي تحوي سبعين مكتبة وتسعمائة حمام عمومي. فان ادركت الحاجة حكام ليون أو النافار أو برشلونة إلى جراحي أو مهندس معماري أو خائط ثياب أو موسيقي فلا يتوجهون بمطلبهم إلّا إلى قرطبة»[1].

[٣]

«ترينا اسماء الامكنة والالفاظ الشائعة التي بقيت في اللغة الاسبانية حتى الآن مدى تأثيرها باللغة العربية في خير اوقات نموّها. إذ ما أهل القرن العاشر، حتى كانت بسائط الحياة الاسبانية قد تأثرت بالإسلام أعمق تأثير. هذا التأثير امتد بسقوط طليطلة فشمل سائر أنحاء أوروبا.. ثم وإن كان بلاط الملك الفونسو بلاطا مسيحياً بالاسم «كما تأثر خطاه في هذا المضمار بلاط فردريك الثاني في بالرمو بعد ذلك الزمن بمائتي عام تقريباً) فقد كانت مسحة المدنية الإسلامية تغلب عليه.. ولقد كانت مدارس طليطلة تجتذب طلاب العلم من جميع انحاء أوروبا، وبضمنها انكلترا..»[2].

[٤]

«يذهب الناس احياناً إلى أن تراث العصور الوسطى ليس إلا تراثاً مسيحياً خالصاً، وأن المسيحية.. إنما هي السبيل الوحيد لتعرف تاريخ العصور الوسطى. على أن هذا القول ينطوي على اغفال أهم ما ظفرت به النهضة الاوروبية من أثر هام قام بالجانب الأكبر منه مسلموا أسبانيا، ولم يكن حظ مسلمي صقلية وبلاد البرتغال منه قليلاً..»[3].

---

(١) نفسه، ص ٢٧. (٢) نفسه، ص ٥٤ ـ ٥٥.
(٣) تاريخ العالم، (نشره السير جون. أ. هامرتن)، المجلد الخامس، ص ٧٢٩.

[٥]

«اجتذبت مدارس طليطلة إليها الدارسين من سائر انحاء أوروبا، واستطاع هؤلاء الدارسون بفضل ما تعلموه من اللغة العربية. . أن يتوفروا على ترجمة الكتب من العربية إلى اللاتينية فأسهموا بذلك في تقديم الحركة العلمية في العالم. . فمن مدارس سالرنو وبغداد ودمشق وقرطبة وغرناطة ومالقة تلقى العالم ثقافة المسلمين وعلومهم. . »[١].

ارنولد توييني

[١]

«لقد أسر الإسلام (المغلوب) [في الحروب الصليبية] (غالبيه)، وأدخل فنون الحضارة إلى حياة العالم المسيحي، وقد كانت حياة (لاتينية) صدئة وفي بعض بعض حقول النشاط الانساني، كهندسة البناء مثلاً، تغلغل التأثير الإسلامي في العالم المسيحي كله طيلة قرونه الوسطى، أما في صقلية والأندلس، فقد كان تأثر الدولة الغربية الجديدة فيهما بالامبراطورية العربية القديمة أوسع شمولاً وأبعد غوراً»[٢].

[٢]

«وفقّ الإسلام فيما فشل فيه سابقوه، لأنه استكمل عملية طرد الهلينية من العالم السوري. كما عاد فادمج في الخلافة العربية، الدولة العالمية السورية التي اختزل الاسكندر الأكبر حياتها بقسوة قبل أن تستكمل رسالتها. . واخيراً منح الإسلام المجتمع السوري بعد طول الانتظار، عقيدة دينية عالمية أصيلة. فعاود بذلك المجتمع السوري ـ بعد انقضاء قرون من توقف حيوتيه ـ على أن يسلم الروح وهو متأكد أنه لن يزول دون أن يخلف عقبا. إذ غدت العقيدة الإسلامية اليرقة التي بزغت عنها في حينها الحضارتان العربية والايرانية»[٣].

---

(١) نفسه، ٥/٧٥٩، وعن انجازات المسلمين في ميادين العلوم الصرفة والتطبيقية والانسانية، انظر: المرجع نفسه، ٥/٧٣٠، ٧٤٥ ـ ٧٤٦، ٧٤٩ ـ ٧٥٢، ٧٥٨ ـ ٧٥٩ .

(٢) الإسلام والغرب والمستقبل، ص ٣٤ .

(٣) مختصر دراسة للتاريخ، ١/٢٤١ .

[٣]

«. . ساهم علماء أسبانيا الإسلامية ـ عن غير قصد ـ في تشييد الصرح الفلسفي الذي أقامه فلاسفة المسيحية الغربية المدرسيون أبان العصور الوسطى. كما وصلت بعض مؤلفات الفيلسوف الهليني ارسطو، العالم المسيحي الغربي للمرة الأولى، عن طريق التراجم العربية. وصحيح كذلك أن كثيراً من المؤثرات الشرقية على الثقافة الغربية. . إنما وفدت في الحقيقة من ايبريا الإسلامية»(١).

[٤]

«. . أننا لنجد للتقويم المسيحي وقت كتابة هذه السطور، السيادة على جميع العالم، ولا ينازعه مكانته سوى منافس خطير هو التقويم الهجري الإسلامي وما يزال اليهود بعنادهم المعروف يحسبون تقويمهم رسمياً على أساس تقديرهم بداية الخليقة»(٢).

[٥]

«. . لعلنا نعجب لهذه الدرجة من الاحترام المتبادل التي أصبح كل من المتحاربين من الفريقين [الإسلامي والمسيحي] يكنها للآخر. كما نعجب لهذا القدر من الزاد الثقافي الذي نشر به مسيحيو الغرب الوسيط عن هذا الطريق السوري. . [حيث أصبحت فتوحات الصليبيين الموقوتة في سوريا، وفتوحاتهم الدائمة في صقلية والأندلس ـ على حساب دار الاسلام ـ محطات (ارسال) متعددة، أمكن عن طريقها نقل الكنوز الروحية إلى العالم المسيحي الغربي في العصور الوسطى. أن الجو النظيف القائم على التسامح الديني والتطلع الفكري الذي أسر ـ بعض الوقت ـ ألباب فاتحي بالرمو وطليطلة من مسيحيي الغرب، بمقارنته بروح التعصب التقليدية فيهم، هذا الجو النظيف، كان اصيلاً في الإسلام في عهده الأول. . لقد تلقى مسيحيو القرون الوسطى في الغرب من معاصريهم علماء المسلمين، نتائج البحث الإسلامي. . »(٣).

---

(١) نفسه، ١/٢٦٦ـ٢٦٧ .

(٢) نفسه، ٣/١٠٤ .

(٣) نفسه، ٣/٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦ .

فيليب حتي

[١]

«لقد ساعد فتح البلاد الاسلامية ودخول عدد كبير من سكان البلاد المفتوحة في الإسلام إلى ازدهار العلم وزيادة ثقافته. وقد امتازت هذه الثقافة بأنها ظلت منذ أواسط القرن الثامن للميلاد (الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة) إلى آخر القرن الثاني عشر للميلاد (وآخر القرن السادس للهجرة) لا تدانيه ثقافة اخرى في الازدهار ولا يفوقه في النتاج الأدبي والعلمي والفلسفي نتاج آخر»[1].

[٢]

«أن فترة النقل تلك (في العصر العباسي) قد استمرت نحو قرن من الزمن وانتهت في نحو عام ٨٥٠ للميلاد (٢٣٦هـ). ولكن تبعها دور من الابتكار، دور عبر فيه العرب عن فكرهم الاصيل وازدهر في بغداد ثم أمتد قرنين كاملين. وكثر الابتكار في عدد من ميادين المعرفة كعلم الكلام والفقه وفقه اللغة والبحوث اللغوية الأخرى والفلسفة والطب والعلوم الطبيعية. ذلك كان دوراً لا مثيل له في جميع أدوار التاريخ العربي. بل أن بامكاننا أن نقول أكثر من ذلك: أننا على ثقة من أن العلماء الذين برعوا في الرياضيات والفلك، والاطباء من الذين عاشوا في بغداد في القرنين التاسع والعاشر للميلاد (الثالث والرابع للهجرة) لم يكن لهم مثيل (يومذاك) في قارتي أوربة وأسية. لقد جعل هؤلاء من مدينتهم عاصمة للعلم في العالم، كما كانت (من قبل) اثينة عاصمة الفلسفة ورومية عاصمة التشريع والقدس عاصمة الأديان.. وخلقوا حضارة ذات هبات غنية يغلب فيها عنصر الابتكار، واقاموا في الإسلام عصرا ذهبياً (في العلوم الكونية)..»[2].

[٣]

«لم يدرك العرب وجود المعارف العلمية إلا بعد أن جاءهم الإسلام وبعد أن احتكوا بأهل الثقافات القديمة. أن الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام هي التي ادّت

(١) الإسلام منهج حياة، ص ١٠ - ١١. (٢) نفسه، ص ١٨٩.

إلى هذا الاحتكاك الحيوي للعرب بالتراث الثقافي النفيس الذي خلّفه اليونان والسريان والفرس والمصريون القدماء. . لقد كان من افضال [العرب] أنهم شجعوا كل جماعة من رعاياهم على أن تحافظ على تراثها القومي وعلى أن توسعه ما دام هذا التراث ليس مخالفاً للإسلام. . »[1].

[٥]

«فيما كان بناء المساجد ينتشر شرقاً حتى بلغ الصين وغربا حتى وصل إلى الأندلس كان نمط البناء يتأثر بعناصر محلية من غير أن تتبدل خطته الأساسية تبدلا يذكر. وبما كان المسجد مكانا للعبادة فإن بناءه عموما ظل على بساطة وجلال. ومع أنه استعار من انماط البناء الاخرى فإنه ظل معبراً عن الإسلام تعبيراً عظيماً. وأما في أثناء تطوره في التاريخ، من ناحية العمارة، فإنه كان صورة مصغرة لتطور الثقافة الإسلامية: تلك الثقافة التي كان المسجد تعبيراً صحيحاً عنها ـ فيما يتعلق بالأمم المختلفة وباعراق البشر المختلفة ـ إذ هو يمثل بصورة ملموسة ذلك التفاعل بين الإسلام وبين جيرانه. والمؤمن ذو الاتجاه الروحي، على كل حال، لا يقلقه ذلك التطور. أنه ما يكاد يدخل الصحن الذي ينكشف للسماء والذي تحيط به الاروقة حتى يجد في نفسه ميلا شديداً إلى الانعتاق من البيئة المادية التي حوله ثم نزوعا، في الوقت نفسه، إلى السموّ نحو الملأ الاعلى. وهذه المئذنة الطويلة الرشيقة فإنها أشبه بالاصبع التي تنتصب مشيرة إلى السماء وأما في جوف المسجد فإن القبة المتلألئة بالمصابيح تبدو وكأنها صورة منقولة عن قبة السماء. وكذلك المحراب المزخرف (بالأشكال والاغصان والمزين بالآيات الكريمة) فإنه يوجه القلب إلى مصدر الهدى والايمان. والأعمدة التي تتوالى في صفوف لا تكاد العين أن ترى آخرها توحي بأنها لا تتناهى. وهؤلاء المصلون حولك (معا أو فرادى، في كل مكان من المسجد) يولدّون في النفس شعوراً بمشاركة في اخوة تسع العالم كله»[2].

---

(١) نفسه، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٢) نفسه، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٨.

[٦]

«.. أنه جاء يوم بلغت فيه الثقافة الإسلامية درجة من السموّ والتقدم لم يقابلها فيها غيرها من الثقافات الهندية والصينية في الشرق أو اليونانية واللاتينية في الغرب. والذي نعنيه بالثقافة الإسلامية تلك المجموعة من العلوم والفنون والفلسفات التي نشأت في ظل الإسلام.. تمتعت هذه الثقافة بعصرها الذهبي من منتصف القرن الثامن للميلاد إلى مطلع القرن الثالث عشر يوم كانت اللغة العربية أداة التعبير عنها، ويوم كانت الشعوب العربية اللسان ـ وبينهم السوري والعراقي والمصري والفارسي والتركي وغيرهم ـ في مقدمة مشعال الحضارة في العالم قاطبة، وجاء عدد المؤلفات في هذه اللغة في تلك الحقبة، المؤلفات الفلسفية والطبية والتاريخية والفلكية والجغرافية والرياضية واللغوية، أكثر من عددها بأي لغة أخرى من أسيوية أو أوروبية. والغريب في أمر العربية التي كانت إلى أواسط القرن الثامن لغة شعر ودين فحسب، أنها في خلال قرن واحد تطورت وتقدمت إلى أن أصبحت أداة صالحة لنقل دقائق الفلسفة وحقائق العلوم ومصطلحات الفنون. وربما لم يكن من مثيل لهذه الظاهرة الغريبة في تاريخ نشوء اللغات وبفضل جهود ابناء هذه اللغة.. تسنى لعلوم الأقدمين، من هنود وساميين ويونان ولاتين، مضافاً إليها ما ابتكره هؤلاء الابناء، على أختلاف عناصرهم القومية، أن تنتهي بعد اجيال عديدة إلى غربي أوروبا، وذلك عن طريق سورية الصليبية وصقلية وأسبانيا المسلمتين، فتصبح أساس العرفان الذي دان له الفكر الأوروبي في القرون الوسطى، ورائد السبيل لنشوء النهضة الحديثة في أوروبا الغربية التي لا يزال إلى اليوم أبناء أوروبا وأمريكا ينعمون ببركاتها فبينا كان الاوربي يتخبط في ديجور العصور ـ التي أطلقوا عليها بحق العصور المظلمة ـ كان كتبة العربية ـ وهم يومئذ يشملون معظم المجتمع الإسلامي ـ يرتعون في عصرهم العلمي الذهبي»[1].

---

(١) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، جمع وتقديم: محمد خلف الله، ص ٥٥٠ ـ ٥٥١. وعن انجازات المسلمين في ميادين العلوم الصرفة، انظر: الإسلام منهج حياة، ص ٢١١ ـ ٢٢٠، ٢٢٤ ـ ٢٣١، وفي الآداب والفنون، ص ٢٦٤، ٢٨٦ ـ ٢٨٧، ٢٩٤ ـ ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٢٢ ـ ٣٢٣، ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

جـورج حـنا

[١]

«لم تنحصر الفتوحات العربية في الناحية العسكرية فقط، بل تعدّتها إلى الناحية الثقافية. لقد كان في العرب علماء وفلاسفة وحكماء، درسوا الفلسفة اليونانية وعلومها ونبشوا منها ما كان الحكم الروماني قد أقفل عليه الأبواب. فكان للعلماء والفلاسفة العرب الفضل في اعادة الثقافة اليونانية إلى رونقها. فعندما كانت السلطات الغربية في القرون الوسطى المظلمة، في خضوعها المطلق للكنيسة الرومانية، تنصاع، مسيّرة أو مخيّرة لاحكامها، وتنفذ ارادة الكنيسة دونها بحث أو جدل، وعندما كانت محاكم التفتيش تحكم بالموت والاحراق والتشريد على كل من نازع السلطة البابوية تعاليمها وعقائدها. وعندما كان الجهل مخيّماً على ربوع وحياة الغرب، كان علماء العرب يبحثون عن المعرفة أينما وجدت. وكان خلفاء العرب يسهّلون لهؤلاء العلماء مهماتهم، ويقدمون لهم المساعدات. فعكف البحاثون على اخراج العلوم اليونانية من مدفنها ونقلوها إلى العربية، وزادوا عليها من اختباراتهم ونظرياتهم ومشاهداتهم، ووضعوا كتبا قيمة في الفلسفة والطب والجبر والكيمياء والرياضيات والفلك، وقام منهم رحالون إلى بلاد المغرب والشرق، ودرسوا اللغات المنتشرة فيها وترجموا من كتبها ما لا يزال إلى يومنا هذا يدرس للطلاب. . »[1].

[٢]

«لولا العرب لبقيت الثقافة اليونانية مطموسة، ولما اخرجت هذه الثقافة من مدفنها الذي زجها فيها الرومانيون. . فما أن اخذت الامبراطورية الرومانية في الانحلال حتى عادت الثقافة اليونانية إلى الظهور مرة ثانية، ولم يكن ظهورها في الغرب بل في الشرق. . وإذا كان النسطوريون هم الذين كشفوا عنها الغطاء فالعرب هم الذين نشروها في الشرق ثم بعثوها إلى الغرب»[2].

---

(١) قصة الإنسان، ص ٨١ .
(٢) نفسه، ص ٨٣ .

[٤]

«أن الحقبة التاريخية الواقعة بين القرن العاشر والقرن الثالث عشر [الميلادي] هي بحق عصر العرب الذهبي. ففي هذه الحقبة كان العرب حاملي مشعل الثقافة الوحيدين. وعلى الرغم من أن فتوحات العرب العسكرية نحو الغرب، لم تمتد إلى أكثر من مائة سنة، وانتهت بهزيمتهم في موقعة (بواتييه) على يد شارل مارتل فإن التوسع الثقافي العربي استمر في امتداده نحو الغرب، وبقي الفكر العربي يصدر انتاجه الخصب من الاندلس وشواطىء افريقيا إلى سواحل أوروبا الجنوبية، ومن هناك يغزو اوروبا كلها، ويضع أساساً لنهضتها»[1].

[٥]

«لا يسعنا إلّا أن نسجل استغرابنا مما يدّعيه بعض المكابرين، الذين ينكرون قيام حضارة عربية في التاريخ، فإذا كانت البحوث العلمية والفلسفية والثقافية مضافاً إليها الأعمال الفنية، وما تنطوي عليه كل هذه الشؤون من قيم، لا تشكل حضارة ذات شأن، فماذا تكون إذن الدعائم التي تقوم عليها الحضارات؟ صحيح أن العرب نقلوا عن اليونان والفرس والهنود والرومان، ولكن هل ينكر عليهم ما ادوه على ذلك باكتشافاتهم في الطب والكيمياء والجبر والفلك والرياضيات، وفي الفن أيضاً؟ وهل من الانصاف أن ينكر على فلاسفتهم وحكمائهم، نظرياتهم في الاجتماع والاقتصاد والادارة؟ ثم ماذا يضير العرب إذا كانوا نبشوا ما كان دفيناً من فلسفة اليونان وحضارتهم واظهروه إلى النور؟ إن من يطالع الكتب الغربية التي انتجها عصر النهضة، يجد فيها أثر علماء العرب واضحاً فما جاء به (مونتسكيو) و(باكون) وعلماء الاجتماع في القرن السادس عشر والسابع عشر، تجده، أو تجد له تمهيداً على الاقل، في مقدمة ابن خلدون، هذه المقدمة التي لم تترك حقلاً من حقول البحث الاجتماعي إلا وطرقته، حتى شهد علماء الغرب أنفسهم أنها أعظم مؤلف علمي واجتماعي. وكتب الفلك الغربية محشوة بالكلمات العربية التي لم يجد علماء الفلك الغربيون بداً من تبنيها. . والارقام الغربية ليست إلا ارقاما عربية. كل هذا إنما يدل على مدى اقتباس العلوم الغربية من العلوم العربية. إن ما تحويه المؤلفات العلمية والفلسفية

---

(١) نفسه، ص ٨٤.

الغربية من أمثال هذه الشواهد لدليل على أن النضج الفكري والعلمي الذي نقرأ عنه في عصر النهضة الغربية وبعدها، إنما كان متأثراً إلى حد بعيد بالنضج الفكري والعلمي عند العرب، بل كان مؤسساً عليه ومقتبساً منه . »[1].

[٦]

«لقد دهش الصليبيون من التقدم العلمي والفكري في الشرق. فكانوا عندما يعودون إلى بلادهم، يروون لمواطنيهم الروايات المختلفة عنه، ويشوقونهم للاقتداء بالنهضة الفكرية فيه. . وعندما عاد الامبراطور [النورماني] فردريك الثاني إلى بلاده، أسس جامعة نابولي وجامعة ساليرنو الطبية، واعتمد في هاتين الجامعتين الدروس التي وضعها ابن سيناء والرازي وابن رشد وابن خلدون وسائر اقطاب العلم والفلسفة العرب. . وهو الذي ادخل الارقام العربية وعلم الجبر إلى اوروبا. ان جامعتي نابولي وساليرنو كانتا النافذة الأولى التي تسرّبت منها النهضة الفكرية إلى أوروبا، ووضعت أساساً للنهضة الفكرية فيها، في العهد الذي عرف بعهد الانبعاث»[2].

اميل درمنغم

[١]

«إن العرب إذ صار لهم سيد دان له الجميع. . وصارت لهم روح عامة ومبدأ واحد، اصبحوا من القوة ما استطاعوا به أن يكونوا ذوي شأن في العالم. . وكانوا مستعدين ليرثوا الدول العالمية المتحضرة. [وهم] على خلاف الجرمان والوندال والبرابرة بدوا وارثين مستعدين لتمثيل دروهم في التاريخ والصعود تواً في سلمّ الحضارة. وكان ظهورهم في الوقت المناسب. . فانقذوا العالم من الانهيار، واخذوا المصباح من أيدي البيزنطيين والفرس العاجزة فكان دور خلفاء بني أمية وبني العباس الذي يعد من انضر ادوار التاريخ، وذلك قبل أن ينتقل هذا المصباح في القرن الثالث عشر إلى ما بين البارتنون وشارتر. والعرب لو تركت حبالهم على غواربهم ما قاموا بغير التخريب. . ولكنهم جلبوا معهم الإسلام والمروءة حين قبضوا على زمام المدنيات القديمة التي كادت تنحلّ فازدهرت بفضلهم»[3].

---

(١) نفسه، ص ٨٦-٨٧ . (٢) نفسه، ص ٩٦ .
(٣) حياة محمد، ص ٣٦٩ .

دريــو[1]

[١]

«في الزمن الذي كانت فيه إيطاليا تتخبط في دياجي الحروب، ولا سيما على عهد برابرة المملكة المقدسة. كان الفتح العربي في طرفي البحر المتوسط أعظم واخصب من الفتـح الـروماني، وقد دامت ممالكه قرونا، وكانت مصانعه أعظم أثراً من مصانع روميه، وما هي إلا عنوان ثقافة عالية جداً. وقد كان لهم الأثر المشهود في أسبانيا إلى آخر القرن الخامس عشر»[2].

ايتين دينيـه

[١]

«أن الفروسية ونبالة قصدها لم يكن يعرفها الاقدمون من اليونان والرومان ولكنها كانت معروفة عند العرب أيام جاهليتهم ثم هذبها الإسلام وطهرها تطهيراً. وعلى يده دخلت أوروبا ووصلت إلينا نحن الغربيين. ولم يبق أحد اليوم ينكر نسبتها إلى العرب. .»[3].

[٢]

«. . نستطيع أن نبرهن على أن المحاولات الاولى في السعي إلى تحرير الفكر كانت أثراً منطقياً للمبادىء التي جاء بها محمد [ﷺ] فالى الفيلسوف المسلم ابن رشد يرجع الفضل في ادخال حرية الرأي (التي يجب أن لا نخلط بينها وبين الالحاد) في اوربا. وقد عارض ابن رشد وحدة الوجود القديمة والتجسيم المسيحي بعقيدة الايمان بالله

---

(١) اي . دريـو E. Driault

مؤرخ فرنسي، عني بالشئون الشرقية.

من آثاره: (المسألة الشرقية منذ نشأتها حتى عام ١٩٢٠) (١٩٢١) و(الحملة الفرنسية وحكم محمد علي).

كما نشر عدداً من الدراسات في التاريخ الحديث.

(٢) المسألة الشرقية (عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية ١/ ٢٠).

(٣) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص ٢٨.

وحده في الإسلام، وتحمس احرار الفكر في العصر الوسيط الأوربي لشروحه لارسطو، وإن كانت هذه الشروح مصبوغة بصبغة إسلامية قوية. ويمكن أن نعتبر ـ بحق ـ أن التيار الفكري الذي نشأ عن هذا التحمس لابن رشد كان أصل التفكير المنطقي الحديث فضلاً عن كونه من أصول الاصلاح الديني»[1].

ول ديورانت

[١]

«.. أن الخلفاء الأولين من ابي بكر [رضي الله عنه] إلى المأمون قد وضعوا النظم الصالحة الموفقة للحياة الانسانية في رقعة واسعة من العالم، وأنهم كانوا من أقدر الحكام في التاريخ كله. ولقد كان في مقدورهم أن يصادروا كل شيء أو أن يخربوا كل شيء، كما فعل المغول أو المجر أو أهل الشمال من الأوربيين لكنهم لم يفعلوا هذا.. كانت العراق قبل الفتح الإسلامي صحراء جرداء فاستحالت ارضها بعده جناناً فيحاء، وكان كثير من أرض فلسطين قبيل الفتح رملاً وحجارة، فأصبحت خصبة غنية عامرة بالسكان.. لقد آمن الخلفاء الناس إلى حد كبير على حياتهم وثمار جهودهم، وهيئوا الفرص لذوي المواهب، ونشروا الرخاء مدى ستة قرون في اصقاع لم ترقط مثل هذا الرخاء بعد عهدهم، وبفضل تشجيعهم ومعونتهم انتشر التعليم، وازدهرت العلوم، والآداب، والفلسفة، والفنون ازدهاراً جعل آسية الغربية مدى خمسة قرون أرقى أقاليم العالم كله حضارة»[2].

«.. في وسع القارىء أن يحكم على ثراء الأدب الإسلامي إذا عرف أن الكتب التي ذكرها ـ ابن النديم في الفهرست ـ على ما نعلم لم يبق منها الآن واحد في الألف»[3].

(١) محمد رسول الله، ص ٣٢٤.
(٢) نفسه، ١٣/ ١٧٠ ـ ١٧١.
(٣) نفسه، ١٣/ ١٧٢.

[٢]

«. . أن العلوم العربية نمّت في علم الكيمياء الطريقة التجريبية العلمية وهي أهم أدوات العقل الحديث وأعظم مفاخره. ولما أن أعلن روجر بيكون هذه الطريقة إلى اوربا بعد أن أعلنها جابر [بن حيان] بخمسمائة عام كان الذي هداه إليها هو النور الذي اضاء له السبيل من عرب الأندلس وليس هذا الضياء نفسه إلا قبساً من نور المسلمين في الشرق»[1].

[٣]

«. . ليس هذا الجزء الباقي [من تراث المسلمين] إلاّ قسماً ضئيلاً مما اثمرته قرائحهم، وليس ما اثبتناه في هذه الصحف إلا نقطة من بحر تراثهم. وإذا كشف العلماء عن هذا التراث المنسي فأكبر ظنّنا أننا سنضع القرن العاشر من تاريخ الإسلام في الشرق بين العصور الذهبية في تاريخ العقل البشري»[2].

مكسيم رودنسن

[١]

«هكذا أظهرت الترجمات اللاتينية [لمؤلفات المسلمين] تدريجياً وانتشرت ثروة العرب العلمية بحيث وصلت إلى انجلترا واللورين وساليرنو وخصوصاً إلى أسبانيا حيث كان الاتصال يجري بسهولة أكثر. . »[3].

[٢]

«في عام ١١٨٠م، أكتملت المجموعة الأولى من مؤلفات ابن سينا الفلسفية وأخذت تروج في أوربا وكان تأثيرها بالغاً، وتبعها ترجمات لفلاسفة آخرين بتلاحق سريع. . وقد أخذت تتشكل في أذهان المفكرين الغربيين صورة أخرى للعالم الإسلامي بوصفة مهداً لفلاسفة عظام. وكانت تلك صورة مضادة تماماً للصورة

---

(١) نفسه، ١٣/١٩٦ . (٢) نفسه، ١٣/٢١٣ .

(٣) تراث الإسلام (تصنيف شاخت وبوزورث) ١/ ٣٦ .

السابقة، صورة الكيان السياسي الذي يسيطر عليه دين معاد ومغلوط، وهي الصورة التي خلقتها الخرافات السخيفة والكريهة في أذهان الناس. . وأستطاع علماء اللاهوت الفلاسفة أن ينقلوا إلى المسيحية ما كان يذكره ابن سيناء عن الحضارة الإسلامية. . بل لقد جاء وقت كان لفظ (الفيلسوف) يعني فعلياً (المسلم). .»[1].

[٣]

«من وجهة النظر الفكرية نجد أن كبار المؤلفين المسلمين الذين كان اكتشافهم قوة تجديدية أصبحوا يتمثلون (ويهضمون) بصورة تدريجية ويدمجون ضمن الثقافة العامة. وخلال عدة قرون نجد أن ابن سينا وابن رشد والغزالي في الفلسفة، وابن سيناء وعلي بن العباس والرازي في الطب، ومؤلفين آخرين [في عالم الإسلام] نجد هؤلاء يقلدون وتعاد طباعة أعمالهم ويعلق عليها وتدرس. .»[2].

فرانز روز نثال

[١]

«أن نمو المدنية الإسلامية من أروع الأحداث في تاريخ الفكر الانساني وسيقى مثار أعظم الاعجاب. ولكن لا يمكن اعتبار هذه المدنية أمراً غامضاً أو معجزة، ولعلها كانت معجزة من حيث حدوثها بسرعة عجيبة لدرجة أنها كملت بعد بدئها بوقت قصير. وقد يمكن أن نعتبرها غامضة من حيث أن كل عمل من الابداع الفكري، وكل ازدهار في أية مدنية هما امران لا يحصرهما الادراك الانساني التام، أما في الإسلام فاننا نجد أن الاسباب والظروف التي اوجدت المدنية الإسلامية أشد وضوحاً من الأسباب والنتائج التي أوجدت معظم المدنيات الاخرى. .»[3].

---

(١) نفسه، ١/٤٠ ـ ٤١. (٢) نفسه، ١/٥٢.

(٣) علم التاريخ عند المسلمين، ص ٤٥ ـ ٤٦.

[٢]

«لقد استطاع الإسلام بفضل الله ثم بفضل أنظمته العسكرية والظروف التاريخية الملائمة أن يكتسح في زمن قصير بلاداً كانت تتمثل فيها جميع المنجزات الفكرية القائمة آنذاك، وسرعان ما أخذت حضارته تتبنى لنفسها هذه المنجزات بقيامها بحركة ترجمة واسعة واقتباس كبير. ونظراً لأنها حركة روحية جديدة فقد اضطرت إلى عرض معتقداتها لخصومها ، وإلى أن تدافع عن علّة وجودها وكان عليها باعتبارها طريقة جديدة في الحياة، أن تصلح المؤسسات الادارية التي وجدتها في مختلف الاقاليم، وفوق كل هذا فبتقدم الإسلام تهاوت الحواجز القديمة من اللغة والعادات، وتوفرت فرصة نادرة لجميع الشعوب والمدنيات لتبدأ حياة فكرية جديدة على أساس المساواة المطلقة وبروح من المنافسة الحرّة. وقد تمت في القرن التاسع الميلادي الفترة التكوينية لهذه العمليات وصار كل فرع من فروع المعرفة في الإسلام تتحكم فيه منذ ذلك الوقت قوانين وتقاليد المدنية الاسلامية المستقلة»[١].

[٣]

«يقول فون كريمر عند وصفه النشاط العلمي عند المسلمين: (أن أعظم نشاط فكري قام به العرب يبدو لنا جلياً في حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم. فانهم كانوا يبدون نشاطاً واجتهاداً عجيبين حين يلاحظون ويمحّصون وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من التجربة أو أخذوه من الرواية والتقليد. ولذلك فإن أسلوبهم في البحث أكبر ما يكون تأثيراً عندما يكون في نطاق الرواية والوصف. ولذا يحتل التاريخ والجغرافيا المقام الأول في أدبهم وبصفتهم أصحاب ملاحظة دقيقة، وبصفتهم مفكرين مبدعين فإنهم قد أتوا بأعمال رائعة في حقليْ الرياضيات والفلك. وللسبب ذاته نجح العرب في التشريع وفي وضع قواعد اللغة من صرف ونحو في شكل شامل محكم. . »[٢].

---

(١) نفسه، ص ٤٦ .

(٢) مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ص ١٥، عن بحث فوق كريمر:

Culturgeschichte des Orients II, 466 (Vienna, 1875 - 7)

[٤]

«وكثيراً ما يشوه اراء الغربيين في البحث العلمي عند المسلمين شعورهم بالتفوق والعلوّ شعوراً لا يرتكز على منطق. فمن العجيب حقاً أن نسمع عالماً اوربياً يقول عن ياقوت الذي يرفض تصديق [احدى القصص]: (يندر جداً أن يبدو ياقوت بهذا التعقل وهذه الرصانة) في الوقت الذي نعلم فيه أن هذا المؤلف الغربي، بقطع النظر عن مؤهلاته العلمية، يبدو قزماً إذا ما قيس بياقوت [الحموي]. . »[١].

[٥]

«كانت المكتبة الخاصة، بالنسبة للعالم المسلم، أعزّ ما يملكه، وكان فقدها كارثة تترك في نفسه ألماً أشد من الالم الذي يشعر به عالم اليوم إذا ما فقد كتبه»[٢].

جاك ريسلر

[١]

«سيطر الإسلام أثناء خمسمائة عام من ٧٠٠ إلى ١٢٠٠م على العالم بالقوة، وبالعلم، وبتفوق حضارته»[٣].

[٢]

«لقد ورث الإسلام تراث اليونان من الفلسفة والعلوم، ثم بعد أن نمّاها، نقلها إلى أوربا الغربية. كما أنه استطاع أن يوسع الأفق الفكري للعصر الوسيط وأن ينفذ بعمق إلى الفكر والحياة الاوربيتين»[٤].

[٣]

«أن ما يشاهده المرء من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر لم يكن له مثيل قبل ذلك. ففي كل مكان كلف لا حدّ له بالكتب. وآلاف المساجد تهتز بفصاحة العلماء

---

(١) مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ص ١٨ ـ ١٩ .

(٢) نفسه، ص ٤٩، ومن انجازات المسلمين في ميدان (المنهج) انظر: المرجع نفسه، ص ١٤ ـ ١٥، ١٧، ١٩، ٥٥، ٦٢ ـ ٦٤، ٧٢ ـ ٧٤، ٩٢ ـ ٩٣، ١١٥ ـ ١٢٣، ١٥١ ـ ١٥٣، ١٨٧ ـ ١٨٨ .

(٣) الحضارة العربية، ص ٨٢ . (٤) نفسه، ص ٨٣ .

ومائة بلاط رائع تدوي بمباريات شعرية أو فلسفية، وطرقات غاصة بعلماء الجغرافية، وعلماء التاريخ، وعلماء الدين للبحث عن المعرفة. وهذه أهم يقظة فكرية في التاريخ الإسلامي»(١).

[٥]

«.. عندما بهرت الحضارة [الإسلامية] المشرقة بعض رجال الدين والعلمانيين من أوربا المسيحية كلها، اخذوا يزحفون، حباً في الحرية [التي تميزت بها هذه الحضارة] إلى قرطبة وطليطلة واشبيلية، لكي يحضروا دروس الجامعات الإسلامية ومحاضراتها»(٢).

[٥]

«لكي نقيم حساباً كاملاً لاسهامات الشرق الفكرية تجاه الغرب، كان يجدر بنا أيضاً أن ننسب إلى العرب ما للعرب من تطبيقات صناعية نجمت عن المعرفة الإسلامية.. ويكفي أن يتصور المرء القارة الاوربية في فجر العصور الحديثة من غير أن تملك تحت تصرفها هذه الهبات الثلاث: البارود، والبوصلة، والكتاب، رمز المعاونة الإسلامية في بناء الانسانية»(٣).

جورج سارتون

[١]

«.. [أن ادراك الفاتحين لضرورة الأخذ عن ثقافات الشعوب المفتوحة] قد فسح المجال لما يجوز أن نسميه معجزة العلم العربي، آتين بكلمة معجزة لترمز إلى تفسير ما بلغ إليه العرب في الثقافة والعلم مما يخرج تقريباً عن نطاق التصديق وليس لذلك شبه في تاريخ العالم كله ما عدا حسن اكتساب اليابانيين للعلم الحديث وللبراعة الفنية في أثناء العصر الميجي [١٨٦٨ - ١٩١٢م]. ان هذه الموازنة مفيدة، لأن الموقف كان في الحالين واحداً. أن قادة الثقافة بين العرب قد أدركوا الحاجة الماسة إلى العلم اليوناني

(١) نفسه، ص ١٠٠.
(٢) نفسه، ص ١٥٤.
(٣) نفسه، ص ١٩١ - ١٩٢.

بقدر ما أدرك اليابانيون في الجيلين السابقين حاجتهم إلى العلم الاوربي الحديث. ولقد كان خير المعلمين لكلتا الأمتين الحاجة، الحاجة الملحة. على أن تينك الأمتين قد اتصفتا بالارادة وبنوع من النشاط الروحي الذي يتغلب على المصاعب الشاقة..»[1].

[٢]

«.. أن غرابة العلم العربي وخصبه معاً يرجعان في الحقيقة إلى أن ذلك العلم قد جمع العناصر اليونانية إلى العناصر الشرقية وخلق منها مركبا جديداً، أو أنه جعل خلق هذا المركب ممكناً في المستقبل. ولقد كان بالامكان أن ينتقل العلم اليوناني على يد اوربة اللاتينية لو لم تكن النصرانية الكاثوليكية مفصولة تماماً عن النصرانية الارثوذكسية بجدار من التعصب وسوء الظن والبغض. وبما أن هذا الجدار كان لسوء الحظ موجوداً، فإنه لم يكن من سبيل إلى اتصال العلم اليوناني السابق بالمستقبل التالي إلا من طريق المنحنى العربي. وإذا نحن نظرنا إلى العلم العربي من وجهة نظر التطور الانساني عموما، وجدنا أن الثقافة العربية الإسلامية كانت ذات أهمية بالغة، ذلك لأنها تؤلف الصلة الأساسية بين الشرق الأدنى وبين الغرب، ثم بين الشرق الاوسط وبين آسيا البوذية»[2].

[٣]

«أن الأهمية العظمى التي يتمتع بها الشرق الأوسط على أنه مهد للثقافة الغربية قد قام البرهان عليه.. ولكن حب الحقيقة يحملنا على أن نبدي تحفظاً.. أن الثقافة العربية التي كانت الثقافة الزعيمة منذ القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر ثم بقيت على غاية من الأهمية ثلاثة قرون أخر (ولنذكر أن ستة قرون ليست شيئاً يسيرا) قد درجت من ذلك المهد، لا شك في ذلك. ولكن الفتوح الإسلامية قد مدّتها شرقاً إلى الهند واواسط آسيا حتى الصين ثم غربا إلى أسبانية ومراكش، أي إلى طرف العالم. فإذا نحن سمينا هذه الثقافة إذن ثقافة الشرق الأوسط فحسب فإننا نكون قد جئنا

---

(١) الثقافة العربية في رعاية الشرق الأوسط، ص ٤٩ .

(٢) نفسه، ص ٥٧ .

شيئاً غريباً، إذ أن تلك الثقافة كانت قد امتدت في العصور الوسطى من الشرق الاقصى إلى المغرب الاقصى . . »[1].

[٤]

«ان المآثر التي قامت بها الشعوب التي تتكلم اللغة العربية ـ وذلك بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر [للميلاد] ـ كانت عظيمة إلى درجة تحمل افهامنا. على أن التأخر الذي أصاب المسلمين والعرب كان مستغرباً جداً في سرعته واكتماله كما كانت نهضتهم الرائعة مستغربة جداً أيضاً. وسيحاول العلماء الدارسون ابدا تعليل ذلك، ولكن بلا جدوى من الناحية العملية على الأقل، ذلك لأن اشباه هذه المسائل معقدة جداً، ولأن الاجابة عليها بالأساليب العادية تقع في نطاق المستحيل»[2].

[٥]

« . . مرة اخرى نستعمل كلمة (معجزة) لأن ما تحقق على أيدي العرب في ميدان العلوم لا يكاد يصدّق. ولم يحدث قط في تاريخ الإنسانية أن تمكن قوم من العلم هذا التمكن السريع، إلا في حالة واحدة اخرى هي ما حققه عصر [الامبراطور] موتسوهيتو Mutsuhito [١٨٦٨ ـ ١٩١٢] لليابان من علم وفن حديث. والحق أن بين هاتين الحالتين من النهضة الانسانية شبهاً أساسياً»[3].

لوثروب ستودارد

[١]

« . . العرب لم يكونوا قط أمة تحب اراقة الدماء وترغب في الاستلاب والتدمير، بل كانوا، على الضدّ من ذلك، أمة موهوبة جليلة الأخلاق والسَّجايا توّاقة إلى ارتشاف العلوم، محسنة في اعتبار نعم التهذيب، تلك النعم التي قد انتهت إليها من الحضارات السالفة. وإذ شاع بين الغالبين والمغلوبين التزاوج وتلقيح الأفكار، كان اختلاط بعضهم ببعض سريعاً وعن هذا الاختلاط نشأت حضارة جديدة ـ الحضارة

(١) نفسه، ص ٥٧ ـ ٥٨ . (٢) نفسه، ص ٦١ .
(٣) الشرق الأدنى : مجتمعه وثقافته (باشراف كويلر يونغ)، ص ١٣٦ .

العربية، وهي جماع متجدد للتهذيب اليوناني والروماني والفارسي، ذلك الجماع الذي نفـخ فيه العـرب روحا جديدة، فنضر وازهر، والفوا بين عناصره ومواده بالعبقرية العربية والروح الإسلامية، فاتحد وتماسك بعضه ببعض فاشرق وعلا علوا كبيراً. وقد سارت الممالك الإسلامية القرون الثلاثة الاولى من تاريخها (٦٥٠ ـ ١٠٠٠م) أحسن سير، فكـانت أكثـر ممالـك الدنيا حضارة ورقيا، وتقدما وعمرانا، مرصعة الاقطار بجـواهـر المدن الزاهرة والحواضر العامرة، والمساجد الفخمة، والجامعات العلمية المنظمة، وفيها مجموع حكمة القدماء ومختزن علومهم، يشعان اشعاعاً باهراً. طول هذه القرون الثلاثة ما أنفك الشرق الإسلامي يضيىء على الغرب النصراني نوراً. . »[1].

[٢]

«الإسلام، وهو هذا الدين البيّن الصريح، ما كان ليقيّد عقل العربي ويلقي عليه سجوفاً فوق سجوف. والعربي كان قد أدرك حالاً ثار فيه جده واشتعلت غيرته، فبات توّاقـاً إلى اقتبـاس العلوم واجتنـاء ثمراتها والتبسط في شئون الحياة وتوفير احوالها، والتكيف على حديث مقتضياتها، والخروج بها عما الفه ازمانا في فيافي الصحراء. . لهذا لما نشر العرب فتوحهم ومدوا سلطانهم على الاقطار الاجنبية لم يقصروا نفوسهم على التنعمّ بالنعم المادية واستلذاذ الترف ورخاء العيش فحسب، بل عكفوا جادين على ترقية الفنون والعلوم والآداب وآراء الحضارات القديمة. فنشأ عن جميع هذا الجد والترقيات أن اخرج للناس تهذيب عربي سام. فاضاءت العقول وازدهرت ازدهاراً كان فخر الحضارة العربية ودرة تاجها. وكان ردح من الزمن كانت فيه الحضارة مشرقة الشمـوس، يانعـة الثمار، وارفة الظلال. فسادت الحرية العقلية، وابتكرت الاراء والافكار العلمية، ووضعت القواعد والاصول، واستنبطت الاحكام. بيد أن هذا لم يكن من صنع العرب وحدهم، بل شاركهم فيه كثير ممن كانوا متظللين ظل دولتهم من النصـارى واليهـود والفرس الذين كانوا في عهد ملوكهم قبل الفتح الإسلامي يذوقون الامرّين، ويسامون خسفاً شديداً في سبيل آرائهم ومعتقداتهم الدينية التي كانوا يخالفون فيها النصرانية البيزنطية والمجوسية الفارسية. . »[1].

---

(١) حاضر العالم الإسلامي، ١/٣ـ٤.
(١) نفسه، ١/٨.

[٣]

« . . أن الشعوب الآسيوية التي يتألف منها سواد المسلمين . . ذات حضارة بديعة حية منذ القرون الخوالي، حضارة هي نتاج اسلامي صرف، متكون من صنع المسلمين وثمرات جهودهم. ومتى اخذنا نعتبر ما قد استطاعته هذه الشعوب الإسلامية من تشييد المعالي، وبلوغ ذروات المجد فيما مضى، امنّا الخطل بقولنا الآن أننا نستبين خلال هذا الغليان الهائل في العالم الإسلامي تجدداً حقيقياً، صحيحاً رائعاً، ولا غرابة في ذلك أن عاد الإسلام يستعيد من عزّه الغابر وعلاه السالف، وهذا تاريخه المجيد شاهد له على ما كان عليه المسلمون قبلاً من الحضارة والعمران»[1].

نصري سلهب

[١]

« . . [لابد من الاشارة] إلى المداميك الكثيرة التي رصفها الإسلام في بناء الحضارة وبتعبير آخر إلى اسهام الإسلام في تراث البشرية الحضاري، في حقلي الفكر والعلم بمختلف فروعهما من فلسفة وشعر وموسيقى وطب وكيمياء وفيزياء ورياضيات وهندسة إلى آخر سلسلة معطيات وعناصر جعلت الانسانية ترتفع إلى مستوى خليق بها وجعلتها تنعم بما تنعم به اليوم. إن ذلك ضروري . . لأن كثيرين من المسيحيين يجهلون مدى وأهمية اسهام الإسلام، كدين وكدولة، في الحضارة . . وأن الغرب فيما ينعم به اليوم من أسباب الحضارة والرقي والتفوق مدين به لنفسه، أي للفكر الغربي دون سواه. وذلك خطأ كبير. . لأن الغرب مدين لهذا الشرق ـ وبتعبير آخر ـ ان المسيحية مدينة للإسلام بأشياء كثيرة مهمة، وأن الشرق اليوم ليس سوى دائن يستوفي دينه من مدين قديم . . تلك ارادة الله وسنة الوجود»[2].

[٢]

«فيما كان البيروني، في نهاية القرن العاشر [الميلادي] يضع مؤلفاته في علوم الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ والفلسفة، وينشىء النظريات العلمية

---

(١) نفسه، ٤/٢ .

(٢) لقاء المسيحية والإسلام، ص ٤٤ .

ويقـوم بالاخـتراعات، كانت أوروبا، مذعورة قلقة، خائفة، تنتظر نهاية العالم في حلول العام الألف!»[1].

[٣]

«متى ذكرنا أن عشرات الكلمات الفرنسية هي من أصل عربي صريح، بل تكاد تكـون منقـولة بحرفيّتها، فيصبح باستطاعتنا أن ندرك تأثير الإسلام في الغرب.. وتلاحظ أن هذه الكلمات لها طابع علمي أو فكري، وهي، على كل حال، لم تنتقل إلى أوروبا كمجرد كلمات فقط بل كأسماء لمسميات انتقلت هي أيضاً معها»[2].

[٥]

«.. اية قمة شماء بلغ إليها العقل الإسلامي والعربي في حقبة من حقب تاريخه، بل من حقب التاريخ على اطلاقه؟ ذلك كله كان نتيجة طبيعية محتومة لما اوصى به القرآن الكريم.. ومحمد [ﷺ] رسول الله إلى العالمين»[3].

[٦]

«حضارة الإسلام ـ التي سيطرت على العالم مئات خمساً من السنين ـ كانت وليدة الايمان، والايمان وحده»[4].

دومينيك سـورديل

[١]

«في ظل الإسـلام نمت مجمـوعة من العلوم ولم يكتف العربِ والفرس من نقل التراثين الفكريين الاغريقي والهندي إلى أوربا الغربية بل اضافوا إليهما ملاحظات عديدة واكتشافات مهمة»[5].

---

(١) نفسه، ص ٥٠.
(٢) نفسه، ص ٥١ ـ ٥٢، وعن انجازات المسلمين في ميادين العلوم المعرفة والتطبيقية والانسانية، انظر: المرجع نفسه ص ٤٨ ـ ٥٣.
(٣) في خطى محمد، ص ٤٦٩.
(٤) نفسه، ص ٤٧٠.
(٥) الإسلام، ص ٩٥ ـ ٩٦.

[٢]

«يستحق [الفن الإسلامي]، من الوجهتين التاريخية والجغرافية، على الرغم من نزعتـه التجـريدية، التي تدين للاسلام وللاسلام وحده بوحدته، أن يتوّج الثقافة الإسلامية الضخمة، التي تتصف بدورها بالوحدة على الرغم من نزعاتها المتباينة. ومن ثم فلا يبدو لنا الاسلام ديناً [فحسب]، ولا أمة [فحسب]، بل ركنا لحضارة ينعش مظاهرها الدينية والفكرية والفنية، أو يكيفها على الأقل. لكن هذه الحضارة منذ القرن السادس عشر توقفت عن الاشعاع. .»[1].

أحمد سوسة

[١]

«لـلاسلام فضـل كبير على التاريخ نفسه من غير الوجهة الدينية ذلك أنه جاء موضحاً بعض الحوادث التاريخية الغامضة بحيث فتح باباً واسعاً للتدقيق والبحث بل جاء حافزاً للعلماء للتنقيب وسبر اغوار البحوث التاريخية لاستنباط الحقائق التي أوردها القرآن الكريم. وعليه أن خدمة الإسلام للتاريخ والعلم بل خدمته للانسانية بصورة عام بتشجيعه العلم الصحيح ونبذ التقليد الاعمى مما يسجلها له التاريخ مادام تاريخ في الوجود»[2].

[٢]

«أن النـزعة العامة للكنيسة المسيحية تجاه الفلسفة والعلم هي نزعة عدائية. . ويرجـع الفضـل للإسـلام فيما حفظتـه على الروح العلمية الفلسفية وارجاعها إلى المجتمع الاوربي، إذ كان الإسلام حامياً للكثير من المعلمين والفلاسفة الذين هجروا أوطـانهم بنتيجة اضطهاد المسيحية أياهم. والواقع أن العلم لم يرجع إلى أوربا إلا بواسطة الإسلام الذي امتد سلطانه إلى الأندلس. . وان هذا العلم الذي انتشر في أوربا عن طريق الإسلام أخذ يعمل في عقول المفكرين شيئاً فشيئاً حتى كانت النتيجة

---

(١) في طريقي إلى الإسلام، ١/ ١٧٥. (٢) نفسه، ص ١٠٢.

أن احدث صراعاً عنيفاً بين الكنيسة وساسة الشعوب المفكرين فكان نصيب الكنيسة التسليم بمعظم ما كانت تتمتع به من سلطان»[1].

[٣]

«لا يخفى أن الحضارة الإسلامية انتجت ضحى التبصير والتيقظ نابذة التقليد ومتجنبة الظن فكانت التجربة والبرهان قاعدة البحث فيها وبذلك تمّ للمسلمين وضع الأسس الثابتة للعلوم الصحيحة فجعلوا التجربة والملاحظة أساس المباحث العلمية ودعامة التنقيب الأمر الذي لم يكن قد اهتدى إليه اليونان مدة اشتغالهم بالبحث والفلسفة، فكوّن المسلمون بذلك ثقافة خاصة بهم وفلسفة إسلامية مستقلة بعد أن أقتبسوا محسنات ما في الفلسفة اليونانية ونبذوا الآراء الوثنية منها كما أنهم وضعوا الأسس للعلوم الطبيعية والرياضية بانواعها المختلفة ومن طريقهم وصلت هذه العلوم إلى أوربا»[2].

[٤]

«تمتاز الحضارة الإسلامية في كونها تخضع في معظم انتاجها إلى التعاليم الإسلامية فالقيام بالصناعات والأخذ بالعلوم متصل بروح الأمة وعقيدتها، لأن العمل بذلك في نظر الإسلام فرض على الأمة وهذا نظام يربط الانتاج البشري بالدين. . وذلك بخلاف المدنية الغربية فانها جعلت القيام بشؤون الحياة من اختصاص الاقتصاد المادي وحده، فامست مدنية مادية محضة لا يعين الفرد فيها صاحبه ولا ينصر أحد رفيقه. . »[3].

[٥]

«. . يجب أن لا يغرب عن البال أن المدنية الغربية الحديثة خابت في ارضاء النفوس واخفقت في ايجاد السعادة البشرية فهبطت بالناس في هاوية الشقاء والارتباك لان جهود العلم الحديث موجهة إلى التدمير والافناء. . فهو بعيد والحالة هذه من ان يتصف بالكمال أو أن يكون واسطة لخدمة الانسانية كما كان في عهد الإسلام. . »[4].

---

(١) نفسه، هامش ١، ١/١٨٨ ـ ١٨٩ .
(٢) نفسه، ٢/١١٢ .
(٣) نفسه، ٢/١١٢ ـ ١١٣ .
(٤) نفسه، ٢/١١٤ .

لويس سيديو

[١]

«.. أن مغازي العرب واقامتهم بين القرنين الثامن والحادي عشر [الميلاديين] بجنوب فرنسة أسفرت، لا ريب، عن آثار لا تزول من لغتنا، وأن نفوذ العرب كان باديا في مختلف ادوار تاريخنا، لا فرق في ذلك بين زمن الغزاوات الاولى وزمن الحرب الصليبية.. وان لهجات هذه الولايات مملوءة بالكلمات العربية وأن أسماء الاعلام فيها تبدي شكلاً عربيا في كل خطوة كما تبديه اصطلاحاتنا العلمية ايضاً، وما يأتيه علماء اللغة المعاصرون عندنا من اشتقاقات يقف لها شعر الرأس!.. ولا ينكر فضلاً عن ذلك، أن الخلفاء كانوا في القرن التاسع من الميلاد سادة امبراطورية واسعة رائعة لامعة تقضي بالعجب، وأن خلفاء بغداد كانوا يرسلون وفوداً وهدايا إلى الامبراطور شارلمان وإلى عاهل الصين وأنهم كانوا مثال العظمة الحقيقة بنظمهم الصالحة وعنايتهم بالآداب والعلوم، وأن ما شيد من المدارس في ارجاء دولتهم كان يوقد مصباح الحضارة فيما بين الشرق الأقصى وعمد هركول [على الساحل الاطلسي] ناشراً آثار الفن العربي الرائعة في كل مكان عاملاً، على تجديد الدم في عروق العالم الهرم»[1].

[٢]

«لم يكن [هيّنا]، في تقدم العلوم، تأثير مدرسة بغداد التي كانت متوسطة بين مدرسة الاسكندرية والمدرسة الحديثة، فهيأت لهذه المدرسة الحديثة اكتشافاتها ونحن مدينون للعرب في الحقل العلمي، ونعترف، مع ذلك، بأن مترجمينا كانوا يتلهون بتشويه ما يقتبسونه من التعابير تشويها غريبا فينمّ ما اتخذ من الاصطلاحات على الجهل والارتباك..»[2].

[٣]

«وظاهرة مدرسة بغداد في بدء أمرها هي الروح العلمية التي كانت سائدة لأعمالها، فكانت مبادىء أساتذتها تقوم على الانتقال من المعلوم إلى المجهول، وعلى ملاحظة

(١) تاريخ العرب العام، ص ١٢ ـ ١٤.
(٢) نفسه، ص ١٤.

الحوادث ملاحظة وثيقة لمجاوزة المعلولات إلى العلل، وعلى عدم التسليم بما لا يستند إلى التجربة، وكان العرب في القرن التاسع [الميلادي] أصحاباً لهذا المنهاج الخصيب فأضحى، بعد زمن طويل، اداة بيد علماء الزمن الحديث للوصول إلى أجمل اكتشافاتهم»[1].

«.. نحن إذ نرى شوق العرب إلى العلم قد حفزهم إلى النهوض بمختلف فروع المعارف البشرية طلباً للحقيقة وحدها لا يسعنا سوى الاعجاب المطلق بجهود الشعب العربي الذي أدى بمثاله النبيل إلى بعث الآداب والفنون في اوربه»[2].

«حقاً أنه لمنظر رائع أن نرى انتصار سلطان حضارة العرب على همجية [المغول] أولئك الذين انقضوا على آسيا الغربية والجنوبية»[3].

«.. قدّر تأثير مدرسة بغداد البالغ في المشرق والمغرب، وكان عند العرب معظم الأفكار والمبادىء التي تباهي بها اوربة الحديثة، والعرب، فضلاً عن ذلك، ربطوا دورين كبيرين احدهما بالآخر: ربطوا عصر اليونان بعصر النهضة محافظين على تراث الدور الأول معدّين ظهور الدور الثاني، ووجد من حاولوا خفض منزلة العرب، بيد أن الحقيقة تبدو يوما بعد يوم، ولا بد من حلول الزمن العاجل أو الآجل الذي ينصفون فيه فيستردون حقهم»[4].

[٤]

«هكذا تجلى تأثير العرب في جميع فروع الحضارة الاوربية الحديثة، وظهرت، بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر [الميلادي]، آداب تعد من أعظم ما عرف، وتشهد الانتاجات المتنوعة والاختراعات المهمة على ما كان يتصف به عرب ذلك الزمن من النشاط العجيب، وبما كان لهم من الأثر البالغ في اوربة النصرانية فجاء هذا مسوّغاً للرأي القائل إن العرب كانوا اساتذة لنا، وما اتى به العرب من الموارد التي لا تقدر بثمن عن تاريخ القرون الوسطى ومن كتب الرحلات ومعاجم تراجم الاحوال من ناحية، وما جاءوا به من صناعة منقطعة النظير ومن مبانٍ دالة على تفكير عظيم

---

(١) نفسه، ص ٣٩٢ .
(٢) نفسه، ص ٤٠٣ .
(٣) نفسه، ص ٤٠٨ .
(٤) نفسه، ص ٤٨٠ .

وتنفيذ جسيم، ومن اكتشافات مهمة في الفنون من ناحية اخرى، كلها أمور يجب أن ترفع في اعيننا شأن الأمة العربية . . »[1].

لورافيشيا فاغليري

[١]

«كيف نستطيع أن نقول أن الإسلام عاق نموّ الثقافة في القرون السالفة ونحن نعلم أن بلاطات الإسلام ومدارسه كانت آنذاك منارات ثقافة لاوربة الغارقة في ظلمات القرون الوسطى، وأن أفكار الفلاسفة العرب بلغت آنذاك منزلة رفيعة جعلت العلماء الغربيين يقتفون آثارهم، وأن هارون الرشيد اصدر أمره آنذاك بأن يلحق بكل مسجد مدرسة يتلقى فيها الطلاب مختلف العلوم، وأن المكتبات الحافلة بمئات الآف من الكتب كانت مشرعة الابواب، انذاك في وجه العلماء والدارسين في طول العالم الإسلامي وعرضه؟ ألم يكن العرب أول من اصطنعوا الطرائق التجريبية قبل أن يعلن بيكون ضرورتها بزمن طويل؟ وتطور الكيمياء، وعلم الفلك، ونشر العلم الاغريقي، وتعزيز دراسة الطب، واكتشاف مختلف القوانين الفيزيائية، اليست هذه من مآثر العرب؟»[2].

ليوبولد فايس

[١]

« . . أن الحضارة الإسلامية أتم ما عرفه التاريخ من أشكال الدولة الالهية. فالاعتبار الديني، أو وجه النظر الدينية، يسود هنا كل شيء ويظهر في أساس كل شيء ولو أننا وازنا بين هذا الاتجاه وبين اتجاه الحضارة الغربية لعجبنا من هذا الاختلاف العظيم في استشرافها الامور»[3].

---

(١) نفسه، ص ٤٩٠ ـ ٤٩١ .

(٢) دفاع عن الإسلام، ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٣) الإسلام على مفترق الطرق، ص ٣٢ .

[٢]

«أن أثر النفوذ [الحضاري الإسلامي] في أوربة كان عظيماً لقد بزغ، مع اقتراب الحضارة الإسلامية، نور عقلي في سماء الغرب ملأها بحياة جديدة وبتعطش إلى الرقي. ولم يأت التاريخ الأوربي بأكثر من اعتراف عادل بقيمة الحضارة الإسلامية حينما سمى عصر التجديد الذي نشأ من الاحتكاك الحيوي بالثقافة الإسلامية (عصر البعث) فانه كان في الحقيقة ولادة لاوربة، ولم يكن أقل من ذلك»(١).

[٣]

«.. أن (النهضة) أو احياء الفنون والعلوم الأوربية، باستمدادها الواسع من المصادر الإسلامية والعربية على الاخص، كانت تعزى في الأكثر إلى الاتصال المادي بين الشرق والغرب. لقد استفادت اوربة اكثر مما استفاد العالم الإسلامي، بل كان الأمر على العكس فإن تلك البغضاء قد نمت مع تقدم الزمن ثم استحالت عادة..»(٢).

[٤]

«.. أن التاريخ يبرهن وراء كل امكان للريب أنه ما من دين أبداً حث على التقدم العلمي كما حث على الإسلام. وأن التشجيع الذي لقيه العلم والبحث العلمي من الدين الإسلامي انتهى إلى ذلك الانتاج الثقافي الباهر في أيام الأمويين والعباسيين وأيام دولة العرب في الاندلس. وأن اوربة لتعرف ذلك حق المعرفة لأن ثقافتها هي نفسها مدنية للاسلام بتلك النضهة على الاقل بعد قرون من الظلام الدامس. نحن لا نقول ذلك اعجاباً منا بتلك الذكريات المجيدة في زمن هجر العالم الإسلامي فيه تقاليده الخاصة وانتقل إلى العماية وإلى الفقر الفكري، اذ لا يحق لنا في بؤسنا الحاضر أن نفتخر بالامجاد الماضية»(٣).

---

(١) نفسه، ص ٤٣.
(٢) نفسه، ص ٥٩.
(٣) نفسه، ص ٧٠ - ٧١.

[٥]

«لقد جاء حين كانت مدنية المسلمين أقوى وامضى من مدنية اوربة. فنقلت إلى اوربة كثيراً من الاختراعات الصناعية والفنية ذات الطبيعة الثورية، واكثر من هذا، مبادىء تلك (الطريقة العلمية) نفسها التي يرتكز عليها العلم الحديث والمدنية الحديثة..»[١].

فــورغ[٢]

[١]

«.. أن أسبانية.. أرض قائمة بنفسها لها مزاياها وخصائصها، وهي تمتاز بميزات لا يشاركها فيها غيرها، وأن فيها قوة حيوية قومية غير معهودة لكثير من الأمم، وأن لتلك الادمغة الحارة من سرعة الفكر.. ما يجعل هذه الأمة فريدة في بابها. ولأجل أن نفهم هذه الحالة النفسية عند الاسبانيول وجب علينا أن نفهم هذه الحقيقة التاريخية وهي استيلاء العرب على اسبانيا.. [التي بقيت تحت حكمهم] زهاء ثمانية قرون. وهكذا يمكن قياس درجة اتصال الأمة الاسبانية بالمدنية الإسلامية هذه المدنية التي كانت حلقة الاتصال بين العالم الإسلامي واوربة الغربية. قال ليبري Libri : احذف العرب من التاريخ يتأخر عصر التجدد في أوربا عدة قرون إلى الوراء..»[٣].

[٢]

«.. كانت طليطلة قد عادت للاسبانيول سنة ١٠٨٥م فصارت مركز الاتصال بين المدنيتين الإسلامية والمسيحية. وسنرى مقدار تأثير هذه البلدة كمركز تبادل للبضائع العقلية وكمكتب للترجمة يحج إليه طلاب العلوم من كل فجّ.. وفي يناير سنة ١٤٩٢ كان سقوط غرناطة وجلاء العرب الأخير فتركوا.. من قصر الحمراء بقية باهرة

---

(١) الطريق إلى مكة، ص ٣٧٥.

(٢) البروفيسور فورغ Pro. Forgue

جراح فرنسي شهير، يعد من أشهر جراحي فرنسا في النصف الأول من هذا القرن، أن لم يكن أشهرهم. وله اهتمامات بتاريخ الطب.

(٣) مجلة المستشفيات الفرنسية Gazette des Hopilaux عدد ١٩ مارس، ١٩٣٢، عن (حاضر العالم الإسلامي ١/١٢٨ - ١٢٩).

تتـأمل فيها القرون والحقب دهراً طويلاً، كما أن طليطلة بقيت خزانة كتب تغذّي بترجمتها الفكرة البشرية اعصرا مديدة. لا جرم أن هناك تاريخاً نادر المثال لم ينقصه شيء لا من العظمة ولا من طول المدة. . »[1].

[٣]

« . . أنك ترى شعباً من القبائل الرحل، رعاة الأبل، بسائق دعوة دينية يحملون على الأمم فيفتحون نصف العالم في مدة قرن واحد. ثم يكون اعظم همهم، بعد أن وطّدوا هذا الملك الطويل العريض، أن يضمّوا إلى عظمة الفتح عظمة العلم. . »[2].

فـيرنيـه[3]

[١]

« . . في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، اكتسبت حركة الترجمة قوة غير عادية، إذ أصبح عدد الكتب المترجمة في صقلية وبخاصة في أسبانيا، يثير الاعجـاب، وتدفق علم الاغريق والرومان على الأديرة الأوربية من خلال العقول العربية، وادمجت الكشوف التي توصل إلى العرب ضمن رصيد من الثقافة الغربية. . وتـوافـد على (طليطلة) عدد كبير من العلماء الاوربيين المتلهفين إلى الحصول على المعارف العلمية الشرقية. . وبالرغم من أن هؤلاء العلماء لم يعملوا معاً كاصحاب مدرسة إلا أن أنتاجهم المكثف والغزير قد غيّر شكل المجتمع الاوربي لكن أولئك العلماء وأن كانـوا قد استـطاعـوا أن يتمثلوا بسهولة النصوص التي وصلت إليهم، اخفقوا في ادخال أي تطوير يذكر عليها. . »[4].

---

(١) نفسه، ١/١٢٩ . (٢) نفسه، ١/١٣٠ .

(٣) جوان فيرنيه J. Gines Vernet

تخرج من جامعة برشلونة، وسمي أستاذ للعربية فيها عام ١٩٥٤ .

من آثاره: ترجم القرآن الكريم إلى الاسبانية (١٩٥٣)، و(ألف ليلة وليلة)، وحقق عدداً من النصوص، كما كتب العديد من المقالات في الفلك والجغرافية.

(٤) تراث الإسلام (تصنيف شاخت وبوزوث) ٣/٢١٤ ـ ٢١٥ .

[٢]

« . . في بداية القرن العشرين بدأت حقبة جديدة من الترجمات العلمية تقدم على العالم الغربي إلى عالم الإسلام، شأنها شأن تلك الحركة التي قدمت من القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري (الثامن إلى العاشر الميلادي) . . »[1].

كابرييلي[2]

[١]

« . . أنها القوة العجيبة التي تشع من العقيدة الجديدة، ومن الدولة التي اقامتها هذه العقيدة، والتي نمت في كل اتجاه وانتجت حضارة موحدة إلى حدّ يدعو إلى الدهشة، وذلك رغم الاختلاف الشديد بين البيئات والمستويات الثقافية التي ازدهرت عليها . . »[3].

[٢]

« . . أن الاتصالات بين العالم المسيحي، الذي كان مهلهلاً محصوراً، وبين الإسلام الغازي في منطقة البحر المتوسط، كانت على ما يبدو متكررة ومثمرة . . [لقد] تسرّب (تراث) الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى إلى الغرب وتغلغل فيه»[4].

---

(١) نفسه، ٢١٨/٣، وعن انجازات المسلمين في ميادين الرياضيات والفلك والبصريات، انظر: المرجع نفسه ١٦٨/٣، ١٧٠، ١٧٢ - ١٧٤، ١٧٦ - ١٨٣، ١٨٨ - ١٩٤، ١٩٦ - ٢١٣، ٢١٦ - ٢١٨.

(٢) **فرانشيسكو كابرييلي** **Francesco, Gabrieli**
ولد عام ١٩٠٤، كبير أساتذة اللغة العربية وآدابها في جامعة روما، برز في دراسة الشعر العربي من الجاهلية حتى العصر الحديث وفي تحقيق التاريخ الإسلامي، وانتخب عضواً في عدد من المجامع والجمعيات العلمية.
من آثاره: ألف العديد من الأبحاث والمصنفات منها: (تاريخ المسلمين للحروب الصليبية) (١٩٢٩)، و(العصبية لدى ابن خلدون) (١٩٣٠)، و(عمر الخيام) (١٩٣٠)، و(ابن المقفع) (١٩٣٢)، و(العيد الألفي للمتنبي) (١٩٣٦)، و(أصل الخوارج) (١٩٤٢)، وغيرها.

(٣) تراث الإسلام (تصنيف شاخت وبوزورث ١٠١/١).

(٤) نفسه، ١٠٩/١.

[٣]

«. . أن ما خلفته الحضارة العربية الإسلامية لاسبانيا في المجالات الثقافية والأدبية والفنية خلفته أيضاً لاوربا بوصفه عنصراً خصباً من العناصر المكونة للحضارة الغربية. . »[(١)].

[٤]

«من الواضح أننا نعني بالإسلام هنا كل (الحضارة الإسلامية) التي تطورت بما لها من مظهر خاص، من آسيا الوسطى إلى المحيط الاطلسي والتي قامت على الايمان برسالة الرسول محمد [ﷺ]. . ولا ريب أن العقيدة الدينية قد زودت هذه الحضارة ليس بعاملها المشترك فحسب، بل بمحورها ومظهرها الأساسي أيضاً. وأن كل مظاهر الحياة الأخرى من مادية وروحية ومن سياسية وأدبية وأقتصادية واجتماعية، تحمل طابع هذا العنصر الديني يعكس عليها الوانه، وتنمو وتتسع تحت تأثيره. وقد قال أحدهم أن الإسلام دين (عالمي شامل) أكثر من أي دين آخر، ويشمل تأثيره الانسان بأكمله وليس شعوره الديني وحده»[(٢)].

[٥]

«[أن] الطابع الإسلامي إذا غلب على أمة من الأمم، لا يمكن محوه البتة وأن كبار [الشعراء] حتى حينما يعالجون موضوعات سابقة للاسلام وخارجة عنه يطبعونه بالطابع الإسلامي أيضاً»[(٣)].

---

(١) نفسه، ١/١٤٣.
(٢) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (تحرير كرونباوم)، ص ١٢٣.
(٣) نفسه، ص ١٤١.

كارا دي فو[1]

[١]

«. . أنجز العرب أعظم المكتشفات العلمية فعلاً. فعلمونا استعمال الصفر وجعلوا (الجبر) علماً متقناً وتقدموا به، ووضعوا أسس علم الهندسة التحليلية وهم بلا منازع موجدو علمي المثلثات المستوية والكروية اللذين لم يكن للاغريق فضل في وجودهما إذا ما توخينا الحقيقة والانصاف كما أنهم عملوا في الفلك أرصاداً عديدة قيّمة، وحفظوا لنا بترجماتهم عدداً كبيراً من كتب الاغريق التي ضاعت أصولها. . والسبب الآخر لاهتمامنا بعلم العرب هو تأثيره العظيم على الغرب. أن العرب ارتفعوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى في الوقت الذي كان العالم المسيحي يناضل نضال المستميت للانعتاق من احابيل البربرية واغلالها. ووصلوا إلى قمة نشاطهم (الذي استمر حتى القرن الخامس عشر) في القرنين التاسع والعاشر. ومن القرن الثاني عشر فصاعدا كانت مراكش والشرق محط أنظار كل غربي يميل إلى العلم ويتذوقه. في هذه الفترة شرع ابناء أوروبا يترجمون آثار العرب كما كان العرب قد ترجموا آثار الأغريق. وهكذا كانوا همزة وصل بين الثقافة القديمة والمدنية الجديدة، عندما عادت النفس الانسانية في عهد الاحياء العلمي لتمتلىء ثانية بحب المعرفة والاستقصاء ولتتنبه بوميض من العبقرية العلمية. فإن هي افلحت في سلوك السبيل الأقوم للعمل، وإن اتيح لها الانتاج والابتكار فما ذلك إلّا لأن نفسية العرب قد حفظت واكملت مختلف فروع العلم وصانت روح البحث العلمي حيّة تائقة للتحرر والحركة، متهيئة للمكتشفات المقبلة. . »[2].

---

(١) **البارون كارادي فو (١٨٦٨ - ١٩٣٠٩)** **Baron Carra De Vaux**
مستشرق فرنسي معروف من المعهد الكاثوليكي بباريس، درس العربية ودرّسها في المعهد المذكور، وألف في الرياضيات والفلسفة كما حقق عدداً من المصادر. ومن أشهر مؤلفاته ما كتبه عن ابن سينا (١٩٠٠) والغزالي (١٩٠٢) و(مفكرو الإسلام) في خمسة أجزاء (١٩٢١ - ١٩٢٦). كما ترجم كتباً عديدة أخرى.

(٢) تراث الإسلام، (اشراف سير توماس ارنولد)، ص ٥٦٣ - ٥٦٥. وعن انجازات المسلمين في ميدان الفلك والرياضيات والعلوم التطبيقية، انظر: المرجع نفسه، ص ٥٦٣ - ٥٦٥، ٥٦٩ - ٥٧١، ٥٧٣ - ٥٨٠، ٥٨٢، ٥٨٤ - ٥٩٢.

روجيه كارودي

[١]

«افترى الاستعمار الانكليزي والأسباني والفرنسي، بنتيجة الدور الذي قام به في أرض الإسلام خلال أكثر من قرن، افتراءً منهجياً لاساءة سمعة أسهام الحضارة العربية»[١].

[٢]

«يقول (اناتول فرانس) في (الحياة الجميلة): سأل السيد (دوبوا) السيدة (نوزير) عن اشـأم يوم في تاريخ فرنسة. ولكن السيدة (نوزير) لم تكن تعرف. فقال السيد (دوبوا): أنه يوم معركة (بواتيه) عندما تراجع العلم العربي، والفن العربي، والحضارة العربية، سنة ٧٣٢م أمام همجية الفرنجة)..»[٢].

[٣]

«أن ذاكرتي ستحتفظ دوماً بهذا النصّ الذي سبّب طردي من (تونس) سنة ١٩٤٥ بذريعة الدعاوة المضادة لفرنسَّة! فقد كان من المحظور تأكيد أن الحضارة العربية كان تسيطر إلى حدّ كبير على الحضارة الاوربية حتى القرن الرابع عشر»[٣].

[٤]

«أننا نصطدم برأي مبيّت استعماري قديم وجدت خلاصة كاريكاتورية عنه في كتـاب كان متوافراً في جميع مكتبات الجزائر سنة ١٩٤٥ وعنوانه: (كتاب السياسة الإسلامية)، وهو أشبه شيء بكتاب صلاة كامل للمستعمرين ومما جاء فيها خاصة: (أن العلم العربي الذي بلي ومات ميتة لا رجعة لها إنما قام على اقتباسات من مؤلفات يونانيين اختارها يهود في العصر الوسيط!..»[٤].

---

(١) حوار الحضارات، ص ٩٦.
(٢) نفسه، ص ٩٨.
(٣) نفسه، ص ٩٩.
(٤) نفسه، ص ١٠١.

«يوضح الكاتب (بلاسكو ايبانز) في كتابه (في ظل الكاتدرائية) أن انتعاش اسبانية لم يأت من الشمال، حيث القبائل البربرية، بل من الجنوب مع العرب الغزاة.. لقد استولى العرب خلال سنتين على ما بذل الآخرون لاسترجاعه منهم سبعة قرون. أن ذلك لم يكن فتحاً يفرض ذاته بقوة السلاح، بل كان مجتمعاً جديداً يمدّ من كل جانب جذوره القوية»[1].

[٥]

«إنما يدين (الغرب) بعصر النهضة لـ (غزو) العربي الذي عرف كيف يخلق الشروط الفكرية اللازمة لتفتحه. وهذا الغزو قد جعل من الممكن، أولاً، انبثاق الثقافات القديمة بدءً من الثقافة الهلينية.. بيد أن العرب لم يقتصروا على [ذلك] وإنما أسهموا أسهام ابداع ضخم في الثقافة العالمية..»[2].

ادوين كالغرلي

[١]

«لقد رأينا كيف أن الإسلام امدّ أوربا الجنوبية الغربية بالعلم والثقافة وكيف أن ترجمة القرآن إلى اللاتينية، ودراسة اللغة العربية مكنتادول أوربا الغربية من الوصول إلى المعرفة الدقيقة بالدين الإسلامي ولكن المسيحيين قد أخذوا عن المسلمين أموراً كثيرة اخرى.. فقد كانت الثقافة الإسلامية والعربية الغذاء الأول للعلماء المسيحيين في القرون الوسطى.. ولم يمضي حين قليل [على حركة الترجمة] حتى ظهر علماء وأساتذة مسلمون تمثلوا الثقافة الاغريقية وجعلوها جزءاً لا ينفصل من ثقافة المسلمين وحضارتهم. وقد نقل كل ذلك فيما بعد إلى الغرب. ومما يعنينا في هذا الصدد عناية خاصة أن نذكر أن المسلمين قد هضموا العلم والفلسفة الهيلينية ثم حوروا فيهما ليلائموا بين معرفتهم الجديدة وبين روح العقيدة القرآنية..»[3].

---

(١) نفسه، ص١٠٢-١٠٣. (٢) نفسه، ص١٠٣.
وعن انجازات المسلمين في ميادين العلوم الصرفة والتطبيقية والانسانية، انظر: المرجع نفسه، ص ٦، ٩٧-٩٨، ١٠٣-١٠٦، ١٠٨، ١٣٥-١٣٦، ١٦٣-١٦٤، ١٦٩-١٧٦.
(٣) الشرق الأدنى: مجتمعه وثقافته (باشراف كويلر يونغ)، ص ١٧٤-١٧٥.

[٢]

«أخـذ المسلمـون [عقيدتهم] معهم حيثـما استقـرت بهم غزواتهم. وفي البلاد الجديدة التي استوطنوها علموا ما اكتسبوا من معارف وعلوم انتقلت فيها بعد إلى أوربا الغـربية وسواها من أقطار الأرض وكانت النتيجة أن أصبح علم العرب والاسلام لباب الثقافة في أوربا. . »[١].

[٣]

«. . من الطبيعي أن يحاول بعض علماء المسيحية اليوم، أن يقلل من أهمية تأثير التفكير الفلسفي الديني الإسلامي في علم اللاهوت المسيحي. والحق أن محاولتهم هذه هي في ذاتها دليل على وجود هذا التأثير وعلى أهمّيته»[٢].

كلـود كاهـن

[١]

«أما الحضارة الجديدة التي انبثقت عن هذه الفتوح [الإسلامية] فقد كانت من أزهى الحضارات، فهي قد أفادت الغرب من علومها وفي شتى الميادين، بعد حضنت النصيب الأكبر من التراث القديم وأمدته بالحياة. ثم امتزج التاريخ الإسلامي منذ ثلاثة عشر قرناً بالتاريخ الغربي امتزاجاً مستمراً سواء في الحرب أم في السلم، ونهلت الحضارتان من معين واحد. ولئن هما تطورتا فيها بعد وتباعدتا تباعداً عميقاً، فلا بد أن تعيننا الموازنة بينهما على الوصول إلى تفاهم أفضل. ولا يسع المرء في القرن العشرين أن يبقى بمعزل عن أي أسرة من الأسر التي يتألف منها المجتمع الانساني. . لهذه الأسباب جميعاً كان خليقاً بتاريخ العالم الإسلامي أن يشغل مكانة مرموقة في ثقافتنا الغربية. وكان حقيقاً بنا أن نطرح جانبا تلك الفكرة الخاطئة التي تجعل الحضارة ملكاً لبعض الشعوب وبعض الأقاليم المنفردة بمثل هذا الامتياز، حتى ندرك أن ابن سينا المـولود في آسيا الصغرى قد وجد قبل القديس توما المولود في إيطاليا، وأن مساجد

(١) نفسه، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) نفسه، ص ١٧٦ .

دمشق وقرطبة قد انشئت قبل كاتدرائيات فرنسا والمانيا. وبالتالي لا مناص لنا من التخلي عن هذا الازدراء الذي نبديه للشعوب الإسلامية المعاصرة لنا بحكم تضاؤل شخصيتها تضاؤلاً قد يكون عابراً أمام قارة أوربية أستطاعت أن تخطو خطوات حثيثة في مضمار الثقافة والسلطان. . »[1].

[٢]

«كان العرب، بطبيعة الحال، ينظرون فيما يترجمون، بل كانوا يترجمون بغية النظر في هذه الكتب. . »[2].

[٣]

«تقوم الأهمية التاريخية للعلوم العربية على احتضانها التراث القديم، مما أتاح للغرب أن يتقبل هذا التراث بدوره وفي عهد لاحق. لكنه من الحيف أن نقصر هذه الأهمية على مجرد دور الوسيط السلبي. ولعلنا لا نشاهد مطلقاً في التاريخ مثل ذلك الحماس الفكري الذي نشاهده عند العرب، ولم تتجمع قط المعلومات المتوفرة لأمة من الأمم بمثل ذلك الاتساع. فقد اضافوا إلى العلم الاغريقي كل ما أسهمت فيه المدنيات الشرقية الاخرى. وتيسر عرض ذلك في لغة ذات حضارة واحدة. ولئن صحّ أنهم انطلقوا من النصوص القديمة، لكنهم قاموا بمقارنة هذه النصوص وانتقادها وضبطها، ولابد من أن ينجم عن ذلك كله تقدم على أقل تقدير في بعض الميادين. وإذا كان علماء المسلمين ـ رغم نزعتهم الفكرية ـ أقل قوة في التجريد من اليونان، لكنهم عوّضوا عن ذلك بميلهم الشديد إلى التجربة. ولقد بين التقدم العلمي اللاحق أهمية هذا الميل. فالعلم الذي خلفه العرب هو علم مارسوه في حياتهم اليومية، ولهذا السبب ظل على قيد الحياة وقدّر له البقاء. وكان الرازي (وهو أحد كبار العلماء) قد عبر تعبيراً واضحاً جداً عن امكانية استمرار التقدم العلمي، وذلك مبدأ غريب على معظم مفكري العصر الوسيط الذين ناؤوا بعبء الحكمة القديمة»[3].

---

(١) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ١/٦. (٢) نفسه،.

(٣) نفسه، ١/٣٢٩-٣٣٠.

[٤]

«. . لا بدّ لنا من القول بأن المؤلفات [العربية]، رغم ما نلحظ فيها من تكرار، تشهد على حيوية فكرية بالغة. وهي إذا قورنت بالمؤلفات الاوربية الصادرة بعد العهد (الكارولنجي)، أو بالآثار التي وضعت أبان النهضة البيزنطية، أثارت في نفوسنا الدهشة والاعجاب»[1].

[٥]

«لا يسع المؤرخ أن ينفض يده من حضارة في حال انحطاطها دون أن تعتريه عاطفة من الكآبة التي لا تتنافى مع الموضوعية. فقد كانت هذه الحضارة مدة طويلة من الزمن ورغم اضطراباتها ونقاط الضعف فيها، انجازاً رائعاً من منجزات الانسان، وفترة حاسمة من وجوده. . إن الحضارات جميعاً عرضة للفناء. ذلك امرٌ لا ريب فيه. لكنها تنهض دليلاً على أن الشعوب التي أوجدت هذه الحضارات قادرة على ابداع غيرها أو بعثها من جديد. ومهما يكن من أمر، فإن الغرب لا يسعه أن يتجاهل بأنه أخذ العلم والتفكير عن ابن سينا وابن رشد، وأنه لولا مسجد قرطبة لما شيدت كاتدرائية (بوي) بالذات في قلب فرنسا على النحو الذي شيدت به»[2].

هاملتون كب

[١]

«ظهرت للاسلام ملامح مختلفة في مختلف الأزمنة والامكنة بتأثير العوامل المحلية الجغرافية والاجتماعية والسياسية فيه، وبقوة استجابته لها. ولنمثل على ذلك بما تم في الغرب. أعني في شمال غربي أفريقيا وفي أسبانيا أثناء العصور الوسطى. ففي تلك المناطق اتخذ الإسلام لنفسه خصائص فارقة على الرغم من الصلة الوثيقة بين تلك

---

(١) نفسه، ١/٣٣٦.

(٢) نفسه، ١/٤٠٥-٤٠٦.

وعن انجازات المسلمين في ميادين الرياضيات والفلك والطبيعة والكيمياء والنبات والزراعة والجغرافية، انظر: المرجع نفسه، ١/٣٣٠ - ٣٣٤، ١/٣٧٦ - ٣٧٧، أما في ميدان الفنون فانظر المرجع نفسه، ١/٣٣٦، ١/٤٠٢.

المناطق وقلب العالم الإسلامي في غرب آسيا، وعلى الرغم من أن الثقافة فيها كانت فرعاً من الثقافة السائدة في قلب العالم الإسلامي. وكان لبعض تلك الخصائص الفارقة أثرها في الإسلام نفسه في غربي آسيا. ومثل هذا نفسه تم أيضاً في مناطق أخرى جغرفية واسعة قليلة الاتصال بغيرها كشبه القارة الهندية وأندونيسيا وأراضي السهوب الممتدة في جنوبي روسيا إلى تخوم الصين. ففي تلك المناطق انتجت العوامل المشابهة أشكالاً وصوراً مميزة فارقة. على أن هذه المناطق تحتفظ مجتمعة ومنفردة، بطابع إسلامي معين مشترك يمكن تبيّنه بسهولة»[1].

[٢]

«.. أن العـرب والمسلمين بصورة عامة أضطروا إلى الحذر من المفاهيم العامة الشاملة المجردة مثل مفهوم (قانون الطبيعة) أو (العدالة) المثالي وقد اتهموا هذه المفاهيم (وهم في ذلك على صواب) بأنها مستمدة من (الفلسفة الازدواجية) أو من (المادية) التي ترتكز على طرائق مغلوطة في التفكير لا ينتج عنها سوى قليل من الخير وكثير من الشر. وعلى الرغم من أن أنصار المدرسة الإسلامية اعتبروا بعض العلوم مساعدة مفيدة، كالمنطق والرياضيات، وتبنوا بهذا المقدار طريقة التفكير (العلمي) وشجعوه، فانهم تمسكوا بأعطائها دوراً ثانوياً. وإذا اتيح لي أن استطرد في القول فاني أقول بأن تمركز التفكير العربي حول الاحداث الفردية حمل العلماء المسلمين إلى توسيع الطريقة التجريبية العلمية إلى أبعد مما فعل أسلافهم اليونان وعلماء الاسكندرية.. واعتقـد أن الجميع متفقـون بصورة عامة على الاعتراف بأن الملحوظات التفصيلية للباحثين المسلمين أسهمت مادياً في تقدم المعرفة العلمية، وأنهم أصحاب الفضل في ادخال أو إعادة اعتبار الطريقة التجريبية في أوربا خلال القرون الوسطى..»[2].

---

(١) دراسات في حضارة الإسلام، ص ٣ - ٤.

(٢) الاتجاهـات الحديثة في الإسلام، ص ٣٤ - ٣٥، وعن انجازات المسلمين في ميدان الآداب انظر: تراث الإسلام (اشراف سير توماس ارنولد)، ص ٢٦١ - ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٩٧، ٣٠٠ - ٣٠٢.

جي . ج . كرامرز

[١]

« . . أن اكتشاف النقود الإسلامية في بقعة عظيمة الرقعة [من آسيا وأوربا] ينهض دليلاً على مدى انتشار الثقافة الإسلامية، ويقوم برهانا على أن المسلمين كانوا يستبضعون مختلف السلع من الشعوب الشمالية الغربية . . »[١].

[٢]

« . . أن الغنم الثقافي الذي نالته أوربا من العالم الإسلامي في صعيدي الجغرافية والتجارة لم يكن ثمرة ساعة واحدة . إنما قام على العلاقات المتبادلة التي ظلت متواصلة منذ مطلع القرن الحادي عشر [الميلادي] حتى الآن، فوصلت إلى ذروة مجدها أثناء حكم المغول في القرن الثالث عشرة كذلك يجب أن نضع نصب أعيننا حقيقة واحدة وهي أن الحضارة الإسلامية بنموها وازدهارها عن طريق الدول التي أعقبتها في الحكم كتركيا وإيران وشعوب الهند المسلمة وسكان جزر الهند الشرقية المسلمين، جعلت كثيراً من الآراء والعادات الإسلامية معروفة مطبقة في البلاد الأوربية . ولكن لم يبد من فترة تاريخية تفوق ساحق عظيم للشعوب الإسلامية على العالم المسيحي كفترة القرن العاشر، أعني عندما وصل الإسلام إلى أوج السؤدد والتقدم، وعندما كانت أوربا المسيحية في ركود وظلام حالك»[٢].

كوستاف فون كرونباوم

[١]

«كانت الحضارة التي جاء بها العرب الفاتحون من جزيرة العرب هي في حدّ ذاتها نتيجة الاندماج الاولى بين عناصر الثقافة المحلية للعرب وعناصر مستمدة من التقاليد اليهودية والمسيحية والتقاليد الهللينية . . وبين رسالة الإسلام التي كانت عنصراً آخر

---

(١) تراث الإسلام، (اشراف سير توماس ارنولد)، ص ١٥٦ .

(٢) نفسه، ص ١٦٤ . وعن انجازات المسلمين في ميدان الجغرافية والتجارة، انظر: المرجع نفسه، ص ١٠٥ - ١٠٦، ١٣٠ - ١٣١، ١٤٢ - ١٤٣، ١٤٦ - ١٤٨، ١٥٢ - ١٥٣، ١٥٧ - ١٥٨، ١٦١ - ١٦٤ .

وعاملاً من عوامل تبلور الحضارة الجديدة. وهذا التكامل الإسلامي الأول هو الذي فرض نفسه على نسبة كبيرة نوعاً ما من الشعوب المغلوبة في الوقت الذي كان يجري فيه كفاح شديد بينها وبين الحضارات القديمة المتأصلة في تلك البلاد. وكانت نتيجة هذه الخصومة والتنازع أن خرجت امكانيات الإسلام الفلهسفية والعملية إلى حيّز الفعل»[1].

[٢]

«التفكير الاداري والسياسي من فارس، والطرائق الهلنستية في التفلسف والعلم، والطب والرياضيات من الهند، كل ذلك قد تمثله [المسلمون] واستوعبوه بغير عناء. وأن التعريب اللغوي لكل ما اقتبسوه من هذه الأمور ساعد على تمثلها. وحينها توضح وجهة النظر الاجنبية في داخل اطار إسلامي وبتعابير إسلامية يكون الاحساس بها إسلامياً صادقاً، ومن جهة اخرى فان التوضيح التدريجي بحقائق الدين الاولي ولما تشتمل عليه من ملابسات ثقافية، أخذ يساعد على توسيع الأساس الذي يقوم عليه التبادل بين الحضارات. وهكذا نجد أن ازدهار الحضارة العباسية بين ٧٦٠ ـ ٨٤٠م إنها يمثل امتزاجا ثانيا للحضارة الإسلامية، وقد فسحوا المجال فيها للتقاليد (المحلية) التي استمدوا جزءا منها من الكتب، إلا أن معظمها دخل في التركيب الجديد على سبيل حقائق التعايش الفعلي»[2].

[٣]

«أن ثقافة الإسلام العامة تملك تحت تصرفها وسائل متعددة تساعد على التوفيق بين الثقافات المحلية. ومن هذه الوسائل التي يتميز بها الإسلام في الاخص الاجماع. فهذا الاجماع الذي هو عنصر في Consensus Prudentium له سلطة الفصل في شرعية أي عمل أو عقيدة اخذتها الجماعة..»[3].

(١) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، (تحرير كرونباوم)، ص ٣٨.
(٢) نفسه، ص ٣٨ ـ ٣٩.
(٣) نفسه، ص ٥٣.

جوليفيه كستلو

[١]

«كان التقدم العربي بعد وفاة الرسول [ﷺ] عظيماً، جرى على أسرع ما يكون، وكان الزمان مستعداً لانتشار الإسلام فنشأت المدنية الإسلامية نشأة باهرة، قامت في كل مكان مع الفتوحات بذكاء غريب ظهر أثره في الفنون والآداب والشعر والعلوم. وقبض العرب بايديهم، خلال عدة قرون، على مشعل النور العقلي، وتمثلوا جميع المعارف البشرية.. فأصبحوا سادة الفكر، مبدعين ومخترعين، ولا بالمعنى المعروف، بل بما أحرزوه من أساليب العلم التي استخدموها بقريحة وقّادة للغاية. وكانت المدنية العربية قصيرة العمر، إلا أنها باهرة الأثر، وليس لنا إلّا إبداء الأسف على اضمحلالها»[1].

[٢]

«.. أن أوربا لمدينة للحضارة العربية بما كتب لها من ارتقاء، من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، وعنها أخذت الفكرة الفلسفية العلمية التي سرت إليها سريانا بطيئاً ناقصاً في القرون الوسطى، وأن اوربا لتتجلى لنا منحطة جاهلة أمام المدنية العربية وأمام العلم العربي والأداب والفنون العربية. وأوربا تدين بالهواء النافع الذي تمتعت به في تلك العصور للافكار العربية، وقد انقضت أربعة قرون ولا حضارة فيها غير الحضارة العربية وعلماؤها هم حملة لوائها الخفاق»[2].

[٣]

«.. أن تبادل الأفكار بين الشرق والغرب قد نتج من الاحتكاك بين عرب أسبانيا والاوربيين.. وأن أوربا مدينة كثيراً للحضارة العربية والتركية أكثر مما تدين الحضارة العربية للحضارة المنحطة في الغرب بين القرن الحادي عشر والثالث عشر»[3].

---

(١) قانون التاريخ، (عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، ١/٥٦).

(٢) نفسه، ٢/٥٤٤.

(٣) نفسه، ٢/٥٥٥.

ايفلين كوبولد

[١]

« . . ليس من يجهل خدمات العرب للعلم والمعرفة في أيام حضارتهم وعزّهم وكيف أنهم انشأوا المدارس وعنوا بالمستشفيات، وعززوا المعارف واجازوا أهل العلم والعرفان، وعملوا على نشر الكتب وترجمة المؤلفات في كل الاقطار التي امتدت حضارتهم إليها واستقام حكمهم فيها حتى أصبحت بغداد في عصرها الزاهر مدينة العلم والفلسفة، واوربا لا تزال حتى يومنا هذا مدينة للاسلام بهذه الشعلة العلمية التي حملها العرب في أيام حضارتهم وحافظوا عليها كل المحافظة حتى أخذتها اوربا منهم»[١].

[٢]

« . . جاء العرب إلى اوربا ومعهم شعلة العلم في ذلك الزمان الماضي، وهو ما يحملنا أن نبكي مصرع الاندلس لأن مصرعها كان ضربة على الحضارة الحديثة والعمران القديم»[٢].

[٣]

« . . أصيب العالم والحضارة من سقوط العرب وانهيار سلطانهم بخسارة لا تعوض»[٣].

[٤]

« . . (أطلبوا العلم ولو بالصين) هذه كلمة النبي العربي [ﷺ] إلى المؤمنين، أوجب عليهم فيها طلب العلم من اقصى الأرض إلى أقصاها وهي كلمة القاها وأمر بها منذ مئات السنين. . ولكن العالم الاوربي لم يتفهم خطورتها ولا اتبعها حتى القرن الثالث عشر وبعد سبعة قرون من صدورها»[٤].

---

(١) البحث عن الله، ص ٥٠ .

(٢) نفسه، ص ٥١ .

(٣) نفسه، ص ٥١ ـ ٥٢ .

(٤) نفسه، ص ٩١ .

[٥]

«. . أن الإسلام كان يقف شعلة للمعرفة والعلوم . . ولقد عرف كلومبوس في جامعات أسبانيا الإسلامية أن الأرض مدورة . . وكانت هذه الجامعات ترحب بطلاب المعرفة من اليهود والنصارى . . الذين انتظموا فيها ونالوا شهاداتها وتلقوا معارفها . . »(١).

عبد الله كويليام

[١]

«اضاء نور [الحضارة الإسلامية] على العالم من سماء بغداد ومن قرطبة. إذ من المعلوم أنه في ذلك العهد الذي بلغت فيه [تلك] الحضارة إلى الغاية التي لا تدرك كانت اوربا في دياجي الجهالة وكان الرهبان يرحلون لأخذ العلم بالبلاد الاندلسية . . وبالجملة فديانة الرجل الذي يقول (اطلب العلم وفي في الصين) تحرص على السعي . . لا على السكون . . »(٢).

[٢]

«ها هي الحوادث والاحوال قد برهنت على ما للقرآن أمام أعين الذين يفقهونه من صفات القابلية للعلم والترقي والحضارة حيث قامت في العالم الإسلامي حضارات فاخرة باهرة مثل حضارة بغداد وتمدن قرطبة الذي فات بكثير ما كان يعاصره من تمدن الغرب إن صحّ أن لا نسمّي ما كانت عليه حالة الغرب وقتئذ بالهمجية. وحينذاك لم يهدم المسلمون آثار اليونان العلمية بحريق مكتبة الاسكندرية الموهوم، بل هم نقلوا إلى لغتهم آثار ارسطو التي عادت بأحسن الفوائد على مدارسنا الغربية في القرون الوسطى التي لم تصلنا إلا بواسطة المسلمين وعن أيديهم فضلاً عن أن علماء العرب كانوا أساتذتنا في سائر أنواع المعارف من الجبر (والاسم نفسه يرشد لذلك) إلى الطب، حتى أن أحد أعاظم باباواتنا (سلفستر) رحل إلى الاندلس فحصل فيها من العلوم والمعارف ما ادهش وبهر سائر معاصريه»(٣).

---

(١) نفسه، ص ٩٢ .

(٢) العقيدة الإسلامية، ص ٤٠، عن (لوازون في خطبة القاها بتونس ونشرت بجريدة الحاضرة التي تصدر في تونس بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٨٩٥).

(٣) نفسه، ص ٦٢ - ٦٣ .

روم لانـدو

[١]

« . . على الرغم من أن أثر الشرق الأدنى اليومي بعيد المدى إلى حد بالغ ، فالواقع أن الإسلام على العموم ، والحضارة الإسلامية (أو العربية) على الخصوص ، يتمتعان بأهمية أعظم بكثير. أن الحضارة الغربية ـ ابتداءً من الفلسفة والرياضيات إلى الطب والـزراعـة ـ مدينة لتلك الحضارة بشيء كثير إلى درجة نعجز معها عن فهم الاولى (الغربية) إذا لم تتمّ لنا معرفة ما بالأخرى (الإسلامية أو العربية)»[1] .

[٢]

«بينما كانت سائر بلدان أوربة تتمزغ في القذر والحطة نعمت أسبانية بمدن نظيفة منظمة ذات شوارع معبدة ومضاءة. وكان في ميسور قرطبة وحدها أن تعتز بنصف مليون من السكان ، وسبعمئة مسجد ، وثلاثمئة حمام عمومي ، وسبعين مكتبة عامة ، وعدد كبير من دكاكين الورّاقين (المكتبات التجارية)»[2] .

[٣]

«حين نتذكر كم كان العرب بدائيين في جاهليتهم يصبح مدى التقدم الثقافي الذي احـرزوه خلال مئتي سنـة انقضت على وفاة الرسول [ﷺ] ليس غير، وعمق ذلك التقدم، أمراً يدعو إلى الذهول حقاً. ذلك بأن علينا أن تتذكر ايضاً أن النصرانية احتاجت إلى نحو من الف وخمسمئة سنة لكي تنشىء ما يمكن ان يدعى حضارة (مسيحية)، فما هي اذن الـدوافـع الـرئيسية إلى منجـزات العرب العلمية؟ إن في استطاعتنا أن نلخص هذه الدوافع فيما يلي : رغبة متقدة في اكتساب فهم أعمق للعالم كما خلقه الله ، قبول للعالم المادي ، لا بوصفه دون العالم الروحي شأناً ومقاماً، ولكن بوصفه صنواً له في الصحة والرسوخ ؛ واقعية قوية تعكس في صدق واخلاص طبيعة العقل العربي اللاعاطفي ، وأخيراً فضولهم النهم الذي لا يعرف الشبع . كان كل ما في الوجود صادراً عن الله ، ابتداء من الاستغراق في العبودية لله إلى حنـان الأم

---

(١) الإسلام والعرب، ص ٩ .

(٢) نفسه، ص ١٧٧ .

وحبها، إلى انطلاق السهم والطاعون الذي يقضي على بلاد برمتها وقرصة البعوضة. إن كلا من هذه ليكشف عن قدرة الله، ومن هنا فهو جدير بالتأمل والدرس. ففي الإسلام لم يول كل من الدين والعلم ظهره للآخر ويتخذ طريقاً معاكسة. لا، والواقع أن الأول كان باعثاً من البواعث الرئيسية للثاني»[1].

[١١]

«منذ عصر النهضة انفصل العلم في الغرب، انفصالاً أشد وضوحاً عن الدين، أو بتعبير آخر، تابع العلم سبيله غير ملتفت إلّا قليلا إلى مطالب الاخلاق وعلم الاخلاق. ففيما كان الانسان في الغرب يكتسب معرفة متنامية ابداً بالكون الطبيعي وسيطرة متعاظمة عليه كان تقدمه الاخلاقي يتخلف متلكئاً. وبتحرير العلم في القرون الوسطى من سلطان الكنيسة، لم يفصل الغرب العلم عن العقائد الدينية فحسب بل فصله عن مفاهيم الايمان والقيود الاخلاقية الملازمة لها ايضاً. أما العلم الإسلامي فلم ينفصل عن الدين قط. والواقع أن الدين كان هو ملهمه وقوته الدافعة الرئيسية. ففي الإسلام ظهرت الفلسفة والعلم معاً إلى الوجود لا ليحلّا محل الوهية الدين (البدائية)، ولكن لتفسيرها عقلياً، لاقامة الدليل عليها وتمجيدها. ومن هنا فليس عجيبا أن يكون العلم الإسلامي لم يجرّد في ايما يوم من الايام من الصفات الانسانية - كما حدث في الغرب - ولكنه كان دائماً في خدمة الانسان. وبينا اكره العلم الغربي في عهد مبكر نسبيا على اتخاذ سبيل التخصص، بحيث امسى كل فرع من فروعه يعمل - كثيراً أو قليلا - في عزلة، ظل العلم الإسلامي شموليا، يجهد من اجل الوحدة، وهي وحدة يلعب فيها كل من الكون المادي والله والانسان دوره الحاسم»[2].

[٥]

«. . والحقيقة التاريخية التي لا ريب فيها هي أن المسلمين وفقوا، طوال خمسة قرون كاملة، إلى القيام بخطوات حاسمة في مختلف العلوم من غير أن يديروا ظهورهم

(١) نفسه، ص ٢٤٦.

(٢) نفسه، ص ٢٨٠ - ٢٨١.

للدين وحقـائقه، وأنهم وجدوا في ذلك الانصهار عامل تسريع وانجاح، لا عامل تعويق واحباط . . »[1] .

كـوسـتاف لـوبـون

[١]

«كلما أمعنا في درس حضارة العرب وكتبهم العلمية واختراعاتهم وفنونهم ظهرت لنا حقائق جديدة وآفاق واسعة، ولسرعان ما رأينا أن العرب أصحاب الفضل في معرفة القـرون الـوسطى لعلوم الاقدمين، وأن جامعات الغرب لم تعرف لها، مدة خمسة قرون، مورداً علمياً سوى مؤلفـاتهم، وأنهم هم الـذين مدّنـوا أوربـة مادة وعقلاً واخلاقاً، وأن التاريخ لم يعرف أمة انتجت ما انتجوه في وقت قصير، وأنه لم يفقهم قوم في الابتداع الفني»[2].

[٢]

تأثير العرب عظيم في الغرب، وهو في الشرق أشد وأقوى، ولم يتفق لأمة ما اتفق للعـرب من النفـوذ، والأمم التي كانت لها سيادة في العـالم، كالآشوريين والفرس والمصريين واليونان والرومان، توارت تحت اعفار الدهر ولم تترك لنا غير اطلال دارسة، وعادت اديانها ولغاتها وفنونها لا تكون سوى ذكريات. والعرب، وأن تواروا أيضاً، لم تزل عناصر حضارتهم، وان شئت فقل ديانتهم ولغتهم وفنونهم، حية . . »[3].

[٣]

«وسّعت دائرة التعليم العام، واستدعي الاساتذة من مختلف أقطار العالم، وبلغ علم الفلك درجة رفيعة من التقدم، وانتهى إلى نتائج لم ينته إليها الاوربيون إلا في

(١) نفسه، ص ٢٨١ .

وعن انجازات المسلمين في ميادين العلوم الصرفة والتطبيقية والانسانية، انظر: المرجع نفسه: الرياضيات، ص ٢٤٦ ـ ٢٥٤، الكيمياء والفيزياء والادوية والزراعة والميكانيك ص ٢٧١ ـ ٢٨٠، ٣٣٣، الطب، ص ٢٥٨ ـ ٢٦٩، الجغرافيا، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٨، الفلسفة، ص ١٤٤، ٢١٣ ـ ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٠ ـ ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٨، الفن واللغة والأدب، ص ٢٨٩ ـ ٢٩١، ٢٩٧ ـ ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٧ ـ ٣٠٩، ٣١٥ ـ ٣١٨، ٣٢٢ ـ ٣٣٢، ٣٣٦ ـ ٣٤٠ .

(٢) حضارة العرب، ص ٢٦ .

(٣) نفسه، ص ٢٦ ـ ٢٧ .

العصر الحاضر. . ونقلت إلى العربية كتب علماء اليونان واللاتين وصارت تدرس في جميع المدارس، وبحث العرب في أثار القدماء فسبقوا الاوربيين إلى ذلك ببضعة قرون. وأقدم العرب على تلك المباحث، التي لم يكن لهم عهد بها، بشوق: ونشاط، واكثروا من انشاء المكتبات العامة والمدارس والمختبرات في كل مكان، وكانت لهم اكتشافات مهمة في أكثر العلوم. . »[1].

[٤]

«كلما تقدمنا في الكتاب بدا لنا، بوضوح، أمران جوهريان. . وهما: أن العرب أستطاعوا أن يبدعوا حضارة جديدة مستعينين بها استعاروا من الفرس واليونان والرومان، وأن حضارة العرب كان لها من المناعة ما استطاعت أن تهيمن به على البرابرة الذين حاولوا هدمها. وقد ظهر لنا أن جميع أمم الشرق الكثيرة. . أعانت بلا استثناء على نشر نفوذ العرب، وأن أمماً قديمة قدم العالم، كالمصريين والهنود، اعتنقت ما جاءها به العرب او ورثتهم من الحضارة والدين واللغة»[2].

[٥]

«لنفرض جدلاً أن النصارى عجزوا عن دحر العرب [في جنوب فرنسا] فماذا كان يصيب اوربة؟ كان يصيب اوربة النصرانية المتبربرة مثل ما أصاب أسبانية من الحضارة الزاهرة تحت راية النبي العربي [ﷺ]، وكان لا يحدث في اوربة التي تكون قد هذبت ما حدث فيها من الكبائر كالحروب الدينية ومظالم محاكم التفتيش، وكل ما لم يعرفه المسلمون من الوقائع التي ضرّجت اوربة بالدماء عدة قرون. ويجب أن يكون المرء جاهلاً تاريخ حضارة العرب جهلاً مطبقاً ليوافق على ما زعمه المؤرخ [هنري مارتن في كتابه عن (تاريخ فرنسة الشعبي)] من (أن اوربة والدنيا كانت تخسران مستقبلهما). فمزاعم مثل هذه ليست مما يقف أمام سلطان النقد عندما يُعلم أن التمدن اللامع حلّ بالبلاد التي خضعت لاتباع الرسول [ﷺ] محل الهمجية، وأن النشاط الذي يحفز الانسان إلى التقدم لم يكن قويا في أمة مثل قوته في العرب»[3].

---

(١) نفسه، ص ١٧٣ .
(٢) نفسه، ص ٢٧ .
(٣) نفسه، ص ١٨٠ .
(٤) نفسه، ص ٣١٧ .

لين ـ بول[1]

[١]

«. . لم يحدث في تاريخ المدنية حركة أكثر روعة من ذلك الشغف الفجائي بالثقافة الـذي حدث في جميع أنحـاء العالم الإسلامي. فكان كل مسلم، من الخليفة إلى الصانع، يبدو كأنما قد اعتراه فجأة شوق إلى العلم وظمأ إلى السفر وكان ذلك خير ما قدّمه الإسلام من جميع الجهات. وكان تهافت طلاب العلم على مركز مثل بغداد، ومن بعدها على المراكز الأخرى التي كانت مهداً للأداب والعلوم، شبيها بذلك التيار الحـديث من العلماء الاوربيين الـذين كانت تموج بهم الجـامعات بحثاً وراء العلم الجديد بل لقد كان أكثر منه روعة!»[2].

[٢]

«أما المساجد، وهي التي كانت ـ ومازال بعضها ـ جامعات الإسلام، فإنها عجتّ بالطلبة الذين ملأتهم الرغبة في العلم وقد جاءوا للاستماع إلى محاضرات العلماء في علوم الدين والشريعة والفلسفة والطب والرياضة. وقد جاء العلماء أنفسهم من جميع ارجاء العالم الذي كان يتكلم باللغة العربية. . وكان يرحب بكل طالب مهما كانت جنسّيته. . »[3].

[٣]

«. . كان كل ما عرفته أوربا في العصور الوسطى من فلسفة أغريقية ومن علوم رياضية وكيمياء وفلك وطب مأخوذاً في الاصل من المؤلفات والرسائل العربية المترجمة

---

(١) د. ستانلي لين ـ بول (١٨٣٢ ـ ١٨٩٥) **Stanley Lane - Pool**
أستاذ اللغة العربية في كلية ترينتي بدبلن (١٨٩٨ ـ ١٩٠٤). عالم في الآثار المصرية. عين سنة ١٨٧٧ حافظاً للنقود في المتحف البريطاني حتى وفاته.
من آثاره: (فهرس النقود الشرقية في المتحق البريطاني) (١٨٧٥ ـ ١٨٩٠) في عشرة أجزاء، (الخلافة في الشرق)، (الاسر الصغـيرة الحـاكمـة في الشرق)، (المغـول)، (العثمانيون)، (صلاح الدين وسقوط مملكة القدس). . . الخ.

(٢) تاريخ العالم (نشره السير جون . أ . هامرتن) المجلد ٤، ص ٦٠٧ .

(٣) نفسه، ٤/٦٠٧ـ٦٠٨ .

إلى اللغة اللاتينية وقد احتفظت هذه المؤلفات بمكانتها في المدارس الأوربية حتى القرن السادس عشر بل والسابع عشر كذلك»(١).

[٦]

«أن القوة الموحدة للغة واحدة وديانة واحدة قد جعلت من الممكن أن يحفظ العصر الذهبي لثقافة العرب تراث الاغريق والرومان وينقله إلى العالم الحديث. أن اللغة العربية أدبها الهائل الخالد، إلا أن فضلها الكبير على العالم يتركز فيما قدمته له من خدمة جليلة في حفظ الحضارة العظيمة القديمة ونشرها في وقتٍ كانت فيه أوربا تتخبط في ظلمات الجهل والأمية. إن سحر اللغة العربية وحماسة طلابها هما اللذان مهدا الطريق لحركة أحياء العلوم»(٢).

مايرهوف(٣)

[١]

«.. كانت حرية التعليم مكفولة مؤمنة للجميع في معاهد بغداد ومساجدها.. وكان لكل مسجد كبير ومايزال، مكتبته الخاصة لا في المواضيع الدينية وحدها بل في الأبحاث الفلسفية والعلمية أيضاً.. وكان الحج إلى مكة المكرمة فريضة على كل مسلم مما ساعد على انتشار العلم، إذ لا مفرّ للتلاميذ القادمين من الهند وأسبانيا وآسيا الصغرى وافريقية من المرور ببلاد مختلفة فتتاح لهم زيارة المساجد والمعاهد العلمية والاتصال بمشاهير العلماء.. وكانت الطريقة العملية في التدريس آنذاك شبيهة بالطريقة المتبعة اليوم..»(٤).

---

(١) نفسه، ٤/٦٠٨-٦٠٩. (٢) نفسه، ٤/٦١٨.

(٣) د. ماكس مايرهوف Dr. Max Meyerhof

مستشرق الماني وكحّال شهير، مارس طبه في مصر زهاء ربع قرن، ثم ألم بجانب مهم من اللغات، واطلع خلال اقامته الطويلة في الشرق على كنوز المخطوطات، ونشر وأحيا عدداً من المصادر العربية، هذا علاوة على العديد من الرسائل بالفرنسية والانكليزية في مواضيع تاريخ الطب العربي نشرها في مختلف المجلات العلمية المشهورة.

(٤) تراث الإسلام، (اشراف سير توماس ارنولد)، ص ٤٥٨، ٤٨٢-٤٨٣.

[٢]

« . . أن عظمـة العلم الإسلامي تتجلى في ميدان البصريات. ها هنا نكشف مقـدرة (ابن الهيثم وكـمال الدين) الرياضية ضياء (بطليموس واقليدس). أن هذا النوع من العلوم مدين للمسلمين بتقدم حقيقي باقٍ مقرون إلى اسمهم على مر الدهور»[١].

[٣]

« . . في عام ١٠٨٥م سقطت طيلطلة أعظم مركز للثقافة الإسلامية في الغرب بأيدي الأسبان المسيحيين وصار تلاميذ اللاتين يفدون إلى العاصمة الجديدة ليظهروا أعجابهم بما يرون من بقايا حضارة المغرب ولكي يدرسوا الفنون العربية. . »[٢].

[٤]

« . . ثمـة تراجم عديدة [عن العـربية] استخدمت بصورة واسعة في التدريس الجامعي على الأخص في فرنسا وشمالي إيطاليا. بهذا الطريق انتقلت مئات من تراجم التراث العربي ـ الاغريقي العلمي إلى تربة أوربا المجدبة وكانت النتيجة زخات من المطر الوابل احيا تلك الأرض الموات. . »[٣].

[٥]

« . . كانت العلوم الإسلامية وهي في أوج عظمتها تضيىء كما يضيء القمر فتبدّد غياهب الظلام الذي كان يلف اوربا في القرون الوسطى. . ولما كان لتلك العلوم سهمها الأوفى في توجيه عهد (احياء العلوم) وحث خطواته، فعلينا أن نقرّ مذعنين بأن التراث العربي الإسلامي مازال يعيش في علومنا حتى الآن»[٤].

---

(١) نفسه، ص ٤٩٤ .

(٢) نفسه، ص ٤٩٦ .

(٣) نفسه، ص ٥٠٢ .

(٤) نفسه، ص ٥٠٦ .

وعن انجازات المسلمين في ميادين الكيمياء والطبيعة والطب والصيدلة والعلوم التطبيقية، انظر: المرجع نفسه، ص ٤٥٨ ـ ٤٨٢، ٤٨٤ ـ ٤٩١، ٤٩٣ ـ ٤٩٤، ٤٩٧ ـ ٥٠٠، ٥٠٢ ـ ٥٠٥.

جواهر لال نهرو

[١]

«إننا لنجد أن الأسلوب العلمي لم يكن مطبقاً في بلدان العالم القديم مثل مصر والصين والهند، ونجد القليل منه في اليونان، ولا نجده في روما. ولكن العرب امتازوا بهذه الروح العلمية الاستطلاعية مما يجعلهم يدعون بجدارة أباء العلم الحديث. . لقد بنى العرب على الأساس العلمي الذي استقوه من غيرهم ابحاثاً عظيمة وتوصلوا إلى اكتشافات عظيمة. لقد صنعوا أول مكبر، وصنعوا أول بوصلة، وكان أول أطبائهم وجراحيهم ذوي شهرة عالمية طبقت آفاق أوربا. وكانت بغداد مركز لهذا الأشعاع الفكري. وكانت قرطبة عاصمة اسبانيا العربية مثيلة بغداد في دنيا الغرب. وكانت في العالم العربي مراكز علمية اخرى ازدهرت فيها العلوم، ومنها القاهرة والبصرة والكوفة. ولكن بغداد. . فاقت هذه المراكز جميعاً. وكان عدد سكانها يربو على مليون نسمة، أي أكثر بكثير من سكان كلكتا أو بومبي في يومنا هذا»[١].

[٢]

«أن حكم العرب لأجزاء من أسبانيا مدة ٧٠٠ سنة أمرٌ يدعو إلى الاكبار، ويزيدنا اكباراً لهم تلك المدنية الرفيعة والثقافة العربية الراقية التي وصفها أحد المؤرخين بقوله: (لقد نظم المغاربة مملكة قرطبة العظيمة التي كانت مفخرة العصور الوسطى والتي حملت نبراس العلوم والحضارة الزاهرة إلى العالم الغربي الذي كان مغموراً في الجهل والوحشية). وكتب مؤرخ آخر يقول: (بينما كان معظم الناس في قرطبة يقرأون ويكتبون، كان أهل أوربا المسيحيون في جهل مطبق اللهم إلا رجال الدين منهم، ولم ينج من هذا الجهل حتى أعلى الطبقات الاوربية). . لقد طارت شهرتها في ارجاء الدنيا حتى سماها الكتاب الالمان بزينة الدنيا، وقد أم جامعتها الطلاب من جميع أنحاء الدنيا، وشعت منها الفلسفة العربية حتى وصلت جامعات اوربا الكبرى كجامعة باريس واكسفورد وشمال ايطاليا. . »[٢].

---

(١) لمحات، ص ٣٥.
(٢) نفسه، ص ٤٥ ـ ٤٦.

[٣]

«.. اكتسب المصليبيون [من عالم الإسـلام] الفنون والصناعة والترف والعلوم وحب الاستطلاع العلمي. وهذه هي الأشياء عينها التي كان بطرس الناسك [داعية الحرب الصليبية] وأمثاله أبعد الناس عن احترامها وتقديرها»[١].

[٤]

«.. لنـذكر أن صلاح الدين [الأيوبي] نفسه لم تشغله مهام الحرب عن انشاء المعابد والكليات والمستشفيات وغيرها من مظاهر الرقي والمدنية. غير أن القدر يشاء أن تتعرض هذه الحياة السامية إلى جحافل المغول الزاحفين من الشرق»[٢].

زيغـريـد هـونكـه

[١]

«.. يخيل إليّ أن الـوقت قد حان للتحـدث عن شعب قد اثّر بقوة على مجرى الاحداث العالمية، ويدين له الغرب، كما تدين له الانسانية كافة بالشيء الكثير. وعلى الرغم من ذلك فإن من يتصفح مائة كتاب تاريخي، لا يجـد أسماً لذلك الشعب في ثمانية وتسعين منها»[٣].

[٢]

«أن في لغتنا كلمات عربية عديدة، وأننا لندين ـ والتاريخ شاهد على ذلك ـ في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب. وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زينت حياتنا بزخرفة محببة إلى النفوس، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب، الذي كان يومـا من الأيام قاتمـاً كالحـاً باهتـاً وزركشته بالتوابل الطيبة النكهة، وطيّبتهٍ بالعبير العابق، واحياناً باللون الساحر، وزادته صحة وجمالا وأناقة وروعة»[٤].

(١) نفسه، ص ٥٤.
(٢) نفسه، ص ٥٤.
(٣) شمس العرب تسطع على الغرب، ص ١٠.
(٤) نفسه، ص ٢٠.

[٣]

«أن أرقام العرب وآلاتهم التي بلغوا بها حداً قريباً من الكمال وحسابهم وجبرهم وعلمهم في المثلثات الدائرية، وبصرياتهم الدقيقة، كل ذلك افضال عربية على الغرب ارتقت باوربة إلى مكانة، مكنتها عن طريق اختراعاتها واكتشافاتها الخاصة، من أن تتزعم العالم في ميادين العلوم التطبيقية منذ ذلك التاريخ حتى أيامنا هذه»(١).

[٤]

« . . أن التأثير العربي [في اوربا] ظل [حتى القرن التاسع عشر] وان اختفى شكلاً، فتغلغل في أعماق الحياة الاوربية، ورآه من يرغب في رؤيته، وأغفله من حجب بصره كره ارعن أو تعصب اعمى»(٢).

مونتكومري وات

[١]

«درس الباحثون مختلف الطرق التي أثر العالم الإسلامي من خلالها على أوربا في العصور الوسطى، وقد نشرت نتائج دراساتهم هذه في العديد من المقالات والكتب العلمية، إلا أنه من النادر أن نجد محاولة للنظر في التأثير الإسلامي هذا بصورة اجمالية ولتقييم أهمية أثره على اوربا ومدى استجابة اوربا له. لذلك فإن الغرض من هذه السلسلة من المحاضرات هو اعطاء نظرة شاملة لهذه التأثيرات ولردود الفعل عليها. . إن وجهة نظري ستختلف عن وجهة نظر المؤرخ الاوربي، فاني لا افكر في المسلمين كاجانب غزوا اوربا بل سأنظر إليهم باعتبارهم أصحاب حضارة ذات انجازات عظيمة عمت بفضلهم جزءاً كبيراً من العالم وامتدت فوائدها إلى الاقاليم المجاورة. . »(٣).

---

(١) نفسه، ص ١٦٣.　　(٢) نفسه، ص ٣٣٤.
(٣) تأثير الإسلام على اوربا في العصور الوسطى، ص ٥.

[٢]

«أنه لمن المناسب أن تصدر دراسة عن التأثيرات الإسلامية على أوربا في هذا الوقت الذي يزداد فيه ترابط المسلمين والمسيحيين العرب مع الاوربيين في هذا العالم الواحد. وقد لوحظ في وقت ما أن الكتاب المسيحيين في اوربا خلال العصور الوسطى قد كونوا صورة مشوهة عن الإسلام من عدة جوانب إلا أنه بفضل محاولات الباحثين في القرن الماضي، بدأت تتكون صورة أكثر موضوعية في أذها الغربيين إذ ليست لدينا نحن الاوربيين ـ على أية حال ـ القدرة على استيعاب فضل المسلمين على ثقافتنا، إذ أننا نقلّل احياناً من قيمة التأثيرات الإسلامية ومقدار أهميتها على تراثنا واحيانتً نغض الطرف عنه كليا. ومن اجل علاقات طيبة مع العرب والمسلمين علينا الاعتراف بكامل فضل المسلمين علينا، أما محاولاتنا انكار ذلك فما هو إلا علامة من علامات الغرور الكاذب»[١].

[٥]

«أن تشويه صورة الإسلام بين الاوربيين كان ضرورياً لتعويضهم عن الشعور بالتخلّف..»[٢].

هـ. ج. ولـز

[١]

«.. كان الذهن العربي قبل محمد [ﷺ] ببضعة أجيال متّقداً بنار تسري تحت الرماد، فكان يخرج الشعر والشيء الكثير من الجدل الديني، وما لبث ذلك العقل.. حتى تأجّج في تألق لا يفوقه إلا ما كان للاغريق في ازهى عصورهم. فأحيا من جديد تأثر الانسان للعلم. فلئن كان الاغريقي أباً للطريقة العلمية، فقد كان العربي شبيناً لها وشريكا له في أبوّتها. فمن العرب، وليس بوساطة الأرومة اللاتينية، تلقى العالم العصري تلك المنحة من النور والقوة[٣].

---

(١) نفسه، ص ٥ ـ ٦.
(٢) نفسه، ص ١٣١.
(٣) معالم تاريخ الانسانية، ٦٦٢/٣.

[٢]

«. . جاء من الصحراء العقل العربي الغفل، متوقّداً مستطلعاً، فاستوعب كثيراً ورفع قيمة ما تعلم بزيادته قدراً وتحسينه نوعاً. تعلم كثيراً وأستوعب كثيراً»[١].

[٣]

«سبق العالم الإسلامي الغرب بقرن أو ما يقاربه، إذ نمت به سلسلة من الجامعات العظيمة، فاضاء نور هاته الجامعات خارج العالم الإسلامي إلى مسافات بعيدة، واجتذب إليها الطلاب من الشرق والغرب. . »[٢].

[٤]

«. . لقد قذفت، المقادير بالذكاء العربي في طول العالم وعرضه بصورة أسرع وأروع مما فعلت بالعقل اليوناني قبل ذلك بألف سنة خلت. لذا عظمت إلى أقصى حدّ الاستثارة الفكرية التي احدثها وجودهم للعالم اجمع غربي بلاد الصين، كما اشتدّ تمزيق الأفكار القديمة وتطور اخرى جديدة. . وكان العلم يثب على قدميه وثباً في كل موضع وطئته قدم الفاتح العربي. . »[٣].

[٦]

«. . عثر علماء [العرب من الكيميائيين] على مناهج العلم التجريبي الذي يوشك في خاتمة المطاف أن يمنح الانسان سلطاناً لا حدّ له على العالم كله، بل وعلى مصائره هو نفسه»[٤].

كويلر يونغ

[١]

«كلمة (الإسلام) [ثقافياً] تستعمل بالمعنى الواسع لتدل على تلك المدنية المتجانسة ـ رغم تنوعها ـ والتي وجهها وسيطر عليها الدين الإسلامي منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا. . »[٥].

---

(١) نفسه، ٦٦٣/٣ .
(٢) نفسه، ٦٦٤/٣ .
(٣) نفسه، ص ٢٠٩ .
(٤) موجز تاريخ العالم، ص ٢٠٦ .
(٥) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، ص ٢٣٢ .

[٢]

« . . عندما انتقلت عاصمة الإسلام إلى بغداد في منتصف القرن الثامن الميلادي كان عصر الفتوح قد انتهى، وأصبح ما جاء به القرآن من لغة وقانون ودين يحكم من حدود الصين إلى أعمدة (هرقل). وفي خلال خمسمائة السنة التي حكم فيها العباسيون نمى الإسلام نظامه الفكري وثقافته المتجانسة على أساس من الاحياء البارع للمعارف الكلاسيكية في القرنين التاسع والعاشر الميلادي وهو (الرنيسانس) الشرقي. هذا الاحياء الثقافي في ذنيك القرنين ـ وفي القرن الذي تلاهما حيث بلغت الثقافة الإسلامية قمة تطورها ـ هو الذي نقل إلى العالم اللاتيني. . وأصبح أساس (الرنيسانس) الغربي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر»[١].

« . . كان الفارابي وابن سينا معروفين جيداً في اوربا، وكان (بيكون) يستشهد بأقوالهما. . »[٢].

« . . ليس هناك من شك في أن روح البحث العلمي الجديد وطريقة الملاحظة والتجربة اللذين أخذت بهما أوربا إنما جاءا من اتصال الطلاب الغربيين بالعالم الإسلامي»[٣].

[٣]

«عندما جاء محمد [عليه السلام] وظهر الإسلام تحول التيار [الثقافي] إلى عكس الاتجاه الذي كان يسير فيه. وقد بدأ هذا التحول مفاجئاً في مظهره بالرغم من أنه يمكن للمؤرخ أن يتعرف على الأسباب التي تجمعت رويداً رويداً حتى انتجت هذا الانعكاس في اتجاه التيار الثقافي. ومن جزيرة العرب اندفعت حماسة هؤلاء الساميين بهم، ومعهم دينهم ولغتهم إلى حدود الصين في الشرق وإلى جبال البرانس في الغرب. وفي العصر الإسلامي الذهبي، عصر العباسيين، آتت البذور الثقافية التي جلبها العرب من الاغريق والفرس والهند اكلها، وخلقوا هم أنفسهم ثقافة حية، سيطرت وسادت في العصور الوسطى، وكان لها تأثيرها الواضح في انحاء أوربا المختلفة،

---

(١) نفسه، ص ٢٣٤ .
(٢) نفسه، ص ٢٤٢ .
(٣) نفسه، ص ٢٤٧ .

فنهضت بها على مر الزمن . . وظل تيار الثقافة في العصور الوسطى مندفعاً من الشرق إلى الغرب فبلغ قمته في القرن الثالث عشر . . »[1].

[٤]

«لقد قدم العلم الإسلامي للانسانية خدمات عظيمة، واضاف إلى تراثها الثقافي القديم والكلاسيكي الشيء الكثير، وظل يلعب دوره حتى تسلّم العلم الغربي منه القيادة . . »[2].

لويس يونغ

[١]

«نحن حينما نسلم اليوم أن آسيا وأفريقيا تتمثلان أوربا قدوة لهما، يجب ألّا ننسى الوجه الآخر للصورة في العصور الوسطى عندما عكفت أوربا على علوم العرب من طب وفلسفة وطبيعة واستمر ذلك لفترة طويلة. حتى إذا كان القرن الثامن عشر قبست منهم نار الرومانطيقية، وفي القرن التاسع عشر سلبتهم أراضيهم، ثم بترولهم في القرن العشرين»[3].

[٢]

«ما الذي تركته حضارة العرب والمسلمين في أوربا؟ لقد تركت بصماتها على جميع المستويات ابتداء بالفولكلور. . وانتهاء بالعلوم حيث يستخدم ملاحو الفضاء اصطلاحات عربية مثل السمت Asimuth وسمت الرأس Senith . وهناك في خرائط القمر أكثر من موقع أطلق عليها أسماء لبعض العلماء العرب كالزركلي والبتاني وابي الفداء. ان أشياء كثيرة لايزال على الغرب أن يتعلمها من الحضارة الإسلامية[4].

[٣]

« . . نفذ المسلمون بمعارفهم عن العالم القديم إلى الاوربيين ونقلوا إليهم كشوفهم واختراعاتهم التي اضافوها إلى تلك المعارف . . »[5].

---

(١) الشرق الأدنى : مجتمعه وثقافته (باشراف كويلر يونغ)، ص ٧ .
(٢) نفسه، ص ١٠ .
(٣) العرب وأوربا، ص ٩ .
(٤) نفسه، ص ١٠ .
(٥) نفسه، ص ١٢ .

[٤]

«إن تطوير المسلمين للتراث اليوناني هو واحد من أهم حلقات التاريخ الثقافي في العالم. وليس معنى ذلك أن الحضارة الإسلامية كانت مجرد تقليد أو انعكاس للحضارة اليونانية القديمة. ويجب ألا تغيب عن ذهننا - إذ نناقش ونقيم الحضارة الإسلامية - تلك الافكار المبدعة التي جاءت من الجزيرة العربية مع الإسلام وقبله، واستطاع المسلمون أن يمزجوا بها التراث اليوناني فيصنعوا من ذلك لونا جديداً سّباقا فريداً»(١).

[٥]

«هناك أدلة واضحة تشير إلى أن مؤسسة (الجامعة) هي من المبتكرات الخالصة للحضارة العربية، وخلافاً لهذه الادلة يحجم الكثير من المؤرخين الغربيين عن الاقرار بأن وجود الشبه بين الجامعات في البلاد العربية واوربا لم يكن مجرد صدفة. رغم أن احداً منهم لا يجادل في الحقيقة الثابتة القائلة بأن أكثر الكتب الجامعية التي كانت تدرس في جامعات اوربا إنما هي كتب مترجمة عن العربية في القرون الوسطى. وإذا لم يكن هناك برهان آخر على التأثير الثقافي للحضارة الإسلامية في أوربا المسيحية فيكفي أن ننوّه بالارتباط الوثيق جداً بين الجامعات الاوربية نفسها وبين الثقافة الإسلامية، تلك الثقافة التي امدت الجامعات الاوربية بالكتب الدراسية. وتدل بعض الحقائق على أن القرون الوسطى للإسلام مهّدت لنشوء الجامعات في اوربا الوسطى. فقد نشأت الجامعات العربية وعملت قبل قيام الجامعات في اوربا بأكثر من قرن. . وقد لعبت [الأخيرة] حين ظهورها دوراً مماثلاً لمثيلاتها في البلاد العربية. . ومازالت بقايا [هذا النظام الجامعي] متبعة في جامعات اوكسفورد ولينكن واستر وهارتفورد. . الخ. . ووجه الشبه الآخر بين الجامعات العربية والاوربية تمثل في التقليد القاضي بلباس اردية خاصة للاساتذة خلال المحاضرات، أو لبعض الأعمال الادارية، وأن الرداء الجامعي المميز عادة متبعة في أهم مراكز التعليم في البلاد العربية قبل أن يصبح عادة في الجامعة الاوربية. . »(٢).

---

(١) نفسه، ص ٣٦.
(٢) نفسه، ص ١٣٠ - ١٣١.

الفصل السادس
المـرأة والأســرة

«في ما يتصل بالزواج لا تطالب السّنة الإسلامية بأكثر من حياة أمينة انشائية يسلك فيها المرء منتصف الطريق، متذكراً الله من ناحية، ومحترماً حقوق الجسد والأسرة والمجتمع وحاجاتها من ناحية ثانية . . ».

المستشرقة الايطالية لورافيشيا فاكليري

مارسيل بوازار

[١]

«. . كانت المرأة تتمتع بالاحترام والحرية في ظل الخلافة الأموية باسبانيا، فقد كانت يومئذ تشارك مشاركة تامة في الحياة الاجتماعية والثقافية، وكان الرجل يتودّد لـ (السيدة) للفوز بالحظوة لديها. . إن الشعراء المسلمين هم الذين علموا مسيحي أوربا عبر أسبانيا احترام المرأة. . »[١].

[٢]

«أن الإسلام يخاطب الرجال والنساء على السواء ويعاملهم بطريقة (شبه متساوية)، وتهدف الشريعة الإسلامية بشكل عام إلى غاية متميزة هي الحماية ويقدّم التشريع للمرأة تعريفات دقيقة عما لها من حقوق ويبدي اهتماماً شديداً بضمانها. فالقرآن والسنة يحضّان على معاملة المرأة بعدل ورفق وعطف، وقد ادخلا مفهوما أشد خلقية عن الزواج، وسعياً أخيراً إلى رفع وضع المؤمنة بمنحها عدداً من الطموحات القانونية. وتشمل حقوق المرأة ـ وهي (مقدسة) وفقاً لحديث نبوي ـ بشكل أساسي: المساواة أمام القانون والملكية الخاصة الشخصية، والارث»[٢].

[٣]

«لقد خلقت المرأة في نظر القرآن من الجوهر الذي خلق منه الرجل. وهي ليست من ضلعه، بل (نصفه الشقيق) كما يقول الحديث النبوي [النساء شقائق الرجال] المطابق كل المطابقة للتعاليم القرآنية التي تنص على أن الله قد خلق من كل شيء زوجين. ولا يذكر التنزيل أن المرأة دفعت الرجل إلى ارتكاب الخطيئة الاصلية، كما يقول سفر التكوين. وهكذا فإن العقيدة الإسلامية لم تستخدم الفاظاً للتقليل من احترامها، كما فعل أباء الكنيسة الذين طالما اعتبروها (عميلة الشيطان). بل أن

---

(١) إنسانية الإسلام، ص ١٠٨ .
(٢) نفسه، ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

القرآن يضفي آيات الكمال على امرأتين: امرأة فرعون ومريم ابنة عمران أم المسيح [عليه السلام][1]. . »[2].

[٤]

« . . ليس في التعاليم القرآنية ما يسوّغ وضع المرأة الراهن في العالم الإسلامي. والجهل وحده، جهل المسلمة حقوقها بصورة خاصة، هو الذي يسوّغه. . »[3].

[٥]

« . . أثبتت التعاليم القرآنية وتعاليم محمد [ﷺ] أنها حامية حمى حقوق المرأة التي لا تكلّ. . »[4].

اميل درمنغم

[١]

«مما لا ريب فيه أن الإسلام رفع شأن المرأة في بلاد العرب وحسّن حالها، قال عمر ابن الخطاب [رضي الله عنه]: (ما فتئنا نعد النساء من المتاع حتى اوحى في امرهن مبيناً لهن)، وقال النبي [ﷺ]: (اكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم). أجل، أن النبي [ﷺ] أوصى الزوجات باطاعة ازواجهن، ولكنه أمر بالرفق بهن ونهى عن تزويج الفتيات كرهاً وعن أكل أموالهن بالوعيد أو عند الطلاق. . ولم يكن للنساء نصيب في المواريث أيام الجاهلية. . فانزلت الآية التي تورث النساء. وفي القرآن تحريم لوأد البنات، وأمرٌ بمعاملة النساء والأيتام بالعدل، ونهى محمد [ﷺ] عن زواج المتعة وحمل الاماء على البغاء. . وأباح تعدد الزوجات. . ولم يوصي الناس به، ولم يأذن فيه إلّا بشرط العدل بين الزوجات فيهب لاحداهن ابرة دون الاخرى. . وأباح الطلاق أيضاً مع قوله: (ابغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق). وليس مبدأ الاقتصار على زوجة واحدة من الحقوق الطبيعية مع ذلك، ولم

---

(١) انظر سورة التحريم، الآيتين ١١ و١٢.
(٢) إنسانية الإسلام، ص ١١٣.
(٣) نفسه، ص ١١٤.
(٤) نفسه، ص ١٤٠.

يفرضه كتاب العهد القديم على الآباء، وإذا كان هذا المبدأ قد أصبح سنة في النصرانية فذلك لسابق انتشاره في بلاد الغرب، وذلك من غير أن يحمله رعايا نيرون إلى بلاد إبراهيم ويعقوب [عليهما السلام]. . وأيهما أفضل: تعدد الزوجات الشرعي أم تعدد الزوجات السرّي؟ . . إن تعدد الزوجات من شأنه الغاء البغاء والقضاء على عزوبة النساء ذات المخاطر. . »[1].

[٢]

«من المزاعم الباطلة أن يقال إن المرأة في الإسلام قد جردت من نفوذها زوجة وأماً كما تُذم النصرانية لعدّها المرأة مصدر الذنوب والآثام ولعنها أياها، فعلى الانسان أن يطوّف في الشرق ليرى أن الأدب المنزلي فيه قوي متين وأن المرأة فيه لا تحسد بحكم الضرورة نساءنا ذوات الثياب القصيرة والأذرع العارية ولا تحسد عاملاتنا في المصانع وعجائزنا، ولم يكن العالم الإسلامي ليجهل الحب المنزليّ والحب الروحي، ولا يجهل الإسلام ما اخذناه عنه من الفروسية المثالية والحب العذري»[2].

هنري دي كاستري

[١]

« . . أن الناس بالغوا كثيراً في مضار تعدد الزوجات عند المسلمين أن لم نقل أن ما نسبوه إليه من ذلك غير صحيح. فما تعدد الزوجات هو الذي ولد في الشرق تلك الرذائل الفاضحة، بل المعقول أنه من شأنه تلطيفها، على أنني لست أدري إن كانت تلك الرذائل أكثر منها في الغرب، بل تلك وصمة الصقت بالإسلام بواسطة السوّاح الذين يرون امرأً في فرد فيجعلونه عاماً من غير تثبت فيه ولولا هذا التعميم السطحي لما وجدوا شيئاً يملأون به مؤلفاتهم والواقع أن الرذائل الفاضحة موجودة في كل أمة ولقد يقع منها في باريس ولندن وبرلين أكثر مما يحدث في الشرق بأجمعه لأن النبي [ﷺ] بالغ في تحريمها ولم يعدها من الذنوب الخفيفة. . »[3].

(١) حياة محمد، ص ٣٢٩ - ٣٣١.
(٢) نفسه، ص ٣٣١.
(٣) الإسلام: خواطر وسوانح، ص ٥٦.

[٢]

«من الخطأ الفاضح والغلو الفادح قولهم أن عقد الزواج عند المسلمين عبارة عن عقد تباع فيه المرأة فتصير شيئاً مملوكاً لزوجها لأن ذلك العقد يخول للمرأة حقوقاً أدبية وحقوقاً مادية من شأنها أعلاء منزلتها في الهيئة الاجتماعية»(١).

[٣]

«لم يقتصر القرآن في التضييق على تعدد الزوجات على عددهن، بل حرم ما كان معروفاً عند العرب قبله من الزواج لزمن محدود وفي ذلك شبه تحريم للطلاق لكونه لا يتأتى إلا بشروط مخصوصة»(٢).

[٤]

«. . أننا لو رجعنا إلى زمن النبي [ﷺ] ومكان ظهوره لما وجدنا عملاً يفيد النساء أكثر مما أتاه [عليه السلام] فهن مدينات لنبيّهن بأمور كثيرة وفي القرآن آيات ساميات في حقوقهن وما يجب لهن على الرجال. . ويرى القارىء من جميع تلك الآيات مقدار اهتمام [الإسلام] بمنع عوامل الفساد الناشئة عن التعشق بين المسلمين لكي يجعل الازواج والأبـاء في راحة ونعيم. . ولقد [اصبحت] للمسلمين اخلاق مخصوصة، عملاً بما جاء في القرآن أو في الحديث، وتولدت في نفوسهم ملكات الحشمة والوقار، وجاء هذا مغايراً لأداب الأمم المتمدنة اليوم على خط مستقيم ومزيلاً لما عساه كان يحدث عن ميل الشرقيين إلى الشهـوات لولا هذه التعاليم والفروض. والفرق بين الحشمة عند المسلم وبينها عند المسيحي كما بين السماء والأرض. . »(٣).

ايتين دينيه

[١]

«لا يتمـرد الاسلام على الطبيعة التي لا تغلب، وإنما هو يساير قوانينها ويزامل ازمانها، بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها في كثير من شؤون

---

(١) نفسه، ص ٥٧ .
(٢) نفسه، ص ٥٧ ـ ٥٨ .
(٣) نفسه، ص ٥٨ ـ ٥٩ .

الحياة مثل ذلك الغرض الذي تفرضه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة، فهم لا يتزوجون وإنما يعيشون غرباء. على أن الإسلام لا يكفيه أن يساير الطبيعة وأن لا يتمرد عليها وإنما هو يدخل على قوانينها ما يجعل أكثر قبولا وأسهل تطبيقاً في أصلاح ونظام ورضا ميسور مشكور حتى لقد سمي القرآن لذلك (بالهدى) لأنه المرشد إلى أقوم مسالك الحياة والأمثلة العديدة لا تعوزنا، ولكنا نأخذ بأشهرها وهو التساهل في سبيل تعداد الزوجات. . فمما لا شك فيه أن التوحيد في الزوجة هو المثل الأعلى، ولكن ما العمل وهذا الأمر يعارض الطبيعة ويصادم الحقائق بل هو الحال الذي يستحيل تنفيذه. لم يكن للإسلام أمام الأمر الواقع، وهو دين اليسر، إلّا أن يستبين أقرب أنواع العلاج فلا يحكم فيه حكماً قاطعاً ولا يأمر به أمراً باتاً»[1].

[٢]

«. . هل حقيقي أن الديانة المسيحية بتقريرها الجبري لفردية الزوجة وتشديدها في تطبيق ذلك قد منعت تعدد الزوجات؟ وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه؟ وإلا فهؤلاء مثلاً ملوك فرنسا ـ دع عنك الأفراد ـ الذين كانت لهم الزوجات المتعددات والنساء الكثيرات وفي الوقت نفسه لهم من الكنيسة كل تعظيم وإكرام. إن تعداد الزوجات قانون طبيعي وسيبقى ما بقي العالم، ولذلك فإن ما فعلته المسيحية لم يأت بالغرض الذي ارادته فانعكست الآية معها وصرنا نشهد الاغراء بجميع أنواعه. . إن نظرية التوحيد في الزوجة [التي] تأخذ بها المسيحية ظاهراً تنطوي تحتها سيآت متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديد الخطر جسيمة البلاء، تلك هي الدعارة، والعوانس من النساء، والابناء غير الشرعيين. إن هذه الأمراض الاجتماعية ذات السيآت الاخلاقية لم تكن تعرف في البلاد التي طبقت فيها الشريعة الإسلامية تمام التطبيق وإنما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدنية الغربية»[2].

---

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص ٣١ .
(٢) نفسه، ص ٣٢ ـ ٣٣ .

[٣]

«جاء في كتاب (الإسلام) تأليف (شمتز دوملان)[1] أنه (عندما غادر الدكتور مافروكو رداتو الأستانة سنة ١٨٢٧ إلى برلين لدراسة الطب لم يكن في العاصمة العثمانية كلها بيت واحد للدعارة. كما لم يعرف فيها داء الزهري ـ وهو السفلس المعروف في الشرق بالمرض الافرنكي ـ فلما عاد الدكتور بعد أربع سنين تبدل الحال غير الحال. وفي ذلك يقول الصدر الأعظم الكبير رشيد باشا في حسرة موجعة: أننا نرسل أبناءنا إلى اوربا ليتعلموا المدنية الافرنكية فيعودون إلينا مرضى بالداء الافرنكي»[2].

[٤]

«. . إننا نخشى أن تخرج [المرأة] الشرقية إلى الحياة العصرية. . فينتابها الرعب لما تشهده لدى أخواتها الغربيات، اللائي يسعين للعيش وينافس في ذلك الرجل، من أمثلة الشقاء والبؤس الكثيرة»[3].

[٥]

«أن [تعليم المرأة] يساير كل المسايرة جميع تعاليم الدين، وقد كان في عصر ازدهار الإسلام يفاض فيضاً على المسلمات، وكانت ثقافتهن حينذاك أرفع من ثقافة الاوربيات دون جدال»[4].

ول ديورانت

[١]

«رفع [الإسلام] من مقام المرأة في بلاد العرب. . وقضى على عادة وأد البنات وسوّى بين الرجل والمرأة في الاجراءات القضائية والاستقلال المالي، وجعل من حقها أن تشتغل بكل عمل حلال، وأن تحتفظ بما لها ومكاسبها، وأن ترث، وتتصرف في

---

(١) L' Islam. Par Schmltz du Mulin. Page 160 .
(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص ٣٣ .
(٣) نفسه، ص ٣٤٠ - ٣٤١ .
(٤) نفسه، ص ٣٤١ .

مالها كما تشاء، وقضى على ما اعتاده العرب في الجاهلية من انتقال النساء من الآباء إلى الأبناء فيما ينتقل لهم من متاع، وجعل نصيب الأنثى في الميراث نصف نصيب الذكر، ومنع زواجهن بغير ارادتهن. .»[1].

[٢]

«المسلم لا يرى الامتناع عن أشباع الغريزة الجنسية حال طبيعية أو مثالية، وقد كان لمعظم الصالحين من المسلمين زوجات وأبناء. وحدود الزواج أوسع في الإسلام منها في كثير من الأديان، وتفتح الشريعة الإسلامية منافذ كثيرة لأشباع الغريزة الجنسية ولهذا قل البغاء في أيام النبي [ﷺ] والخلفاء الراشدين [رضي الله عنهم]. .»[2].

[٣]

«. . كان مركز المرأة المسلمة يمتاز عن مركز المرأة في بعض البلاد الاوربية من ناحية هامة، تلك هي أنها كانت حرة التصرف فيما تملك لاحق لزوجها أو لدائنيه في شيء من أملاكها. .»[3].

[٤]

«. . كانت البنات يذهبن إلى المدارس سواء بسواء، ونبغ عدد من النساء المسلمات في الأدب والفن. .»[4].

جاك ريسلر

[١]

«لقد وضعت المرأة على قدم المساواة مع الرجل في القضايا الخاصة بالمصلحة فأصبح في استطاعتها أن ترث، وأن تورث، وأن تشتغل بمنهة مشروعة لكن مكانها الصحيح هو البيت. كما أن مهمتها الأساسية هي أن تنجب أطفالاً. . وعلى ذلك رسم لها النبي [ﷺ] واجبها (ايما امرأة مات زوجها، وهو راضٍ عنها، دخلت

---

(١) قصة الحضارة، ٦٠/١٣ .
(٢) نفسه، ١٣٥/١٣ .
(٣) نفسه، ١٤٠/١٣ .
(٤) نفسه، ٣٠٦/١٣ .

الجنة». . وفي الحق أن تعدد الزوجات، بتقييده الانزلاق مع الشهوات الجامحة، قد حقق بهذا التشريع الإسلامي تماسك الأسرة، وفيه ما يسوغ عقوبة الزوج الزاني»[1].

[٢]

«كانت الأسرة الإسلامية ترعى دائماً الطفل، وصحته، وتربيته، رعاية كبيرة. وترضع الأم هذا الطفل زمناً طويلا، وأحياناً لمدة أكثر من سنتين، وتقوم على تنشئته بحنان وتغمره بحبها وباحتياطات متصلة. وإذا حدث أن أصاب الموت بعض الأسرة، وأصبحوا يتامى، فإن أقرباءهم المقربين لا يترددون في مساعدتهم وفي تبنّيهم»[2].

[٣]

«يقوم تعليم البنات على تلقينهن تربية دينية قويمة، وعلى تعويدهن الصلاة، وجعلهن في وقت مبكر صالحات للأعمال المنزلية. وبعد سنوات أيضاً يعلمن قرض الشعر والفنون. . »[3].

أحمد سوسه

[١]

«يجب ألا يغرب عن البال أن المرأة لم تكن قد حازت حقوقاً تتمتع بها إلّا بعد ظهور الإسلام لأن الإسلام هو أول من رفع قدر المرأة وأعطاها حقها في الحياة كحق الرجل»[4].

[٢]

«لقد حرمت المسيحية الطلاق ولكن في الوقت نفسه نجد أنظمة البلاد المسيحية وقوانينها الرسمية تنصّ على أباحته. أن المسيحيين أنفسهم قد ضربوا بتعاليم ديانتهم

---

(١) الحضارة العربية، ص ٥٢ .
(٢) نفسه، ص ٥٣ .
(٣) نفسه، ص ٥٤ .
(٤) في طريقي إلى الإسلام، ١/ ١٨٧ .

عرض الحائط ووضعوا القوانين التي تنقضها من الأساس، وما كان ذلك كرهاً لديانتهم ولكن رغبة في وضع ما تتطلبه نفسية المجتمع البشري من نظام يضمن الاطمئنان في علاقات الجنسين ويكفل السعادة البشرية. ولو صحا المسيحيون من غفلتهم وتأملوا في الأمر لاتضح لهم بأن الإسلام قد سبقهم في هذا المضمار من قبل ثلاثة عشر قرناً. .»[1].

[٣]

«من الغريب أن يصبح الطلاق اليوم عند المسلمين إلى جانب القلة ويكثر عند الغربيين الذين كانوا ينكرونه أشد الانكار، وما فتىء يزداد مع الزمن انتشاراً مطرداً، فإنه يحصل في الولايات المتحدة الأمريكية كل سنة ما ينيف على المائتي ألف طلاق، وفي أوربا يبت في عشرات الألوف من قضايا الطلاق وعلى الأخص في فرنسا. ولا يغيب عن الذهن أن الإسلام مع أباحته الطلاق للضرورة فإنه يعد أبغض الحلال عند الله، كما أنه ورد في القرآن الكريم ما يحتم الرفق بالمرأة ويفرض المحافظة على حقوقها ويقصي الرجل عن الاقدام على الطلاق ما أمكن»[2].

[٤]

« . . كانت المرأة في ديار العرب قديماً محض متاع، مجرد ذكرها أمرٌ ممتهن. هكذا كان الوضع حينما [جاء محمد ﷺ] فرفع مقام المرأة في آسيا من وضع المتاع الحقير إلى مرتبة الشخص المحترم الذي له الحق في الحياة حياة محترمة، كما أن له الحق في أن يملك ويرث المال»[3].

[٥]

«مما يدل على أن الإسلام هو دين أبدي قد أنزل لكل وقت ومكان نجد أن عادة تعدد الزوجات لم تعد تتبع في كثير من الانحاء الإسلامية إلا ما ندر وقل، وذلك لسبب التطور الذي طرأ في حياة معظم الجماعات بحيث جعل العسر الاقتصادي والظروف الحالية تعدد الزوجات متعذراً تطبيقه. . هذا وإذا دقّقنا كم هي النسبة

(١) نفسه، ٢/٣٠-٣١.
(٢) نفسه، ٢/٣١-٣٢.
(٣) نفسه، ٢/٤٢.

المئوية من المؤمنين بالدين الإسلامي الذين يطبقون عادة تعدد الزوجات في الوقت الحاضر نجد فعلاً أنها نسبة جدّ قليلة . . »[1].

لويس سيديّو

[١]

«إن القرآن، وهو دستور المسلمين، رفع شأن المرأة بدلاً من خفضه . . فجعل حصة البنت في الميراث تعدل نصف حصة أخيها مع أن البنات كن لا يرثن في زمن الجاهلية . . [وهو] وإن جعل الرجال قوّامين على النساء بيّن أن للمرأة حق الرعاية والحماية على زوجها. واراد ألا تكون الأيامى جزءاً من ميراث رب الأسرة فأوجب أن يأخذن ما يحتجن إليه مدة سنة وأن يقبض مهورهن وأن ينلن نصيباً من أموال المتوفى . . »[2].

[٢]

«لا شيء ادعى إلى راحة النفس من عناية محمد [ﷺ] بالاولاد. فهو قد حرم [بأمر الله] عادة الوأد، وشغل باله بحال اليتامى على الدوام . . وكان يجد في ملاحظة صغار الاولاد أعظم لذة. ومما حدث ذات يوم أن كان محمد [ﷺ] يصلي فوثب الحسين بن علي [رضي الله عنهما] فوق ظهره فلم يبال بنظرات الحضور فانتظر صابراً إلى حين نزوله كما اراد. وما الطف أقوال محمد [ﷺ] عن حنان الأم وحبّ الوالدين، وما أجمل ما في كلمتـه (الجنة تحت أقدام الأمهات) من تكريم للامهات! فيمكن أن يكتب فصل رائع من حياة محمد [ﷺ] حول هذا الموضوع»[3].

[٣]

«أحلّ الطلاق في الإسلام، ولكنه جعل تابعاً لبعض الشروط فيمكن الرجوع عنه عند الطيش والتهوّر. والطلاق، لكي يكون باتاً، يجب أن يكرر ثلاث مرات . .

---

(١) نفسه، ٢/١٤٤ ـ ١٤٥ .
(٢) تاريخ العرب العام، ص ١١٠ .
(٣) نفسه، ص ١١٠ ـ ١١١ .

والمرأة إذا ما طلقت الطلقة الثالثة لا تحل لزوجها الأول إلا بعد أن تنكح زوجاً آخر فيطلقهـا هذا الزوج، وهذا الحكم على جانب عظيم من الحكمة لما يؤدي إليه من تقليل عدد الطلاق ولا يحق للمرأة أن تطلب الطلاق إلا عند سوء المعاملة . . »[1].

[٤]

«جزاء الزنا صارم [في الإسلام] . . ولا بدّ من أربعة شهود لاثباته. ولم يقصّر محمد [ﷺ] في منـع انتشـار الفجور، وله نصائح غالية [بهذا الصدد] وهو يأمر المؤمنين بالاحتشـام، وينظم امورهم نحو أجرائهم وابنائهم وآبائهم وأمهاتهم، برفق أبوي ممزوج بلسان المشترع الوقور الجليل»[2].

لورافيشيا فاغليري

[١]

« . . في ما يتصل بالزواج لا تطالب السّنة الإسلامية بأكثر من حياة أمينة انشائية يسلك فيهـا المـرء منتصف الطريق، متذكراً الله من ناحية، ومحترماً حقوق الجسد والاسرة والمجتمع و حاجاتها من ناحية ثانية»[3].

[٢]

« . . أنه لم يقم الدليل حتى الآن، بأي طريقة مطلقة، على أن تعدد الزوجات هو بالضرورة شر اجتماعي وعقبة في طريق التقدم. ولكنا نؤثر ألا نناقش المسألة على هذا الصعيد. وفي استطاعتنا أيضاً أن نصرّ على أنه في بعض مراحل التطور الاجتماعي، عندما تنشأ احوال خاصة بعينها، كأن يقتل عدد من الذكور ضخم إلى حد استثنائي في الحرب مثلاً، يصبح تعدد الزوجات ضرورة اجتماعية والحق أن الشريعة الإسلامية التي تبـدو اليوم وكـأنها حافلة بضروب التسـاهل في هذا الموضوع إنما قيدت تعدد الزوجات بقيود معينة، وكان هذا التعدد حرّاً قبل الإسلام، مطلقاً من كل قيد. لقد

---

(١) نفسه، ص ١١١ .
(٢) نفسه، ص ١١١ ـ ١١٢ .
(٣) دفاع عن الإسلام، ص ٨٨ .

شجب الإسلام بعض أشكال الزواج المشروط والمؤقت التي كانت في الواقع أشكالاً مختلفة للتسرّي الشرعي (المعاشرة من غير زواج). وفوق هذا منح الإسلام المرأة حقوقاً لم تكن معروفة قط من قبل. وفي استطاعتنا، في كثير من اليسر، أن نحشر الشواهد المؤيدة لذلك»(١).

[٣]

«القرآن يبيح الطلاق. وما دام المجتمع الغربي قد ارتضى الطلاق أيضاً، واعترف به في الواقع كضرورة من ضرورات الحياة، وخلع عليه في مكان تقريباً صفة شرعية كاملة ففي ميسورنا أن نغفل الدفاع عن اعتراف الإسلام به. ومع ذلك فإننا بدراستنا له، وبمقارنتنا بين عادات العرب في الجاهلية وبين الشريعة الإسلامية، نفوز بفرصة نظهر فيها أن القانون الإسلامي قد دشن في هذا المجال أيضاً اصلاحاً اجتماعياً. فقبل عهد محمد [ﷺ] كان العرف بين العرب قد جعل الطلاق عملاً بالغ السهولة.. أما القانون الالهي فقد سنّ بعض القواعد التي لا تجيز أبطال الطلاق فحسب بل التي توصي به في بعض الأحوال.. وليس للمرأة حق المطالبة بالطلاق، ولكنها قد تلتمس فسخ زواجها باللجوء إلى القاضي، وفي امكانها أن تفوز بذلك إذا كان لديها سبب وجيه يبرّره. والغرض من هذا التقيد لحق المرأة في المبادرة هو وضع حد لممارسة الطلاق، لأن الرجال يعتبرون أقل استهدافاً لاتخاذ القرارات تحت تأثير اللحظة الراهنة من النساء. وكذلك جعل تدخل القاضي ضماناً لحصول المرأة على جميع حقوقها المالية وغير المالية الناشئة عن انجاز فسخ الزواج. وهذه القاعدة، والقاعدة الأخرى التي تنصّ على أنه في حال نشوب خلاف داخل الأسرة يتعين اللجوء إلى بعض الموفقين ابتغاء الوصول إلى تفاهم، تنهضان دليلاً كافياً على أن الإسلام يعتبر الطلاق عملاً جديراً باللوم والتعنيف. والآيات [القرآنية] تقرر ذلك في صراحة بالغة.. وثمة أحاديث نبوية كثيرة تحمل الفكرة نفسها..»(٢).

[٤]

«اجتناباً للاغراء بسوء السلوك ودفعاً لنتائجه يتعيّن على المرأة المسلمة أن تتخذ حجاباً، وأن تستر جسدها كله، ما عدا تلك الاجزاء التي تعتبر حريتها ضرورة مطلقة

---

(١) نفسه، ص ٩٧ـ٩٨.
(٢) نفسه، ص ١٠١ـ١٠٣.

كالعينين والقدمين. وليس هذا ناشئاً عن قلة احترام للنساء، أو ابتغاء كبت ارادتهن، ولكن لحمايتهن من شهوات الرجال. وهذه القاعدة العريقة في القدم، القاضية بعزل النساء عن الرجال، والحياة الأخلاقية التي نشأت عنها، قد جعلتا تجارة البغاء المنظمة مجهولة بالكلية في البلدان الشرقية، إلا حيثما كان للأجانب نفوذ أو سلطان. وإذا كان أحد لا يستطيع أن ينكر قيمة هذه المكاسب فيتعين علينا أن نستنتج أن عادة الحجاب.. كانت مصدر فائدة لا تثمن للمجتمع الإسلامي»[1].

«إذا كانت المرأة قد بلغت، من وجهة النظر الاجتماعية في اوربة، مكانة رفيعة، فإن مركزها، شرعياً على الاقل، كان حتى سنوات قليلة جداً، ولا يزال في بعض البلدان، أقل استقلالاً من المرأة المسلمة في العالم الإسلامي. إن المرأة المسلمة إلى جانب تمتعها بحق الوراثة مثل اخوتها، ولو بنسبة أصغر، وبحقها في أن لا تزف إلى احد إلا بموافقتها الحرة، وفي أن لا يسيىء زوجها معاملتها، تتمتع أيضاً بحق الحصول على مهر من الزوج، وبحق اعالته اياها، وتتمتع بأكمل الحرية، إذا كانت مؤهلة لذلك شرعياً، في ادارة ممتلكاتها الشخصية»[2].

ليوبولد فايس

[١]

«[ان] الشريعة الإسلامية، بمقتضى الحكمة التي تأخذ الطبيعة البشرية بعين الاعتبار الكلي دائماً، لا تأخذ على عاتقها أكثر من صيانة الوظيفة الاجتماعية ـ البيولوجية للزواج (بما فيها طبعاً العناية بالنسل أيضاً) فتسمح للرجل بأن يتخذ لنفسه أكثر من زوجة واحدة ولا تسمح للمرأة بأن تتخذ لنفسها أكثر من زوج واحد في الوقت نفسه، في حين أنها تترك للشريكين مسألة الزواج الروحية التي لا يمكن أن تقاس، وبالتالي تقع خارج دائرة الشريعة. فمتى كان الحب تاماً كاملاً فعندئذ تنعدم الرغبة عند كل منهما في الزواج ثانية ومتى كان الرجل لا يحب زوجته من كل

(١) نفسه، ص ١٠٣ ـ ١٠٤.
(٢) نفسه، ص ١٠٦.

قلبه ولا يرغب مع ذلك في فقدها، فإن بامكانه أن يتزوج باخرى. . ومهما يكن فإنه لما كان الزواج في الإسلام عقداً مدنياً فحسب فإن في مكنة الشريكين في الزواج أن يلجأ دائماً الى الطلاق خصوصاً وأن الوصمة التي تلصق بالطلاق، سواء بشدة أقل أو أكثر، في المجتمعات الاخرى، معدومة في المجتمع الإسلامي»[1].

[٢]

«أن الحرية التي تمنحها الشريعة الإسلامية كلا من الرجل والمرأة على حد سواء لعقد الزواج أو حلّ هذا العقد، يفسر السبب الذي من أجله تعتبر هذه الشريعة الزنا من أقبح الآثام: ذلك أنه تجاه هذا التسامح وهذه الحرية لا يمكن أن يكون هناك إيما عذر للوقوع في حبائل العاطفة أو الشهوة. . »[2].

[٣]

«[جاء] النبي [ﷺ] بما لم يسمع به من قبل من أن الرجال والنساء سواء أمام الله، وأن جميع الواجبات الدينية مفروضة على الرجل والمرأة على حد سواء. والحق أنه ذهب إلى أبعد من ذلك فأعلن. . أن المرأة شخص بملء حقها وليس لمجرد صلتها بالرجل كأم أو زوجة أو أخت أو ابنة، وأنها لذلك من حقها أن تقتني ملكاً وأن تتعاطى التجارة على حسابها ومسؤوليتها وأن تهب نفسها لمن تشاء عن طريق الزواج»[3].

روجيه كارودي

[١]

«أن القـرآن، من وجهـة النظر اللاهوتية، لا يحدّد بين الرجل والمرأة علاقة من التبعية الميتافيزيقية: فالمرأة، في القرآن توأم وشريكة للرجل لأن الله خلق البشر ككل شيء ﴿**ومن كل شيء خلقنا زوجين**﴾[4]. والقرآن لا يحملّ المرأة المسؤولية الأولى للخطيئة»[5].

---

(١) الطريق إلى مكة، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ .
(٢) نفسه، ص ٣٠١ .
(٣) نفسه، ص ٣٠٦ .
(٤) سورة الذاريات، الآية ٤٩ .
(٥) وعود الإسلام، ص ٧٨ .

[٢]

«إذا نحن قارنّا قواعد القرآن بقواعد جميع المجتمعات السابقة فإنها تسجل تقدماً لا مراء فيه ولا سيما بالنسبة لأثينا ولروما حيث كانت المرأة قاصرة بصورة ثابتة»(١).

[٣]

«في القـرآن تستطيع المرأة التصرف بما تملك وهو حق لم يعترف لها به في معظم التشريعات الغربية ولا سيما في فرنسا إلا في القرن التاسع عشر والعشرون. أما في الارث فصحيح أن للانثى نصف ما للذكـر، إلّا أنه بالمقابل تقع جميع الالتزامات وخاصة أعباء مساعدة اعضاء الأسرة الآخرين على عاتق الذكر. المرأة معفاة من كل ذلك. والقرآن يعطي المرأة حق طلب الطلاق وهو ما لم تحصل عليه المرأة في الغرب إلّا بعد ثلاثة عشر قرنا»(٢).

[٤]

«في القرآن أقرار بتعدّد الزوجات. إلا أن هذا التعدد لم يؤسسه هو، كان موجوداً من قبـل (وهـو موجـود كذلـك في التـوراة وفي الأناجيل)، وقد فرض عليه، على العكس، حدوداً مثل العدل التام بين مختلف الزوجات في الانفاق والحبة والمعاشرة الجنسية، وهي قواعد إذا ما جرى تطبيقها بحرفيّتها تجعل تعدد الزوجات مستحيلاً»(٣).

[٥]

«يحسن ألّا ننسى بأن جميع الوان الرقّة في الحب والشفافية فيه.. على نحو ما ظهر في الغرب لدى شعراء التروبادور. وفي قصائد دانتي.. من أصول عربية إسلامية..»(٤).

---

(١) نفسه، ص ٧٨.
(٢) نفسه، ص ٧٨ ـ ٧٩.
(٣) نفسه، ص ٨٠.
(٤) نفسه، ص ٧٩.

هاملتون كب

[١]

«حين ننتهي من حذف الانحرافات [الفقهية المتأخرة] وشجبها، تعود تعاليم القرآن والرسول [ﷺ] الأصلية إلى الظهور في كل نقائها ورفعتها وعدالتها المتساوية ازاء الرجل والمرأة معاً. عندئذ نجد أن هذه التعاليم تعود إلى المبادى العامة وتحدد الفكرة التي يجب أن يوضع ويطبق القانون بمقتضاها أكثر من أن تعين صيغاً حقوقية حاسمة. وهذه الفكرة، فيما يخص المرأة، لا يمكنها إلا أن تكون نابضة بالودّ الانساني وبشعور الاحترام لشخصيتها والرغبة في محو الاضرار التي الحقها بالمرأة سير المجتمع سيراً قاسياً وناقصاً فيما مضى. وبعدما ننتهي من استخلاص هذه الفكرة وهضمها، يمكننا أن نفهم التشريع الخاص بالقرآن فهماً صحيحاً. حالما نتوصل إلى ذلك نرى أن الموقف الإسلامي تجاه المرأة، والطريقة الإسلامية في فهم شخصيتها ونظامها الاجتماعي، وطريقة حماية التشريع الإسلامي لها، تفوق كثيراً ما هي عليه في الديانات الاخرى»[١].

ايفلين كوبولد

[١]

«الحق اقول أن الحب عندنا وكما يفهمه الغربيون ما يزال قريباً من الغريزة الجنسية، مقصورة دائرته أو تكاد، على ما تلهمه هذه الغريزة. . فأما المناطق العليا التي يرتفع الحب المهذب إليها، أما الحب بمعناه الانساني السامي. . الحب على أنه عاطفة انسانية سامية أساسها انكار الذات والرقي النفسي إلى عالم الخير والجمال والحق فهذا ما لا يفكر به أحد أو يتصور وجوده انسان، وهو إلى ذلك كله موجود في الإسلام، منطوٍ في هذه الاخوة الإسلامية التي تجعل من الفرد عبداً يعمل لخير المجموع وفرداً قصارى همه أن يعمل للاحسان والاحسان أبدا»[٢].

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص ١٢٣ (٢) البحث عن الله، ص ٢٨ .

[٢]

«لم تكن النساء [المسلمات] متأخرات عن الرجال في ميدان العلوم والمعارف فقد نشأ منهن عالمات في الفلسفة والتاريخ والأدب والشعر وكل ألوان الحياة»[١].

[٣]

«لما جاء الإسلام ردّ للمرأة حرّياتها، فإذا هي قسيمة الرجل لها من الحق ما له وعليها ما عليه ولا فضل له عليها إلا بما يقوم به من قوة الجلد وبسطة اليد، واتساع الحيلة، فيلي رياستها فهو لذلك وليها يحوطها بقوّته ويذود عنها بدمه وينفق عليها من كسب يده، فأما فيما سوى ذلك فهما في السرّاء والبأساء على السواء. ذلك ما أجمله الله بقـوله تعالى: ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة**﴾[٢]، وهذه الدرجة هي الرعاية والحياطة لا يتجاوزها إلى قهر النفس وجحود الحق، وكما قرن الله سبحانه بينهما في شؤون الحياة، قرن بينهما في حسن التوبة وادخار الاجر وارتقـاء الـدرجـات العليا في الدنيا والآخرة. وإذا احتمل الرجل مشقات الحياة، ومتاعب العمل وتناثرت اوصاله، وتهدّم جسمه في سبيل معاشه ومعاش زوجه فليس ذلك بزائد مثقال حبة عن المرأة إذا وفت لبيتها وأخلصت لزوجها واحسنت القيام في شأن دارها»[٣].

[٤]

«كتبت الـلادي ماري مونتكاد، زوجة السفير الانكليزي في تركيا إلى شقيقتها تقول: (يزعمون أن المرأة المسلمة في استعباد وحجر معيب، وهو ما أودّ تكذيبه فإن مؤلفي الروايات في أوربا لا يحاولون الحقيقة ولا يسعون للبحث عنها، ولولا أنني في تركيا، وأنني اجتمعت إلى النساء المسلمات ما كان إلى ذلك سبيل، واني استمع إلى أخبارهم وحوادثهم وطرق معيشتهم من سبل شتى، لذهبت أصدق ما يكتبه هؤلاء الكتاب، ولكن ما رأيته يكذب كل التكذيب أخبارهم، ولا أبالغ إذا قررت لك أن المـرأة المسلمـة وكما رأيتها في الاستانة أكثر حرية من زميلاتها في اوربا ولعلها المرأة

---

(١) نفسه، ص ٥١ .
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢٨ .
(٣) البحث عن الله، ص ٨١ ـ ٨٢ .

الـوحيدة التي لا تعنى بغـير حياتها البيتية، ثم انهن يعشن في مقصورات جميلات ويستقبلن من يرد من الناس. . »[1].

[٥]

«أن جهل النساء في الإسلام أمرٌ لا يتفق واوامر الرسول الكريم [ﷺ]، فقد أمر رسول الله النساء بطلب العلم وحظر الإسلام الجهل على المؤمنين به وشدّد في ذلك بما لا يدعو مجالاً للشبهة والتأويل»[2].

عبد الله كويليام

[١]

« . . أن زعـماء النصرانية أبـدلوا دين المسيح [عليه السلام] بما كانت ترمي إليه أهواؤهم وأوجدوا عقائد أخرى من تلقاء ذاتهم وتظاهروا في مقاومة الشهوات البشرية بالرهبنة والعزوبية. . واتخذوهما ستاراً للفسق ولأعمالهم التضليلية حتى ضل الناس وأشركوا بالواحد القهار وأتخذوا لفيفاً من هؤلاء القديسين والرهبان أرباباً من دون الله فلما جاء الإسـلام أستـأصـل شأفـة هذه الخـزعبـلات وقضى على جميع الأباطيل والـترهـات، وأقيمت الحجـة الثابتة على استهجان العزوبية واعتبار الزواج كدليل للتقوى الحقيقة وأنه من أوليات القواعد الدينية إذ فيه بيان قدرة الخالق ووحدانيته وجلاله. . فالإسلام هو الذي حضّ على الزواج وأبطال الرهبنة. . »[3].

[٢]

«أما تعدد الزوجات فإن موسى [عليه السلام] لم يحرمها واداود [عليه السلام] أتاها وقال بها ولم تحرم في العهد الجديد (أي الانجيل) إلّا من عهد غير بعيد. ولقد أوقف محمد [ﷺ] الغلوّ فيها عند حد معلوم. وعلى كل حال فإن مسألة تعدد الزوجات أمر

---

(١) نفسه، ص ٨٥. (٢) نفسه، ٨٦.

(٣) العقيدة الإسلامية، ص ١٩، عن (كانن اسحق تيلر في خطبة له بمؤتمر الكنيسة الانكليزية بتاريخ ٧ أكتوبر سنة ١٨٨٧، نشرت بجريدة التايمس في اليوم التالي).

شاذ كثيراً عن الدستور المعمول به في البلاد الإسلامية المتمدنة. . وهو بكل ما قيل فيه من القول الهراء لا يخلو من الفائدة فقد ساعد على حفظ حياة المرأة واوجد لها في الشريعة حسن المساعدة. وتعدد الزوجات في البلاد الإسلامية أقل أثماً وأخف ضرراً من الخبائث التي ترتكبها الأمم المسيحية تحت ستار المدنية. . فلنخرج الخشبة التي في اعيننا أولاً ومن ثم نتقدم لاخراج القذى من أعين غيرنا»[1].

[٣]

«جاء في القرآن ﴿**فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة**﴾[2]. فيما يتعلق بمسألة تعدد الزوجات التي تنتقدون فيها على المسلمين ظلما وعدوانا. إذ لا شك في أنكم تجهلون عدل النبي [ﷺ] بين ازواجه (رضوان الله عليهن) وحبه فيهن حبا مساوياً مما علم المسلمين الانتهاء والانصاف بينهن. على أن القرآن لم يأمر بتعدد الزوجات بل جاء بالحظر مع الوعيد لمن لا يعدل في الآية المتقدمة، ولذلك ترى اليوم جميع المسلمين منهم القليل لا يتزوجون إلا امرأة واحدة خوف الوقوع تحت طائلة ما جاء من الانذار في القرآن المجيد. وإذا سلمنا على العموم بأن عدم تعدد الزوجات أوفق للمعاشرة الدنيوية من تكررهن، فلا نسلم بالاعتراف بذلك على الوجه المتعارف اليوم باوربا من حصر الزواج في امرأة واحدة إذعانا للقانون واتخاذ عدة أزواج أخرى [غير شرعيات] من وراء الجدار. . »[3].

[٤]

«. . ورد في القرآن نصوص كثيرة تثبت أن النساء لا يعاقبن في الدار الآخرة فقط على ما اتين من سيىء الأعمال بل كذلك يجازين خير الجزاء على ما يعلنه من طيب أعمالهن بمثل ما يكون للرجال. وعلى ذلك نرى أن الله [سبحانه] لا تمييز عنده في الإسلام بين الاجناس»[4].

---

(١) نفسه، ص ٢٢ ـ ٢٣ عن (تيلر في خطبته المذكورة).

(٢) سورة النساء، الآية ٣.

(٣) نفسه، ص ٣٨ ـ ٣٩ عن (لوازون في خطبة القاها بتونس، ونشرت في جريدة الحاضرة التي تصدر في تونس بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٨٩٥).

(٤) نفسه، ص ١٤٣.

روم لانـدو

[١]

«يوم كانت النسوة يعتبرن، في العالم الغربي، مجرد متاع من الأمتعة، ويوم كان القوم هناك في ريب جدّي من أن لهن ارواحا، كان الشرع الإسلامي قد منحهن حق التملك. وتلقت الارامل نصيباً من ميراث ازواجهن، ولكن البنات كان عليهن أن يقنعن بنصف حصة الذكر. . إلّا أن علينا أن لا ننسى أن الابناء الذكور وحدهم كانوا، حتى فترة حديثة نسبياً، ينالون في الديار الغربية حصة من الارث»[١].

لايتـنر

[١]

« . . أن الزواج عند المسلمين يجلّ عما رماهم به كتّاب النصارى. والقول بأنه لا يوجد حد للزواج والطلاق عند المسلمين فغير صحيح، والطلاق عندهم ليس هو بالأمر الهين، فعدا عن وجود المحكمين فعلى الرجل أن يدفع صداقها المسمى عند اجراء العقد وهذا غالباً يكون فوق ما يقدر زوجها على ايفائه بسهولة، فمركز المرأة بالإسلام قوي مؤمنّ من الطلاق. أن النصارى والبوذيين يرون الزواج امراً روحياً ومع ذلك نرى عقدة النكاح محترمة عند المسلمين أكثر مما هي محترمة في البلاد المسيحية. . ويسووءني أن أذكر ما ليس لي مناص من ذكره وهو أنني سكنت بين المسلمين أربعاً وخمسين عاماً ابتداءها سنة ١٨٤٨ فمع وجود التساهل في امر الطلاق عندهم وعسره عنـد النصارى، فقد وقع حوادث طلاق عند النصارى أكثر مما وقع عند المسلمين بكثـير. واني أقول الحق بأن الشفقة والاحسان عند المسلمين نحو عيالهم والغرباء والمسنّين والعلماء لمثال مجدٍ يجب على النصارى أن يتقدوا به»[٢].

(١) الإسلام والعرب، ص ٢٠٣ . (٢) دين الإسلام، ص ١٠ ـ ١١ .

[٢]

«أما تعدد الزوجات . . فانّا بقطع النظر عن منافعه الحقيقة، لأنه يقلّل النساء في الأماكن التي هن فيه أكثر من الرجال، وبقطع النظر عن أنه يقلل وجود المومسات واضرارهن، ويمنع مواليد الزنا، فلا يمكننا أن ننكر بأن أكثر المسلمين ذو زوجة واحدة والسبب في ذلك هو تعليم دين الإسلام لقد أتى محمد [ﷺ] بين أمة تعد ولادة الانثى شراً عظيم عليهم وهكذا كانوا يئدونها، ولم يكن للرجال حد يقفون عنده من جهة الزواج وكانوا يعدون النساء من جملة المتاع ويرثونها من بعد موت بعلها. فجعل [ﷺ] لهذه الحالة حداً فلا يقدر الرجل أن يتزوج بأكثر من أربع نساء بشرط المساواة بينهن في كل شيء حتى بالمحبة والوداد، فإن لم يكن قادراً على كل ذلك فلا يباح له بأن يتزوج غير واحدة. ومن يتدبر شريعته يرى أنه قد حضّ على الزواج بامرأة واحدة، ولقد رفع مقام المرأة ورقاها رقياً عظيماً، فإنها بعد ما كانت تعد كمتاع مملوك صارت مالكة، وحكمها مؤيد وحقوقها محفوظة»[1].

[٣]

«أما بخصوص الرهبانية فليس لها وجود في الإسلام، وتكاد لا ترى امرأة غير متزوجة، وقصاص الزنا متساوٍ فيه الرجل والمرأة. . والشريعة الإسلامية لا تسمح باهانة أولاد المملوكة، وهم يرثون أباءهم مع أولاد السيدة. . وليس في الإسلام محلات للفاجرات ولا قانون يبيح انتشار المومسات. ومسامرات المسلمين العمومية خير مما هي في اوربا. ومسامرات شبان المسلمين في المدارس خير وأطهر من مسامرات شبابنا. . والحق اولى أن يقال فإن كثيراً من كلام شبان الانكليز لو قاله أحد في بلاد المسلمين لنال قائله القصاص الصارم. وللمرأة المسلمة مركز شرعي خير من مركز المرأة الانكليزية بكثير. . »[2].

(١) نفسه، ص ١١ .
(٢) نفسه، ص ١٤ ـ ١٥ .

كوستاف لوبون

[١]

«تعد مبادىء المواريث التي نصّ عليها القرآن بالغة العدل والانصاف. . ويظهر من مقابلتي بينها وبين الحقوق الفرنسية والانكليزية أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات، اللائي يُزعم أن المسلمين لا يعاشروهن بالمعروف، حقوقاً في المواريث لا تجد مثلها في قوانيننا»[1].

[٢]

«لم يقتصر الإسلام على اقرار مبدأ تعدد الزوجات الذي كان موجوداً قبل ظهوره، بل كان ذا تأثير عظيم في حال المرأة في الشرق، والإسلام قد رفع حال المرأة الاجتماعي وشأنها رفعاً عظيماً بدلاً من خفضهما خلافاً للمزاعم المكررة على غير هدى، والقرآن قد منح المرأة حقوقاً ارثية احسن مما في أكثر قوانيننا الاوربية. . أجل أباح القرآن الطلاق كما أباحته قوانين أوربة التي قالت به، ولكنه اشترط أن يكون ﴿**للمطلقات متاع بالمعروف**﴾[2]. واحسن طريق لادراك تأثير الإسلام في أحوال النساء في الشرق هو أن نبحث في حالهن قبل القرآن وبعده»[3].

[٣]

«إذا أردنا أن نعلم درجة تأثير القرآن في أمر النساء وجب علينا أن ننظر إليهن أيام ازدهار حضارة العرب، وقد ظهر مما قصّه المؤرخون أنه كان لهن من الشأن ما اتفق لاخواتهن حديثاً في اوربة. . إن الاوربيين أخذوا عن العرب مبادىء الفروسية وما اقتضته من احترام المرأة. فالإسلام، إذن، لا النصرانية، هو الذي رفع المرأة من الدرك الاسفل الذي كانت فيه، وذلك خلافاً للاعتقاد الشائع. وإذا نظرت إلى نصارى الدور الأول من القرون الوسطى رأيتهم لم يحملوا شيئاً من الحرمة للنساء، وإذا تصفحت كتب التاريخ ذلك الزمن وجدت ما يزيل كل شك في هذا الأمر،

(١) حضارة العرب، ص ٣٨٩ . (٢) سورة البقرة، الآية ٢٤١ .

(٣) حضارة العرب، ص ٤٠١ .

وعلمت أن رجال عصر الاقطاع كانوا غلاظاً نحو النساء قبل أن يتعلم النصارى من العرب أمر معاملتهن بالحسنى»[1].

[٤]

«. . أن حالة [النساء المسلمات] الحاضرة أفضل من حالة اخواتهن في اوربة حتى عند الترك. . وأن نقصان شأنهن حدث خلافاً للقرآن، لا بسبب القرآن على كل حال. . أن الإسلام، الذي رفع المرأة كثيراً، بعيدٌ من خفضها، ولم نكن أول من دافع عن هذا الرأي، فقد سبقنا إليه [كثيرون]. . »[2]

«أن تعدد الزوجات المشروع عند الشرقيين أحسن من تعدد الزوجات الريائي عند الأوربيين، وما يتبعه من مواكب أولاد غير شرعيين»[3].

[٥]

«أن النساء المسلمات قد اخرجن في الدهر الغابر من المشهورات العالمات بقدر تخرج مدارس الاناث في الغرب اليوم»[4].

نظمي لوقا

[١]

«المرأة في الإسلام انسان له حقوق الإنسان وكل تكاليفه العقلية والروحية فهي في ذلك صنو الرجل تقع عليها أعباء الأمانة التي تقع عليه، أمانة العقيدة والايمان وتزكية النفس. . وقد نجد هذا اليوم من بدائه الأمور. ولكنه لم يكن كذلك في العالم القديم، في كثير من الأمم حيث كانت المرأة تباع احياناً كثيرة كما تباع السلعة. . وكانت في كثير من الاحيان منقوصة الأهلية لا تمارس التصرفات المالية والقانونية إلا عن طريق وليها الشرعي أو بموافقته، بل لم تكن تملك تزويج نفسها على الخصوص،

---

(١) نفسه، ص ٤٠٣.
(٢) نفسه، ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥.
(٣) روح السياسة، (عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، ١/٨٣).
(٤) نفسه، ١/٨٣.

وإنما الأمر في ذلك لوليها يجريه على هواه. واكثر من هذا، كانت قبائل العرب في الجاهلية تئد البنات كراهة لهن وازدراء لشأنهن، ومن لم يئدهن كان يضيق بهن ضيقاً شديداً. . »[1].

[٢]

«في سور القرآن أشار إلى المساواة عند الله بين الذكر والأنثى بغير تفريق في التكليف أو الجزاء، وأشارة صريحة إلى مساواة المرأة والرجل في ثمرات الأعمال والجهود. . وفي بعض الأمم القديمة، والحديثة، كانت المرأة تحرم غالباً من الميراث، فأبى الإسلام هذا الغبن الفاحش. . . »[2].

[٣]

«ليس الإسلام ـ على حقيقته ـ عقيدة رجعية تفرق بين الجنسين في القيمة. بل أن المرأة في موازينه تقف مع الرجل على قدم المساواة. لا يفضلها إلا بفضل، ولا يحبس عنها التفضيل أن حصل لها ذلك الفضل بعينه في غير مطل أو مراء وما من امرأة سوية تستغني عن كنف الرجل بحكم فطرتها الجسدية والنفسية على كل حال. وذلك حسب عقيدة لتكون صالحة لكل طور اجتماعي على تعاقب الاطوار والعصور، على سنة العدل التي لم يجد لها عصرنا اسماً أوفق من (تكافؤ الفرص)، الذي يلغي كل تفريق، ويسقط كل حجة، ويقضي على كل تميز إلّا بامتياز ثابت صحيح»[3].

[٤]

«[العلاقة الزوجية في الإسلام] ليست مسافدة حيوانية بين ذكر وأنثى، على إطلاق بواعث الرغبة والاشتهاء الغريزي بين جنسيْ النوع البشري. لغير هذا قامت كوابح الآداب وضوابط الشرائع والعقائد ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾[4]. هكذا جاء في سورة الروم، واني لأرى في قوله (من أنفسكم) لمسة تمس شغاف القلب وتذكر بها في الزواج من قربى تجعل

(١) محمد الرسالة والرسول، ص ٩٥-٩٦.
(٢) نفسه، ص ٩٦.
(٣) نفسه، ص ١٠٠ ـ ١٠١.
(٤) سورة الروم، الآية ٢١.

الزوجة قطعة من النفس ثم اردف ذلك بالسكن، وما أقرب السكن في هذا الباب من سكينة النفس لا من مساكنة الأجساد! بدليل ما اردف بذلك من المودة والرحمة.. وتلك عليا مناعم المعاشرة الانسانية، بما فيها من غلبة الروح على نزوات الاجساد ودفعات الرغبة العمياء. فالزواج مطلب نفسي وروحي عند الإنسان، وليس مطلبا شهوياً جسدياً وإن كان له أساس جسدي..»[1].

[٥]

«كان لا بدّ من اصلاح ما بين الانسان وبين نفسه التي بين جنبيه بعقيدة موفقة بين الدين والدنيا، وقد نهض بهذا الإسلام، وكانت سنته في الزواج كفاء خطته في جوانب الهداية البشرية الفطرية، لتحرير البشر من الذعر والخزي وعقدة الاثم الشوهاء التي كبّلته ولم تزل تكبل الكثيرين عن انطلاقة الحياة وسوء الفطرة».

مـــارش[2]

[١]

«.. على فرض وجود بعض القيود على المرأة المسلمة في ظل الإسلام، فإن هذه القيود ليست إلّا ضمانات لمصلحة المرأة المسلمة نفسها، ولخير الأسرة، والحفاظ عليها متماسكة قوية، وأخيراً فهي لخير المجتمع الإسلامي بشكل عام»[3].

[٢]

«لقـد لاحظت أن المشكلات [العائلية التي يعاني منها الغرب] لا وجود لها بين الأسرة المسلمة التي تنعم بالسلام والهناء وكذلك الحب فلا الزوج ولا زوجته في ظل

---

(١) نفسه، ص ١١٥ - ١١٦.

(٢) سالي جان مارش : سلوى جان مارش S. J. Marsh

ولدت في واشنطن عام ١٩٥٤ في عائلة بروتستانتية. حصلت على درجة الماجستير في العلوم السياسية من واشنطن، كما تفرغت لدراسة اللغة العربية بجامعة الكويت. قرأت كثيراً عن معظم الأديان المعروفة في الغرب فلم يقبل عقلها أي واحد منها فلما التقت بالإسلام (احسّت منذ البداية أنها تؤمن بكافة تعاليمه بحكم فطرتها التي فطرها الله عليه) فانتمت إلي.

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٨/٤٦.

الإسلام يعرفان شيئاً عن موعد العشّاق ومودة الصديقات السائدين هذه الأيام في الاقطار غير الإسلامية. لقد احببت هذا الجانب من الحياة الإسلامية حباً كثيراً، لأنه يمنح الزوج والزوجة والابناء ما لابد لهم عنه من حب واخلاص وسلام يعمر حياتهم. وليس ذلك فحسب بل بفضل هذا الاخلاص في العلاقات الزوجية بين المسلمين، هم واثقون أن ابناءهم حقاً من صلبهم غير دخلاء عليهم. وهذا مفقود في المجتمعات الاخرى»[1].

ماكلوسكي[2]

[١]

«.. في ظل الإسلام استعادت المرأة حريتها واكتسبت مكانة مرموقة. فالاسلام يعتبر النساء شقائق مساوين للرجال، وكلاهما يكمل الآخر»[3].

[٢]

«لقد دعا الإسلام إلى تعليم المرأة، وتزويدها بالعلم والثقافة لأنها بمثابة مدرسة لاطفالها. قال رسول الله ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة). لقد منح الإسلام المرأة حق التملك وحرية التصرف فيما تملك. وفي الوقت الذي نرى فيه أن المرأة في أوربا كانت محرومة من جميع هذه الحقوق إلى عهد قريب جدا، نجد أن الإسلام قد منح المرأة بالاضافة إلى ما تقدم حق ابرام العقود للزواج. والمهر في نظر الإسلام هو حق شخصي للمرأة. والمرأة في الإسلام تتمتع بحرية الفكر والتعبير..»[4].

---

(١) نفسه، ٨/٤٦ ـ ٤٧.

(٢) منى عبدالله ماكلوسكي Muna A. Maclosky
المانية، تعمل قنصلاً لبلادها، المانيا الأتحادية، في بنغلادش، اهتدت إلى الإسلام في مطلع عام ١٩٧٦، على يد شيخ الجامع الأزهر الدكتور عبدالحليم محمود ـ رحمه الله ـ وشعرت يومها «كأنها ولدت من جديد».

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٩/٦٢.

(٤) نفسه، ٩/٦٢ ـ ٦٣.

[٣]

«. . [أن] المرأة [المسلمة] معززة مكرمة في كافة نواحي الحياة، ولكنها اليوم مخدوعة مع الأسف ببريق الحضارة الغربية الزائف. ومع ذلك فسوف تكتشف يوماً ما كم هي مضللة في ذلك، بعد أن تعرف الحقيقة»[١].

[٤]

«أن الإسلام يحضنا على القيام بالعمل المثمر، شريطة أن نلتزم نحن النساء بالحشمة في لباسنا وأن نستر جمال أجسادنا. وعلينا أن نكون جادّين في حديثنا. وهكذا فالإسلام لا يمنع المرأة من ممارسة أي عمل شريف يناسب طبيعتها. إلا أن أقدس واجب على المرأة هو واجبها الطبيعي في خدمة اسرتها والعناية باعضائها لأن جزاءها على هذا يعادل اجر المقاتلين في سبيل الله، والمرأة المسلمة مازالت تقوم بهذه الواجبات بكل اعتزاز»[٢].

[٥]

«أن نشاطات المرأة المسلمة قد تمتد احياناً خارج المنزل، فبعض النساء المسلمات كن يقمن بمسؤوليات عامة. . في الحرب والتجارة. ولكن ذلك كله كان في اطار الخلق الكريم»[٣].

روزماري هاو

[١]

«الحجاب شيء أساسي في الدين الإسلامي لأن الدين ممارسة عملية أيضاً، والدين الإسلامي حدد لنا كل شيء . كاللباس والعلاقة بين الرجل والمرأة الحجاب يحافظ على كرامة المرأة ويحميها من نظرات الشهوة، ويحافظ على كرامة المجتمع ويكف الفتنة بين افراده. لذلك فهو يحمي الجنسين من الانحراف. وأنا اؤمن أن السترة ليست في

---

(١) نفسه، ٩/٦٣.
(٢) نفسه، ٩/٦٣-٦٤.
(٣) نفسه، ٩/٦٤.

الحجاب فحسب، بل يجب أن تكون العفة داخلية أيضاً، وأن تتحجب النفس عن كل ما هو سوء»[1].

[٢]

«أن الإسلام قد كرم المرأة وأعطاها حقوقها كانسانة، وكامرأة، وعلى عكس ما يظن الناس من أن المرأة الغربية حصلت على حقوقها. . فالمرأة الغربية لا تستطيع مثلاً أن تمارس انسانيتها الكاملة وحقوقها مثل المرأة المسلمة. فقد أصبح واجبا على المرأة في الغرب أن تعمل خارج بيتها لكسب العيش. أما المرأة المسلمة فلها حق الاختيار، ومن حقها أن يقوم الرجل بكسب القوت لها ولبقية أفراد الأسرة. فحين جعل الله سبحانه وتعالى للرجال القوامة على النساء كان المقصود هنا أن على الرجل أن يعمل ليكسب قوته وقوت عائلته. فالمرأة في الإسلام لها دور أهم وأكبر من مجرد الوظيفة، وهو الانجاب وتربية الابناء، ومع ذلك فقد أعطى الإسلام للمرأة الحق في العمل إذا رغبت هي في ذلك، وإذا اقتضت ظروفها ذلك»[2].

[٣]

«. . أنا أفهم أن الإسلام يعتبر الزوج اقرب صديق لزوجته، إذ تكن له كل ما في نفسها، لأن الزواج في الإسلام علاقة حميمة مبنية على شريعة الله لا تضاهيها العلاقات العادية الأخرى. . »[3].

زيغريد هونكه

[١]

«إن احترام العرب لعالم النساء واهتمامهم به ليظهران بوضوح عندما نرى أنهم خصّوه بفيض من العطور وبأنواع الزينة، التي وإن لم تكن غير مجهولة قبلهم، إلا أنها فاحت بثروة الشرق العطرية الزكية، وبالأساليب الفائقة في تحضيرها. كذلك فإن

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ٨/٢٥ ـ ٢٦ . (٢) نفسه، ٨/٢٨

(٣) نفسه، ٨/٢٩ .

العثنون الذي كان يزين الوجوه الحليقة، منذ حملات الصليبيين، على طريقة النبي محمد [ﷺ] قد أصبح نموذجاً يقلده الرجال»[1].

[٢]

«.. قاوم العرب كل التيارات المعادية [للمرأة] واستطاعوا القضاء على هذا العداء للمرأة والطبيعة، وجعلوا من منهجهم مثالاً احتذاه الغرب ولا يملك الآن منه فكاكا، وأصبح الاستمتاع بالجمال جزءاً من حياة الأوربيين شاءوا أم أبوا»[2].

[٣]

«.. ظلت المرأة في الإسلام تحتل مكانة أعلى وأرفع مما احتلته في الجاهلية. الم تكن خديجة [رضي الله عنها] زوجة النبي [ﷺ] الأولى، التي عاش معها أربعة وعشرين عاما، أرملة لها شخصيتها ومالها ومكانتها الرفيعة في مجتمعها؟ لقد كانت نموذجاً لشريفات العرب، أجاز لها الرسول[ﷺ] أن تستزيد من العلم والمعرفة كالرجل تماماً؛ وسار الركب وشاهد الناس سيدات يدرسن القانون والشرع ويلقين المحاضرات في المساجد ويفسرن أحكام الدين. فكانت السيد تنتهي دراستها على يد كبار العلماء، ثم تنال منهم تصريحاً لتدرّس هي بنفسها ما تعلمته، فتصبح الأستاذة الشيخة. كما لمعت من بينهن أديبات وشاعرات، والناس لا ترى في ذلك غضاضة أو خروجاً على التقاليد»[3].

[٤]

«أن النساء في صدر الإسلام لم يكن مظلومات أو مقيدات، ولكن هل دام هذا طويلاً؟ لقد هبت على قصور العباسيين رياح جديدة قدمت من الشمال فغيرت الأوضاع، وقدم الحريم مع الجاريات الفارسيات واليونانيات.. وكان أن حرمت المرأة العربية من مكانتها الرفيعة في المجتمع وقيدت حرياتها حين سيطرت على المجتمع العادات الفارسية القديمة. والإسلام برى من كل ما حدث، والرسول [ﷺ] لم يأمر

---

(١) شمس العرب تسطع على العرب، ص ٥٣ . (٢) نفسه، ص ٤٦٨ .
(٣) نفسه، ص ٤٧٠ .

قط بحجب النساء عن المجتمع . لقد أمر المؤمنين من الرجال والنساء على حد سواء، بان يغضوا الطرف وأن يحافظوا على أعراضهم وأمر النساء بألا يظهرن من اجسادهن إلّا ما لا بد من ظهوره، وألا يظهرن محاسن اجسادهن إلا في حضرة ازواجهن»[1].

[٥]

«الإسلام قدّس الزواج وطالب بالعدل بين الزوجين أو الثلاث أو الأربع في المعاملة. ﴿**فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة**﴾[2]. أليس هذا نصاً صريحاً يطلب فيه من المؤمنين ألا يتزوجوا بأكثر من واحدة إلا إذا كان في استطاعتهم تحري العدل بين النساء؟ والمشكلة لم تكن اقتصادية فحسب، فمؤرخو العرب يذكرون أن العربي الأصيل المؤمن لم يكن يتخذ إلا زوجة واحدة يبقى مخلصاً لها وتبقى هي ملخصة له حتى يفرق بينهما الموت»[3].

مونتكومري وات

[١]

«أن الفكرة الرائدة في القرآن، هي أنه إذا تبنى المسلمون تعدد الزوجات، فإن جميع الفتيات اللواتي هن في سن الزواج يمكنهن الزواج بصورة حسنة»[4].

[٢]

«. . كان [تعدد الزوجات] عادة غريبة على تفكير أهل المدينة. وقد عالج هذا التغيير المساوىء التي نتجت عن ازدياد النزعة الفردية. إذ أن تعدد الزوجات يسمح للنساء الكثيرات بالزواج الشريف، كما يضع حداً لاضطهاد الارامل اللواتي تحت الوصاية، كما يخفف من اغراء الزواج المؤقت الذي يسمح به مجتمع عربي ذو عوائد أمية. ويجب اعتبار هذا الاصلاح، بالنظر لبعض العادات السائدة آنذاك، تقدماً مهماً في تنظيم المجتمع»[5].

---

(١) نفسه، ص ٤٧٠ ـ ٤٧١ .
(٢) سورة النساء، الآية ٣ .
(٣) شمس العرب تسطع على العرب، ص ٤٧٢ .
(٤) محمد في المدينة، ص ٤٢٢ .
(٥) نفسه، ص ٤٢٣ ـ ٤٢٤ .

[٣]

«لقد قام محمد [ﷺ] في ميدان الزواج والعلاقات العائلية، بتنظيم عميق واسع للبناء الاجتماعي. وقد وجدت قبله نزعات جديدة فردية، ولكن أثرها كان هداماً أكثر منه بناء. وكان عمل محمد [ﷺ] بهذا الصدد يقوم على استخدام هذه النزعات الفردية لتكون بناء جديد. فقد أنهارت عادات المجتمعات القبلية وتقاليدها، فانقذ محمد [ﷺ] منها ما يمكن انقاذه وحوله إلى المجتمع الفردي الجديد. وهكذا استطاع توليد نظام عائلي ظهر مرضياً ومغريا في مجتمع ينتقل من مرحلة الجماعية إلى مرحلة الفردية»[1].

[٤]

«كانت التشريعات القرآنية تهدف إلى أن لا يتعدى الوصيّ على حقوق أي قاصر أو امرأة في الميراث الطبيعي..»[2].

[٥]

«.. بالرغم من أن الانسان [المسلم] يملك ممتلكاته في حياته، ويستطيع التصرف بها كما يشاء فهو مسؤول عنها أمام عائلته..»[3].

واندر[4]

[١]

«من خلال معايشتي للمسلمين اكتشفت العلاقة الرائعة بين أفراد الأسرة المسلمة، تعرّفت كيف يعامل الآباء المسلمون أبناءهم، وعرفت العلاقة الوثيقة التي

---

(١) نفسه، ص ٤٤١.
(٢) نفسه، ص ٤٤٣.
(٣) نفسه، ص ٤٤٧.
(٤) جاري واندر Gary Wander
صحفي أميركي يعمل في صحيفة (كويت تايمز). من مواليد نيويورك. نشأ في ظل أسرة بروتستانتية. تخرج من قسم العلوم السياسية بجامعة نيويورك. زار عدداً من البلاد العربية حيث وجد نفسه يندفع لاعتناق الإسلام. وهو الآن في العقد الرابع من عمره.

تربط أفراد الأسرة المسلمة، كما أعجبت بالمكانة التي يتمتع بها كبار السنّ بين المسلمين. وفي الوقت الذي أجد فيه كبار السن في الغرب وفي بلادي أمريكا، قمة الحضارة الغربية المادية المعاصرة، يلقى بهم في مؤسسات العجزة، وينبذون فلا يلتفت إليهم أحد، أجد الجد والجدة المسلمين في مركز الأسرة وبؤرتها من حيث الحفاوة والتكريم. لقد احببت ذلك كثيراً. . »[1].

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ١٠٦/٧ .

الفصل السابع
الحاضر والمستقبل

«ليس هناك أي دين آخر غير الإسلام لديه الامكانية لحلّ كافة مشكلات الناس في العالم الحديث، وهذا هو امتياز الإسلام وحده . . ».

السياسي والصحفي الهندي كوفهي لال جابا

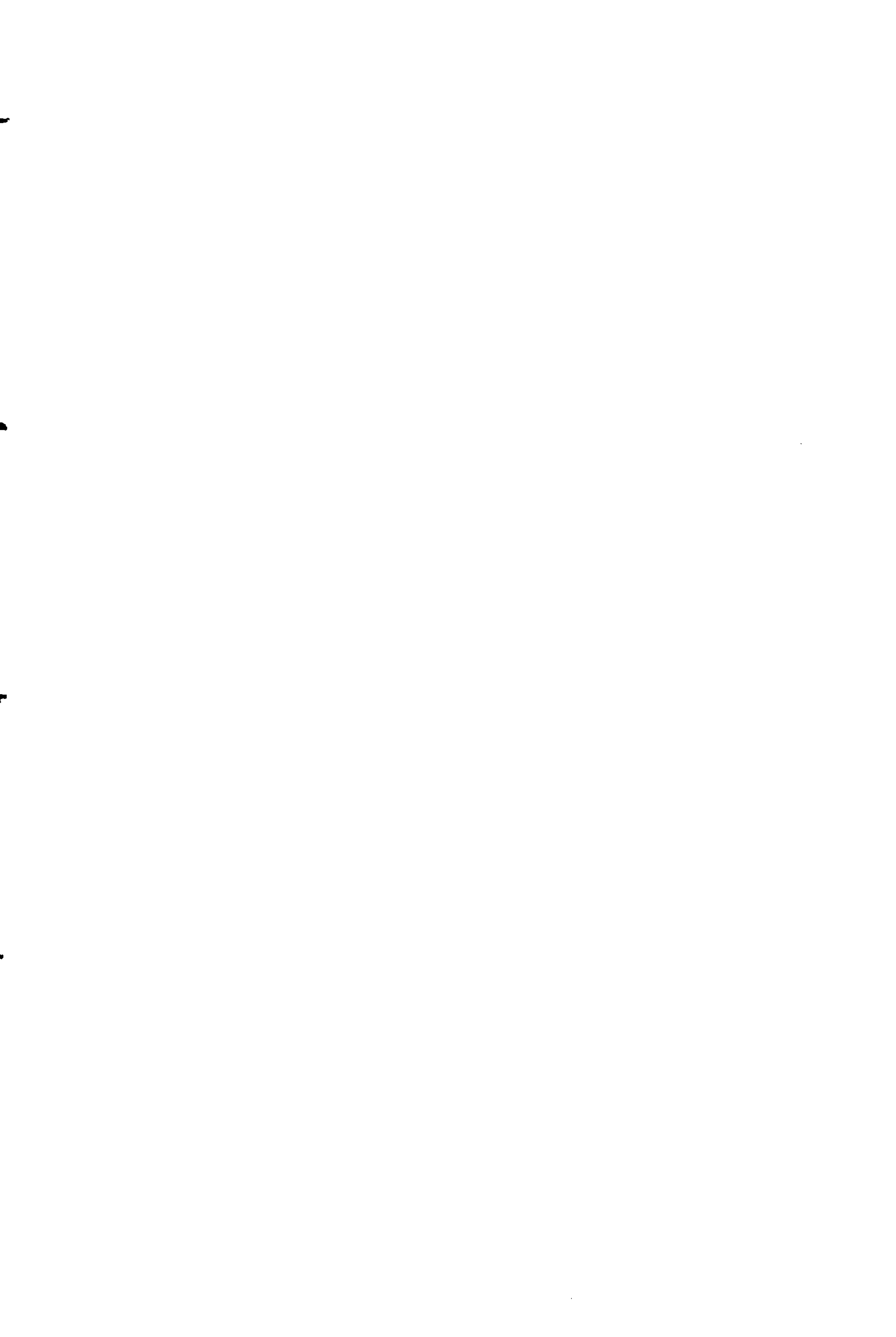

دوكلاس ارثر

[١]

«لو أحسن عرض الإسلام على الناس لأمكن به حلّ كافة المشكلات ولأمكن تلبية الحاجات الاجتماعية والروحية والسياسية للذين يعيشون في ظل الرأسمالية والشيوعية على السواء. فقد فشل هذان النظامان في حلّ مشكلات الانسان. أما الإسلام فسوف يقدم السلام للاشقياء، والأمل والهدى للحيارى والضالين. وهكذا فالاسلام لديه أعظم الامكانات لتحدي هذا العالم وتعبئة طاقات الانسان لتحقيق أعلى مستوى من الانتاج والكفاية»[1].

سير توماس ارنولد

[١]

«أن عدم وجود التعصب الطائفي ليكوّن القوة الحقيقية للإسلام في الهند، ويمكن له أن يجذب إليه عدداً كبيراً جداً من الهندوكية»[2].

[٢]

«في سنة ١٨٦٧ عبر كاتب روسي، في كتاب هام كتبه عن الإسلام في الصين[3] عن الفكرة التي تقول بأن الإسلام مهيأ لأن يصبح الدين القومي للامبراطورية الصينية، ولأن يقلب تبعاً لذلك الأوضاع السياسية في العالم الشرقي رأساً على عقب»[4].

[٣]

«كان اعتناق أي دين يخالف ديانة الكنيسة الارثوذكسية في روسيا، أمراً محرماً في القانون الروسي، ومن ثم توقف الإسلام عن أي تقدم جديد، إلى أن صدر مرسوم

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ٥/٥٧ .　　(٢) الدعوة إلى الإسلام، ص ٣٢٧ .

(٣) Vasiper (V.P.): Spread of Mohammedan Faith in China, PP. 3, 5, 14, 17 (Petesburg, 1867).

(٤) الدعوة إلى الإسلام، ص ٣٤٧ .

التسامح الديني سنة ١٩٠٥ . ومن النتائج التي ترتبت على صدور هذا المرسوم في بلاد القوقاز، أن دخلت جموع كثيرة في الإسلام بين طوائق الابخاز Abkhazes الذين كانوا قد ظلوا فترة طويلة يدينون بالمسيحية أسماً فقط، ولكنهم الآن قد أصبحوا مسلمين، في جموع بلغ من ضخامتها أن رجال الكنيسة الارثوذكسية قد أخذ الخوف منهم كل مأخذ حتى أقاموا جمعية خاصة تقوم بتوزيع منشورات دينية بينهم، أملاً في مناهضة النفوذ الإسلامي»[1].

[٤]

«هنالك في الوقت الحاضر عاملان رئيسيان. . يعملان على تنشيط الدعوة في العالم الإسلامي. أولهما انتعاش الحياة الدينية التي يبدأ تاريخها من حركة الاصلاح الوهابية في القرن الثامن عشر. . والتي ترى تأثيرها من حيث هي نهضة دينية ملموساً في كافة انحاء افريقية والهند وارخبيل الملايو، حتى إلى الوقت الحاضر، كما أحيت كثيراً من الحركات التي احرزت قصب السبق بين اقوى المؤثرات في العالم الإسلامي. وقد أوضحنا كيف أن كثيراً من البعوث الإسلامية الحديثة، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك الحركة الواسعة النطاق، وأن ما اثارته هذه الحركة من حماسة متقدة، وما سكبته في النظم الدينية القائمة من حياة جديدة وما بنته في الدراسة الدينية النظرية وتنظيم الشعائر المنسكية من روح دافعة، إن ذلك كله قد عمل على ايقاظ روح الإسلام الفطرية التي جبلت على نشر تعاليم الدعوة، كما عمل الابقاء عليها. وهناك عامل آخر يسير مع هذه الحركة الاصلاحية جنباً إلى جنب. . ذلك هو حركة الوحدة الإسلامية التي تسعى إلى ربط جميع شعوب العالم الإسلامي برباط مشترك من المودة والتعاطف. . [فتهب] روحاً قوية تدفع إلى القيام بأعمال نشر الدعوة، وأن الجهد الذي يحقق في الحياة الدنيا المثل الإسلامي الأعلى في اخوة المؤمنين كافة لينعكس على مثل العقيدة العليا المكملة وأن معنى وحدة شاملة وحياة مشتركة تجري في هذه الشعوب، لينفخ في قلوب المؤمنين روحاً وحياة، ويخلق فيها الجرأة على التحدث بين يدي الكفار. أما معرفة ما ستحدثه هاتان الحركتان من تأثير أبعد مدى في حياة الدعوة الإسلامية فإن المستقبل وحده كفيل ببيان ذلك. على أن مجرد نشاطهم في الوقت

---

(١) نفسه، ص ١٢٢ .

الحاضر دليل على أن الإسلام لم يمت. ولم يكن النشاط الروحي للاسلام، كما زعم عدد كبير جداً من الناس، متمشياً مع سلطانه السياسي، بل على العكس من ذلك، نجد فقدان السلطة السياسية والانتصار المادي، يعمل على ابراز اجمل الصفات الروحية التي تعد أصدق البواعث التي تحفز على القيام بأعمال الدعوة. وقد تعلم الإسلام منافع الشدائد، ولما كان بعيداً كل البعد عن الأنحدار إلى الرخاء المادي لكونه نذير انحلال هذا الدين، كان من المهم أن تلك البلاد الإسلامية الخالصة، التي عاشت أطول وقت في ظل الحكم المسيحي، تتجلى كأشد ما تكون نشاطاً في القيام بنشر تعاليم الدعوة. ويظهر مسلمو الهند والملايو من الحماس والغيرة في نشر الدين ما لا نجده في تركيا أو في مراكش»[1].

ج. ك. بـرغ

[١]

«مما يعني الباحثين في الإسلام في أندونيسيا عناية خاصة أن تأثير شعور الوحدة الإسلامية القديم يمكن أن يتجلى أيضاً في حركات كثيرة وأظهر ما يكون هذا في حركة شعبية مثل (شركة اسلام) التي زاد عدد أعضائها على مليونين في بعض الأحيان، وأن تاريخها ليبيّن أنها تكونت من عناصر غير متجانسة وأن هذه العناصر لم تشعر قط بما بينها من اختلاف»[2].

[٢]

«.. أن أفكاراً أوربية مخالفة في جوهرها للأفكار التي كانت سائدة قبل ذلك وجدت لها مكاناً خفياً في مراكز العالم الإسلامي.. وأحدثت عملية انحلال انتهت في ميدان السياسة بتكوين ممالك صغرى مشربة بالروح الأوربية.. وأصبحت الأمة الإسلامية على وشك التمزق..»[3].

---

(١) نفسه، ص ٤٦٨ - ٤٦٩.
(٢) وجهة الإسلام (باشراف كب)، ص ١٤.
(٣) نفسه، ص ٢٠٠.

[٣]

«أن التعليم على الأسلوب الاوربي الجديد ـ وهو غريب عن روح الإسلام غرابته عن روح المسيحية ـ يضع وهو صامت بذور انحلال أكثر مما حدث»[١].

مارسيل بوازار

[١]

«. . ها هو الإسلام يؤكد طموحه السياسي على المستوى العالمي ويتابع انتشاره بانتظام، ولا سيما في أفريقيا السوداء. وإذا نُظر إلى قيام الإسلام ووحدته، تبين أنه ليس مجرد جسم ميّت نقشت عليه ذكرى ماضي مجيد، وإنما هو واقع حيّ حقاً»[٢].

[٢]

«. . يتمثل الذي يجد فيه العالم الإسلامي المعاصر نفسه في قدرته. . على إيجاد الوسائل اللازمة لتحقيق (نهضة) فكرية وسياسية، ولا يمكن أن تقوم هذه النهضة من دون الإسلام. . »[٣].

[٣]

«. . يظهر أن التغيير السياسي ـ الاجتماعي اللازم للتكيف مع العالم العصري يظل مشروطا، بشكل واسع، بقيام (نهضة) دينية، لأن الإسلام الراشد يرفض فصل الروحي عن الزمني»[٤].

[٤]

«ثبت أن الإسلام روح كل مقاومة يبديها شعب مغلوب سياسياً. . ومحكّ كل مقاومة. . وفي أفريقيا ساهم الدين في اقامة مجتمع جديد خارج النطاق القبلي أكثر

(١) نفسه، ص ٢٠١ .
(٢) إنسانية الإسلام، ص ٣٥ .
(٣) نفسه، ص ٧٥ .
(٤) نفسه، ص ٧٨ .

جدارة بمقاومة التأثير الاجنبي . وفي آسيا تماسك الإسلام المرن ونما في وجه النفوذ الاستعماري . . وقد حمل الإسلام في اكثر الاحيان راية الصراع مع الاستعمار»[1].

[٥]

« . . [إن] هناك إجماعاً على الجهر بأنه لا يمكن اعتبار الإسلام مسؤولاً عن جمود العالم الإسلامي الطويل وانحطاطه الواضح . بل تعزي الامراض الحاضرة على العكس من ذلك إلى المسلمين الذين أهملوا العيش وفق مبادىء دينهم . وإذا كانوا قد فقدوا الرخاء المادي الذي كانوا ينعمون به تاريخياً ، فلأنهم بالتحديد اهملوا التقيد بـ (نصف الشريعة الالهية) ولكشف النقاب الذي انسدل على العالم الإسلامي ينبغي أن نلحّ على الطابع العقلاني الكامل للتنزيل وعلى الطاقات اللامحدودة الكامنة في السنّة النبوية . فحين كان المسلمون يحيون حسب ارشادات الدين التي تحضّ على التفكير وتشجع الروح النقدي ، اثبت الإسلام أنه حامل مشعل التقدم والرقي »[2] .

ارنولد توينبي

[١]

«أما حركة التغريب المتطرفة التي قادها مصطفى كمال اتاتورك ، فاننا نشك فيما إذا كان بعد نظر اتاتورك الخيالي ، وقدرته الشيطانية الموجهة قادرين ، وحدهما على زحزحة الاتراك من وضعهم المحافظ القديم ، لو لم يواجه الاتراك بعد الحرب العالمية الأولى اختياراً صعباً لا يمكن الهروب منه : أما تغريب بدون تحفظ ، وإما فناء محقق! والحقيقة أن الهجوم الغربي المعاكس على العالم الإسلامي . . قد تأثر إلى حد كبير بالذكريات المرة التي كان يحملها الغربيون عن البسالة العسكرية المشهودة عند الاتراك والشعوب الإسلامية الاخرى»[3].

---

(١) نفسه، ص ٣٠٠-٣٠١ .

(٢) نفسه، ص ٣٠٥ .

(٣) الإسلام والغرب والمستقبل، ص ١٨ .

«الآن، بعد أن طويت المسافات بتقدم التقنية الغربية، وفي الوقت الذي تتنافس فيه طرق الحياة الغربية مع طريقة الحياة الروسية لكسب ولاء البشرية كلها، الآن يظهر أن التقليد الإسلامي في اخوة الانسان للانسان هو مثل اعلى يوافق حاجات العصر الاجتماعية وهو أفضل من التقليد الغربي الذي أدى إلى قيام عشرات الدول الصغيرة ذات السيادة. وفي الواقع الحاضر الذي يجد الغرب نفسه فيه منذ الحرب العالمية الثانية، نرى أن تجزئته إلى أكثر من أربعين دولة مستقلة ذات سيادة يهدّد بانهيار البيت كله على من فيه، بسبب انقسامه هكذا على نفسه. ومن المأمول أن يستطيع العالم الإسلامي، على كل حال، ايقاف انتشار هذا الداء السياسي الغربي.. وذلك عن طريق الشعور الإسلامي القوي بالوحدة»[١].

[٣]

«ليس من الضروري للدول الإسلامية الأخرى أن تتبع تماماً الطريق التي سلكها (الروّاد) الاتراك. هناك مثلاً الدول الإسلامية الناطقة بالعربية حيث اللغة المشتركة المتكلمة بلهجات مختلفة ولكنها تكتب بأسلوب أدبي لغوي واحد من شواطىء المحيط الاطلسي في مراكش إلى الحدود الغربية لايران، ومن حلب والموصل في الشمال إلى الخرطوم وعدن ومسقط وزنجبار في الجنوب.. لأن اللغة العربية هي لغة الدين حتى في البلاد الإسلامية التي لا تتكلم العربية كلغة أصلية. فهل من الضروري حقاً أن يتفتت العالم العربي كما تفتتت الامبراطورية الأسبانية في أمريكا.. إلى عشرين دولة مستقلة عن بعضها تعيش في قوالب ضعيفة (غربية) النمط؟!.. هذا هو الوجه الثاني الكالح لحضارتنا الغربية، ومن المؤسف حقاً أن تقلده الشعوب الناطقة بالعربية تقليداً تاماً»[٢].

[٤]

«أن باستطاعتنا أن نميز بعض مبادىء الإسلام التي إذا طبقت في الحياة الاجتماعية للبروليتاريا العالمية الحديثة، يمكن أن تأتي بنتائج حسنة مفيدة لهذا المجتمع الكبير في المستقبل القريب. هناك مصدران ظاهران من مصادر الخطر، الأول نفسي والثاني

---

(١) نفسه، ص ٢٨ .
(٢) نفسه، ص ٢٩ - ٣٠ .

مادي في العلاقات الحاضرة بين البروليتاريا العالمية وبين الفئة الحاكمة في مجتمعنا الغربي، ومصدر الخطر هذان هما (١) التمييز العنصري، (٢) الخمر. وفي مجال الصراع ضد هذين الشرّيين نجد للفكر الإسلامي دورا يؤديه ويبرهن فيه - إذا سُمع له بتأدية هذا الدور - عن قيم اجتماعية واخلاقية سامية. فعدم وجود التمييز العنصري بين المسلمين هو أحد أبرز الانجازات الاخلاقية للاسلام، والعالم المعاصر في وضعه الراهن بحاجة ماسة لنشر هذه الفضيلة الإسلامية.. إن قوى التسامح العنصري ذات أهمية ضخمة للانسانية وهي الآن، على ما يظهر، تخوض معركة خاسرة على الصعيد الفكري إلا أنها قد تتمكن من الغلبة إذا ساندها ونزل إلى جانبها في المعركة رصيد من النفوذ القوي المناضل الذي لم يزل حتى الآن احتياطياً. والذي اتصوره أن روح الإسلام ستكون التعزيز المناسب الذي سيقرر مصير هذه لمعركة لمصلحة التسامح والسلام»[1].

[٥]

«صحيح أن الوحدة الإسلامية نائمة، ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ إذا ثارت البروليتاريا العالمية للعالم المتغرّب ضد السيطرة الغربية، ونادت بزعامة معادية للغرب، فقد يكون لهذا النداء نتائج نفسانية لا حصر لها في إيقاظ الروح النضالية للاسلام، حتى ولو أنها نامت نومة أهل الكهف، إذ يمكن لهذا النداء أن يوقظ اصداء التاريخ البطولي للاسلام. وهناك مناسبتان تاريخيتان كان الإسلام فيهما رمز سموّ المجتمع الشرقي في انتصاره على الدخيل الغربي: ففي عهد الخلفاء الراشدين [رضي الله عنهم]، بعد الرسول [ﷺ] حررّ الإسلام سوريا ومصر من السيطرة اليونانية التي أثقلت كاهلهما مدة ألف عام تقريباً. وفي عهد (نور الدين) و(صلاح الدين) و(المماليك) احتفظ الإسلام بقلعته أمام هجمات الصليبيين والمغول. فإذا سبّبه الوضع الدولي الآن حرباً عنصرية، يمكن للاسلام أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى»[2].

---

(١) نفسه، ص ٦٢، ٦٤.
(٢) نفسه، ص ٧٣٩.

كـوفهي لال جـابا

[١]

«. . أن الإسلام بوسعه تلبية كافة حاجات الانسان في العصر الحاضر، فليس هنـاك أي دين كالإسـلام يستـطيع أن يقـدم انجح الحلول للمشكلات والقضايا المعـاصرة. فمثـلاً أشـد ما يحتـاج إليه العالم اليوم الاخوة والمساواة، وهذه، وجميع الفضائل لا تجتمع إلا في الإسلام لأن الإسلام لا يفاضل بين الناس إلّا على أساس العمل والبذل»[1].

[٢]

«. . في عالمنا اليوم هناك دعوة لحقوق الأنسان ، ننظر إلى ما حولنا فماذا نجد؟ نجد العلاقات الأسرية وقد دمرّت، بينما نجد الإسلام يمنح كافة الحقوق للمرأة، ويقيم عقد الزواج على أساس عقد حكيم عادل بين طرفين متكافئين أن مشكلات الامهات غير المتزوجات غريبة تماماً عن المجتمع الإسلامي ، إذ أن الإسلام قد وضع عقوبات صارمة لجريمة الزنا على العكس من القوانين الحديثة التي تتساهل كثيراً في ذلك ، ومن هنا نجد المجتمع الإسلامي نظيفاً طاهراً من كل ذلك»[2].

[٣]

«أن الإسلام هو أفضل دين للبشرية ، فبينما نجد أماكن العبادة في الأديان الأخرى خاوية في أغلب الاحيان، نرى أن المساجد تزخر بالمؤمنين وخاصة من الشباب الذين يعبدون الله خمس مرات في اليوم بأعداد كبيرة، وهذا أكبر دليل على أن الإسلام لا يزال بخـير تمامـاً كما كان دائـماً في الماضي. فالإسلام يتغلغل في حياة المسلم بكل تفاصيلها، بل له الكلمة الفصل في كل نشاط يقوم به المسلم وليس هناك أي دين آخر غير الإسلام لديه الامكانية لحل كافة مشكلات الناس في العالم الحديث، وهذا هو امتياز الإسلام وحده»[3].

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ٦/١٠٢ـ١٠٣ .
(٢) نفسه، ٦/١٠٣ .
(٣) نفسه، ٦/١٠٣ـ١٠٤ .

دانكوس[1]

[١]

«أن استمرار الشعور الديني في الاتحاد السوفيتي، أو تجدّده، حقيقة اجتماعية ثقافية، تُقرّ بها السلطات السوفياتية ويلحظها المراقبون الاجانب والسلطة تنظر إلى هذه الحقيقة من وجهتين، فهي تارة تعتبرها مدعاة للافتخار على أنها الدليل الملموس على موقفها المنفتح والديمقراطي تجاه جميع المعتقدات الخاصة، وطوراً تبدي تجاهها بعض القلق، وحينها تجنّد اجهزتها المختصة في الدعاية المعادية للدين، وتشتد الحملات الالحادية، وتتضاعف في الصحف الدعوة إلى التيقظ والحذر، ويعاد إلى أذهان المربين أن المهمة الأولى للمدرسة هي في انشاء شيوعيين، أي في أبعاد مواطني المستقبل السوفياتيين عن الأفكار الرجعية [!!] الخطرة والمعادية للشيوعية، التي تنقلها الديانات وتؤكد النشرات المعادية للدين بصورة متزايدة، قابلية الديانات للاستمرار والتأقلم مع المجتمع الذي بدلته الاشتراكية، بعد أن كانت هذه النشرات تكتفي في الماضي القريب، بمهاجمة الديانات وتتنبأ بزوالها الحتمي [!!] وقد بدأت السلطة السوفياتية تدرك مدى جاذبية الطقوس الدينية في مجتمع تسود فيه الرتابة، وكيف بدأت الاخلاق الدينية تخطط لنفسها طريقاً إلى جانب الاخلاق الاشتراكية، لا بل في محلها في مجتمع ما زاده التحضير ميلاً إلى الجنوح»[2].

[٢]

«.. أن جميع المعلومات [السوفياتية الرسمية] تتضافر لتوحي بأن الإسلام يحتضر ببطء في الاتحاد السوفياتي، مع احتضار الجيل الذي لم ينشأ على الايدلوجية السوفياتية. ولكن معلومات مضادة لا تلبث أن تناقض هذه الصورة، فالتحقيقات الاجتماعية المتزايدة في الاتحاد السوفياتي حول هذا الموضوع، تبين أن المجتمع

---

(١) هيلين كارّير دانكوس **Hélène Carrère d' Encansse**
باحثة فرنسية معاصرة، وهي واحدة من أبرز الخبراء في شؤون (الماركسية الآسيوية)، وقد صدر كتابها (القوميات والدولة السوفياتية) في باريس عام ١٩٨٧ فأثار ضجة ما تزال مستمرة وترجم فوراً إلى عدد من اللغات الحية.

(٢) القوميات والدولة السوفيتية، ص ١٤٣ .

الإسلامي لا يزال متعلقاً بمعتقداته، وأن ما يقارب نصف الاشخاص الذين جرى استجوابهم في الوسط الريفي صرحوا بتمسكهم بالايمان. وعلى سبيل المثال نورد تحقيقا أجرى عام ١٩٧٢ بجمهورية كاراكالبك الملحقة بازبكستان، وقد دلّ هذا التحقيق على أن ٢٣٪ من الرجال و ٢٠٪ من النساء يعلنون عن الحادهم، فيكون ٧٧٪ من الذكور و ٨٠٪ من الاناث مؤمنين. . وفي شمال القوقاس أعلن ٢٠٪ فقط من السكان عن كونهم ملحدين (عام ١٩٧٤). . [هذا رغم] أن الباحثين في الأوساط الإسلامية يلحظون غالباً تحفظاً من قبل السكان في الكشف عن حقيقة ايمانهم. . »[١].

[٣]

«هنالك خاصية ثانية للإسلام تزيد الوضع [في الاتحاد السوفياتي] تعقيدا فهو، على نقيض المسيحية التي تفصل بين أمور الدين وأمور الدنيا، يجمع بين المجالين. فالعقيدة الإسلامية، وهي ثمرة القرآن والسنة، تفرض على المؤمنين وجود مؤسسات خاصة، مهمتها الاشراف على الحياة الاجتماعية. والدولة السوفياتية، في برنامجها التأحيدي [الذي يستهدف فرض ايدلوجية واحدة] لم يكن باستطاعتها أن توافق على وجود نظام خاص للطائفة الإسلامية، فالغت في أوائل سنيّ استلامها السلطة، العناصر الأساسية فيه، أي النظام القانوني والمؤسسات الشرعية والأسس المالية المعتمدة. وبعد أن جعلت الديانة الإسلامية ديانة افراد معينين لا ديانة طائفة، وبعد أن حرمت من مؤسساتها، ونزعت منها أمور الدنيا، هل بقي لها وجود منظم أم هي اضحت هيكلاً لا يلبث أن يتفتت مغ غياب أخر فوج من المؤمنين؟ هنالك وقائع كثيرة وساطعة تشهد بأن التشاؤم فيما يتعلق بمستقبل الإسلام كان يمكن القبول به في الماضي القريب، ولكنه اليوم لم يعد له من أساس، بل على العكس، فهذه الوقائع توحي بأن الإسلام يبعث من جديد، وفي ظروف جديدة، وأن هذا البعث المرتكز إلى وجود واع وإرادي لا إلى وجود استمراري، تدعمه وتوجهه المراجع الإسلامية العليا. . »[٢].

---

(١) نفسه، ص ١٤٧.
(٢) نفسه، ص ١٤٩.

[٤]

«. . نجد في صحف الجمهوريات الإسلامية عدة اشارات. . يفهم منها أن التضامن الإسلامي [في الاتحاد السوفياتي] بات في ازدياد، وأن المؤمنين اضحى لهم تأثير متصاعد على السكان غير الممارسين لدينهم. . »[1].

اميل درمنغم

[١]

«. . كان الانحطاط السياسي والاجتماعي موازياً لنسيان مبادىء الإسلام الصحيح مع أنه لم ينشأ عنها، واليوم يظهر أن الأمم الإسلامية تنهض وهي تستطيع أن تمثل دوراً كبيراً فتكون اداة وصل بين الغرب والشرق الاقصى وتكون ذخراً من أذخار العالم القديم. . »[2].

هنري دي كاستري

[١]

«. . أن للمسلمين في الصين منزلة علية. [ويخمّن] (وازيليف) وهو من الذين اشتغلوا بالإسلام في تلك النواحي أن مصيره القيام مقام مذهب (بوذا) وأن لمسلمي [الصين] اعتقاداً جازماً بأن الإسلام لا بدّ أن يسود حتى تزول به تلك الديانة القديمة البوذية، وهي مسألة من أهم المسائل، إذ الصين آهلة بثلث العالم أو تزيد، فلو صاروا كلهم مسلمين لأوجب ذلك تغييراً عظيماً في حالة تلك البلاد بأجمعها فيمتد شرع محمد [ﷺ] من جبل طارق إلى المحيط الأكبر الهادي ويخشى على الدين المسيحي مرة أخرى ومعلوم أن أمة الصين أمة عاملة وأن هدأت اخلاقها وجميع الأمم تستفيد الآن من عملها فلو جاءها التعصب الإسلامي ذو البأس القوي لخشيت بقية

(١) نفسه، ص ١٥١ .

(٢) حياة محمد، ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ .

الأمم من السقوط تحت سلطانها[1]. وقال (مسيو مونتيه) لقد صار من المحقق أن الإسلام ظافر لا محالة على غيره من الأديان التي تتنازع البلاد الصينية»[2].

[٢]

«قال (مسيو مونتيه): أن أكثر انتشار الإسلام في أفريقيا فهو يتقدم فيها تقدماً سريعاً وينجح نجاحاً كليا لأن أزر المسلمين فيها مشدود بما لهم من المكنة في الجهة الشمالية.. فلا ينازع الدين الإسلامي دين غيره لذلك يكثر عددهم وينمو الدين على الدوام»[3].

[٣]

«أن الإسلام يبرهن على قوته وحياته باكتساب الوثنيين في اواسط افريقيا وتجنيدهم تحت راية القرآن. وله كذلك في الشمال الشرقي من بلاد الزنج وفي السودان ما يدل على قوته الغريبة وسيره المدهش.إذ قامت مملكتان قويتان مملكة المهدي ومملكة إمام جغبون [السنوسية] منذ خمسين سنة على هيئة حكومات تشخص الحكومنة الدينية التي ارادها النبي الإسلامي [ﷺ] كذلك توجد في الزاوية المقابلة لهاتين المملكتين مملكة ثالثة في شمال أفريقيا وهي على نسقها ولا تزال تقاوم هجمات الديانة المسيحية ظافرة عليها ونعني بها مملكة مراكش..»[4].

[٤]

«إن استعصاء المسلمين على التنصّر بواسطة المرسلين واستحالة اخضاعهم بالقوة، هما السببان اللذان يعترضان تنصّرهم. والمرسلون من الكاثوليك هم أول المعرفين بوجوب العدول عن الوعظ مباشرة ولكنهم مع ذلك متمسكون برسالتهم فلم يملوا من الجهاد في سبيلها أمام صلابة الإسلام.. ولكنهم لم يحوموا حول مسألة الدين مطلقاً، وهم إنما يزرعون البعد عن الدين مع كونهم من الاحبار [وعلى الرغم] من

(١) الإسلام: خواطر وسوانح، ص ٨٧ ـ ٨٨ (عن مسيو دابري: الديانة المحمدية في الصين وتركستان الشرقية، باريس ١٨٧٨).
(٢) نفسه، ص ٨٨ (عن مجلة تاريخ الديانات، عدد شهري مايو ويونيو، سنة ١٨٨٣).
(٣) نفسه، ص ٨٨ ـ ٨٩.
(٤) نفسه، ص ١٠٠.

أنهم لم ينجحوا في ادخال الانجيل بين العرب فقد كانوا من احسن الوسائل لنشر نفوذ الدولة الفرنساوية . . »[1].

[٥]

«مضى على الإسلام في الجزائر نصف قرن لم يؤثر فيه الاحتلال الفرنساوي، [بسبب] مقاومة الطوائف الدينية في تلك البلاد، ولو أن تلك الطوائف تعرف من نفسها اقتدارا على قذفنا في البحر لتقيم بعدنا مملكة إسلامية جامعة (بين السلطتين الدينية والسياسية) لاقتحمت الاخطار وقلبت الحكومة المسيحية ولكنهم يرون الغرض بعيداً لذلك هم يقصرون مساعيهم على احياء روح البغضاء في نفوس تابعيهم . . وأكبر الطوائف وأشدها تمسكاً بمبدئها هي طائفة السنوسية وهي التي يخشى منها أكثر من غيرها ولها شيخ ذو دهاء ينظر إليه البعض كجامع وحدة الإسلام، وهو رجل رأى أنه يضعف عن مقاومة الحكومة الفرنساوية في الجزائر مقاومة صريحة فعدل عن فتح الجزائر إلى فتح أرض غيرها للاسلام، وعلم سيدي السنوسي ما احزن المسلمين من حكم المسيحيين . . فناداهم أن اخرجوا من دياركم إن أرض الله واسعة . . وانتقل إلى صحراء ليبيا الشاسعة حيث لحق به الواردون من كل مكان رغم جفاء الصحراء . . »[2].

اتيين دينيه

[١]

« . . ليس من الجرأة أن نظن أنه إذا هدأت الزوبعة المروعة القائمة ضد الإسلام، وضمن هو الاحترام لكل الشعوب والديانات، أنه سيرى مستقبلاً حافلاً بأعظم الآمال وأعلاها شأنا. فإذا ما دخل في الحضارة الأوربية بفضل اشتراكه العظيم في الحوادث . . سيتضح سناه الحقيقي، وستعرف الأمم المختلفة حقيقته التي حجبت عنهم زمناً، وسيمد الكل أيديهم لمحالفته متنافسين في ذلك، لأن قيمته قد خبروها وعرفوا ما يستكن فيه من وسائل القوة التي لا حد لها ولا نفاذ. ولو نهض اتباع محمد

(١) نفسه، ص ١٠٤ .
(٢) نفسه، ص ١١٣ ـ ١١٤ .

عليه السلام وأفاقوا من سباتهم العميق لرجع لهم عزهم السالف وتاريخهم المجيد وصاروا أمة لا تعرف الجور في معاملتها لكل رعاياها. . وتبوّءوا مكانهم الذي يليق بمجدهم ان شاء الله»[1].

جورج سارتون

[١]

«. . أن شعوب الشرق الأوسط قد سبق لها أن قادت العالم في حقبتين طويلتين، طوال الفيْ سنة على الأقل قبل اليونان، ثم في العصور الوسطى مدة أربعة قرون على الأقل. من أجل ذلك ليس ثمة ما يمنع تلك الشعوب من أن تقود العالم ثانية في المستقبل القريب أو البعيد»[2].

[٢]

«ليس ما يمنع الشعوب العربية اليوم من أن تباري أسلافها وأن تستعيد ثانية مكانتها الأولى في قيادة العالم. ومع أن ذلك ليس سهلاً ـ ثم هو يصبح أشد صعوبة يوما بعد يوم ـ فإنه ممكن»[3].

[٣]

«. . أن التقدم المادي الخالص مدمرّ، وهو ليس تقدماً على الاطلاق، بل تأخر أساسي. أن التقدم الصحيح ـ ومعناه تحسين صحيح لأحوال الحياة ـ لا يمكن أن يبنى على وثنية الآلات ولا على العتلات، ولكن يجب أن يقوم على الدين وعلى الفن، وفوق ذلك كله، على العلم، العلم الخالص، على محبة الله، على محبة الحقيقة، وعلى حب الجمال وحب العدل. وهذا يبدو لنا جلياً حينما نلقي نظرة واحدة إلى الوراء. من هم أولئك الذين كانوا رجالاً عظاما في التاريخ؟ من هم اولئك الذي احسنوا إلينا؟ ومن هم اولئك الرجال الذين نحن مدينون لهم بمسرات حياتنا

---

(١) محمد رسول الله، ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦.
(٢) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ص ٦٩.
(٣) نفسه، ص ٧٠.

ونعمها؟ لقد كانوا رجالاً أمثال افلاطون وارسطو واقليدس وارخميدس في تاريخ اليونان. أما في اثناء العصور الوسطى فكانوا رجالاً من أمثال الفارابي وابن سينا وابن الهيثم والبيروني والغزالي وابن رشد وموسى بن ميمون وابي الفداء وابن خلدون. . إن ما نراه واضحاً حينما نلقي نظرة إلى الوراء يجب أن يكون واضحاً أيضاً حينما نمد نظرنا إلى الأمام فيهدي خطانا إلى المستقبل»[1].

[٤]

«أن المدنية ليست مرضاً، ولكن من الممكن أن تنقلب عند أهل الجدل شراً وفساداً والمدنية ليست شرقية ولا غربية، وليس مكانها في واشنطن أكثر مما هو في بغداد. انها يمكن أن تكون في كل مكان يكون فيه رجال صالحون ونساء صالحات يفهمونها ويعرفون كيف يستفيدون منها من غير أن يسيئوا استعمالها. والشرق الأوسط كان مهد الثقافة ومنه جاءت أسباب انقاذ العالم في اثناء العصور الوسطى حينما بدأ الستار الحديدي في اوربة يشطر العالم شطرين الارثوذكس والكاثوليكي. وها نحن اليوم ننظر إلى ماضي الشرق الأوسط بعين من عرفان الجميل ثم نرنو إلى مستقبله بعين من الامل الحلو»[2].

لوثروب ستودارد

[١]

«فيما العالم الإسلامي مستغرق في هجعته ومدلج في ظلمته، إذا بصوت قد يدوي من قلب صحراء شبه الجزيرة، مهد الإسلام، يوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الاصلاح والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم، فكان الصارخ هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور محمد بن عبدالوهاب الذي اشعل نار الوهابيين فاشتعلت واتقدت واندلعت السنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي. ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على أصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم والعز التليد، فتبدت تباشير صبح الاصلاح ثم بدأت اليقظة الكبرى في عالم الإسلام»[3].

---

(١) نفسه، ص ٧٢-٧٣.   (٢) نفسه، ص ٧٤-٧٥.

(٣) حاضر العالم الإسلامي، ١/ ٢٠.

[٢]

الجامعة الإسلامية بمعناها الشامل ومفهومها العام إنما هي الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الإسلامي . . لقد كر أكثر من ثلاثة عشر قرنا فما أوهن كرور هذه القرون من الجامعة الإسلامية جانباً ولا ضعضع لها كيانا، بل كلما تقادم عليها العهد ازدادت الجامعة شدة وقوة ومنعة واعتزازا. حقاً أن الجامعة اليوم بين المسلم والمسلم لأقوى منها بين النصراني والنصراني. ولا ينكر أن المسلمين يتقاتلون بعضهم مع بعض قتالا شديداً، بيد أن هذا ليس له من الشأن أكثر مما ينشأ بين أفراد الأسرة الواحدة المشتبكة الارحام، إذ لا حقد في الإسلام، فعند الشدائد تذهب الاحقاد بين المسلمين، فيعلموا على الأمر الذي فيه يختلفون ويتألبون جموعاً متراصة متماسكة لقتال العدو المهاجم وردّ الخطر الداهم. ومن أحب أن يقف حق الوقوف على ما اراده الإسلام من غرض الجامعة وغايتها فلينظر إلى حال المسلمين اليوم وإلى تيار هذا التعاطف والتشاكي كي يعلم سرّ الجامعة ومكانتها في نفوس المسلمين وفي الواقع ليس من دين في الدنيا جامع لابنائه بعضهم مع بعض موحد لشعورهم دافع بهم نحو الجامعة العامة والاستمساك بعروقها كدين الإسلام»[(١)].

[٣]

«أيّ شيء أدلّ على هياج الإسلام وغليان مراجل عقده من ذلك الثوران الهائل الذي يقوم به السبعون مليونا من المسلمين في الهند احتجاجاً على تجزئة الدولة العثمانية، والأمر الاخطر أن هذا الثوران الإسلامي ليس مقصوراً على الهند فحسب، بل أنه شامل المعمور الإسلامي . . »[(٢)].

[٤]

« . . لا يغرب عن البال أن الروابط الدينية والصلات الخلقية التهذيبية التي تجمع بين المسلم والمسلم ما انفكت تزيد في تواثق المسلمين وتألفهم، وتعاطفهم وتضامنهم، كأنهم في المعمور الإسلامي أمة واحدة بعضها يغار على بعض وجانب

---

(١) نفسه، ١/٢٨٧-٢٨٨ .   (٢) نفسه، ١/٣٢٤ .

يسـانـد آخـر. دع ما هو هناك من الأسباب الغربية للنقل والتواصل المسهلة على المسلمين القيام بالأسفار إلى كل جهة ارادوا، فازداد بذلك تعارفهم واستمسكت اواصرهم»[1].

[٥]

«. . لقد تحرك (الشرق الجامد) أخيراً حتى القرارة القصوى من أعماقه وهو اليوم في أشد ما يكون من الانفعال والهياج والفوران. وجميع ذلك قائم فيه وبالغ منه أكثر مما يخال الخائل ويتصور المتصوّر. فالعالم الإسلامي الذي ظلت قواه العقلية والروحية هاجعـة ما يقـرب من ألف سنة، قد استيقظ مرة أخرى وطغت قواه تعمل عملها العجيب، وغدا المسلمون يعظمون شأناً من جديد ويعلون منزلة في الارض» .

هـارولد سـمث

[١]

«. . أن العالم الإسلامي في وضع يسمح له أن ينميّ فلسفته الخاصة المتميزة دون أن يدفعه التقليد الأعمى إلى أتباع الأشكال الشيوعية، أو النظرية السياسية الغربية التي تتجـه إلى الفـردية. . لقـد رأينـا أن الإسلام يعترف بالقيمة الذاتية للافراد، باعتبارهم مدينين بوجودهم لله، ومسئولين أمامه عن أعمالهم. وهذا يعني أنه لا يمكن لأي فرد أن ينـدمـج اندماجاً كاملاً في بناء اجماعي قاهر مثل البناء الشيوعي. إن الشيوعية ـ من الـوجهتـين النظرية والعملية ـ تستغني عن الفرد إن لم يخدم غرض الدولة. . دون نقاش، وهذا لا يمكن أن يكون في مجتمع إسلامي»[3].

[٢]

«. . أنه لو أمكن اثارة التماسك الإسلامي في سبيل اغراض ايجابية، وتكتيل الأمم الإسلامية الكثيرة المختلفة في وحدة حية، لأمكن أن تصير هذه الوحدة قوة إيجابية في العالم. . بل أن هذه الوحدة لتكون أكثر فاعلية إذا ادخلت في نطاقها من سواها، وإذا

---

(١) نفسه، ١/٣٢٧ .

(٢) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، ص ٧٥ .

بلغ من سماحتها أن تشرد في وجدانها وفي اخوتها كل مخلوقات الله . ما اروع أن تحتج باكستان على مظالم حلّت بأمة أخرى، شديدة البعد عنها جغرافياً، لأن تلك الأمة تنتمي إلى جماعة الأمم الإسلامية! وأروع منه واجدر أن يضيىء طرقا جديدة في عالمنا الذي مزقته الحرب، أن تنهض أمة إسلامية ـ باسم المقاصد الحقّة التي يوجه إليها الله الواحد، وباسم الرابطة التي تربط بني الانسان ـ محتجة على ظلم اصاب أي شعب ولو كان خارج الكتلة الإسلامية»[1].

[٣]

«من حيث العلاقات الدولية، فإن الأمم الإسلامية، أو الجماعة الإسلامية الكبرى، يجب أن تكون في طليعة المنتصرين لخلق نوع من المجتمع العالمي من الأمم، ومن العاملين على إيجاد مثل ذلك المجتمع الذي ينظمه ويسيطر عليه قانون دوليّ . . »[2].

أحمد سوسه

[١]

« . . إني أعتقد بأنه لو كان للإسلام [في أمريكا] بعض ما كان للمسيحية من الدعاية والتبشير، لكان علمه يخفق اليوم في معظم اصقاع هذه البلاد الواسعة ولكان لقي فيها من التشجيع بخلاف ما هو معروف عن فشل التبشير النصراني»[3].

[٢]

«أن البلاد االعربية تجتاز اليوم دوراً عصيباً هو دور الانتقال والتطور، وهذا الانتقال السريع مخيف ومريع، فقد تضيع فيه الوجهة والمبدأ إن لم نتدارك الأمر بالتحلي بالصفات الإسلامية السامية التي تمدنا بالإيمان والقوة قبل أن تتغلب علينا مادة الغرب فتفرقنا وتنتزع من ابناء يعرب يقينهم وأمانيهم»[4].

---

(١) نفسه، ص ٧٥ـ٧٦ .
(٢) نفسه، ص ٧٧ .
(٣) في طريقي إلى الإسلام، ١/٥٣ .
(٤) نفسه، ١/٦٢ .

[٣]

«لا بدّ للشباب المتعلمين أن يضعوا نصب أعينهم الحقيقة التاريخية، ألا وهي أن حرب الغرب ضد الإسلام لم تنته، تلكم الحرب التي اضرمها الغربيون المسيحيون بقصد قطع دابر المسلمين، ومحو شوكة الإسلام من البسيطة. وقد وجد الغربيون في نظرياتهم الالحادية التي يبثونها في علومهم ويشجعونها بين المسلمين بوسائط مختلفة غير العلم خير دسيسة بل انجع وسيلة لمحو الإيمان بالدين الإسلامي، ونعني بذلك قوة الإسلام التي يتربص لها الغرب باغياً اخمادها واضمحلالها. وياليت الشباب المسلمين يتروون في مسلكهم ويدرسون الحقائق الدينية التاريخية قبل أن يبيعوا عواطفهم الدينية رخيصة للعدو المترصد»[١].

[٤]

«أنه يجب ألا ننسى أن العالم الغربي يخشى بأس الإسلام إذا اتّحد انصاره.. إذ يرى الغربيون في اتحاد المسلمين خطراً على كيانهم ومدنيّتهم ولا يخفون شعورهم في هذا الصدد بل هم يسعون بكل الوسائل لوضع العراقيل في سبيل التفاهم والاتحاد بين البلاد الإسلامية..»[٢].

[٥]

«لا بدّ من القول أن المناوأة التي احدثتها البابوية ضد الإسلام واضرمت بها نيران الحروب الصليبية لا تزال متأصلة في نفوس الغربيين..»[٣].

جوزيف شاخت

[١]

«.. المسلمون لا يستطيعون أن يتخلصوا من السلطان الروحي والتأثير العميق المتأصل لقانونهم الديني. وأن فك القانون الديني ـ بمعنى أن القانون له شأن العلاقات الإنسانية الأخرى، يجب أن يخضع للدين أصبح جزءا أساسياً من النظرة

(١) نفسه، ١/٦٢ ـ ٦٣.
(٢) نفسه، ١/١٣٣ ـ ١٣٤.
(٣) نفسه، ١/١٣٤ ـ ١٣٥.

الإسلامية. ولنذكر عرضاً أن هذا ينطبق أيضاً على السياسة وحتى على الاقتصاد..»[1].

لورافيشيا فاغليري

[١]

«من حسن الطالع أن الجمود مرضى لا بدّ أن يزول، بل أنه في الواقع شرع يزول في ما يبدو. فإلى الكتاب العزيز الذي لم يحرّفه قط لا اصدقاؤه ولا اعداؤه، لا المثقفون ولا الأميون، ذلك الكتاب الذي لا يبليه الزمان والذي لا يزال إلى اليوم كعهده يوم اوحي الله به إلى الرسول الأمي البسيط [ﷺ] آخر الانبياء حملة الشرائع [عليهم السلام]، إلى هذا المصدر الصافي دون غيره سوف يرجع المسلمون حتى إذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس فعندئذ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب. وثمة بيّنات قوية على أن هذه العملية قد بدأت فعلاً»[1].

ليوبولد فايس

[١]

«أن الغربيين لا يرون في تعاليم الإسلام انكار الكثير من معتقداتهم الدينية فحسب ولكنهم ينظرون إليه على أنه خطر سياسي أيضاً. وتحت تأثير الذكريات التاريخية المتعلقة بالحروب التي التحم فيها العالم الإسلامي مع أوربا خلال القرون، ينسب الغربيون للاسلام تهمة عدائه لكل ما هو غير مسلم، ولهذا يخشون أن يؤدي بعث الروح الإسلامية من جديد إلى ايقاظ العافية في العالم الإسلامي بحيث تدفعه إلى القيام بمغامرات عدوانية على الغرب، وكيما يدرأ الغربيون هذا الخطر المحتمل فإنهم يبذلون كل ما في وسعهم للحيلولة دون بعث القوة السياسية للمسلمين، ومنع الإسلام من احتلال المكانة التي كان يحتلها في السابق في حياة المسلمين الاجتماعية والثقافية»[3].

---

(١) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (تحرير كرونبلوم)، ص ١١٩ .

(٢) دفاع عن الإسلام، ص ١٣٣ ـ ١٣٤ . (٣) منهاج الإسلام في الحكم، ص ١٧٠ .

[٢]

«أن وسائل الغربيين [للحيلولة دون بعث الإسلام] ليست مقصورة على الميدان السياسي فحسب، ولكنها تمتد فتشمل الجانب الثقافي كذلك وعن طريق المدارس الغربية في العالم الإسلامي، وعن طريق المدارس الوطنية للمسلمين التي تقوم مناهجها على أساس من أساليب الغرب التربوية، تبذر بذور التشكيك في الإسلام كنظرية اجتماعية بطريقة منظمة رتيبة في عقول الاجيال الصاعدة من شباب المسلمين فتياناً وفتيات. . »[١].

« . . أن الحياة الإسلامية في الواقع تظهر، على كل حال، في أيامنا الحاضرة بعيدة جداً عن الامكانيات المثلى التي تقدمها التعاليم الدينية في الإسلام من ذلك مثلاً أن كل ما كان في الإسلام تقدما وحيوية أصبح بين المسلمين اليوم تراخياً وركوداً، وكل ما كان في الإسلام من قبل كرما وايثاراً أصبح اليوم بين المسلمين ضيقاً في النظر وحباً للحياة الهيّنة»[٢].

« . . أن الإسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية لا يزال، بالرغم من جميع العقبات التي خلقها تأخر المسلمين، أعظم قوة نهاضة بالهمم عرفها البشر. . »[٣].

« . . يجب أن يتضح لدينا أن أهمال المسلمين، وليس النقص في التعاليم الإسلامية، هو الذي سبّب الانحلال الحاضر»[٤].

[٤]

«لو أن المسلمين احتفظوا برباطة جأشهم وارتضوا الرقي وسيلة لا غاية في ذاتها إذن لما استطاعوا أن يحتفظوا بحريتهم الباطنية فحسب، بل ربما استطاعوا أيضاً أن يعطوا انسان الغرب سرّ طلاوة الحياة الضائع»[٥].

---

(١) نفسه، ص ١٧٠ ـ ١٧١ .
(٢) الإسلام على مفترق الطرق، ص ١٣ .
(٣) نفسه، ص ١٦ .
(٤) نفسه، ص ٧١ .
(٥) نفسه، ص ٣٧٦ .

ج . ف . فيلويز

[١]

«التقدم العلمي في العصر الحاضر والمنجزات العلمية تتفق تماماً مع مبادىء الإسلام»[١].

[٢]

«لقد نشرت الصحف مؤخراً بيانات تفيد أن الفلاسفة والكتاب في الغرب يزعمون أن الأديان المعاصرة قد أصبحت بالية عتيقة . . ولا بدّ من التخلص منها، وهذا يبين مقدار التشاؤم الذي تعاني منه جمهرة الكتاب الغربيين بسبب ما يلاقونه من تعقيدات وغموض في ديانتهم النصرانية . [لكن] هؤلاء يرتكبون . . خطأ . . فالإسلام، الذي يمثل الاجابة الكاملة الوحيدة، لا يزال قائماً وعلى استعداد لأن يكون البديل . وهو جاهز لذلك»[٢].

[٣]

«هناك فراغ روحي كبير في الغرب، لم يستطع أي مبدأ من المبادىء ولا أية عقيدة أن تملأه وتحقق السعادة للانسان هناك . فرغم الثراء المادي وما يسمى بالرخاء الاقتصادي . . وتحقيق كافة الرغبات المادية للشعوب، فإن الإنسان الغربي لا يزال يحس بتفاهة حياته ويتساءل: لماذا أعيش؟ وإلى أين أسير؟ ولماذا؟ ولا أحد يقدم له حتى الآن الاجابة عن هذه الأسئلة . وما دري المسكين أن دواءه في الدين القويم الذي لا يعرف عنه إلا الشبهات . ولكن بداية النور قد بدأت تشقشق والصبح قد بدأ يسفر، بدخول جماعات ولو قليلة من الغربيين في الإسلام . وبدأ الإنسان الغربي يرى بأم عينه رجالا ونساء يطبقون الإسلام ويعيشون به، وفي كل يوم يدخل بعضهم في الدين الحق . إنها البداية . . »[٣].

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ٦/٦٠-٦١ .
(٢) نفسه، ٦/٦١ .
(٣) نفسه، ٦/٦١-٦٢ .

جميلة قرار

[١]

«.. أن الإسلام بصفته ديناً عالمياً وعقيدة كونية يعتبر مناسباً لكافة مراحل تطور الحياة الإنسانية في المستقبل. فهو ينسجم مع منجزات الانسان الحديثة في كافة مجالات النشاط الانساني»[١].

[٢]

«.. أن من واجب نشاطات المسلمين في ميدان البحث والعلم.. أن [يبرهنوا] أن الإسلام هو في الحقيقة دين حركي يستطيع بفضل جهود المسلمين بعد عون الله أن يشكل قوة ثورية تحرّر الانسان من العبودية للقوة وخاصة القوة المدمرة المهلكة، وأن تقوده إلى التقدم البنّاء وتمكنه من تطوير قدراته وامكاناته الايجابية المختلفة»[٢].

[٣]

«.. أن من المهمات الحساسة الملقاة على عاتق المسلمين المستنيرين والمثقفين.. أن يبيّنوا للمسلمين اليائسين الذين يتطلعون إلى العقائد الاخرى، وكذلك لغير المسلمين الذين يبحثون عن غايات جديدة وقيم لحياتهم أن الإسلام هو نقطة البدء الجديدة أمام الانسانية جمعاء»[٣].

روجيه كارودي

[١]

«لقد انقذ [الإسلام] من قبل، في القرن السابع من تاريخنا من التفتّت امبراطوريات عظيمة متهاوية. افلا يستطيع اليوم أن يسهم بالاجابة على جزءٍ ومسائل حضارة غربية، تكشفت عن أنها، بمدة أربعة قرون، قادرة على أن تحفر قبراً

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ٤/١٠٨.
(٢) نفسه، ٤/٨:١ ـ ١٠٩.
(٣) وعود الإسلام، ص ٢٢ ـ ٢٣.

على مستوى العالم وأن تعمل على تغطية اسطورة انسانية انشئت منذ مليـــونيعام، بفضل الابتكارات والتضحيات»[1].

[٢]

«لقد فقد الإنسان الغربي كل وحدة في علاقاته مع الطبيعة والمجتمع والله. انفصل عن الـطبيعـة التي اعتقد أنه سيدها ومالكها. . ولم تساعد المسيحية الانسان، مع حذرهـا الأول بازاء الـطبيعـة. . ومع تراجعاتهم المتتالية، منذ عصر النهضة،أمام (علمـوية) تدعي الاجـابـة على جميع مشـاكل الحياة، على الحفاظ على هذا البعد الكوني، على هذا الاتحاد الحميم بجميع الكائنات. . والإسلام، عندما لا يكون قد أفسدته الرؤية الغربية المباشرة التي فرضها عليه الاستعمار، يستطيع أن يساعدنا على أن نعي هذه الوحدة التي هي عقيدته المركزية الاولى»[2].

[٤]

«[إن] الإسلام يحمل بذور تغيير جذري على مستوى الانسانية»[3].

[٥]

«. . (لا إله إلا الله) هذا الاثبات الأساسي للإيمان الإسلامي يقصي الصنمية، التمائمية التي تفرّخ وتتكاثر في مجتمعاتنا: صنم النمو، صنم الـ (تقدم)، صنم التقنية العلموي، صنم الفردانية وصنم الأمة، صنم قوة الأسلحة والجيوش، بمحذوراتها جميعاً ومحرماتها وبرموزها الـ (مقدسة) وبطقوسها. كلاّ! ! يذكرنا الإسلام، (لا إله إلا الله)، الله أكـبر وأننا لنعرف بالتأكيد ما لهذا اليقين في العقيدة من قوة هدم وتحرير دفعت الجيوش إلى التراجع في حين أن عقيدتنا منذ زمن طويل، لم تعد تدفع على التراجع شيئاً ذا بال. . فالحوار هكذا مع الإسلام يمكنه أن يساعدنا على ابتعاث خميرة عقيدتنا الحيّة فينا، تلك التي تستطيع نقل الجبال من مواضعها. . »[4].

---

(١) نفسه، ص ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) نفسه، ص ٦٤.

(٣) نفسه، ص ١٥٦.

(٤) نفسه، ص ٢١٧ ـ ٢١٨.

كامبغماير[1]

[١]

«.. أن العربية، وهي لسان الإسلام غير مدافع، تدرس وتعرف حق المعرفة في العـالم الإسـلامي كله من المحيط الأطلسي إلى الهنـد وجاوة وبذلك تسهل انتشار الحركات الروحية انتشاراً يتجاوز بكثير حدود البلاد التي تنشأ فيها ويعين على انتشارها عوامل اخرى أكبرها الصحافة العربية.. ويلعب الحج دوره أيضاً في المزج الروحي بين مختلف شعـوب الإسلام، وأن تجاور البلاد في الشرق الأدنى الناطق بالضاد، وبوجه أدق في المساحة التي تشغلها مصر وجزيرة العرب والعراق وسوريا وفلسطين ورقي وسائل المواصلات إلى جانب الصحافة تعمل بوجه خاص على انماء العواطف والاماني الإسلامية العامة»[2].

[٢]

«.. أستطيع أن اؤكد أن البلاد الناطقة بالضاد ولا سيّما مركزها العظيم الذي يتكون من الكتلة المتماسكة التي قوامها مصر وجزيرة العرب وفلسطين وسوريا والعراق ستلعب دوراً غاية في الأهمية وربما كان دوراً حاسماً.. ونهضة الإسلام في هذه البلاد أمرٌ واقع لا سبيل إلى ردّه، ولن يحدث في البلاد العربية شيء يشبه ما حدث في تركيا فلن يقـطع العـرب الصلة بتاريخهم الإسلامي والأدبي المجيد، بل أن ذكرى هذا الماضى من عوامل النهضة الوطنية والدينية ولن تستبدل هذه الشعوب الكتابة اللاتينية بالكتابة العربية.. ولن ينبذوا هذه الوسيلة المدهشة التي تمكنهم من الاتصال بالعالم الإسلامي كله، ولن يقوى احد على أيقاف حركة النهضة الإسلامية في هذه البلاد لأنها الأساس الذي يحتاج إليه الناس لتقوم عليه نهضتهم الوطنية.. وستصير كل من

---

(١) د. ج. كامبغماير (١٨٦٤ - ١٩٣٦) G. Kampffmeryer
تخرج باللغات الشرقية في ليبزغ، وتخصص في الإسلام الحديث والعربية المعاصرة من معهد اللغات الشرقية ببرلين (١٩٠٧)، ورأس تحرير مجلة (عالم الإسلام) التي نشر فيها دراسات عن المؤلفات الحديثة في الآداب المعاصر.
من آثاره: (النصوص والأعمال في تاريخ الأمة العربية الحديثة) (١٩٢٤)، (دراسات في الأدب العربي المعاصر) (١٩٢٥ - ١٩٢٦) و(شعراء العرب في العصر الحاضر)... الخ.

(٢) وجهة الإسلام (باشراف كب)، ص ٦٩.

القاهرة والقدس بالتدريج مركزاً عظيماً للحياة الإسلامية بعد مكة وسيفد طلبة العلم (كما حدث فعلاً) من البلاد الناطقة بالضاد في المغرب شطر مصر وفلسطين. . ثم سيعودون إلى بلادهم ليزيدوا نهضة الشرق شيئاً فشيئاً وسيحدث مثل هذا الأثر في الاصقاع الاخرى من العالم الإسلامي. . ولن يقوى الانحلال السياسي على تغيير شيء من خصائص الحاجات الوطنية والدينية العامة. . »[1].

[٣]

« . . أن في الشرق العـربي الأدنى على وجه التأكيد نهضة إسلامية قوية خلقية ودينية واجتماعية، ستكون أساس الحياة القومية الجديدة، وإذا عرفنا هذا تجلت حقيقة [مهمة] هي أن تنصير المسلمين مستحيل الآن. . فهل سيعارض المبشرون في جعل الـدين ـ ولـو كان الإسـلام ـ أسـاسـاً للحياة القومية الصحيحة؟ وإذا كان تنصير المسلمين في الظروف الحاضرة مستحيلاً فلم يبق أمام هذه الشعوب الإسلامية إلّا أحد أمرين: أما النهضة الإسلامية وأما المادية والفساد الخلقي. . فأيّهما خير للشعوب الإسلامية؟ »[2].

[٤]

« . . أن الاعتداء على الإسلام لا ترجى منه فائدة. . ولن يرد [المسلمين] عن دينهم ولن يعوق النهضة الإسلامية بل سيقوّيها. . »[3].

كلود كاهن

[١]

« . . ثمة ظاهرة تسترعي الانتباه في كل مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي، ألا وهي قدرة المسلمين على النهوض من كبوتهم. ذلك لأن التاريخ الذي صنعه في بداية الأمـر نفر قليل من أناس منعزلين قد أصبح العمل المشترك لمجموعة من الشعوب انتسبت للاسـلام على مرّ الزمن وظلّت مخلصة له اخلاصاً مطلقاً ويعلم المبشرون المسيحيون أنهم لا يقدرون على تغيير عقيدة المسلم. . »[4].

---

(١) نفسه، ص ٩٩ ـ ١٠٠.
(٢) نفسه، ص ١٠٢.
(٣) نفسه، ص ١٠٣.
(٤) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ١/ ٤٠٥.

هاملتون كب

[١]

«إذن فإذا قام أحد ينكر الشريعة من حيث صلاحيتها كان عمله هذا كفراً ومروقاً، وهذه حقيقة تفسر الهزة التي شعر بها المسلمون في جميع أرجاء العالم، عندما أقدمت الجمهورية التركية على الغاء الشريعة جملة. ولعلني غير مخطىء في اعتقادي، وإن كان اعتقادي صادراً عن التصور والحدس، أن احترام الشريعة لا يزال لب التفكير الاجتماعي الإسلامي، وأن الابقاء على الشريعة يرتبط به بقاء الإسلام أو زواله من حيث هو نظام مؤثل. أما الاحترام الذي اتحدث عنه فليس من الضروري أن يعني التقدير لكل تفسير ومبنى من تفسيرات القرون الوسطى ومبانيها»[1].

[٢]

«. . كان للحركة الوهابية تأثير نافع ومجدد انتشر شيئاً فشيئاً في جميع أنحاء العالم الإسلامي وذلك في ميدان الأفكار بواسطة الصراع والمقاومة الضاريين الموجهيين ضد جيمع التسربات العملية لميول التعلّق والإيمان بالارواح ومفاهيم المذهب الحلولي الذي انتشرت عدواه في ذلك الوقت في قلب التوحيد الإسلامي الصرف. إلا أن العنصر المحرك للمذهب الوهابي بقي خلال القسم الأكبر من القرن التاسع عشر محتجباً وراء صفته الثورية، فأعطى المثل في الثورة ضد الحكومة الإسلامية [الضالة] وتبع هذا المثل بحماسة شديدة في جميع البلاد الأخرى التي وقعت حكوماتها الإسلامية بشكل مفضوح تحت سيطرة اوربا ونفوذها وكان مصدر الهام في القرن التاسع عشر [للعديد] من الحركات. . وبعد عدة سنوات في منتصف وخلال النصف الثاني للقرن التاسع عشر، أقامت الجمعية الاصلاحية المؤسسة من قبل الشيخ الجزائري محمد بن علي السنوسي دولة تيوقراطية في ليبيا الجنوبية وفي افريقيا الاستوائية احتجاجاً على فساد التفكير ومساوىء الحكم الإسلامي المخالف للدين. وكذلك برزت الجماعة المهدية في السودان الشرقية من قبل محمد أحمد [المهدي] كأداة للثورة ضدّ ـ الاوربيين. كما امتد نفوذ الدعوة الاصلاحية السلفية التي قام بها الإمام محمد بن عبدالوهاب إلى قلب

---

(١) دراسات في حضارة الإسلام، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

الاقطار البعيدة مثل نيجيريا وسومطرة . . وعلى الرغم من أن محاولات العمل السياسي هذه انتهت جميعاً إلى الفشل إذا نظرنا إليها من الخارج، لكن نتائجها كانت متينة راسخة في المحيط الديني إذ نشرت في كافة ارجاء البلاد الإسلامية، المبدأ الوهابي القائل بضرورة التعلق بالصفاء المذهبي وإعادة تأكيد المبدأ السنيّ القرآني لا على شكل التبشير ونشر قواعد المذهب ولكن بنشر متطلبات الايمان الإسلامي لدى الجماهير الإسلامية والاشارة إلى الاخطار التي تهدّده . . »[1].

[٣]

«ليس بين البلاد الإسلامية بلد أعلن عن رغبته الصريحة في الاستغراب أو (التغرّب) باستثناء البلاد التركية، ولكن البلاد التركية أيضاً لا تعلن هذه الرغبة اليوم بتلك الثقة التي أعربت عنها منذ عشرين سنة، وفيما عدا هذا الاستثناء الضعيف يغلب على أبناء العصر من المسلمين الذين ينقمون على مساوىء العصر الحاضر أن يحملوا الغرب أوزار هذه المساوىء ولا يعلّقوا آمالهم في الاصلاح بمشابهة الغرب والاقتداء بأممه في جملة أحوالها»[2].

كوستاف فون كرونباوم

[١]

« . . [أن] العصر العباسي الأول لم يستعر علم الفلك الهندي مثلاً أو حتى الادارة الفارسية، لأنه رأى في تلك المنتجات الاجنبية الوسيلة الوحيدة لاعاقة التغلغل أو السيطرة السياسية أو الاقتصادية. إن الإسلام لم يكن إذ ذاك في موقف دفاعي، ولكنه تبنى تلك الامكانيات الاجنبية لمصلحته هو، وفعل ذلك في ريث وأناة، إذا كان قد وقع تحت تأثير ضغط فلم يكن ذلك من الخارج ولكن بدافع من مرحلة التطور التي كان يمرّ بها. وبالاختصار، أن الملابسات السياسية التي توجه النقل الثقافي في عصرنا الحاضر هي التي تجعله صعباً من الوجهتين النفسية والاجتماعية، ومفككا للجماعات

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢) الشرق الأدنى الإسلامي (باشراف جامعة تورنتو)، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٦١ .

التي تستقبل هذا النقل. فالاختيار، وتحديد الوقت، والتأثر الايجابي، وردّ العدوان المعـادي، كل اولئـك لم يعـد خاضعاً لحالة النموّ ولا للحاجات الذهنية والوجدانية للمستعير، ولكن يخضع للطموح الثقافي، ولسلسلة من الاحوال الاضطرارية التي ليس للمستعير عليها إلا تسلط محدود. ومن هنا نقول أن مقتضيات الموقف السياسي للعصر العبـاسي الأول ـ وقـد كانت مغـايرة تمامـا لموقفنـا اليوم ـ هي التي مكنت العباسيين من أن يسيروا في طريق. . حمى عصرهم من الاخطار المصاحبة للاستمداد الثقافي في عصرنا الحاضر الذي يتحكم في النزوع نحو الغرب»[1].

[٢]

«أن اطراح الإسلام ـ لا في صورة التحويل الكامل للحياة الإسلامية الحياة دنيوية ولكن في صورة ادخالها في حركة دينية عامة يبـدو أنه الأمل الخفي الذي يحلم به (توينبي) على أساس تحليله للاستمداد الثقافي ونتائجه للمستمد. غير أن الملاحظ المحايد للاسلام لا يرى اقلّ دليل يؤيد رأي (توينبي) في أن هذه العملية هي الحلّ النهائي للمعضلات الثقافية للعالم الإسلامي. وبالاضافة إلى أن فكرة التثقيف الغربي التـام من جانب واحـد للاقطار الإسلامية فكرة غير جديرة بالقبول، فإنه يبدو أن معضلة هذا التثقيف يجب أن تواجه من زاوية مخالفة تماماً للزاوية التي اختارها (توينبي). . »[2].

[٣]

«أن حركة داخلية ـ كحركة احياء دين في بيئة ثقافية ـ تكون عاملاً منشّطاً فعالاً في إعادة تنظيم نموذج الحياة كله لتلك الجماعة أكبر أثراً من الاتصال بمدنيات اخرى، مهـما كانت الافضلية الحقيقية أو المتخيّلة للثقـافـة المؤثرة، ومهما كان الحرص على التكيفّ بها»[3].

[٤]

«ومن حيث أنه لا خطر على الاسلام من أن ينمحي انمحاءا ماديا كنتيجة لتأثير الغرب، فإنه يلوح أن سريان العناصر الغربية إليه سيظل مقصوراً على ما يمكن أن

---

(١) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، (تحرير كرونباوم)، ص ١٨٩.

(٢) نفسه، ص ١٩١.

(٣) نفسه، ص ١٩٣.

(يهاجر من قوم إلى آخرين كالفنون الصناعية والعمالية والتطبيقية وطرقها) . فعملية طبع العالم الإسلامي بالطابع الغربي . . لن تشمل ـ على الراجح ـ المبادىء الأساسية المتضمنة في الدين والفلسفة والفن والنظرية العلمية . فالاسلام ـ باختصار ـ سوف لا يفقد نفسه في المدنية الغربية إلى درجة انمحاء شخصيته على الرغم من استعمالها للمنشط الخارجي حافزاً لبث روح الحياة فيه من جديد»[١].

[٥]

« . . لا مفرّ لنا من أن نعترف . . أن بطء التغيير في موقف العالم الإسلامي يعطي نوعا من الضمان ضد الاطراح الطائش للخصائص الأساسية لمدنيته التي لا ينبغي أن تطرح هكذا بسهولة . وفي عبارة اخرى، أن هذا البطء في تعديل الموقف ـ ولو أنه في بعض الاحيان يفسد التطبيق الناجح للاستمداد المرغوب فيه ـ يكون دفاعا داخلياً قوياً ، أو سداً ملطّفاً لتأثير الامواج الاجنبية التي سمح لها بالدخول في ميادين الأفكار والنظم»[٢].

كوستاف لوبون

[١]

« . . مع ما أصاب حضارة العرب من الدثور، كالحضارات التي ظهرت قبلها : لم يمس الزمن دين النبي [ﷺ] الذي له من النفوذ ما له في الماضي ، والذي لا يزال ذا سلطان كبير على النفوس، مع أن الأديان الأخرى التي هي أقدم منه تخسر كل يوم شيئاً من قوتها . . وتجمع بين مختلف الشعوب التي اتخذت القرآن دستوراً لها وحدة اللغة والصلات التي يسفر عنها مجيء الحجيج إلى مكة من جميع بلاد العالم الإسلامي . وتجب على جميع اتباع محمد [ﷺ] تلاوة القرآن باللغة العربية بقدر الامكان ، واللغة العربية هي لذلك أكثر لغات العالم انتشاراً على ما يحتمل ، وعلى ما بين الشعوب الإسلامية من الفروق العنصرية ترى بينها من التضامن الكبير ما يمكن جمعها به تحت علم واحد في أحد الأيام»[٣].

---

(١) نفسه، ص ١٩٣ . (٢) نفسه، ص ١٩٤ .

(٣) حضارة العرب، ص ١٢٦ .

[٢]

«كان سلطان الإسلام السياسي والديني قوياً في بلاد الهند، ورسخ فيها ثمانية قرون بفضل ملوك الإسلام الذين تداولوا حكمها، ولا يزال سلطان الإسلام الديني قائماً في بلاد الهند، وأن توارى سلطانه السياسي عنها، وهو يمضي قدماً نحو الاتساع»[1].

[٣]

«تأثير دين محمد [ﷺ] في النفوس أعظم من تأثير أي دين آخر، ولا تزال العروق المختلفة التي اتخذت القرآن مرشداً لها تعمل بأحكام كما كانت تفعل منذ ثلاثة عشر قرناً . . »[2].

[٤]

«دخلت حضارة العرب في دمة التاريخ منذ زمن طويل، ولا نقول، مع ذلك أنهم ماتوا تماماً، فنرى الآن ديانتهم ولغتهم اللتين ادخلوهما إلى العالم أكثر انتشاراً مما كانتا عليه في أنضر ادوارهم . . ولا يزال الإسلام جاداً في تقدمه . . واليوم يدرس القرآن، فيما عدا جزيرة العرب، في مصر وسورية وتركية وآسية الصغرى وفارس وقسم مهم من روسية وأفريقية والصين والهند، وتناول القرآن مدغشقر وأفريقية الجنوبية، وعرف في جزر الملايو، وعلمه أهل جاوة وسومطرة وتقدم إلى غينيا الجديدة، ودخل أمريكة مع زنوج افريقية . . ويتقدم الإسلام في الصين تقدماً يقضي بالعجب . . حيث اضطر المبشرون الاوربيون إلى الاعتراف بالحدود وسيقوم الإسلام ـ كما يقول وازيليف ـ مقام البوذية ،ومسلمو الصين لا يشكون في ذلك وهذه المسألة على جانب عظيم من الأهمية. فإذا اعتنقت الصين دين الإسلام تغيرت علاقات العالم القديم السياسية تغيراً عظيماً وأمكن دين محمد [ﷺ] أن يهدّد النصرانية من جديد»[3].

---

(١) نفسه، ص ١٨٦ .

(٢) نفسه، ص ٤١٧ .

(٣) نفسه، ص ٦١٦ ـ ٦١٧ .

كولد تسيهر

[١]

«أن تاريخ الإسلام زاخر بالأمثلة الكثيرة التي تبين اجتماع مواهب العلم الديني بصفات البطولة الحربية، وذلك في شخصيات قوية قادرة على التوجيه والتنظيم . . وإليك البطل الإسلامي الحديث: الأمير عبدالقادر الجزائري الذي قاوم الفرنسيين مقاومة حربية باسلة عندما أخذوا في اخضاع بلاده الجزائر ولما انتهى جهاده جمع حوله في منفاه بدمشق طلابه ومريديه الذين تابعوا في اصغاء واجتهاد دروسه في الفقه المالكي والعلوم الدينية الاخرى في الإسلام وممن يمثل هذه الظاهرة الفذة في تاريخ الإسلام الحديث (شامل) بطل الاستقلال القوقازي والمهديون الحربيون الذين ظهروا في السودان والصومال والذين سمعنا كثيراً من اخبارهم في أيامنا هذه . . وقد برز هؤلاء المجاهدون أيضاً من صفوف طلاب العلوم الدينية الإسلامية . ومن أهم الحركات الدينية الحربية التي قامت بها الأمة العربية، تلك التي أثارها في الأزمنة الحديثة في اواسط بلاد العرب محمد بن عبدالوهاب المتوفى سنة ١٧٨٧م . فبعد أن درس مؤلفات ابن تيمية، وقد أقبل عليها بشغف زائد، أثار في مواطنيه حركة دينية أساسها بواعث دينية، وسرعان ما عظم أثرها وكثر انصارها، ودفعت بالأمة العربية المفطورة على الحرب إلى خوض غمار القتال، فاحرزت عدة انتصارات حربية باهرة نشرت من نفوذها وبسطت من سلطانها حتى تجاوزت شبه الجزيرة العربية إلى بلاد العراق . . »[١] .

[٢]

«أن المسلمين . . ممن ناصروا الامام محمد بن عبدالوهاب في دعوته ممن تدفعهم الغيرة الدينية لتطهير الإسلام مما علق به من الشوائب، ليجدون في الإسلام ميدانا رحيباً للعمل والانتاج . . وقد شاهد الإسلام في الهند منذ قرن حركات دينية من هذا القبيل . فدعوة الشيخ محمد الاصلاحية انتشرت تعاليمها وانبعثت من بلاد العرب حتى بلغت هذا القطر الإسلامي . وأن ما يهيئة الحج إلى مكة من فرض الاختلاط

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

والاتصال بين المسلمين، لما يعمل على أيقاظ الهمم الدينية في نفوسهم، وتوجه الاماني التي تجيش بها قلوبهم، وعلى السعي لتحقيقها في الاقطار الإسلامية النائية»[1].

برنارد لويس

[١]

«. . أن الإسلام التركي نفسه الذي أظهر حديثاً، برغم فترة من الخفوت قوة متجددة في تركية، لا يزال بوضوح عنصراً رئيساً، أن لم يكن الرئيس الوحيد في الوعي الجماعي لنسبة عظيمة من الأمة التركية»[2].

[٢]

«أن الأفكار التي يعبر عنها بالانكليزية والفرنسية للاجانب ليست لها علاقة بالحياة الحقيقة للبلاد [الإسلامية]. ومن جهة أخرى حينما تتجه العواطف الشعبية لمكافحة الكفار، كما وقع في منطقة القنال [١٩٥١ ـ ١٩٥٢]، تلاقي استجابة قوية»[3].

ليندون هاريس

[١]

«. . أن الإسلام هو الديانة الوحيدة التي تعد على الدوام (تحدياً) أو مناجزة لجهود التبشير والمبشرين»[4].

[٢]

«أن وسائل الإسلام [في افريقيا] أقل من وسائل المبشرين. . وليس في الوسع أن ينبىء أحد بمصير الامور في بلاد تتوالى فيها المفاجآت على غير انتظار، فلا يبعد أن يميل رقاص الساعة كرة اخرى إلى جانب الإسلام، لأنه عامل من العوامل الحاضرة ابداً في هذه البلاد»[5].

---

(١) نفسه، ص ٢٨٣، وانظر المرجع نفسه، ص ٢٨٤.

(٢) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، (تحرير كرونباوم)، ص ٤٦٥. (٣) نفسه، ص ٥٢٠.

(٤) الإسلام في افريقيا الشرقية، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٦٥ ـ ٦٦.

(٥) نفسه، ص ٦٩.

عائشة برجت هوني

[١]

«يعيش العالم الغربي اليوم في ظلام، وليس هناك أي بصيص من الأمل في قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس. فكل من يعرف الوضع الحقيقي للمجتمعات الغربية يلمس هذا القلق والحيرة العالمة التي تختفي خلف بريق التقدم والابداع المادي الزائف. فالناس في الغرب (والشرق) يبحثون عن مخلّص من العقبات التي تحيق بهم. ولكنهم لا يرون منها مخرجا. فبحثهم عقيم. . والانسجام اللطيف في الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قوياً في أيامنا هذه. وبوسعه أن يبيّن للحضارة الغربية السبيل المؤدي إلى الفلاح والخلاص الحقيقيين وأن يقدم للرجل الغربي التصور الحقيقي للحياة وأن يقنعه بالجهاد في سبيل مرضاة الله . . »[1].

مونتكومري وات

[١]

«لا تزال ـ للمسلمين ـ امكانية في تقديم دفاعهم بشكل أفضل وأكمل لسائر العالم. فهل بامكانهم الالتفات إلى حياة محمد [ﷺ]، واستخلاص القيم العامة بعد فصلها عن التأثيرات الخاصة، واكتشاف مبادىء اخلاقية تكون اضافة فعلية لتحسين حالة العالم اليوم؟ أو هل يستطيعون، على الاقل، أن يظهروا أن نبيهم [ﷺ] يقدم، بحياته، أحد النماذج الممكنة للانسان المثالي الذي يعيش في عالم موحد القيم الاخلاقية؟ إذا قدم المسلمون دفاعا بارعاً، فهناك مسيحيون على استعداد للاستماع إليهم والآخذ عنهم كل ما يمكن أخذه»[2].

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ١/٦٣ ـ ٦٤ .

(٢) محمد في المدينة، ص ٥٠٨ ـ ٥٠٩ .

[٢]

« . . لسوف ينجح المسلمون بصعوبة في جهدهم للتأثير على الرأي العام العالمي، على الاقل فيما يتعلق بالمبادىء الاخلاقية. وربما أمكنهم، في ميدان الأفكار الدينية الاوسع أن يساعدوا على اغناء العالم لأنهم احتفظوا بقوة كبرى في التعبير عن بعض الأفكار كحقيقة الله، تلك الأفكار التي أهملت ونسيت في كثير من الطوائف والأديان الأخرى الموحدة»[١].

كويلر يونغ

[١]

« . . ليس من المعقول لثقافة حية كثقافة الإسلام، يدين بها ثلاثمائة مليون من الأنفس، ألا يكون لها تأثير ـ بالفصل أو بالقوة ـ في الحضارة العالمية التي أخذت في الظهور والتكامل في العصر الحديث. . »[٢].

[٢]

« . . أن الوحدة الإسلامية قد اصيبت بالعطل، والمسئول عن ذلك هو الحضارة الغربية وعناصرها الدنيوية. . ومع ذلك فإن بين شعوب الإسلام المتعددة المختلفة مثالاً مشتركا، واصولا عقدية تقوم عليها وحدة في الثقافة، ومن واجب المسيحية أن تقدر هذه الظاهرة وتقلدها. إن عالمنا هذا الذي مزقته الجماعات المحتربة، والذي لا يعرف حكماً أعلى بيده مصير الانسانية، ليجدر به أن يتدبر تصوّر الوحدة الجوهرية للحياة كما أسسها الإسلام، ولا شك أن هذه الوحدة ـ في احسن صورها ـ سيكون لها أثرها ـ بالقوة إن لم يكن بالفعل ـ في الحاجات الروحية للناس في أيامنا الحاضرة»[٣].

---

(١) نفسه، ص ٥٠٩ .

(٢) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، ص ٢٥٥ .

(٣) نفسه، ص ٢٥٦ .

[٣]

«للإسلام نصيب آخر من الفضل متفرع عن سابقه، وهو ما حققه من التسامح بين اجناس البشر. . أن الإسلام ـ في اطار الاخوة الإسلامية ـ يستطيع أن يري المسيحية نجاحاً حقيقياً فعلياً في ميادين التسامح البشري»[١].

[٤]

«الفضل الثالث من أفضال الإسلام ذلك الروح الحقيقي من الديمقراطية في عالم ـ لا شك ـ محتاج إلى أن يطابق فعله قوله في هذه الناحية. . »[٢].

لويس يونغ

[١]

«بدأ بعث الفكر الإسلامي في منتصف القرن الثالث عشر [الهجري] بظهور دعوة محمد بن عبدالوهاب في نجد عام ١٧٤٤م. وقد هاجمت الدعوة الوهابية الانحلال الذي اعترى الناس في ممارستهم للدين، كما ادانت تقديس الاولياء، والشعائر التي اتى بها المتصوفة، وقد انتصرت هذه الحركة في مكان نشوئها رغم النكسات التي تعرضت لها. وكان لفكرة العودة إلى تعاليم السلف الأول أثر عميق في نفوس المسلمين احدثته الدعوة الوهابية. . كما عادت سيادة العرب ومكانة الإسلام في القرن التاسع عشر في مصر على أثر حركة الاصلاح التي قادها محمد عبده وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر انتعشت الحركة الصوفية. . ولعبت دوراً في مقاومة المد الاوربي. ففي عام ١٨٧١م ظهرت التيجانية نسبة إلى التيجاني وفي عام ١٨٧٣ ظهرت السنوسية نسبة إلى محمد بن علي السنوسي. ولم تكن السنوسية حركة انتعاش ديني فحسب وإنما كانت منظمة لمقاومة الاستعمار الاوربي، وقد قاومت الفرنسيين في افريقيا والايطاليين في ليبيا. . ولقد دأب المصلحون الدينيون على المناشدة المستمرة الداعية إلى تطهير المعتقدات الدينية وتصعيد المستويات الفكرية من خلال توسيع آفاق الثقافة»[٣].

---

(١) نفسه، ص ٢٥٦ . (٢) نفسه، ص ٢٥٦ .

(٣) العرب واوربا، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

المراجع

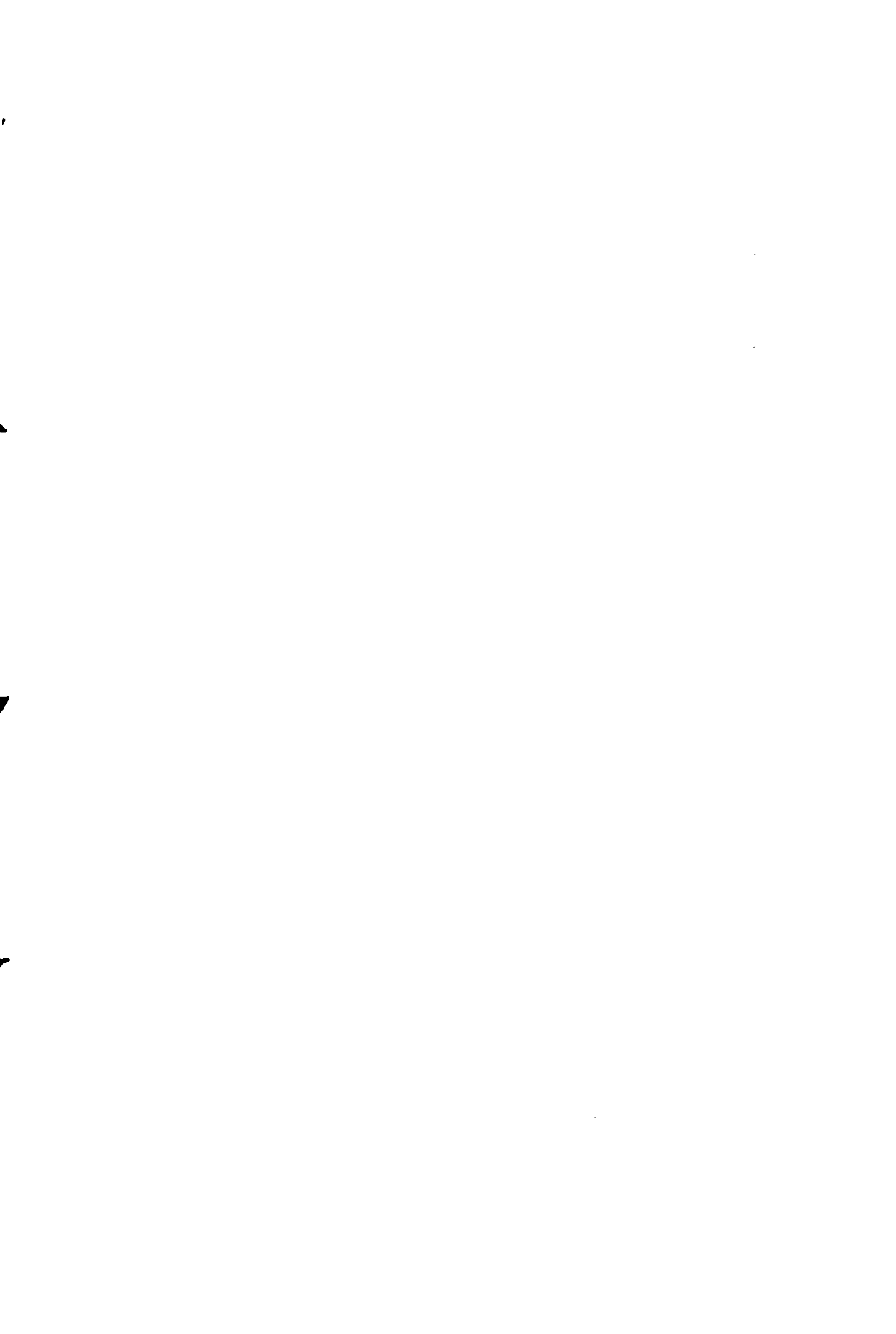

القرآن الكريم :
كتب الصحاح

أحمد : إبراهيم خليل

محمد [ﷺ] في التوراة والإنجيل والقرآن، الطبعة الثانية، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، ١٩٦٥م.

ارنولد : سير توماس

تراث الإسلام، تأليف جمهرة من المستشرقين باشراف سير توماس ارنولد، تعريب وتعليق جرجيس فتح الله، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٢م.

الدعوة إلى الإسلام : بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة وتعليق د. حسن إبراهيم حسن ورفاقه، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١.

الدومييلي

العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ترجمة د. محمد يوسف موسى، و د. عبدالحليم النجار، مراجعة د. حسين فوزي، إصدار الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٢.

ايرفنج : واشنجتون

حياة محمد، ترجمة وتعليق د. علي حسني الخربوطلي، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.

بارت : رودي

الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية : (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه)، ترجمة د. مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

بـارتـولـد : ف

تاريخ الحضـارة الإسـلامية، ترجمـة حمزة طاهـر، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.

بـانـرث : ارنسـت

تأثـير الفلسفة الإسلامية في الفكر الأوربي، محاضرة القيت في الموصل بالعربية عام ١٩٥٥، منشورات جمعية المعلمين، مطبعة الهدف، الموصل، ١٩٥٥م.

بـروقنسـال : ليفـي

حضـارة العـرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، (بدون تاريخ).

بـروي : ادوار

تاريخ الحضارة العام : القرون الوسطى، تأليف ادوار بروي ورفاقه، اشراف موريس كروزيه، ترجمـة يوسف اسعـد داغر، وفريد م. داغر، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٦٥م.

بـلاشـير : ريجيـس

تاريخ الأدب العربي، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، وزارة الثقافة، دمشق ـ ١٩٧٣م ـ ١٩٧٤م.

القـرآن : نزولـه، تدوينـه، ترجمته وتأثيره، ترجمة رضا سعادة، تحقيق ومراجعة الشيخ محمد علي الزغبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤م.

بـوازار : مـارسـيل

إنسانية الإسلام، ترجمة د. عفيف دمشقية، دار الأداب، بيروت، ١٩٨٠م.

بـوكـاي : مـوريـس

القـرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.

ترتون : أ . س
أهل الذمة في الإسلام، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، الطبعة الثانية، سلسلة المكتبة التاريخية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.

توينبي : ارنولد
الإسلام والغرب والمستقبل، تعريب د. نمبيل صبحي، دار العربية، بيروت، ١٩٦٩م.
مختصر دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، مراجعة محمد شفيق غربال، ود. أحمد عزت عبدالكريم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠ ـ ١٩٦٥م.

دينيه : اتين (ناصر الدين)
اشعة خاصة بنور الإسلام، ترجمة راشد رستم، سلسلة الثقافة الإسلامية رقم ١٧، المكتب الفني للنشر، بيروت، ١٩٦٠، محمد رسول الله، بالاشتراك مع سليمان إبراهيم الجزائري، ترجمة، د. عبدالحليم محمد و محمد عبدالحليم محمود، الطبعة الثالثة، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩.

ديورانت : ول
قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران وآخرون، الطبعة الثانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧م.

روز نثال : فرانز
علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة، د. صالح أحمد العلي، مراجعة محمد توفيق حسين، مكتبة المثنى (بالمشاركة مع مؤسسة فرانكلين)، بغداد، ١٩٦٣.
مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة، د. انيس فريحة، مراجعة، د. وليد عرفات، دار الثقافة (بالمشاركة مع مؤسسة فرانكلين)، بيروت، ١٩٦١م.

ريسلر : جاك . س
الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبدون، مراجعة، د. أحمد فؤاد الأهواني، الدار المصرية، القاهرة، (بدون تاريخ).

سارتون : جورج
الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، تعريب، د. عمر فروخ، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٥٢م.

ستشيجفسكا : يوجينا غيانة
تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦٦م.

ستودارد : لوثروب
حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، تعليقات وحواشي شكيب ارسلان، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١.

سلهب : نصري
في خطى محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٠م، لقاء المسيحية والإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٠م.

حتي : فيليب
الإسلام منهج حياة، تعريب، د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢م.

حنّا : جورج
قصة الإنسان، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣م.

خلف الله : محمد
الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة: بحوث ودراسات إسلامية، تأليف جماعة من الباحثين، جمع وتقديم محمد خلف الله، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، (بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين)، القاهرة، ١٩٦٢م.

خليل : عماد الدين
التفسير الإسلامي للتاريخ، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م.
حول إعادة تشكيل العقل المسلم، كتاب الأمة رقم ٤، رئاسة المحاكم الشرعية، الدوحة، ١٤٠٣هـ.
مدخل إلى مواقف القرآن الكريم من العلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
المستشرقون والسيرة النبوية، بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر، مونتغمري وات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (تونس)، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، (الرياض)، ١٩٨٥م.

دانكوس : هيلين كارير
القوميات والدولة السوفياتية، ترجمة هنري عبودي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩م.

درمنغم : اميل
حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الثانية، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٩.

دي كاستري : هنري
الإسلام: خواطر وسوانح، ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا، مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩١١.

سورديل : دومينيك
الإسلام، ترجمة، د. خليل الجرّ، سلسلة ماذا أعرف رقفم ١٨، المنشورات العربية، بيروت، ١٩٧٧.

سوسه : أحمد نسيم
في طريقي إلى الإسلام، الجزء الأول، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٣٦، الجزء الثاني، مطبعة الغرى، النجف، ١٩٣٨.

سيديو : ل . م .
تاريخ العرب العام، ترجمة، عادل زعيتر، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٨م.

سيرويا : هنري
فلسفة الفكر الإسلامي، ترجمة محمد إبراهيم، سلسلة الثقافة الإسلامية، عدد ٣٢، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٦١م.

شاخت : جوزيف
تراث الإسلام، تأليف جماعة من الباحثين، تصنيف جوزيف شاخت وس. أ. بوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري ورفاقه، مراجعة، فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الاعداد ٨، ١١، ١٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م.

عبدالباقي : محمد فؤاد
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٤هـ.

العشّي : عرفات كامل
رجال ونساء أسلموا، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الجزءان ٢ـ٣، الطبعة الثالثة، الاجزاء ٤ـ١٠، الطبعة الأولى، دار القلم، الكويت، ١٩٧٣ - ١٩٨٣م.

العقاد : عباس محمود
ما يقال عن الإسلام، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٦م.

العقيقي : نجيب
المستشرقون، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤ - ١٩٦٥م.

علي : محمد كرد
الإسلام والحضارة العربية، الطبعة الثالثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.

عنـان : محمد عبدالله
مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، الطبعة الرابعة، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٢م.

فاغلـيري : لورا فيشـيا
دفـاع عن الإسـلام، ترجمة منير البعلبكي، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٦م.

فايـس : ليوبولـد (محمد أسـد)
الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة، د. عمر فرّوخ، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥م.
الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦م.
منهاج الإسلام في الحكم، ترجمة، منصور محمد ماضى، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤م.

كارلايـل : تـومـاس
الأبـطـال، ترجمـة محمد السباعي، سلسلة من الشرق والغرب، عدد ١١، الدار القومية، القاهرة، (لا يوجد تاريخ).

كارودي : روجيـه
في سبيل حوار الحضـارات، ترجمـة، د. عادل العوّا، الطبعة الثانية، سلسلة زدني علما، عدد ١، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ١٩٨٢.
وعود الإسلام، ترجمة، ذوقان قرقوط، الوطن العربي، القاهرة، بيروت، ١٩٨٤م.

كـاهــن : كـلود
تاريخ العـرب والشعـوب الإسـلامية: منذ ظهور الإسلام حتى بداية الامـبراطـورية العثـمانية، ترجمـة، د. بدر الـدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٢.

كـب : هـاملتـون

الاتجاهات الحديثة في الإسلام، تعريب جماعة من الأساتذة الجامعيين، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦١م.

دراسات في حضارة الإسلام، تأليف كب، تحرير ستانفورد شو ووليم بولك، ترجمة، د. احسان عباس ورفاقه، دار العلم للملايين، (بالمشاركة مع مؤسسة فرانكلين)، بيروت، ١٩٦٤م.

وجهة الإسلام : نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي، تأليف، كب وآخـرين، تحرير كب، ترجمـة محمـد عبـدالهـادي أبو ريدة، المطبعة الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٤م.

كرونبـاوم : كوسـتاف فـون

الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، تأليف جماعة من الباحثين، تحرير كرونبـاوم، ترجمـة، د. صدقي حمدي، مراجعة، د. صالح أحمد العلي، مكتبة دار المتنبي، (بالمشاركة مع مؤسسة فرانكلين)، بغداد، ١٩٦٦م.

كـوبـولد : ايفـلين

البحث عن الله، ترجمة، عمر أبو النصر، المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٣٤م.

كـولـد تسـيهر : اكنـاصي

العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة، د. محمد يوسف موسى، ورفاقه، الطبعة الثانية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٥٩م.

كـويلـر يـونغ : ت

الشرق الأدنى، مجتمعه وثقافته، تأليف جماعة من الباحثين، تحرير كويلر يونغ، ترجمة، د. عبدالرحمن محمد أيوب، مراجعة، د. أبو العلا عفيفي، و د. محمد محمود الصياد، سلسلة الألف كتاب، عدد ١١٦، دار النشر المتحدة، القاهرة، (لا يوجد تاريخ).

كـويليـام : عبدالله ولـيم

احسن الأجوبة عن سؤال أحد علماء أوروبة، ترجمة، معروف الرصافي، مطبعة الولاية، بغداد، ١٣٣٠هـ.

العقيدة الإسلامية، تعريب محمد ضيا، مطبعة هندية، القاهرة، ١٨٩٧م.

كـوينّـج : الكـادرينـال

عقيدة التـوحيد في العالم المعاصر، محاضرة القاها خلال الموسم الثقافي لجامعة الأزهر ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥م، ترجمة د. محمد محمود غالي، مطبعة جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٦٦م.

لانـدو : روم

الإسـلام والعـرب، ترجمـة منير البعلبكي، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م.

لايتنـــر :

دين الإسـلام، ترجمة عبدالوهاب سليم التنّير، الطبعة الثانية، المكتبة السلفية، دمشق، ١٣٤٢هـ.

لـوبـون : كـوســتاف

حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الثالثة، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٦م.

لـوقـا : نظمـي

محمد الرسالة والرسول، الطبعة الثانية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٥٩م.

مارسيه : جــورج

الفن الإسـلامي، ترجمـة د. عفيفي بهنسي، مراجعـة عدنـان النبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٦٨م.

ماسيه : هنري
الإسلام، ترجمة بهيج شعبان، الطبعة الثانية، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٧٧م.

متز : آدم
الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، (أو : عصر النهضة في الإسلام)، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة، الطبعة الثالثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٧٥م.

منظمة : الندوة العالمية للشباب الإسلامي
الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم، (أبحاث ووقائع اللقاء الرابع للمنظمة، المنعقد بالرياض في ١٨ آذار ١٩٧٩م)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٩٨١م.

نهرو : جواهر لال
لمحات من تاريخ العالم، ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين، الطبعة الثانية، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٥٧م.

هارث : مايكل
دراسة في المائة الأوائل، ترجمة خالد أسعد عيسى، وأحمد غسان سبانو، الطبعة الثانية، دار قتيبة، بيروت، ١٩٧٩م.

هامرتون : السير جون أ.
تاريخ العالم، تأليف جماعة من الباحثين، نشرة السير جون هامرتون، ترجمة ادارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (بدون تاريخ).

هونكه زيغريد
شمس العرب تسطع على الغرب، (أثر الحضارة العربية في أوروبا)، (في الأصل شمس الله تسطع على الغرب)، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦٤م.

وات : مونتكمري

تأثير الإسلام على أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة د. عادل نجم عبّو، دار الكتب في جامعة الموصل، ١٩٨٢.

محمد في المدينة، تعريب شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (لا يوجد تاريخ).

محمد في مكة، تعريب شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (لا يوجد تاريخ).

ولــز : هـ . ج .

معالم تاريخ الإنسانية، تعريب عبدالعزيز توفيق جاويد، مراجعة محمد مأمون نجا، و د. عبدالحميد يونس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠م.

موجز تاريخ العالم، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، سلسلة الألف كتاب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م.

وود : السير ريشار

الإسلام والاصلاح، نشره ونقحّ ترجمته العربية محبّ الدين الخطيب، مطبعة المؤيد، القاهرة، ١٩١٢م.

يونغ : لويس

العرب وأوربا، ترجمة ميشيل ازرق، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩م.

الشهود

[أ]

إبراهيم خليل أحمد
دوكلاس أرشـر
سير توماس ارنولد
الدوميلي
ركس انجـرام
ج . ن . د . اندرسـن
ماري اوليفـر
واشنجتون ايرفنج

[ب]

بشير أحمد باتيل
رودي بارت
ف . بارتولد
ارنست باركر
مرسيدس بالتودانو
ارنست بانرث
روبرت برنشفك
ميلر بروز
ليفي بروفنسـال
ادوار بروي
ريجيس بلاشـير
مارتن بلسـنر
بريثـا بنكمـرت
عـلي سلمان بنوا
مارسـيل بوازار
ديبـورا بـوتر
موريس بوكاي

ج . ك . بيرغ
وليم بيكارد

[ت]

جون براند ترند
أ . س . تريتون
فاطمة تزفسكن
ارنولد توينبي

[ج]

كوفهي لال جابا
ك . ل . جاوبا

[ح]

فيليب حتي
جورج حنّا

[د]

هيلين كارير دانكوس
عامر علي داود
اميل درمنغم
اي . دريو
م . ح . دوراني
دافيد دي سانتيلانا
هنري دي كاستري
ايتين دينيه
ول ديورانت

[ر]

ناجيمو راموني
دونالد ركويل
بيجي رودريك
مكسيم رودنسن
فرانز روزنثال
جاك . س . ريسلر

[س]

جورج سارتون
لوثروب ستودارد
فرانك ستوك
يوجينا ستيشجفسكا
كات ستيفنز
نصري سلهب
هارولد سمث
ولفريد كانتول سمث
دومينيك سورديل
أحمد سوسه
ل. م . سيديو
هاي سيرويا

[ش]

جوزيف شاخت
بشير أحمد شاد
بارتولد شبولر

[ص]

محمد صـديق

[ف]

لورا فيشيا فاغليري
ل. بولد فايس (محمد أسد)
بروفيسور فورغ
جوان فيرنيـه
سـدني فيشـر
ج . ف . فيلويـز

[ق]

جميلة قرار
قـرّة العـين

[ك ، گـ]

فرانشيسكو كابدييلي
البارون كارا دي فو
توماس كارلايل
روجيه كاوردي
ادوين كالغرلي
د. ج. كامبغماير
كلود كاهن
هاملتون كب
ج. أ. ج. كرامرز
كوستاف فون كرونباوم
جوليفه كستلو
توماس محمد كلايتون

جورج كمبل
ايقلين كوبولد
اوكناس كولدتسيهر
عبدالله وليم كويليام
الكاردينال كوينج
ادوارد كيبون
جاك دوشين كيمن
آرثر كين

[ل]

فاطمة سي لامير
روم لاندو
لايتنـز
كوستاف لوبون
روجيه لوتورنو
نظمي لوقا
برنارد لويس
السي ليخستادتر
ستانلي لين بول
هارون مصطفى ليون

[م]

جورج مارسيه
سالي جان مارش
هنري ماسيه
منى عبدالله ماكلوسكي
ماكس مايرهوف
آدم متز

فنساي مونتاي
مونتـه
ر. ل . , ميليما

[ن]

جواهـر لال نهـرو

[هـ]

مايكل هارث
ليندون هاريس
عبدالله هاملتون
روز ماري هاو
سيغريد هونكه
عائشـة برجـت هوني
ميخائيل هيمز

[و]

مونتكمري وات
واجنـر م .
كاري واندر
هـ . ج . ولز
رشبروك وليامز
ريشار وود

[ي]

عـلي يـول
كويلـر يونـغ
لويس يونغ

تخريج الأحاديث النبوية الواردة في الكتاب

«الناس سواسية كأسنان المشط».

في الأصل (الناس كأسنان المشط)

أخرجه اليلمي عن سهل بن سعد، وزاد فيه: (وإنما يتفاضلون بالعافية، فلا تصحبنّ أحداً لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له)، وله عن انس: (مستوون كأسنان المشط، ليس لأحد على أحد فضل إلاّ بتقوى الله).

«شيّبتني هود وأخواتها: الواقعة والحاقة والقارعة».

رواه الترمذي في الشمائل وأبو نعيم في الحلية بهذا اللفظ من حديث أبي جحيفة. وفي الترمذي والحلية من رواية ابن عباس قال: قال أبوبكر: يارسول الله، قد شبت. قال: «شيّبتني هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون وإذا الشمس كوّرت». قال الترمذي أنه حسن غريب، وصحّحه الحاكم.

«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تُخسفان لموت أحد»

في الأصل (. . . وانهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته).

رواه الإمام أحمد ومسلم.

«فضل العلم خير من فضل العبادة».

روى البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في الأوسط قول رسول الله ﷺ: «لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد». قال الطبراني: سنده ضعيف، وله شواهد أسانيدها ضعيفة.

«ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لقرشي على حبشيّ إلاّ بالتقوى».

رواه الإمام أحمد.

«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبدالله ورسوله».

رواه البخاري.

«لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا».

رواه الإمام أحمد وأبو داود باسناد ضعيف.

«. . . إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد».

رواه ابن ماجه في كتاب الأطعمة.

«لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

متفق عليه.

«يسرّوا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا».

رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والنسائي.

«كاد الفقر أن يكون كفرا».

رواه أبو نعيم في الحلية.

«إن هذا الدين يسر».

رواه الإمام أحمد والبخاري والنسائي.

«أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة».

رواه الإمام أحمد بلفظ (إني أرسلت . . .) وسنده حسن، ورواه البخاري في صحيحه.

«ألا انبئكم بشرّ الناس؟ من أكل وحده، ومنع رفده، وسافر وحده، وضرب عبه . . .».

رواه ابن عساكر عن معاذ بن جبل، ورواه الطبراني من حديث ابن عباس وهو حديث ضعيف.

«من آذى ذميا فأنا خصمه».

رواه أبو داود بلفظ (ألا من ظلم معاهدا أو تنقّصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة)، ورواه البيهقي في شعب الإيمان ولكن بلفظ (وأنا حجيجه . . .).

«أصلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم».

رواه البيهقي والخطيب وابن عبدالبر والديلمي وغيرهم عن أنس، وهو حديث ضعيف.

«ان طلب العلم فرض على كل مسلم ومسلمة» .

رواه ابن ماجه وابن عبد البرّ بلفظ (طلب العلم فريضة . . .) .

«النساء شقائق الرجال» .

رواه الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود والترمذي بلفظ (إنما النساء . . .) .

«خيركم من أحسن إلى امرأته» .

رواه الترمذي وابن ماجه بلفظ (خياركم خياركم لنسائهم) .

«الجنة تحت أقدام الأمهات» .

رواه القضاعي والخطيب في التاريخ .

«اكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم» .

رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه .

«ابغض الحلال إلى الله الطلاق» .

رواه ابو داود وابن ماجه عن ابن عمر.

«إيمان امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة» .

رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم .

المحتوى

الصفحة